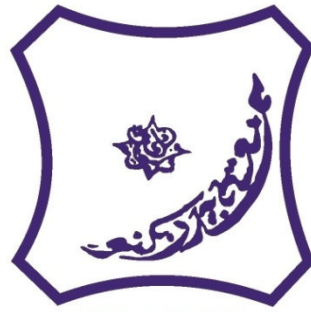


دراسات عربية

السلسلة الجديدة



ISSN: 2360-7645

حولية تصدر عن

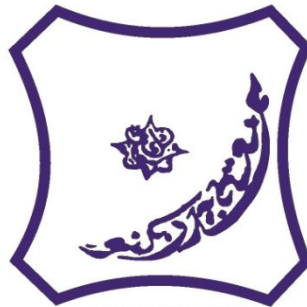
قسم اللغة العربية - جامعة بايرو- كنو، نيجيريا

العدد الخامس عشر، الرقم ٢، أكتوبر ٢٠٢٠م



DIRĀSĀT ĀRABIYYAH

New Series



ISSN: 2360 -7645

An Annual Journal of
Department of Arabic,
Bayero University, Kano

Volume 15, No. 2, October 2020

دراسات

عربية

السلسلة الجديدة

العدد الخامس عشر، الرقم ٢، أكتوبر ٢٠٢٠م



حولية تصدر عن

قسم اللغة العربية - جامعة بايرو - كنو، نيجيريا

السلسلة الجديدة

العدد الخامس عشر، الرقم ٢، أكتوبر ٢٠٢٠م

ISSN: 2360 -7645

© قسم اللغة العربية - جامعة بايرو - كنو، نيجيريا

عنوان المراسلات:

البريد العادي: Kano Nigeria.P. M. B. 3011

البريد الإلكتروني: arabiyyah@buk.edu.ng



كنو - نيجيريا

الهاتف: +2348023855133

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

شروط النشر في المجلة

دراسات عربية (السلسلة الجديدة) حولية تصدر عن قسم اللغة العربية بجامعة بايرو، كنو، نيجيريا. وترحب لجنة تحرير المجلة، لعددتها القادم، ببحوث علمية رصينة، لم يسبق نشرها، في نطاق اللغة العربية وآدابها. وتتولى اللجنة تقويم البحوث المقدمة للنشر مع الاستعانة بخبير واحد على الأقل خارج اللجنة.

تطبع البحوث المقدمة للنشر على الحاسوب في ورق مقاسه (A4) وعلى واجهة واحدة منه في حجم يتراوح بين ١٥ و ٢٠ صفحة مع مراعاة هوامش كافية، وأن تكون الطباعة على مسافتين، ويتوقع من المساهمين تسليم ثلاث نسخ من البحث مع قرص يحمل في طياته البحث نفسه. أما منهج المجلة في إثبات المصادر والمراجع والشروح فإنه يكون في آخر البحث بتقديم اسم المؤلف، فسنة النشر، فعنوان المؤلف (إن كان كتابا)، فدار النشر، فالمكان، فالصفحات. وإذا كان بحثا في مجلة فيُقدّم اسم الكاتب كذلك، فعنوان البحث، فالمجلة مع ذكر السنة والعدد والصفحات.

إلى أن توافينا مساهماتكم العلمية لتحقيق الرسالة الملقاة على كاهلنا.

هيئة التحرير

- رئيس القسم: د. أحمد مُجَّد ثالث
رئيس تحرير المجلة: أ. د. يحيى إمام سليمان
السكرتير الإداري: د. أبوبكر نوح فندا
السكرتير المالي: د. بلقيس طاهر عمر
الأعضاء: أ. د. محمد طاهر سيد
د. مُجَّد هارون حطيجيا
د. يعقوب أرمياء

مستشارو التحرير:

- أ. د. سمبو ولي جنيد
أ. د. عبد الباقي شعيب أغاكا
أ. د. مصلح يحيى تايو
أ. د. زكريا حسين
أ. د. تجاني المسكين

محتويات العدد

- كلمة العدد ١ إعداد أسرة التحرير
- ١ - ١ جدلية الفني والإيديولوجي في بنية الشخصية في الرواية الجزائرية: رواية إرهابيس لعز الدين ميهوبي أمودجا [سليمان عبد القادر]
- ٢ - ٢ دلالة المنطوق غير الصريح عند علماء الأصول [أ.د/ إدريس بن خويا و د/ فاطمة برماتي]
- ٣٧ - ٣ مظاهر تفاعل شعر الشيخ عثمان ورش المدابوي بشعر الشيخ إبراهيم إنياس الكولحي [عبد الرحمن داوود ميكائيل، و بنت مُجَّد تكرر]
- ٦٣ - ٤ المعاهد العلمية ودورها في تطوير اللغة العربية في مدينة مَيْدُغْرِي بعد الاستعمار البريطاني [الدكتور أحمد مُجَّد هارون]
- ٩٦ - ٥ دراسة نحوية صرفية تطبيقية للأسماء الممدودة في القرآن الكريم: كلمة "أَوْلِيَاءَ" نموذجاً [الدكتور أحمد شَيْخُ مُوسَاوَا]
- ١٢٥ - ٦ دلالات الأفعال الثلاثية المزيدة في ديوان "فرح الأحبة" للشيخ إبراهيم الخليل طَنْدَمِي: دراسة لنماذج [مُجَّد تكرر ثامن]
- ١٧١

- ٧- صيغة "اَفْتَعَلَ" ومعانيها في قصيدة كشف الغمة في مدح ١٩٢
سيد الأمة لمحمود سامي البارودي
[الدكتور إلياس عثمان و عبد الوهاب عثمان أبوكي]
- ٨- إشكالية الاسم والصفة بين التراث النحوي والصرفي عند ٢١٤
القدامى والمحدثين: دراسة تقابلية [الدكتور تجاني يوسف]
- ٩- صيغتا أَفَاعِلُ وَمَفَاعِلُ في مقامات الحريري من ٢٤٤
المقامة الأولى إلى العشرين: دراسة صرفية دلالية
[الدكتور مُجَّد هارون هطيغيا و داود مُجَّد أبوبكر]
- ١٠- اللغة العربية وتفاعلها مع الدعاية الشعبية الهوساوية ٢٧٠
[مُجَّد مجتبي عبد الله]
- ١١- نشأة اللغة الإنسانية وتطورها حسب العصور والأزمان ٣٠٨
[سكينة بشير]
- ١٢- مواطن التناص وأشكاله في شعر المجتبي مُجَّد الثاني ٣٢٤
[شمسية إبراهيم مَعَجِي]
- ١٣- تمييز الحروف العربية من حروف لغة الهوسا ومعرفة قواعد ٣٤٤
الوقف والابتداء وأثر ذلك في تجنب الأخطاء في قراءة
القرآن الكريم [الدكتور رفاعي أوبا حمزة]
- ١٤- دراسة أدبية لقصيدة "هازم اللذات" في الزهد للشاعر آدم ٣٥٧
يونس [آدم أحمد المؤذن]

- ١٥- الحقول البلاغية في ظلال إنتاجات أعلامها التأليفية في ٣٨٧
نيجيريا "كتاب البيان لديرمني نموذجاً"
[الدكتور عمر مُجَّد الأول الإمام]
- ١٦- إسهامات اللغة العربية في مواجهة التطرف الديني لدى ٤٢٠
الشباب المسلمين شمال نيجيريا نموذجاً
[الدكتور عمر آدم مُجَّد]
- ١٧- واو الاعتراض والحال في قصيدة كشف الغمة في مدح ٤٤٥
سيد الأمة دراسة نحوية [عبد الوهاب عثمان أبوكي و
الدكتور الدكتور إسحاق صالح سليمان]
- ١٨- ظواهر بلاغية في قصيدة الذكر والذكرى لكمال الدين ٤٧٠
المبارك علي [عبد الواحد الرؤوف أُونِكْنَهْنُ]
- ١٩- مشاكل تعليم البلاغة العربية وحلولها في كلية التربية ٥٠٣
الفدرالية في ولاية كنو [الدكتور ثالث هلر فندا]

كلمة العدد

يسعد أسرة التحرير أن تقدم للقراء العدد الخامس عشر من السلسلة الجديدة لمجلة "دراسات عربية" إصدار قسم اللغة العربية بجامعة بايرو بكنو - نيجيريا. وهي مجلة محكمة هدفها نشر العلم والثقافة العربية من خلال ما تحمله من مواد علمية جيدة وموضوعية بحتة. ولأول مرة في تاريخ المجلة أن يظهر هذا العدد في جزئين كبيرين (الرقم الأول والثاني).

وكالعادة نذكر القراء بأن المجلة تبذل قصارى جهدها خلال تحكيم أي مقال مقدم للنشر في التحقق من أصالة محتواه وسلامة شكله، ولكنها لا تحيط بكل شيء علما. لذا، فإن الباحث هو المسئول مسؤولية كاملة - بعد نشر المجلة - عن كل ما خفى عند التحكيم، وعن صحة النقل من المراجع المستخدمة في بحثه، وعن أية سرقة علمية يتهم بها لا سامح الله.

واعتبارا من العدد القادم سيحدث تغيير إداري في المجلة، نسأل الله أن يزيد ذلك ثراءها وتقدمها، وأن يجعل ما قدمناه من الأعمال في ميزان حسناتنا، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

جدلية الفني والإيديولوجي في بنية الشخصية في الرواية الجزائرية: رواية إرهابيس لعز الدين ميهوبي أنموذجا

إعداد

سليمانى عبد القادر

مخبر الدراسات الصحراوية،

جامعة طاهري محمد بشار - الجزائر

siabdlkader66@gmail.com

ملخص:

تشكل الشخصية الروائية العنصر الأساس الذي يستثمره الكاتب في تأطير فضاء النص الروائي، كما تمثل المفتاح الإجرائي الذي يوظفه القارئ في تفكيك شبكة البنى المتداخلة في الرواية ورصد إستراتيجية الكاتب الفنية والإيديولوجية. وقد طرح موضوع بنية الشخصية إشكالات عدة، إن على مستوى الكتابة الإبداعية أو على مستوى القراءة، ومن ذلك جدلية البناء الفني والإيديولوجي للشخصية. فما هي الأسس التي يعتمدها الخطاب الروائي لتجسيد التضاييف بين الرؤية الفنية والفكرية في هذه البنية؟ وإذا كانت الشخصية هي المكون السردي الأمثل لتحقيق جمالية النص وتمحيص رؤية الكاتب، واختبار مكنته الإبداعية، فكيف تجلّى ذلك في المنظومة البنائية للشخصية عند

عز الدين ميهوبي؟ وهل تمكن من التعبير عن رؤيته للعالم من خلال
مكون الشخصية في رواية إرهابيس؟ ذلك ما يروم البحث ملاحقته من
خلال قراءته في بنية الشخصية لهذه الرواية.

الكلمات المفتاحية: فني - إيدولوجي - بنية - شخصية - رواية

- إرهابيس.

Abstract

Novel's Character is an essential element that authors invest to frame novelistic text's spaces. It represents also a procedural key used by readers to deconstruct the novel's imbricate structure network and detect author's strategy in its artistic and ideological aspects. The character's structure poses many problems, whether at the level of creative writing or at the level of artistic and ideological dialectics. Regarding this, what are reading principles adopted by novelistic discourse to achieve correlation links between artistic and thought views in the concerned structure?. If the character is the ideal narrative component to achieve textual aesthetics, test author's view and examine author's creative competence, how all this is revealed in the structural system of characters in Mihoubi's novel? Was the author successful in expressing his own view of the world through characters of the novel Irhabis?.

Key Words: Artistic – ideological – structure – character - novel- Irhabis

تمهيد:

شكلت الشخصية في رواية ما بعد الحداثة أحد المكونات الأساسية التي
وظفها الخطاب الروائي في بنائه السردي، بغية الوصول إلى نصوص ترقى إلى

مستوى أفق المتلقي الذي لم تعد مهمته تقتصر على البحث عن المعاني داخل النص، بل أصبح دوره مع النظريات الحديثة لا يقل أهمية عن دور المؤلف نفسه في إبداع النصوص وتشكيل جمالياتها، والرواية باعتبارها فن الممكن وبوصفها ذلك التعبير الفني الجمالي الذي يتناول الحياة بكل تفاصيلها وجزئياتها وكل ما تحتمله من آفاق مستقبلية..، هي أقدر الأجناس الأدبية على احتواء المعرفة الإنسانية والتجربة البشرية، إذ "كل ما في الحياة هو من اهتماماتها؛ فالنفس والمجتمع والمشاعر والتاريخ والماضي والحاضر.."،^١ الواقع من ذلك والمتوقع، تعالجه الرواية لتحقيق بذلك جملة من الأهداف الفنية والدلالية، تلك الأهداف التي يتم تحقيقها بواسطة قارئ متمكن يستطيع أن يقرب المسافة بين المتخيل والواقعي من جهة، ويقوم بإسقاطات مخرجات النص على مفردات الواقع تبعاً لما تمليه نظرية القراءة.

وهذه الورقة مقارنة تحليلية لبنية الشخصية الروائية، تبحث موضوع تضاييف الفني والإيديولوجي في بناء الشخصية في الرواية الجزائرية الحديثة، وتحديدًا رواية "إرهايس" التي تناول فيها الكاتب عز الدين ميهوبي موضوعاً إيديولوجياً بامتياز. سعى من خلاله إلى الوقوف على أسباب ذلك التصادم الإيديولوجي الذي وقع في الجزائر في تسعينيات القرن الماضي، وجسد ذلك في بنية جمعت بين الواقعي وتفصيله والخيالي وتصوراته، بين الأدبي الوجداني وإفرازاته العاطفية، والعلمي

التجريدي وضوابطه العقلية، بين الإقناع المنطقي والإثارة العجائية ، في قالب فني جعل كلا منها متوافقا مع الآخر ومتناغما معه. وسيتناول البحث هذه البنية من خلال ثلاثة عناصر هي:

١- التشكل الأيدولوجي في بنية الشخصية الروائية:

يرجع ظهور مصطلح الأيدولوجية Idéologie إلى بداية القرن التاسع عشر، وهو مصطلح أدرجته المعاجم الغربية تحت الأصل اللاتيني "idéa" بمعنى فكرة، مضافة إلى "logos" بمعنى علم، أي علم الأفكار ولذا عرفه مكتشفه "ديستوت دوتراسي Destut Detras" ١٧٥٤ - ١٨٣٦م، على أنه: " العلم الذي يدرس الأفكار، بالمعنى الواسع لكلمة أفكار، أي مجمل واقعات الوعي من حيث صفاتها وقوانينها وعلاقتها بالعلامم التي تمثلها"^٢، وقد ورد في المعجم العربي بالمعنى ذاته، فهو " فن البحث في التصورات والأفكار "^٣. ويلاحظ أن هذا المصطلح قد دخل مجالات علمية وفلسفية عديدة، غير أنه أخذ أبعادا أوسع وأعمق في مجال الخطاب الأدبي عموما حتى قيل "الأدب هو إنتاج إيدولوجي"^٤. وذلك من حيث إن الدوافع الكامنة وراء أي عمل أدبي والباعثة على إنتاجه هي دوافع وبواعث إيدولوجية بالمقام الأول.

فالكاتب أو الأديب لا يكتب إلا حين تكون لديه جملة من الأفكار يريد إرسالها إلى متلق ما، فيحملها على متون الكلمات والجمل مع ما

يقتضيه الخطاب الأدبي من خصائص ومميزات فنية وجمالية، ليقدمها للقارئ كوعي (فردى) نفسى، أو (جمعي) اجتماعي أو سياسي..، ثم يأتي دور المتلقي في بلورة تلك الأفكار وصياغتها في إيديولوجية خاصة بهذا الكاتب أو هذا النص من خلال فعله القرائي الذي يتيح له جملة من الاختيارات يقدم بعضها على الآخر لاعتبارات فنية ودلالية، تعكس الخلفية الفكرية والثقافية لهذا القارئ أو ذاك.

ويتجلى هذا المعنى بوضوح أكثر في الكتابة الروائية، إذ هي من أكثر الأجناس الأدبية التي "طبقت عليها مفاهيم الإيديولوجيا واتخذت وسيلة لنشرها وإيضاحها وظلت كذلك في رحلتها الزمانية والمكانية من الغرب إلى العالم ومن نشوء الرواية إلى اليوم"^٥، وعلى هذا يمكن اختزال علاقة الإيديولوجيا بالرواية في المعادلة التالية:

$$ك ر = إ م$$

أي: الكتابة الروائية تساوي الإيديولوجيا المكتوبة.

وتتجلى التشكلات الإيديولوجية في بنية عنصر الشخصية بشكل أوضح منه في غيره من عناصر السرد، وذلك باعتبار أن الشخصية هي "المحور العام الرئيسي الذي يتكفل بإبراز الحدث وعليها يكون العبء الأول في الإقناع بمدى أهمية القضية المثارة في القصة وقيمتها"^٦، وهي العنصر الذي يبعث الحياة في سائر مكونات الرواية بفضل ما تكتسبه

في مساراتها المختلفة كالاسم والشكل والجنس، وأيضا ما تقوم به من أفعال ووظائف..

وتتضح أهمية عنصر الشخصية في الرواية من خلال عدة سياقات أبرزها السياق المعجمي للمصطلح فقد وردت مادة: (ش - خ - ص) في المعاجم اللغوية بمعنى ظهور الشيء باجتماع أجزائه وإثبات ذاته، يقول ابن منظور: "الشخص جماعة شخص الإنسان وغيره، مذكر، والجمع أشخاص وشُخُوص وشِخَاص...، والشخص سواد الإنسان وغيره تراه من بعيد، وتقول: ثلاثة أشخُص، وكل شيء رأيت جِسْمَانَه فقد رأيت شَخْصَه.. الشَّخْص كل شيء له جسمان وظهور، والمراد به إثبات الذات، فاستعير له لفظ الشخص"^٧، ومثل ذلك أورده صاحب معجم مقاييس اللغة حين قال: "الشين والخاء والصاد أصل واحد يدل على ارتفاع في شيء. من ذلك الشخص وهو سواد الإنسان إذا سما لك عن بعد.."^٨. فدلالة الشخصية إذن تجمع بين وجود مجسم، وظهوره، وارتفاعه، مستقلا عن غيره ماثلا للعيان، فيحصل إدراك وجوده، وتمييزه من قبل الغير.

وتعتبر هذه الدلالات المعجمية المتعددة للفظ الشخصية مبررا لتباين تحديد الخطاب النقدي لمدلول مصطلح الشخصية الفنية، فقد من أجمعها القول بأنها "كائن ورقي يُنشأ إنشاء، وهو كائن حي بالمعنى الفني لكنه بلا أحشاء، أو هو كائن قُدّ من سمات وعلامات وإشارات

يمكن منها إنشاء خطاب ما^٩ أي تركيب وحدة فنية تسمى الشخصية، ويرتكز هذا التعريف على البنية اللغوية للشخصية باعتبارها شخصية مبنية من حروف وكلمات ورموز وأرقام، مثقلة بالإيحاء والرمزية يتولى القارئ تفكيك تلك الدلالة الرامزة فيساهم بدوره في بناء الشخصية، وهو ما عناه فيليب هامون في تعريفه الذي يقول: "الشخصية في الحكى هي تركيب جديد يقوم به القارئ أكثر مما هي تركيب يقوم به النص"،^{١٠} وهذا بدوره يطرح على الباحث قضية أخرى وهي إذا كان لكل قارئ الحق في إعادة تركيب شخصيات النص من منطلق خلفيته المعرفية والثقافية، فإن ذلك يؤدي بالضرورة إلى تعدد الشخصيات بتعدد القراءات، وحينئذ لا يمكن أن يكون هناك تطابق بين الشخصية الروائية والشخصية الواقعية، وهو ما تسعى إلى تجسيده الرؤية الفنية لمرحلة ما بعد الحداثة.

وأما البنية فهي "ذلك النظام المتسق الذي تحدد كل أجزائه بمقتضى رابطة تماسك، تجعل من اللغة مجموعة منتظمة من الوحدات أو العلاقات، ويحدد بعضها بعضا على سبيل التبادل"،^{١١} فتكون بذلك مختلف البنى في المتن الروائي وخصوصا بنية الشخصية آلية لتوليد الدلالة وبناء المعنى، وتصبح بفضل التداخل المنتظم بينها وبين باقي المكونات أكثر "ديناميكية لتجسيد الدلالة في سلسلة من المكونات الجذرية،

والعمليات المتصلة"^{١٢}. وهو ما يفتح أمام القارئ مجالاً أوسع للتنقيب في أعماق النص ويتيح له فرصاً أكثر للقراءة والتأويل. ويمكن رصد المكون الأيدولوجي في البنية الفنية لشخصيات رواية إرهابيس من خلال النظر في العناصر البنائية التالية:

أ- عناصر خارجية أو ظروف طبيعية وفيزيائية، وإن كان الكاتب قد تعتمد طمس هذا النوع من مكونات الشخصية في الرواية استجابة لمقتضيات الرؤية الحدائثية للشخصية التي جعلتها تفقد الكثير من خصوصياتها كما تقرر الروائية والناقدة الفرنسية نتالي ساروت Nathalie Sarraute حين تقول: "إن الشخصية فقدت شيئاً فشيئاً كل شيء، أجدادها وبيتها المبني بعناية والغاص بالأشياء المختلفة، من قبو البيت إلى مستودع الحبوب، مروراً بأدوات الزينة الدقيقة، فقدت أملاكها، شهادات، استثمارها، وثيابها، وجسدها، ووجهها، وبخاصة فقدت ذلك الشيء الثمين الذي تتميز به: طبعها الخاص، وحتى اسمها"^{١٣}. وأصبحت تستمد كينونتها وهويتها من الأفعال والوظائف التي تقوم بها فقط.

فإذا تأمل القارئ مثلاً شخصية قائد السفينة ماركوس التي تقول عن نفسها: "حين فتحت عيني، قالوا لي، إن أجدادي هم الإسبان الذين جاءوا لاستكشاف هذه الجزر البعيدة فلم يعودوا.."^{١٤}، وجد أن هذا كل ما يتعلق بتسمية الشخصية ووصفها، وأما أفعالها فهي كثيرة موزعة

على عدة مقاطع سردية مثل: (يقود، يشير، يقول، يصمت، ينفث، يتسم، يضحك، يغني..)، فتتشكل الشخصية وتأخذ ملامحها ب هويتها من مجموع هذه الأفعال.

ومن الأمثلة على هذا النوع من الشخصية أيضا، شخصية (الأم ماتيليدا) التي تم بناؤها بالأفعال فقط إذا استثنينا وصفين هما "معلمة مكسيكية"،^{١٥} مع ملاحظة أن الاسم الأول معلمة هو اسم فاعل بمعنى أنه أقرب إلى حقل الأفعال دلاليا منه إلى حقل الأسماء، وأما الأفعال فهي كثيرة ومنها: "رأت، تلتحق، تتأثر، شاركت، لم تنكر، حكم عليها، تتصرف، واستحضرت، تتلو، تقرأ..". وهذه التركيبة توحى بدينامية الشخصية وسرعة تحولها خلافا للأسماء التي توحى بالثبات والاستقرار، كما تكشف شيئا فشيئا عن قناعاتها الفكرية وتوجهاتها الإيديولوجية. وقد أكد تودوروف Todorov على هذه المنهجية البنائية للشخصية حين تسأل: "ما الشخصية إذا لم تكن تحديدا للفعل؟ ما الفعل إذا لم يكن إبانة للشخصية؟.."^{١٦} وعلى هذا فقد أصبحت العلاقة الرابطة بين الفعل والشخصية رابطة عضوية، بحيث أن كل فعل تقوم به هو بمثابة جزء من كينونتها وهويتها، وهو ما عناه بروب Propp حين قال: "إن ما هو مهم في الحكاية هو التساؤل عما تقوم به الشخصيات".^{١٧} فالأفعال هي التي تتأسس عليها بنية الشخصية وهي التي ترسم توجهها

الإيدولوجي ، ومن خلالها فقط يتمكن القارئ من اكتشاف التوجه الإيدولوجي لهذه الشخصية أو تلك، فإذا تأمل القارئ المقطع التالي: "إنني أحس على وجهي بألم كل صفعه توجه إلى مظلوم في هذه الدنيا، فأينما وجد الظلم فذاك هو موطني .." لا يهمني متى وأين سأموت، بقدر ما يهمني أن يبقى الثوار يملتون العالم ضجيجا حتى لا ينام العالم بثقله على أجساد الفقراء والبائسين والمظلومين"،^{١٨} أدرك أنه يكشف عن الإيدولوجية الثورية لتشي قيافارا من خلال الأفعال المجسدة للأفكار التي بنى عليها منهجه الثوري.

ب- عناصر داخلية أو أفكار ومفاهيم ذهنية ملازمة لوجود الأشخاص والأشياء في عالم الواقع، وذلك من حيث إن الشخصية هي "نظام من العناصر المحققة فنيا والموضوعة في تراتبية معقدة تجمع بينها سيادة عنصر معين على بقية العناصر"^{١٩}، فبالنظر إلى شخصية ستالين، أو تشي غيفارا، أو أدولف هيتلر مثلا نجد أنها عبارة عن مجموعة من الأفكار والإيدولوجيات والنظم اجتمعت لتشكّل شخصية، لارتباطها بها في الذاكرة التاريخية، فصارت كالعلامة الدالة عليها، بحيث إذا ذكر اسم الشخصية تمت الإحالة على الإيدولوجية، فاسم تشي قيافارا يحيل القارئ ذهنيا على الثورة الاشتراكية، و اسم هتلر ملازم للإيدولوجية النازية..

ومن نماذج هذا النوع من الشخصية في الرواية الصحفيين السبعة: كوستا مارتينيز، ماريا كاستينوفا، كوامي سوماري، أمين الدراجي، جون كيمبس، جواد أمان الله،^{٢٠} وهي شخصيات تشترك في مجموعة من الأفكار والإيديولوجيات، وينفرد كل عنصر بما يميزه عن غيره، اعتباراً للمرجعية الفكرية والبيئة الثقافية التي ينتمي إليها، وما يناسب ذلك من أفكار ومعتقدات كالثقافة الشعبية لكوامي الإفريقي، أو موروث نظام الإقطاع بالنسبة لماريا كاستينوفا الروسية ومخلفات الثورة البلشفية، أو طبيعة النزاع الذي عايشه جواد أمان الله في باكستان..، بينما تؤلف بين أفراد الفريق مجموعة من الأفكار النقدية التي تكشف عن الوجه الآخر للإيديولوجية التي تتبناها الشخصيات الأخرى، فتكون الشخصية بذلك عبارة عن مجموعة من المضامين والأفكار المتناسقة، والتي تتناقض بالضرورة مع إيديولوجية شخصية أخرى.

٢- موقف المؤلف من إيديولوجية النص

يختلف موقف المؤلف من إيديولوجيات النص من رواية لأخرى، فليس بالضرورة أن تعبر الإيديولوجية بشكل مباشر عن صوت المؤلف، كما أن النص قد يحتوي على عدد من الإيديولوجيات المتناقضة أحياناً حيث يقابل الكاتب بعضها ببعض ليقول هو ضمناً ما يخالف ذلك تماماً. كما في نص إرهابيس حيث يضعنا المؤلف أمام: الثورة في مقابل

الإرهاب، الشيوعية في مقابل الرأسمالية، النازية والفاشية والديكتاتوريات في مقابل الديمقراطية.. ويتجلى موقف المؤلف من الإيدولوجية في إحدى الصور الثلاث التالية:

أ- موقف التأييد: وذلك حين تكون الإيدولوجية المتوارية في الرواية هي إيدولوجية الكاتب ذاتها، فتلفيه متماهيا مع شخصياته، يصوّب مواقفها ويتبنى أفكارها ويدافع عنها، وهذا هو الشأن الغالب في الكتابة الروائية، حيث نلفي "الأيدولوجيات تدخل إلى عالم الرواية التخيلي كمتكوّن جمالي يكون أداة في يد الكاتب ليبر في النهاية بواسطته على إيدولوجيته الخاصة"^{٢١} فإذا تأملنا مقول عز الدين ميهوبي في الإيدولوجية الثورية "جاءت معلمة في تلك المدرسة التي احتجزونا فيها، أعطتني خبزا وماء، ثم نظرت في وجهي وسألتني ببراءة: «أنت ممتلئ الرجولة، ذكي، لك عائلة وأبناء، ولك مسؤوليات تجاه المجتمع، لماذا أوقعت نفسك في موقف مدمر كهذا» ابتسمت وقلت لها «لأجل مبادئ»، فأحنت رأسها احتراما، وفهمت رسالتي"،^{٢٢} فمن خلال هذا المقطع الحوارى يبدو واضحا أن الروائي متفق مع شخصية تشي قيافارا في إيدولوجيته الثورية معجب بها.

ويؤكد هذا التماهي ملفوظات ومواقف عدة منها: "قال قارسيا بأدب كبير وتبجيل للثائر الذي يحبه" ومنها: "فأحنت رأسها احتراما،

وفهمت رسالتي "فإحناء الرأس من قبل معلمة له دلالة التقدير للدوافع التي دفعت تشي قيفارا للثورة، ومنها ما جاء على لسان شخصية تيران حين يقول: "ففي هذه اللحظة رأيت قيفارا عظيما عظيما جدا، عيناه تلمعان بشدة.."^{٢٣} فهذا الأدب والتبجيل والتعظيم للشخصية هو في حقيقة الأمر تبجيل وتعظيم للإيديولوجية التي تمثلها ومن ذلك أيضا "قلت للكومانداتي: -في تاريخنا الإسلامي يوجد نائر معروف جدا، جرت عل لسانه مقولات شهيرة، منها «كاد الفقر أن يكون كفرا» وقوله: «عجبت لرجل بيت جائعا وجاره شبعان، فلا يخرج في الناس حاملا سيفه». اسمه أبو ذر الغفاري.. لكأنك من سلالته، فالاسم متشابه، غيفارا والغيفاري.

إذا كان هذا ما قاله فكلانا من سلالة الآخر.. وسأسعى لأعرفه أكثر."^{٢٤} وهذا استدراج للخطاب التاريخي للاستدلال به على صحة هذه الإيديولوجيا والتبرير لموقف الكاتب المتفق معها. وقد يضطر الكاتب للدفاع عن موقفه حين تختلط المفاهيم حول إيديولوجية ما، كما في قوله: "اعتقدت أنكم جئتم إلى هذه الجزيرة لتتركوا الدم وراءكم، وتعلوا شأن الإنسان.. أنا لم آت إلى هنا إلا لأن هناك من يصف الثورة بالإرهاب. انتهت رحلتي معكم.."^{٢٥} وينتهي المشهد بتوافق تام بين رؤية الكاتب ورؤية شخصياته.

هذا مع الأخذ في الحسبان "أن الرواية في الواقع متعددة الأساليب فكل شخصية وكل هيئة تمثل في الرواية صوتها الخاص وموقفها الخاص و لغتها الخاصة، وأخيرا إيدولوجيتها الخاصة"^{٢٦}، إلا أن ذلك لا ينفي وجود قيم إنسانية ثابتة يتفق عليها أكثر الناس، وأخرى ينحاز فيها بعض الأشخاص لبعض وبذلك يبرر الكاتب موقفه المتفق مع الإيدولوجية.

ب- موقف الاعتراض: ويكون ذلك حين يقف الكاتب من إيدولوجية النص موقف المعارض الناقد، فيعارض عليها كلياً أو جزئياً فجدده ينتقد شخصياته ويكشف عن زيف تفكيرها ويستهجن مواقفها كما هو الشأن مع إيدولوجية شخصية إيغال أمير "الأهداف التي حددتموها ينقصها معلمان، أرى أن العالم سيرتاح تماماً، لو تخلص منهما هما، الكعبة وقبة الصخرة.. فتعالت أصوات الاستهجان، وأمسك الظواهري بالميكروفون، مستأذنا موسوليني في الرد عليه بعنف: أسكت يا وقح.. أنت إرهابي. كيف تجرؤ وتفكر في فعل كهذا؟ أنت سليل قتلة الأنبياء، تتحدث عن تدمير الكعبة المشرفة وقبة الصخرة المباركة. لولا أننا في مؤتمر سيد لمسحت بك الأرض.."^{٢٧} ، فمن خلال الملفوظات: أصوات الاستهجان، وقح، إرهابي، كيف تجرؤ وتفكر في فعل كهذا، سليل قتلة الأنبياء، مسحت بك الأرض.. يتجلى لنا موقف الكاتب المخالف لإيدولوجية الشخصية.

ج- موقف الحياد: قد لا يبدي الكاتب من إيديولوجية النص أي موقف، بل " يترك الإيديولوجيات تتصارع في النص ولا يتدخل أبدا لصالح إيديولوجية على حساب أخرى"،^{٢٨} ويتجلى ذلك بوضوح في المقاطع الحوارية التي توظف فضاء الحكيم ومن ذلك قول الراوي:

- "ما حقيقة إسلامك وأنت شيوعي؟"

- أنا أوّمن بالله لست مثل التشي. حفظ الله حياتي في مواقف صعبة سقط فيها جميع من حولي. أنا أوّمن بالله وبدين الإسلام وليس هناك أي تناقض..^{٢٩} بحيث لا نجد بعد ذكر هذه الإيديولوجية أي تصريح أو تلميح من المؤلف يفهم منه موافقته أو اعتراضه عليها. ومما يؤكد على موقفه المحايد قوله " فهذا "كارلوس الثوري الشيوعي المسلم، تركيبة كيميائية لا تعثر عليها إلا في أمريكا اللاتينية"^{٣٠}. غير أن هذا النوع من الإيديولوجيا تكون نسبته في الرواية قليلة، أو أنها تندرج ضمن إطار الرواية كإيديولوجيا وليس الإيديولوجيا في الرواية، حيث "إن الإيديولوجيا في الرواية إذا تكون عادة متصلة بصراع الأبطال بينما تبقى الرواية كإيديولوجيا تعبيرا عن تصورات الكاتب بواسطة تلك الأيديولوجيات المتصارعة نفسها"^{٣١}. ولذلك يسكت عنها الكاتب كقضية مسلمة لا تحتاج إلى مزيد البيان.

٣- طرق تقديم الشخصية في رواية إرهابيس:

يقدم الخطاب الروائي شخصياته بأحد أسلوبين؛ التقديم المباشر الإخباري أو التقريرى، والتقديم غير المباشر القائم على الإظهار أو التمثيل. وتشكل طريقة تقديم الشخصية علامة فارقة في الكشف عن إيدولوجيتها، فحين تقدم الشخصية نفسها فإن الأمر يختلف عنه تماما حين يقدمها الراوي أو شخصية أخرى، وذلك من حيث وفرة المعلومات ودقتها مما يشكل تصورا دقيقا عن الشخصية، وما حين يقدمها الغير فإن التصور غالبا ما يكون كليا لا تتكشف تفاصيله إلا بعد مقاطع سردية ووصفية عديدة. ونظرا لكثرة الشخصيات وتنوعها في رواية إرهابيس فقد استعان الكاتب بالأسلوبين معا، ويمكن تتبع طرق تقديم شخصيات الرواية في ما يلي:

أ- تقديم الشخصية نفسها بنفسها، وهي إحدى الطرق التي يلجأ إليه الروائي إذ يفسح المجال للشخصية لتعبر عن أفكارها وعواطفها وميولاتها، ولتكشف عن حقيقتها، ويغلب على هذا النوع من التقديم ضمير المتكلم «أنا» الذي كثيرا ما يوظفه خطاب الرواية السير ذاتية، ومن نماذج هذه الشخصية في رواية إرهابيس شخصية مانكو فقد قدمت نفسها بالقول: "تريد أن تعرف اسمي. مانكو، وهو مؤسس مملكة الإنكا. أبي يعتقد أنه من سلالة مقدسة، جذورها في البيرو. يطلقون علي اسم مانكوشتاين مثل أينشتاين لأن لي ذاكرة فيل. كنت

أفود كتيبة ثورية مسلحة ضد الفارك تحت إشراف مانويل مارولندا لم أستسلم كما فعل الخونة..^{٣٢} فهذه الشخصية تقدم نفسها وتكشف بشكل مباشر عن إيديولوجيتها الثورية.

ب- تقديم الشخصية بواسطة شخصية أخرى أو ما يسمى بالشخصيات المصاحبة وهي الطريقة الأكثر توظيفاً في الرواية الجديدة، إذ يكلف الروائي شخصية أخرى لتتولى تقديم غيرها كما في تقديم مانكو لشخصيتي: لويس وهيكتور؛ "الأول طبيب والثاني خبير في الوقود الحيوي، مدمنان بصورة جعلتهما الأكثر شهرة في إرهابستان، والسبب أن الأول غرقت زوجته في شاطئ كوبا وكان غائباً، وأما الثاني فأخبره طبيب خطأ أنه مصاب بالسرطان فأدمن الشرب ثم الكوكايين إلى أن وصل إلى ما هو عليه، ولم يكن مريضاً أبداً، فالخطأ في التشخيص دمره، ليلتحق الاثنان بشبكة المتاجرة بالمادة الأكثر فتكا في العالم"^{٣٣}. ويرتحن هذا النوع من التقديم إلى ضمير الغائب «هو»، وهذا النوع من التقديم قريب من الأول في مقدار ما يقدمه من المعلومات عن الشخصية ودقتها، كما أنه يفصح عن إيديولوجية الشخصية بشكل مباشر،.. بينما تناول القذافي الكلمة ليعرف بإيميليدا:

تعرفون السيدة إيميليدا فراشة الفولاذ، هي واحدة من نساء قليلات من عائلتنا المباركة.. ما قامت به أوصلها إلى إرهابيس"^{٣٤}.

ج- أن يقدم الشخصية راوٍ يتموقع خارج الحكاية، وهي تقنية توظفها الرواية الحدائية بشكل لافت أيضا، حيث يسند الروائي مهمة تقديم الشخصيات لراو يتولى سرد الأحداث ولا يشارك فيها فتتوزع صيغ التقديم بين ضميري الحضور والغياب «أنت» ، «هو». ومن نماذج هذا النوع من التقديم الشخصيات التي قدمها مانكو باعتباره راو خارج مسار السرد مثل قوله: "بياتي شايي.. ألمانية، نيو- نازية، محترمة، لأنها شعرت بالخطر الداهم في بلدها .."،^{٣٥} والغاية من هذا النوع من التقديم هو

د- أن تشترك في تقديم الشخصية جهات متعددة؛ فتقدم الشخصية نفسها، وتقدمها شخصيات أخرى مصاحبة لها في السرد، ويقدمها الراوي في موضع آخر، ومن النماذج البارزة في الرواية التي حظيت بهذا التقديم شخصية قيفارار، فقد تداخل الكل في تقديمها، فقدمت نفسها بنفسها كما في قول الراوي: "كان الباب الخارجي مفتوحا. تقدم غارسيا وتبعناه كالعادة، فإذا حديقة غناء، ونافورة ماء على يمين الباب الداخلي حيث كتب على لوحة معدنية: «أنا ثوري ولست إرهابيا I am a revolutionary , not a terrorist»"،^{٣٦} وضمير المتكلم (أنا) شاهد صدق على أن الشخصية تتحدث عن نفسها، وتكشف عن إيديولوجيتها الثورية بشكل واضح.

وقد شارك في تقديمها شخصية ثانوية وهي شخصية الضابط البوليفي (تيران) حين قال: "عندما دخلت عليه حيث كان موقوفاً، وجدته يجلس على كرسي خشبي وما إن رأني حتى قال لي: «جئت لتقتلني» .. ففي هذه اللحظة رأيت قيافارا عظيما عظيما جدا، عيناه تلمعان بشدة."،^{٣٧} وهذا التقديم يجمع بين الملامح الخارجية للشخصية: (يجلس على كرسي خشبي، عيناه تلمعان..)، وبين صفات داخلية: (كان موقوفاً: تعبيراً عن موقفه الثوري، جئت لتقتلني، عظيما عظيما جدا: علامة عن الفطنة وسرعة البديهة والشجاعة التي تتصف بها الشخصية)، ل يتم بذلك البناء الفكري للشخصية بشكل متكامل.

كما قدمها الراوي بقوله: " كان الكوماندانتي وسيماً وأنيقاً بلحية ناعمة، يرتدي قميصاً أرجوانياً وسروالاً أسوداً وصندلاً من جلد ناعم. يضع نظارات شفافة، وملامحه هي هي.."^{٣٨}، وغالباً ما يكون هذا النوع من التقديم في الشخصيات الأساسية التي يكون حضورها في النص بشكل مكثف.

ونستنتج مما سبق أن المراد من تقديم الشخصية مجموع تلك العناصر الفنية والجمالية التي يهدف الراوي من خلالها إلى تعريف القارئ بشخصياته. فيتخير من تلك الطرائق والوسائل المختلفة ما يناسب السياق الذي تقدم ضمنه الشخصية وما يتفق مع الدور أو الأدوار

المتعددة التي تنقسمها، بحيث يتمكن من جعل هذه الشخصية مقنعة للقارئ. فالشخصية وإن كانت كائنا ورقيا، يتألف من حروف وأرقام، إلا أن حضورها داخل النص يشبه إلى حد بعيد حضور الشخصية الحقيقية في مجريات الأحداث خارج النص.

٤- علاقة الشخصية مع غيرها من مكونات السرد:

تشكل الشخصية همزة الوصل الرابطة بين كل مكونات النص السردى، فهي التي تنشئ الحدث، وتخيّر الزمان وتحدد المكان، وهي التي تجري الحوار، فتحاوّر أو تحاور وتصف أو توصف..، ومن هنا كانت الشخصية بالنسبة للرواية "عمودها المتين، وأساسها القويم، بما يبني الحدث ويعرف، ومنها يفهم الزمان ويكشف، يرى من وجودها المكان، وعلى أساسها تصطرع الأفكار والإيدولوجيات"،^{٣٩} وهي بالقدر الذي تحقق وجودها من خلال ذلك التنسيق المحكم بين باقي مكونات المتن تمنح للكاتب "حرية التعبير والنقد والمناقشة، فحوامل الإيدولوجيا في الرواية أكثر منها في أي جنس أدبي آخر، فالزمان والمكان والحبكة والشخصيات يمكن من خلالها أن يبدي الكاتب ما يريد ويخفي ما يريد، فمضمون نصه مستمد من بيئته ومحيطه"،^{٤٠} وهو ما يجعل الشخصية مقنعة للقارئ فنيا ودلاليا، بحيث لا تترك أي فراغات بينها وبين غيرها من عناصر السرد يجد القارئ روابط وصلات متينة بين

مخرجات النص ومجريات الأحداث في الواقع. هذا وتختلف المسافة بين الشخصية وغيرها من عناصر المتن الروائي، ففي الوقت الذي تكون المسافة صفر بينها وبين الحدث يكون الزمان والمكان على مسافة أبعد، وفي الوقت الذي تنعدم المسافة بينها وبين الوصف يكون الحوار على نقطة أبعد وهكذا.

أ- علاقة الشخصية بالحدث: الحدث هو المكون الأساس في الرواية بل هو ذات الرواية، إذ لا يمكن الحديث عن الرواية دون أن تكون هناك "مجموعة من الأفعال والوقائع مرتبة ترتيباً سببياً تدور حول موضوع عام، وتصور الشخصية وتكشف عن أبعادها...، كما تكشف عن صراعها مع الشخصيات الأخرى"،^{٤١} وعليه تكون العلاقة بين الشخصية والحدث علاقة بنائية تتعكس فيها السهام كما يبين عنه المشهد التالي: "جلست يبائي إلى جانب مانكو، ثم اتكأت على كتفه، وكأنها تتحرش به، أو كأنها تثير حفيظة ماريا التي أسرعت إلى الطابق العلوي غير آبهة بها"،^{٤٢} فالشخصية تنجز الحدث، والحدث يكشف عن الشخصية ويحدد أبعادها المختلفة، ولذلك تقرر في الخطاب النقدي أنه "من الخطأ التفريق بين الشخصية والحدث، لأن الحدث هو الشخصية وهي تعمل"،^{٤٣} أي تتحرك وتسكن تقول وتفعل...، والشخصية هي مجموع تلك الأحداث التي ترتبط ببعضها وتدور حول

كائن معين. فحين يقول الراوي: ".الرجل الذي انطلق على دراجة نارية حاملا مصيره بين أضلاعه.. وخاض حروبا في كوبا وغواتيمالا وبوليفيا وبناما وإفريقيا وجهات عديدة من العالم، لم يكن يهدف إلى المجد أو السلطة، ولكنه كان ينتصر للإنسان المظلوم"،^{٤٤} فإنه يروي مجموعة أحداث قامت بها الشخصية تحدد دورها وتكشف في نفس الوقت عن توجهاتها الإيدولوجية.

ب- علاقة الشخصية بالمكان: المكان وهو الفضاء الذي تدور فيه أحداث الحكى، ولذلك لا تقل أهميته في المتن الروائي عن أهمية الشخصية، إذ هما بمثابة وجهي العملة لا يتصور وجود أحدهما من دون الآخر، ولذلك حين يبني الروائي المكان يلتزم فيه ب"أن يكون بناؤه له منسجما مع مزاج وطباع شخصياته، وألا يتضمن أية مفارقة، وذلك لأنه من اللازم أن يكون هناك تأثير متبادل بين الشخصية والمكان الذي تعيش فيه، أو البيئة التي تحيط بها"،^{٤٥} بحيث تعكس معمارية المكان هوية الشخصية وتكشف عن الجوانب الخفية من إيدولوجيتها.

ومن ذلك قول الراوي: "كان صالون البيت مليئا بالتحف والكتب القديمة، وبعض صور أرنستو أيام الطفولة، تتوسطها واحدة مع فيدال كاسترو وهما يتهاامسان، وكذا بعض الأسلحة القديمة من رشاشات وبنادق صيد"،^{٤٦} فمكونات هذا المكان وتأثيره توحى بطبيعة شخصية

تشي قيفارا، وتعطي القارئ إشارات تساعد على استكشاف إيديولوجيتها؛ التحف والكتب القديمة والصور والأسلحة تعطي للمكان بعده الثوري، وتوحي بالتوجه الفكري للشخصية وذلك لأن "المكان لا يظهر إلا من خلال وجهة نظر شخصية تعيش فيه أو تخترقه، وليس لديه أي استقلال إزاء الشخص الذي يندرج فيه"،^{٤٧} وإنما ينسجم معه في سياق دلالي تتناوب وحداته في بناء دلالة النص، وتجعل كل عنصر من تلك العناصر مقنعة للقارئ فنيا ودلالياً..

ج- علاقة الشخصية بالزمن: يعتبر الزمن أحد المكونات الأساسية لأداء الشخصية، حيث يرافقها من حين دخولها المجال السردي، ويحدد المراحل التي تمر بها و الملامح التي تتغير فيها طورا بعد آخر، ومن هنا كان "الزمن قوة مؤثرة تدخل ضمن التركيب الداخلي للشخصية، وتعمل على اندفاعها، وتغيرها وتحولها على الدوام"،^{٤٨} وهو بذلك أحد المفاتيح التي تمد بها الشخصية القارئ ليوظفها في تفسير أفعالها، ولعل ذلك ما يفسر العلاقة الجدلية التي تربط الشخصية بالزمن السردي بحيث "يتأثر كل منهما بوجود الآخر فالزمن يحتوي الإنسان بين قطبيه الحياة والموت، حيث يولد ويكبر ويمر بمراحل التكون مع الزمن"^{٤٩} والشخصية تستثمر الزمن في تحقيق وجودها وإضفاء البعد الواقعي على أقوالها وأفعالها، وكمثال على ذلك قول الراوي: "تصوروا منذ ١١

سبتمبر ٢٠٠١ تم نشر ما يفوق المائة ألف عنوان لا يخلوا واحد منها من كلمة «إرهاب»،^{٥٠} حيث وظفت الشخصية تاريخ ١١ سبتمبر كزمن مفصلي بين زمن ما قبله وما بعده، وكشفت عن مدى تأثيره في بنائها الفكري والإيدولوجي.

٥- أنواع الشخصية الفنية في رواية إرهابيس:

وتحتل الشخصية في الخطاب الروائي موقعا محوريا، بحيث لا يعقل وجود نص روائي من دون شخصية، يستدعي الروائي من خلالها الأحداث، والأحداث تقتضي بالضرورة وجود فاعل ومفعول به وظرف زمان ومكان وصفة للفاعل والمفعول...، فيتأسس من مجموع ذلك ما نسميه بالمتخيل السردي، كما أن لهذه الشخصية حضور قوي أثناء الفعل القرائي فهي التي تصحب القارئ في مفاوز النص، وتمكنه من الوقوف على المسالك الدلالية وإجراء حوار هادف مع النص يكتشف من خلاله القضايا الأساسية التي يريد الكاتب مطارحتها وفق رؤيته الفنية الخاصة.

وتعد رواية إرهابيس من الروايات التي تتميز بكثرة الشخصيات، وهي خاصة تعتمد الرواية الحداثية، مع الأخذ في الحسبان أن الشخصية الروائية ليست وجودا واقعا وإنما هي مفهوم تخيلي تمتزج في وصفها بالخيال الفني للمؤلف وبمشربه الثقافي ومسلكه الإيدولوجي

الذي يتيح له أن يضيف ويحذف، وأن يبالح ويضخم أو يقلل ويقزم في تكوينها وتصويرها، بشكل يجعل من غير الممكن تغيير تلك الشخصية الورقية، أو جعلها مرآة أو صورة حقيقية لشخصية معينة في الواقع الإنساني. فإذا تأملنا هذا المقطع الحوارى الذي يتم من خلاله تقديم شخصية عيى أمين: " وقفت باحترام وقلت لعيى أمين الذى استقام فى مكانه بعصاه المعدنية:

-أعرف أن لك أسماء عديدة فأىها تفضل؟

- ليس لك أن تفضل أيا منها، فأنا عيى أمين دادا أومى.. صاحب السيادة فاتح الأمبراطورية البريطانية، الحاج الماريشال الدكتور عيى أمين دادا، الرئيس مدى الحياة لجمهورية أوغندا، القائد الأعلى للقوات المسلحة الأوغندية رئيس مجلس الشرطة والسجون. أنا سيد الكائنات على الأرض والأسماك فى البحر"^{٥١} فسجد حشدا من الأوصاف والألقاب التى جىء بها لغرض فى يخدم السياق ولا علاقة له بالشخص الموجود فى الواقع باسم عيى أمين ذلك لأنها شخصية من ابداع الروائى ليس إلا.

ويعول الخطاب النقدى فى تحديد هوية الشخصية على السياق الذى يقدمها على أنها "وليدة مساهمة الأثر السياقى و نشاط استذكارى يقوم به القارئ"^{٥٢} وهذا التعويل يؤكد بدوره على أن الشخصية ليست

شكلا فارغا، بل هي علامة ممتلئة تنتظر تحيينها الذي يتوقف على مختلف الأسيقة المحيطة بها من جهة، وعلى دور القارئ وخلفيته المعرفية من جهة أخرى، لأن هذا الأخير يعمل على استحضار المدلول الغائب للدال الحاضر. وفق ما نظر إليه فيليب هامون الذي انتهى إلى أن الشخصية الروائية أضحت تركيبا يسهم فيه القارئ أكثر من إسهام المؤلف. فهو الذي يكون صورة عنها من خلال الفعل القرائي تتنامى شيئا فشيئا إلى أن تكتمل في الظهور كاشفة عن "الشخصية الفاعلة العاملة بمختلف أبعادها الاجتماعية والنفسية والثقافية، والتي يتم التعرف عليها من خلال ما يخبر به الراوي، أو ما تخبر به الشخصيات ذاتها، أو ما يستنتجه القارئ من أخبار، عن طريق سلوك الشخصيات"،^{٥٣} فتكون مصادر الخبر المعرفة بالشخصية ثلاثة : إخبار الراوي، إخبار الشخصيات، واستنتاج القارئ، من خلال السلوكيات التي تقوم بها الشخصية.

ويختلف التقسيم النوعي للشخصيات الروائية باختلاف المعايير المحددة التي يعتمدها هذا الناقد أو ذلك، وفق ما يقتضيه منزهه النقدي، فبينما يعتمد البعض متقابلة الثبات والتغير القائمة على أساس طبيعة تقديم الشخصية، كما فعل إدوارد مورغن فورستر Edward Morgan Forster فينتج عن ذلك شخصية دينامية نامية تمتاز بقدرتها

على إثارة الدهشة بطريقة مقنعة، كشخصية مانكو وتحتاج إلى عبارات مطولة لذلك للتعريف بها وذكر صفاتها فهي شخصية متكاملة ومتطورة لا تلتزم الثبات. وأخرى سكونية ثابتة تدور حول فكرة واحدة، لا تمتلك ذلك القدر من التحولات التي تمتاز بها الشخصية النامية،^٤ بل تلازم حالة ثابتة ولذا يكفي في التعبير عنها جملة واحدة أو بعض جمل مقتضبة، على نحو " لويس وهيكتور، الأول طبيب والثاني خبير في الوقود الحيوي مدمنان بصورة جعلتهما الأكثر شهرة في إرهابستان"،^٥ غير أنها مع ما تمتاز به من السكون وقلة النشاط، نجد لها دورا محوريا في بناء الحدث، كما أنها تساعد على استكشاف مراحل تطور نظيرتها النامية وتحولاتها في بنية الرواية.

يعتمد الآخر متقابلة قائمة على أساس الدور المسند إلى الشخصية، فينتج عن ذلك شخصية رئيسية تقوم بأهم الأدوار وأكثرها فاعلية في الرواية وغالبا ما تكون هي البطل وإن لم تكن البطل فهي في كل الأحوال المحور الذي تدور حوله معظم الأحداث،^٦ ويعتمد غير متقابلة قائمة على أساس الإقناع والإدهاش، فإما أن تكون الشخصية مركبة، متعددة الأوجه ومتداخلة الأدوار ذات قابلية للتطور باستمرار، وتمثلها في الرواية شخصية مانكو. أو تكون الشخصية ثانوية محدودة الدور وأقل تعقيدا وعمقا، لا تحاول إقناع القارئ ولا تثير إعجابه، بل

تكون مسطحة بسيطة، تمثل عاطفة واحدة من بداية الحكى إلى نهايته. أحيانا تكون صديقة للشخصية الرئيسية تقوم بدور تكميلي مساعد للبطل، مثل شخصية غارسيا وبياتي في دورهما المكمل لدور شخصية مانكو، وأحيانا تكون معيقله وغالبا ما تظهر في سياق أحداث، أو مشاهد لا تكتسي أهمية كبيرة في السرد، حيث تقدم جانبا واحدا من جوانب التجربة الإنسانية. وتتنوع الشخصية أنواعا أخرى عديدة باعتبار التقسيمات التي تعالجها مثل التقسيم السيميائي لفيليب هامون Philippe Hamon الذي قسمها إلى ثلاثة أقسام؛^{٥٧} شخصيات مرجعية، شخصيات استذكارية، وشخصيات إشارية، ولكل منها صفاتها الخاصة ووظائفها التي تمتاز بها عن غيرها.

خاتمة:

وخلاصة القول إن البناء السردى للشخصية في الرواية قد تعاضد فيه الإطار الفني والتوجه الأيدولوجي بشكل جعل من الرواية نصا إيدولوجيا في المقام الأول، سعى الكاتب من خلاله إلى تعرية المجتمع ورصد الأيدولوجيات المتناقضة فيه، ذلك التناقض الذي نتج عنه ظاهرة الإرهاب، فرام توثيق تلك الظاهرة التي صنعت الحدث في نهاية القرن العشرين، والكشف عن الدوافع الكامنة من ورائها في نص توثيقي جمع بين السيرة الذاتية والتوثيق التاريخي. ونستنتج مما تقدم أن الشخصيات

داخل العمل الأدبي هي عبارة عن مجموعة من الرؤى الفنية والإيديولوجيات المتفاعلة التي تهدف إلى إنتاج نص أدبي، وقد وظفت رواية ما بعد الحداثة التي ينتمي إليها نص إرهابيس هذا المفهوم بشكل أوسع، حيث لم يعد صالحا في هذه المرحلة لا من حيث وظيفة الشخصية ولا من حيث جمالياتها أن ترسم في ذلك الإطار النمطي التقليدي المعهود في الخطاب الكلاسيكي، فتم تجاوز ذلك، وهذا يعني أن هندسة هذه الشخصية تعقدت أكثر، فلم تعد تقتصر على الربط بين مجموعة صفات تشكل مظهرا خارجيا يعكس توجهها معيننا كلاسيكي، رومانسي..، بل أصبحت الوظائف والأفعال التي تسند إليها في المتن الحكائي هي المرجع الأساس في تحديد هويتها ورسم معالمها، ويرجع ذلك بالأساس إلى التداخل الذي وقع في حقول الدراسات الأدبية واللسانية، بحيث يمكننا القول: "إن نظرية البنائية المعاصرة للشخصية مستمدة في مجموعها من مفهوم الوظائف في اللسانيات"^{٥٨}، وهي نظرية قائمة على أساس تقديم الأفعال، وترتيب الأسماء والصفات ثانية في بناء الشخصية.

ومن منطلق السياق الموضوعي الذي جاءت رواية إرهابيس لتعري بعض جوانبه، وهو ظاهرة الإرهاب، حيث الخوف واللا أمن فإن حالة اللاوعي والتشظي التي أصابت المجتمع في تلك المرحلة ألفت بظلالها

على بناء شخصيات الرواية، وقد وظف المؤلف الإيدولوجية كأحد أهم الأسس التي ركب منها شخصياته. وهي إيدولوجيات تتقاطع فيما بينها لتضفي على النص بعدا دراميا، وتعطي للرواية بشكل عام ملمحها الشعري. ولكن يبقى السؤال مطروحا عن ما هي الوحدات المفصلية التي ينبغي تحديدها حتى يتمكن القارئ من استيعاب نص يجمع بين كل هذه المتناقضات؟ وهل يمكن للسياق التاريخي وحده أن يؤلف بين عناصر هذا الخليط الغير متجانس؟ وهل التناقض الفكري يمكن أن يشكل سمة من سمات الخطاب الروائي الحداثي؟ هذه الأسئلة وغيرها تبقى البحث مفتوحا على احتمالات كثيرة يمكن للباحث من خلالها أن يستدرج التقاطبات المتنوعة التي توطر بنية الشخصية في الرواية.

الهوامش:

- ١- نضال الشمالي، ٢٠٠٤، الرواية والتاريخ، بحث في مستويات الكتابة في الرواية التاريخية العربية، عالم الكتب، عمان، الأردن، ص ١٠٩.
- ٢- اليونسكو، ١٩٧٦، الاتجاهات الرئيسية للبحث في العلوم الاجتماعية والإنسانية، القسم الأول العلوم الاجتماعية، تر: مجموعة من الأساتذة، منشورات جامعة دمشق، سوريا، ص ٧٣.
- ٣- لويس المعلوف، ١٩٩١، المنجد في اللغة والأعلام، دار الشروق، بيروت، لبنان، ص ٢٢.

- ٤- عمار بلحسن، ما قبل بعد الكتابة حول الإيديولوجيا- الأدب- الرواية، مجلة فصول في النقد، ١٩٨٥، العدد ٤، ص ١٦٧.
- ٥- إبراهيم عباس، ٢٠٠٥، الرواية المغاربية، تشكل النص السردي في ضوء البعد الإيديولوجي، دار الرائد، الجزائر، ص ٥٧.
- ٦- نادر أحمد عبد الخالق، ٢٠١٠، الشخصية الروائية بين أحمد علي با كثير ونجيب الكيلاني - دراسة موضوعية وفنية -، دار العلم والإيمان، مصر، ص ٤٠.
- ٧- أبو الفضل جمال الدين محمد بن منظور، ١٩٩٢، لسان العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص ٣٦.
- ٨- أبو الحسن أحمد بن فارس، ٢٠٠٢، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، ص ٢٥٤.
- ٩- الصادق قسومة، ٢٠٠٠، طرائق تجلي الخطاب، دار الجنوب للنشر، تونس، ص ٩٨.
- ١٠- أفده حميد حميداني، ٢٠٠٠، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ص ٥٠.
- ١١- جمال شحيد، ١٩٩٦، في البنيوية التكوينية، دراسة في منهج لوسيان غولدمان، دار ابن رشد، بيروت، لبنان، ص ٦.
- ١٢- كمال أبوديب، ١٩٩٥، جدلية الخفاء والتجلي، دراسات بنيوية في الشعر، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ص ٩.

- ١٣ - نقلا عن مُجدّ تحريشي، ٢٠٠٠، أدوات النص، منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق، سوريا، ص ٧٨.
- ١٤ - عز الدين ميهوبي، ٢٠١٣، إرهابيستان (أرض الإثم والغفران)، منشورات دار المعرفة، الجزائر، ص ٥.
- ١٥ - مرجع نفسه، ص ٤٩.
- ١٦ - Tzvetan Todorov, 1971, 1978, Poétique de le prose, Choisir, suivi de la Nouvelles recherche sur le recit, Edition de seuil, Parais, P, 33.
- ١٧ - حميد حميداني، بنية النص السردي، مصدر سابق، ص ٢٤. نقلا عن: Vladimir Propp, 1970, Morphologie du Conte, Traduction : Marguerite, Derrida, Tzevetan Todorov, et Claude kalan, Seuil, Parais, p29.
- ١٨ - الرواية، ص ٦٣.
- ١٩ - لطيف زيتوني، 2000، معجم مصطلحات نقد الرواية، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ط ١، ص ٣٦.
- ٢٠ - الرواية، ص ١١.
- ٢١ - حميد حميداني، ١٩٩٠، النقد الروائي والإيدولوجيا من سوسولوجيا الرواية إلى سوسولوجيا النص الروائي، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ص ٤٠.
- ٢٢ - الرواية، ص ١٠٩.
- ٢٣ - مرجع نفسه، ص ١١٦.

- ٢٤- مرجع نفسه ، ص ١١٥ .
- ٢٥- مرجع نفسه ، ص ٢٦٠ .
- ٢٦- حميد حميداني ، النقد الروائي والإيديولوجيا، مرجع سابق، ص ٣٣ .
- ٢٧- الرواية ، ص ٢٦٢ .
- ٢٨- حميد حميداني، النقد الروائي والإيديولوجيا، مرجع سابق، ص ٧ .
- ٢٩- الرواية ، ص ١٢٦ .
- ٣٠- مرجع نفسه ، ص ١١٩ .
- ٣١- حميد حميداني، النقد الروائي والإيديولوجيا، مرجع سابق، ص ٣٥ .
- ٣٢- الرواية ، ص ١٢ .
- ٣٣- مرجع نفسه ، ص ٣٧ .
- ٣٤- مرجع نفسه ، ص ١٥٥ .
- ٣٥- مرجع نفسه ، ص ٣٤ .
- ٣٦- مرجع نفسه ، ص ١٠٦ .
- ٣٧- مرجع نفسه ، ص ١١٦ .
- ٣٨- مرجع نفسه ، ص ١٠٧ .
- ٣٩- نبيل حمدي الشاهد، ٢٠١٦، بنية السرد في القصة القصيرة سليمان فياض أنموذجا، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر، ص ١٩ .
- ٤٠- إبراهيم عباس، الرواية المغاربية، تشكل النص السرد في ضوء البعد الإيديولوجي، مرجع سابق، ص ٥٧ .

- ٤١ - صبحية عودة زغرب وغسان كنفاني، ٢٠٠٦، جماليات السرد في الخطاب الروائي، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ص ١٣٥.
- ٤٢ - الرواية، ص ٩٠.
- ٤٣ - محمد صابر عبيد وسوسن البياتي، ٢٠٠٨، جماليات التشكيل الروائي، دار الحوار للطباعة والنشر، اللاذقية، سوريا، ص ١٨٣.
- ٤٤ - الرواية، ص ١١٠.
- ٤٥ - حسن بحراوي، ١٩٩٠، بنية الشكل الروائي، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ص ٣٠.
- ٤٦ - الرواية، ص ١٠٦.
- ٤٧ - حسن بحراوي بنية الشكل الروائي، مرجع سابق ص ٣٢.
- ٤٨ - مها حسن القصراوي، ٢٠٠٤، الزمن في الرواية العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ص ١٥٠.
- ٤٩ - مرجع نفسه، ص ١٤٩.
- ٥٠ - الرواية، ص ٥٣.
- ٥١ - الرواية، ص ١٧١.
- ٥٢ - فليب هامون، ١٩٩٩، سيمولوجية الشخصيات الروائية، تر: سعيد بن كراد، تق: عبد الفتاح كيليلطو، دار الكلام، الرباط، المغرب، ص ٣٧.

- ٥٣- حميد حميداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي ، مرجع سابق، ص ٥٢.
- ٥٤- ينظر إدوارد مورغن فورستر، ١٩٦٠، أركان القصة، تر: كمال عياد، دار الكرنك، القاهرة ، مصر، ص ٨٣.
- ٥٥- الرواية، ص ٣٧.
- ٥٦- ينظر حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، مرجع سابق ص ٢١٥.
- ٥٧- فليب هامون، سيمولوجية الشخصيات الروائية، مرجع سابق، ص ٧.
- ٥٨- حميد حميداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي ، مرجع سابق، ص ٥٢.

دلالة المنطوق غير الصريح عند علماء الأصول

إعداد

الإستاذ الدكتور إدريس بن خويا

و

الدكتورة فاطمة برماتي

جامعة أحمد دراية أدرار، الجزائر

bendriss81@yahoo.fr

Abstract

The semantic research in our Arab heritage is one of the first branches of linguistics that Arabs have known since ancient times, as their attention was focused on serving the Quranic text, so studies on this miraculous book explored the meaning of its words and its meanings, so that the follower finds that some sciences share In the introduction of methods leading to an understanding of the Quranic and Sunni text, such as: Quranic sciences, interpretation sciences, hadith sciences, the science of origins, and the science of Arabic in terms of morphology ... What is important to us in this study exactly is the science of fundamentals of jurisprudence, which had a great deal in the linguistic lesson in general, and the semantic in particular. What he understood is.

The semantics have received great attention among the scholars of origins, as they are the pillars of their work and the areas of legal judgment. Therefore, we found that they have studied the word from several aspects, including: the express operative, because deriving judgments from texts is often required to define the understanding of these linguistic issues and to examine and analyze them; and that refer to the nature of their approach, whether in terms of the relationship that binds the word

to its connotation, in terms of fundamentalist rules, or in terms of the method of governance.

Key words: concept, jurists, need, commitment, Signal

الملخص:

إنّ البحث الدلالي في تراثنا العربي من أول فروع علم اللغة التي عرفها العرب منذ القدم؛ حيث كانت عنايتهم منصبه حول خدمة النص القرآني، فقامت الدراسات حول هذا الكتاب المعجز تبحث في دلالة ألفاظه، والوقوف على معانيه؛ بحيث يجد المتتبع في ذلك أن بعض العلوم تشترك في الأخذ بالطرق المؤدية إلى فهم النص القرآني، والسُّني؛ كمثل: علوم القرآن، علوم التفسير، علوم الحديث، علم الأصول، وعلم العربية من نحو وصرف.... وما يهمننا في هذه الدراسة بالضبط هو علم أصول الفقه الذي كان له باع كبير في الدرس اللغوي عامة، والدلالي خاصة؛ حيث انتشر التحليل الدلالي في أوساط علماء الأصول، وجعلوا من الدرس اللغوي الأساس في استنباط الأحكام من النصوص الشرعية، فوضّحوا ما غمض بيانه، وشرحوا ما قصر فهمه.

ولقد لقيت دلالة الألفاظ الاهتمام البالغ عند علماء الأصول باعتبارها ركيزة عملهم ومناط الحكم الشرعي؛ فلذلك، فإننا نجدهم قد درسوا اللفظ من جوانب عديدة منها: المنطوق الصريح؛ لأن استنباط الأحكام من النصوص منوط في كثير من الأحيان بتحديد فهم تلك

المسائل اللغوية وتمحيصها وتحليلها؛ وذلك راجع إلى طبيعة منهجهم سواء من ناحية العلاقة التي تربط الكلمة بمدلولها، أم من ناحية القواعد الأصولية، أم من ناحية طريقة الحكم. الكلمات المفتاحية: المفهوم، الفقهاء، الاقتضاء، الالتزام، الإشارة.

تعتبر أهمية دلالة اللفظ على المعنى من السبل الأولى في فهم واستنباط الأحكام الشرعية من النصوص؛ بحيث إذا كان للصريح من المنطوق أثر في الدلالة على المعنى المستنبط من تلك النصوص، فإن المنطوق غير الصريح قد يساهم بدوره في إفادة الحكم المستنبط بطريقة مقصودة كانت أو غير مقصودة.

حد المنطوق غير الصريح:

إذا كان المنطوق الصريح عند الشوكاني هو دلالة اللفظ على المعنى بحسب وضعه اللغوي فشمّل بذلك ما دل عليه بالمطابقة أو التضمن، فإن المنطوق غير الصريح هو ما دل عليه بالالتزام؛ أي ما كان لازماً للفظ بحسب ما وضع له لغة فتكون دلالاته دلالة التزامية، يقول في ذلك ابن الحاجب: « بل يلزم مما وضع له، فيدل عليه بالالتزام »^٢. وقد اعتبر الشوكاني غير الصريح منطوقاً مثل ما ذهب إليه المتكلمون، لأن المنطوق يعني بذلك ما دل عليه اللفظ في محل النطق بأن يكون حكماً للمذكور وحالاً من أحواله، سواء دُكر ذلك الحكم ونطق به أم لا^٣.

ونتيجة لذلك، فإن ما دل عليه اللفظ بطريق الالتزام، وإن لم ينطق به يكون داخلاً في المنطوق وهو غير الصريح، تمييزاً له بذلك عن الصريح.

دلالة الالتزام:

يقال أن هذه الدلالة تأتي بطريق الالتزام والاستتباع، كدلالة لفظ السقف على الحائط؛ فإنه مستتبع له استتباع الرفيق الملازم الخارج عن ذاته، ودلالة الإنسان على قابل صفة الخياطة وتعلمها، فهي إذ ذاك دلالة اللفظ على معنى خارجي ملازم للمعنى الذي وُضع له.

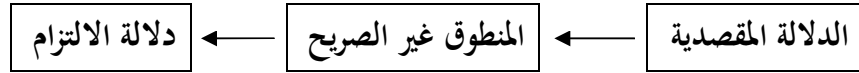
فاللفظ إذن لم يوضع للحكم، ولكن الحكم فيه لازم للمعنى الذي وضع له ذلك اللفظ، وذلك في مثل دلالة قوله تعالى: ﴿ وَعَلَى الْمُؤْتَدِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾^٥، وما هو معروف أن النسب يكون للأب لا للأُم، وأن النفقة على الولد واجبة على الأب لا للأُم.

إن لفظ اللام لم يوضع لإفادة هذين الحكمين، ولكن كلا منهما لازم للحكم المنصوص عليه في الآية^٦.

وتأتي عدم صراحة المنطوق من جهة أن اللفظ لا يدل عليه مباشرة، وإنما من خلال التأمل في اللفظ وإدراك معناه، ومن ثم الانتقال إلى لوازمه^٧؛ أي أن دلالة الالتزام تحتاج إلى أمر خارجي لعقد الصلة بين اللفظ ومعناه أو بين الدال والمدلول.

ومما يلاحظ في ذلك، أن الشوكاني أدرج الالتزام في المنطوق غير الصريح كابن الحاجب مثلاً، خلافاً لبعض الشافعية أمثال البيضاوي الذي أدرجه ضمن دلالة المفهوم بمعناها العام^٨.

وإذا عرفنا فيما سبق أن الدلالة المقصدية للمنطوق من خلال الصريح عند الشوكاني لا تتحدد إلا بدلالة المطابقة أو التضمن، فإن الدلالة المقصدية من خلال غير الصريح فهي لا تتحقق إلا بدلالة الالتزام كما هو موضح في هذه العلاقة كالاتي:



أقسام المنطوق غير الصريح:

تنقسم هذه الدلالة عند الشوكاني إلى ثلاثة أقسام أساسية هي: اقتضاء، وإيماء وإشارة، حيث يقول في ذلك: « وغير الصريح ينقسم إلى دلالة اقتضاء وإيماء وإشارة »^٩.

إن هذه الأقسام التي وضعها الشوكاني ينبغي أن ينظر إليها من زاوية الثقافة الأصولية؛ ذلك أن الأحكام التي استنبطها من القرآن والسنة يستند فيها على أسس نظرية، بحيث تعود هذه الأسس إلى الفهم العميق للدلالة، « وإن كانت وضعت لتطبق في فهم النصوص الشرعية، ولكنها تطبق أيضاً في معاني أي نص غير شرعي مادام مصوغاً في لغة عربية »^{١٠}.

إنّ حصر هذه الأقسام الثلاثة في غير الصريح من المنطوق عند الشوكاني هو أن المدلول عليه بالالتزام إمّا أن يكون مقصوداً للمتكلم أو لا يكون مقصوداً له.

أ- فإن كان المدلول عليه بالالتزام مقصوداً للمتكلم فذلك بحكم الاستقراء قسمان:

الأول: ما يتوقف عليه صدق الكلام أو صحته من جهة العقل أو الشرع.

الثاني: ما لا يتوقف عليه صدق الكلام ولا صحته.

فإن كان الأول فدلالة اللفظ عليه تسمى دلالة اقتضاء؛ أي أن اللفظ يقتضي ذلك المدلول لتوقف صدقه أو صحته عليه. وإن كان الثاني فتسمى دلالاته دلالة إيماء، وبعضهم يسميها بدلالة التنبية.

ب- وإن لم يكن المدلول عليه بالالتزام مقصوداً للمتكلم فتسمى دلالة اللفظ عليه دلالة إشارة^{١١}.

أولاً - دلالة الاقتضاء :

الاقتضاء في اللغة من استقضى فلاناً طلب إليه أن يقضيه. وقضى الدين فصل الأمر فيه برده. والاقتضاء المطالبة بقضائه، ومنه قولهم هذا يقضي كذا^{١٢}. ومن هنا فإن معنى الاقتضاء في اللغة هو الطلب.

أما في الاصطلاح فهي عند الشوكاني إذا توقف الصدق أو الصحة العقلية أو الشرعية عليه مع كون ذلك مقصود المتكلم^{١٣}.
يتبين من ذلك أن دلالة الاقتضاء في معناها العام هي دلالة اللفظ على معنى لازم له غير مذكور فيه، ولكنه مقصود لتوقف صحة ذلك الكلام وصدقه عليه^{١٤}.

وبهذا لم تكن الدلالة على الحكم في هذا النوع من طرق الدلالة بالصيغة أو بمعناها، بل بأمر زائد اقتضاه صدق الكلام أو صحته، وسميت بذلك اقتضاءً « لأن المعنى يقتضيها لا اللفظ »^{١٥}.

والمأمل في التعريف الموجز والدقيق لدلالة الاقتضاء عند الشوكاني يجده بذلك قد أدرك إدراكاً دقيقاً لهذه الدلالة؛ بحيث إنها لا تتحقق إلا من خلال الضرورة الزومية للمنطوق غير الصريح، فهي بذلك تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

- المقتضى الذي وجب تقديره لصدق الكلام.

- المقتضى الذي وجب تقديره لصحة الكلام عقلاً.

- المقتضى الذي وجب تقديره لصحة الكلام شرعاً.

ويتبين من خلال هذه الأقسام أن هذه الدلالة تشتمل على ثلاثة مقتضيات لجعلها موجبة للمراد منها، ولتبيان تلك الأقسام التي وضعها الشوكاني نجد:

أ - المقتضى^{١٦} الذي يجب تقديره لصدق الكلام :

يتضح هذا النوع من خلال دلالة قول الرسول ﷺ: ﴿رُفِعَ عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأُ وَالنِّسْيَانُ وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ﴾^{١٧}؛ فإن هذا الحديث لو أخذنا بظاهره فإنه إما أن يدل على رفع الخطأ والنسيان والإكراه، وكل ذلك لم يرفع بدليل وقوع الأمة فيه. أو يدل على رفع الفعل الذي وقع خطأ ونسيان بعد وقوعه، ورفع الفعل بعد وقوعه محال^{١٨}.

وحتى يتسنى ضمان صدق الكلام، وهو صادر عن المعصوم -صلى الله عليه وسلم- الذي لا ينطق عن الهوى من تقدير لفظ محذوف يتم به تصحيح الكلام، وصوناً له مخالفة الواقع بكون المقدّر هو رفع عن أمّتي "إثم" أو "حكم" الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه^{١٩}.

ويتضح من ذلك، أن الإثم أو الحكم كلاً منهما ليس مذكوراً في الحديث، غير أن صدق الكلام توقف على تقدير أحدهما فيغدو لازماً لأن صدق الكلام اقتضى ذلك وطلبه^{٢٠}، فإذا قُدِّرَ فإن تقديره يكون مبنياً على دلالة الاقتضاء.

وفي مثل قول الرسول ﷺ: ﴿لَا صِيَامَ لِمَنْ لَمْ يَنْوِ الصِّيَامَ مِنَ اللَّيْلِ﴾^{٢١}؛ فهذا الخبر يتوقف صدقه على تقدير متقدم هو الصحة؛ أي لا صحة لصيام لم ينو؛ فنفي وجود الصيام عند عدم النية بالليل يخالفه الواقع في بعض الأحيان، فقد يوجد الصيام بدون نية له من الليل،

فلكي يكون كلام رسول الله ﷺ - المعصوم عن الكذب - مطابقاً للواقع لابد من تقدير لازم متقدم هو الصحة أو الاعتبار^{٢٢}.

فالدلالة الاقتضائية، وهنا، يوجبها سياق الكلام إيجاباً لازماً لصدق المتكلم، فهي الدلالة الحاصلة من اقتضاء المفهوم لا من دلالة المنطوق^{٢٣}.

ب - المقتضى الذي يجب تقديره لصحة الكلام عقلاً:

هذا بمعنى كون الكلام متقبلاً عقلاً ومثاله في قوله تعالى: ﴿وَأَسْأَلُ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعَيْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾^{٢٤}، فإذا أخذنا بظاهر هذه الآية فإنها تدل حسب ما عرّب عنه بابكر الحسن «على سؤال القرية، والقرية هي الأبنية المحسوسة والأبنية لا تسأل، فكان اللازم من ذلك إضمار أهل القرية لصحة الملفوظ به عقلاً»^{٢٥}، فلا بد إذن من تقدير لفظ بتقديره يسلم الكلام ويصح من الوجهة العقلية، واللفظ المناسب تقديره هنا ليصح الكلام عقلاً كلمة "أهل" على حد رأي ابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ) «أي سل أهلها»^{٢٦}، أو أصحاب العير؛ لأن السؤال للتبيين، وإذا كان كذلك، فالمسؤول «يجب أن يكون من أهل البيان، فاقترضى الكلام تقدير "الأهل" ليصح ويستقيم»^{٢٧}.

ومثله أيضاً قول المولى عزّ و جل: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ﴾^{٢٨}، فلا بد من تقدير كلمة الوطاء ليصح الكلام عقلاً؛ أي حرّم عليكم

وطء أمهاتكم؛ لأن الأمهات-- كما يرى الشوكاني وممن سبقه كالغزالي مثلاً- عبارة عن الأعيان، والأحكام أو التحريم لا تتعلق بالأعيان، بل لا يعقل تعلقها إلا بأفعال المتكلمين، فاقترضى اللفظ فعلاً، وصار ذلك هو الوطاء من سائر الأفعال بعرف الاستعمال^{٢٩}.

ج - المقتضى الذي يجب تقديره لصحة الكلام شرعاً:

وذلك أن يأتي نص، وهذا النص يتوقف اعتباره وتصحيح معناه على تقدير أمر- وهو المقتضى- مرآع من جهة الشارع، ومثاله في قول المولى عز وجل: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾^{٣٠} الذي هو في معنى الأمر؛ أي فحرروا رقبة. إن هذا الأمر مقتضى للملك؛ لأن تحرير الحر لا يتصور، وكذا تحرير ملك الغير من نفسه، فملك الرقبة ثابت بالنص اقتضاء فصار التقدير: فتحرير رقبة مملوكة^{٣١}.

ومن ذلك أيضاً قول الإنسان لمن يملك عبداً: "اعتق عبدك عني بألف"، فإن هذا يدل اقتضاء على شراء عبده منه؛ لأنه لا ينوب عنه في عتقه إلا بعد أن يتملك منه بشرائه، فالشراء ثابت بنص هذه الصيغة اقتضاء؛ لأنه بذلك تضمن الملك واقتضاه ولو لم ينطق به، لكن العتق المنطوق به شرط نفوذه شرعاً تقدم الملك، فكان ذلك مقتضى اللفظ^{٣٢}. فمن حيث هذا الإدراك الواعي والتقسيم الدقيق للاقتضاء الذي وضعه الشوكاني وغيره من الأصوليين نجد أن هذه الدلالة هي دلالة لفظ

عن طريق الالتزام الذي هو نتيجة منطوق غير مصرّح به على معنى المذكور، مع أن ذلك المدلول يكون مقصوداً ولا ريب في ذلك. ولا يستقيم المدلول أو المعنى إلاّ به لتوقف صدقه أو صحته عقلاً أو شرعاً، وذلك أن إدراك دلالة الاقتضاء التي صرّح بها الشوكاني « تتم إما باعتبار طبيعة حال المتكلم؛ فهي بناء على ذلك طبيعية لا يكون المتكلم عندها إلاّ صادقاً، وإما باعتبار طريق العقل؛ فالدلالة إذن عقلية منطقية »^{٣٣}، وإما باعتبار الشرع؛ فالدلالة بذلك تكون مؤسسة على الشرع أو الحكم. إن إشارة الشوكاني لدلالة الاقتضاء باعتبارها جزءاً من أقسام المنطوق غير الصريح هي نفسها دلالة الاقتضاء عند الحنفية، فهذه الدلالة يتفق فيها المتكلمون والأحناف من حيث التسمية والمضمون، وإن كانت تأتي عند المتكلمين تحت المنطوق غير الصريح كما ذهب بذلك الشوكاني باعتبار أن دلالة الاقتضاء والإيماء والإشارة أقسام لغير الصريح من المنطوق.

وأما عند الحنفية فتأتي دلالة قائمة بذاتها باعتبارها واحدة من الدلالات اللفظية شأها في ذلك شأن دلالة العبارة التي أشرنا إليها في الفصل الأول.

وتلك الأقسام التي عدّها الشوكاني لدلالة الاقتضاء هي نفسها جامعة ومشتركة بين المتكلمين والأحناف؛ حيث نجده هذه المرة قد حمل

على المذهبين. ويكفي أن نستشهد بقول عبد العزيز البخاري على أن المتقدمين من أصولي الحنفية والمتكلمين متفقون في هذه الدلالة وأقسامها، حيث يقول في كشف الأسرار: «إعلم أن عامة الأصوليين من أصحابنا المتقدمين وأصحاب الشافعي وغيرهم جعلوا المحذوف من باب المقتضى ولم يفصلوا بينهما»^{٣٤}.

ثانياً - دلالة الإيماء أو التبيه:

تفسر دلالة الإيماء في اللغة بالإشارة، ومن ذلك قول ابن منظور أُمَّاتٌ إليه أومئ إيماء، والإيماء: الإشارة بالأعضاء كالرأس واليد والعين والحاجب^{٣٥}. ويرى ابن فارس أن العرب تشير إلى المعنى إشارةً وتوميئُ إيماءً دون التصريح، فيقول القائل: لو أنّ لي من يقبل مَشُورتي لأَشْرْتُ وإنما يحث السامع على قبول المشورة^{٣٦}.

أما في معناها الاصطلاحي فهي عند الشوكاني دلالة اللفظ على لازم مقصود المتكلم، لا يتوقف عليه صدق الكلام أو صحته عقلاً أو شرعاً؛ وذلك أن يقترب اللفظ بحكم لو لم يكن للتعليل لكان بعيداً^{٣٧}.

ويقول في موضع آخر: «أو هو الاقتران بوصف لو لم يكن هو أو نظيره للتعليل لكان بعيداً فيحمل على التعليل دفعاً للاستبعاد»^{٣٨}؛

حيث يتبين من خلال التعريف السابق عند الشوكاني أن الاقتران قد جمع بين شيئين هما: الوصف، والحكم.

وتتضح العلاقة بين المدلول اللغوي والاصطلاحي لدلالة الإيماء في أنه ليس فيهما تصريح بالمراد، فالتعريف اللغوي متعلقه حسي؛ إذ إنّه يكون مثلاً بالعين أو بالرأس أو بالكف. بينما المدلول الاصطلاحي فمتعلقه معنوي؛ إذ هو من لوازم اللفظ.

ويقصد من اقتران الوصف بالحكم « أي جعل الوصف مقارناً للحكم، ويقصد بمعنى بعيد أي يكون بعيداً من كلام الشارع لأنه لا يليق بفصاحته وبلاغته أن يذكر ما لا فائدة منه، فتعين أن يكون اقتران الوصف بالحكم لا بد له من فائدة »^{٣٩}. فلذلك يقول الشوكاني: «والأظهر أن هذه الفائدة هي العلية، لأن هذا هو الأكثر في تصرفات الشارع»^{٤٠}.

وتقيّد الشوكاني الإيماء بالاقتران - في تعريفه السابق للإيماء - لخروجه بذلك من الدلالات التي ليس فيها اقتران كدلالتي الاقتضاء والإشارة. والمراد بالوصف هنا أعم من المراد به عند النحاة؛ إذ يشمل الشرط والغاية والاستثناء خلاف للنعت المرادف عند النحاة.

ثالثاً - دلالة الإشارة:

الإشارة في اللغة تأتي بمعنى الإيماء، فيقال: أشار إليه وشوّر أوماً، ويكون ذلك بالكف والعين، والحاجب.... وأشار الرجل يشير إشارة إذا أوماً بيديه. ويقال شورت إليه بيدي وأشرت إليه؛ أي لوحت إليه وألحت أيضاً، وأشار إليه باليد أوماً^{٤١}.

أما اصطلاحاً فقد عبّر عنها الشوكاني بتعريف دقيق بقوله: « هي دلالة اللفظ على لازم غير مقصود للمتكلم »^{٤٢}، ولا يتوقف عليه صدق الكلام ولا صحته.

ومعنى دلالته على معنى لازم ذلك أن هذه الدلالة من باب الالتزامية فيدخل فيه دلالة الاقتضاء والإيماء، ويخرج به ما كان من باب الدلالة المطابقية أو التضمنية. وفي قوله غير مقصود من المتكلم؛ أي خروجه عن دلالاتي الاقتضاء والإيماء لأتھما مقصودتان قصداً.

يتبين من خلال ذلك، أن هذه الدلالة لا تحصل مباشرة عن اقتران الدال بالمدلول الذي يقتضيه؛ بل تحصل بانتقال الذهن من مدلول أول إلى مدلول ثانٍ أو ثالث. فهي التي يصل إليها ذهن المتلقي عن إدراك العلاقة التلازمية باعتبار أنها دلالة تحصل عن طريق العقل، فلذلك تختلف العقول في إدراكها ومعرفتها لأنها إذ ذاك دلالة تأويلية^{٤٣}. أو أنها دلالة إضافية تدرك من خلال سياق الخطاب اللغوي الذي لا يقصد إليه المتكلم قصداً، وإنما مدلول اللفظ في السياق استدعى مدلولاً آخر أو عدة مدلولات^{٤٤}؛ فهي، إذ ذاك، تتصل أساساً بقدرة اللفظ على استحضر جملة المعاني الإضافية التي هي امتداد لمدلول منطوقه.

والملاحظ في ذلك، أن دلالة الإشارة من خلال تعريف الشوكاني السابق تقابل في الدرس الحديث ما يسمى بـ "المعنى الإشاري" الذي

يهتم المعجم الذهني من خلاله بالارتباطات الحسية التي تهدف بدورها « بربط الكلمة غير المعروف معناها بكلمة أو كلمات تكون إشارتها مفهومة »^{٤٥}.

ومن أمثلة دلالة الإشارة في مثل قوله تعالى: ﴿ وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا ﴾^{٤٦}، وقوله أيضاً: ﴿ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ ﴾^{٤٧}؛ فقد دلت الآية الأولى على أن مجموع مدة الحمل والرضاع ثلاثون شهراً، ودلت الآية الثانية كذلك على أن مدة الرضاع أربعة وعشرون شهراً. لكن يلزم من معنى مجموع الآيتين معنى آخر لم يكن مقصوداً منهما، وهو أن أقل مدة الحمل ستة أشهر.

فدلالة الآيتين على أن أقل مدة الحمل هي ستة أشهر ليست دلالة صريحة، وإنما هي من باب إشارة اللفظ غير المصرح به؛ إذ المقصود من الآية الأولى هو بيان حق الوالدة وما تقاسيه أثناء الحمل والفصال^{٤٨}.

ويذكر في مصادر التاريخ الإسلامي أن رجلاً تزوج امرأة فوضعت بعد ستة أشهر، فاشتبه في أمرها ورُفِع الأمر إلى سيدنا عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-، فاشتبه الأمر كذلك وكاد أن يقيم عليها الحد لولا أن تبَّهه سيدنا علي -كرم الله وجهه- إلى هذا الاستدلال من مجموع الآيتين السابقتين، فدرأ عنها الحد وألحق نسب الولد بأبيه^{٤٩}.

إذا كان الشوكاني يرى أن دلالة الإشارة هي المعنى الذي لم يوضع له اللفظ ولم يكن مقصوداً للمتكلم مثل ما رآه المتكلمون، فإن الأحناف يرون أنها تشبه رجل ينظر ببصره إلى شيء ويدرك مع ذلك شيئاً آخر. فكذلك العبارة يقصد منها معنى هو المدرك بدلالة العبارة، وقد تشير إلى معنى آخر يكون من لوازم تلك العبارة وهو ما يسمى بدلالة الإشارة أو ما يسمونه بإشارة النص أحياناً^{٥٠}. ومن الأمثلة التي استشهدوا بها في مثل قوله تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾^{٥١}؛ فقد دلت هذه الآية بعبارتها على أن الشورى أصل من أصول الإسلام، ودلت بإشارتها على وجوب إيجاد طائفة من الأمة تستشار في أمورها وشئونها، بحيث لا يمكن مشاوره كل فرد منها^{٥٢}.

والمتتبع لذلك، يجد بأن عمل الفقهاء في استنباط القواعد الفقهية يعتمد على النص ومبناه ويدور حوله، ولذلك كان النظر في هذا النص وتحليله الخطوة الأساسية لتقرير نوعية الحكم ومدلوله، وبما أن النصوص التي بنيت عليها هذه الأحكام هي نصوص عربية المتن؛ فإنه يترتب على ذلك تعدد المفاهيم بعدد ما لهذه النصوص من جوه الاعتبارات اللفظية والمعنوية: من الأفراد والتركيب، والعموم والخصوص، واشتراك الألفاظ والمعاني، وعليه كانت معرفة اللغة العربية والتعرف على أساليبها أمراً لا غنى للمجتهد عنه حتى يستطيع فهم النص فهماً صحيحاً بكل أنواع

الدلالات التي يتضمنها النص عبارة وإشارة، حيث تتداخل ظواهر النصوص بدلالاتها الإيحائية^{٥٣}.

ويتضح الفرق بين دلالة الإشارة وإشارة النص في أن الأولى تدخل ضمن المنطوق غير الصريح بعد دلالاتي الاقتضاء والإيماء، بينما الثانية-إشارة النص- فهي عند الأحناف دلالة قائمة بذاتها شأنها شأن دلالة العبارة .

خاتمة:

يعتبر الشوكاني وغيره من الأصوليين أن المنطوق غير الصريح هو ما دل عليه اللفظ عن طريق الدلالة اللزومية؛ بحيث إن الدلالة اللزومية هي تلك الدلالة اللفظية على المعنى الخارجي الملازم للمعنى الذي وضع له. وتأتي عدم صراحة المنطوق من أن اللفظ لا يدل عليه مباشرة، وإنما من خلال التأمل في اللفظ وإدراك معناه، ومن ثم الانتقال إلى لوازمه. الدلالة المقصدية للمنطوق غير الصريح لا تتحدد إلا عن طريق دلالة الالتزام، بخلاف تحديدها للمنطوق الصريح عن طريق دلالاتي المطابقة أو التضمن.

انقسمت دلالة غير الصريح من المنطوق بحسب المدلول عليه بالالتزام إلى ثلاثة أقسام:

- دلالة الاقتضاء؛ وهي الدلالة اللزومية المقصدية للمتكلم، والتي ما يتوقف عليه صدق الكلام أو صحته العقلية أو الشرعية، وهي ثلاثة أقسام .

- ودلالة الإيماء؛ وهي الدلالة اللزومية القصدية للمتكلم، والتي ما لا يتوقف عليه صدق الكلام ولا صحته، وهي عند الشوكاني أقسام تسعة، بخلاف ما ذهب إليه الأصوليون المتقدمون بأن لهذه الدلالة ستة أقسام لا غير.

- أما دلالة الإشارة؛ فهي تلك الدلالة الالتزامية غير القصدية للمتكلم، والتي يصل إليها الذهن عن طريق الاستدلال العقلي. اعتبر الشوكاني كذلك، بأن المقتضى لا عموم له، وأن ما ذهب إليه هو وبعض الأصوليين من قبله هو الحق لا غير. وإذا كان المقتضى أمراً شرعياً عند الأصوليين، فإنه يسمى بالمحذوف عند علماء اللغة. وتشارك دلالة الاقتضاء مع الإيماء في كونهما مقصودتان للمتكلم، بينما يختلفان عن الإشارة في كونها غير مقصودة للمتكلم.

المصادر والمراجع:

* القرآن الكريم، برواية ورش عن نافع.

١- الإبهاج في شرح المنهاج، علي بن عبد الكافي السبكي (ت ٧٥٦هـ) وولده تاج الدين بن علي السبكي (ت ٧٧١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٩٥م.

٢- أمالي الدلالات ومجالي الاختلافات، الشيخ عبد الله بن الشيخ المحفوظ بن بيه، المكتبة المكية، دار ابن حزم، ط ١، ١٩٩٩م.

- ٤- أصول الفقه الإسلامي، د. وهبة الزحيلي، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ط٢، ١٩٩٨م.
- ٥- أصول الفقه الإسلامي، د. محمد مصطفى شلبي، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ١٩٨٦م.
- ٦- أصول السرخسي، أبو بكر بن أحمد السرخسي، تحقيق: أبو الوفا الأفغاني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٣م.
- ٧- إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، محمد بن علي الشوكاني، حققه وعلق عليه: محمد صبحي حسن حلاق، دار ابن كثير، ط٢، ٢٠٠٣م.
- ٨- استنباط الأحكام من النصوص، د. أحمد المصري، دار الجيل، بيروت، ط٢، ١٩٩٧م.
- ٩- الدراية في تخریج أحاديث الهداية، ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، تحقيق: السيد عبد الله هاشم اليماني المدني، دار المعرفة، بيروت.
- ١٠- كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام البزدوي، عبد العزيز بن أحمد البخاري (ت ٧٣٠هـ)، وضع حواشيه: عبد الله محمود محمد عمر، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٧م.

- ١١- لسان العرب، جمال الدين بن منظور، علق عليه: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، ط ١، ١٩٨٨م.
- ١٢- مناهج الأصوليين في طرق دلالات الألفاظ على الأحكام، د. خليفة بابكر الحسن، مكتبة وهبة، ط ١، ١٩٨٩م.
- ١٣- معيار العلم في فن المنطق، أبو حامد الغزالي، دار الأندلس، بيروت، لبنان.
- ١٤- المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني (٥٠٢هـ)، تحقيق: محمد خليل عيتاني، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط ٣، ٢٠٠١م.
- ١٥- المستصفى في علم الأصول، أبو حامد الغزالي (٥٠٥هـ)، رتبته وضبطه: محمد عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ١، ١٩٩٣م.
- ١٦- نهاية السؤل في شرح منهاج الأصول، جمال الدين الأسنوي، طبعة صبيح.
- ١٧- الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، أحمد بن فارس، تحقيق: د. عمر فاروق الطباع، مكتبة المعارف، بيروت، لبنان، ط ١، ١٩٩٣م.
- ١٨- العلامة في التراث اللساني العربي، د. أحمد حساني، جامعة وهران-السانيا-، للسنة الجامعية: ١٩٩٨-١٩٩٩م (مخطوط).

- ١٩- علوم القرآن: علم المنطوق والمفهوم، الشيخ حسن حسين، مجلة الأزهر، المجلد الثامن عشر، العدد الخامس، جمادى الأولى، ١٣٦٦هـ.
- ٢٠- علم أصول الفقه، د. عبد الوهاب خلاف، دار النفائس، ١٩٩٦م.
- ٢١- علم الدلالة إطار جديد، ف، ر، بالمر، ترجمة: د. صبري إبراهيم السيد، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٩م.
- ٢٢- علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي، منقور عبد الجليل، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠١م.
- ٢٣- تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ)، علّق عليه إبراهيم شمس الدين، منشورات مُجَدَّ علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ١، ٢٠٠٢م.
- ٢٤- تلقيح الفهوم بالمنطوق والمفهوم، د. عبد الفتاح أحمد قطب الدخيسي، دار الآفاق العربية، القاهرة، ١٩٩٧م.
- ٢٥- تلخيص الحبير، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: السيد عبد الله هاشم اليماني المدني، المدينة المنورة، ١٩٦٤م.
- ٢٦- تفسير النصوص في الفقه الإسلامي، د. مُجَدَّ أديب صالح، المكتب الإسلامي، ط ٣، ١٩٨٤م.

- ٢٧- التشريع الجنائي الإسلامي، عبد القادر عودة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ٤، ١٩٨٥م.
- ٢٨- الخلاف اللفظي عند الأصوليين، د. عبد الكريم النملة، مكتبة الرشد، الرياض، ط ١، ١٩٩٦م.
- ٢٩- شرح العضد على مختصر المنتهى الأصولي لابن الحاجب (ت ٦٤٦هـ)، عضد الدين عبد الرحمان بن أحمد الأيجي (ت ٧٥٦هـ)، ضبطه ووضع حواشيه: فادي نصيف وطارق يحي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ١، ٢٠٠٠م.

الهوامش:

- ١- إرشاد الفحول، ص ٥٨٧.
- ٢- شرح العضد على مختصر المنتهى، ص ٢٥٣.
- ٣- ينظر إرشاد الفحول، ص ٥٨٧.
- ٤- ينظر المستصفي، ص ٢٥، ومعيار العلم، ص ٤٢.
- ٥- سورة البقرة، الآية ٢٣٣.
- ٦- ينظر تفسير النصوص، ١/٥٩٥.
- ٧- ينظر أصول الفقه، مصطفى شلي، ص ٥٠٥.

- ٨- ينظر نهاية السؤل في شرح منهاج الأصول، جمال الدين الأسنوي، ١١٧/٢، طبعة صبيح، والإبهاج في شرح المنهاج، ٣٦٦/١.
- ٩- إرشاد الفحول، ص ٥٨٨.
- ١٠- التشريع الجنائي الإسلامي، ١٥٦/١.
- ١١- ينظر إرشاد الفحول، ص ٥٨٨-٥٨٩، وشرح العضد على مختصر المنتهى، ص ٢٥٣، وتفسير النصوص، ٥٩٦/١.
- ١٢- ينظر المفردات في غريب القرآن، مادة (قضى)، ص ٤٠٧.
- ١٣- إرشاد الفحول، ص ٥٨٨.
- ١٤- ينظر مناهج الأصوليين، ص ٨٣.
- ١٥- أمالي الدلالات ومجالي الاختلافات، الشيخ عبد الله بن الشيخ المحفوظ بن ييه، ص ١٠، المكتبة المكية، دار ابن حزم، ط ١، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.
- ١٦- المقتضى بالفتح (اسم مفعول) هو ما تقتضيه دلالة الاقتضاء- أي المقدر-، والمقتضى بالكسر (اسم فاعل) هو اللفظ الذي اقتضى تقديره لفظ آخر لصحته وصدقه. ينظر مناهج الأصوليين، ص ٨٣.
- ١٧- تلخيص الحبير، ابن حجر العسقلاني، ٢٨١/١، تحقيق: السيد عبد الله هاشم اليماني المدني، المدينة المنورة، ١٣٨٤هـ-١٩٦٤م.
- ١٨- ينظر أصول الفقه الإسلامي، د. وهبة الزحيلي، ٣٥٦/١، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ط ١٤١٨، ٢٠١٨هـ-١٩٩٨م.

- ١٩- ينظر تفسير النصوص، ١/٥٤٧، وتلقيح الفهوم، ص ٨٤، ومناهج الأصوليين، ص ٨٤.
- ٢٠- ينظر مناهج الأصوليين، ص ٨٤.
- ٢١- الدراية في تخريج أحاديث الهداية، ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، ١/٢٧٥، دار المعرفة، بيروت، تحقيق: السيد عبد الله هاشم اليماني المدني.
- ٢٢- استنباط الأحكام من النصوص، ص ٣٧٩.
- ٢٣- ينظر العلامة في التراث اللساني العربي، ص ١٣٤.
- ٢٤- سورة يوسف، الآية ٨٢.
- ٢٥- مناهج الأصوليين، ص ٨٤.
- ٢٦- تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة الدينوري، ص ١٣٣، علق عليه إبراهيم شمس الدين، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.
- ٢٧- تفسير النصوص، ١/٥٤٩.
- ٢٨- سورة النساء، الآية ٢٣.
- ٢٩- ينظر المستصفي، ص ٢٦٣، إرشاد الفحول ص ٤٥٠، والعلامة في التراث اللساني العربي، ص ١٣٥.
- ٣٠- سورتي النساء، الآية ٩٢، والمجادلة، الآية ٣.
- ٣١- ينظر هامش كشف الأسرار، ١/١٢٢، وعلم أصول الفقه، عبد الوهاب خلاف، ص ١٧٤-١٧٥، وتفسير النصوص، ١/٥٤٩.

- ٣٢- ينظر المستصفي، ص ٥٩، وتفسير النصوص، ١/٥٥٠.
- ٣٣- علم الدلالة، منقور عبد الجليل، ص ٣١-٣٢.
- ٣٤- ينظر كشف الأسرار، ٣/١٣٠، ومناهج الأصوليين، ص ٨٦.
- ٣٥- ينظر لسان العرب، مادة (ومي)، ١٥/٤١٥.
- ٣٦- ينظر الصاحبي في فقه اللغة، ص ٢٤٦.
- ٣٧- ينظر إرشاد الفحول، ص ٥٨٨-٥٨٩.
- ٣٨- المصدر نفسه، ص ٧٠٦.
- ٣٩- تلقيح الفهوم، ص ٩٠.
- ٤٠- إرشاد الفحول، ص ٧٠٦.
- ٤١- ينظر لسان العرب، مادة (شور)، ٤/٤٣٥-٤٣٦.
- ٤٢- إرشاد الفحول، ص ٥٨٩.
- ٤٣- ينظر العلامة في التراث اللساني العربي، ص ١٣٢.
- ٤٤- ينظر علم الدلالة، منقور عبد الجليل، ص ١٨٤.
- ٤٥- علم الدلالة إطار جديد، ف، ر، بالمر، ص ٥٣، ترجمة: د. صبري إبراهيم السيد، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٩م.
- ٤٦- سورة الأحقاف، الآية ١٥.
- ٤٧- سورة لقمان، الآية ١٤.
- ٤٨- ينظر علوم القرآن: علم المنطوق والمفهوم، الشيخ حسن حسين، ص ٤٦٢، مجلة الأزهر، المجلد الثامن عشر، العدد الخامس، جمادى الأولى، ١٣٦٦هـ.

- ٤٩ - ينظر تفسير الطبري، مج ٩، ١١/٢٦، وعلوم القرآن علم المنطوق والمفهوم، ص ٤٦٢، واستنباط الأحكام من النصوص، ص ٣٥٥-٣٥٧، وتلقيح الفهوم، ص ٩٢-٩٣، والبرهان في علوم القرآن، الزركشي، ٠٥/٢.
- ٥٠ - ينظر أصول السرخسي، ٢٣٦/١.
- ٥١ - سورة آل عمران، الآية ١٥٩.
- ٥٢ - ينظر تلقيح الفهوم، ص ٩٣، ومناهج الأصوليين، ص ١١٥.
- ٥٣ - ينظر الخلاف الفقهي بين الأساليب اللغوية والنظائر الأصولية، الشيخ أحمد عبد الله أحمد العبلي، ص ٣٥٦، مجلة الأزهر، العدد الأول، السنة السادسة والستون، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

مظاهر تفاعل شعر الشيخ عثمان ورش المدابوي بشعر الشيخ إبراهيم إنياس الكولخي

إعداد

عبد الرحمن داوود ميكائيل

كلية ولاية كنو للتربية والدراسات التمهيديّة، كنو - نيجيريا
abuabdallahi2014@gmail.com

و

بنت محمد تكرر

كلية أمين كنو للدراسات الشرعية والقانون، كنو - نيجيريا
bintatukur95@gmail.com

الملخص:

يتعرض هذا المقال لدراسة مظاهر تفاعل شعر الشيخ عثمان ورش ابراهيم المدابوي بشعر الشيخ إبراهيم إنياس الكولخي في تجربته الشعرية، حيث يحاول الكشف عن مدى تفاعل شعر المدابوي بشعر الكولخي من حيث الفكر والشعور واللغة والعاطفة والخيال، الأمر الذي يبين مدى تعالق النصوص السابقة مع الحاضرة فكرا وتعبيرا. وتمثل هذا التفاعل امتزاجية المنحى الواحد للشاعرين واتحادهما في طريق التعبير من المشاعر، وإن كان المتفاعل قد تولد عن المتفاعل به في أصالة المنهج

ودواعي الابداع الشعري. وسوف يتم تناول مظاهر تفاعل النصين من خلال الفكر والوجدان والصورة التعبيرية والألفاظ والموسيقى.

مفهوم التجربة الشعرية

تأتي دراسة التفاعل حلقة مهمة في الكشف عن بعض جوانب تشابه النص بشكل عام، وليؤكد من جهة ثانية على اتحاد المتفاعل والمتفاعل معه في النظم والتماسك والانسجام، وذلك يفضي بالمتلقي إلى مسلّمة أنّه يوجد بين نصين من التداخل والترابط الصحيح بين أجزاء العمل الشعري والتركيب الحسن والترابط المنسق^١ وهذا ما يحاول الكشف عنه هذا البحث ليظهر مدى تفاعل شعر المدابوي بشعر الكولخي من حيث الفكر والشعور واللغة والعاطفة والخيال.

وتعتبر التجربة الشعرية صورة كاملة نفسية أو كونية التي صورها الشاعر حين يفكر في أمر من الأمور تفكيراً ينمُّ عن عميق شعوره وإحساسه^٢ فالتجربة الشعرية إذاً ما هي إلا محاولة الشاعر في كشف ما يكمن في داخله بطريقته المبتكرة على ضوء رؤيته للذات الإنسانية، والكون، والحياة، وإرسالها إلى العالم المحسوس ليشركه الآخرون في أحاسيسه.

وهذا ما يظهر أدبيات الشعراء والنقاد، إذ أن التجربة تعني الخلق الشعري أو المعاناة أو الإهام الذي يعانیه الشاعر، ولكن بصفة عامة

التجربة هي التي تحقق للقصيدة ذاتها، حيث يقال إن قصيدة تمثل تجربة فنية طريفة^٢.

وعلى ذلك فالتجربة الشعرية ليست عملا سهلا لاعتمادها على إيجاد حدث شعري وجداني يعطى صورة كاملة لأفكار الشاعر وتفاعله مع الحياة ومدى مقدرته في تصوير الكون والحياة عن طريقه المبتكر حسب ذوقه وقدرته الذاتية.

وقد ذكر النقاد للتجربة الشعرية عناصر وهي: الفكر، والوجدان والصورة التعبيرية التي تشمل الألفاظ، والصور، والموسيقى. كما وضعوا لها قيمة فنية وهي: صدق الانفعال، وصدق التعبير. وذكروا لها أيضا بواعث من: السيرة، والطبع، والأخلاق، والبيئة، والمجتمع. كما كشفوا لها أبعادا من: الوطنية والجمالية^٣ التي هي الأداة التي تبين تفاعل الشاعر مع غيره؛ لذلك يعتمد الباحثان إلى مناقشتها مع ذكر النماذج تربط ما بين الشعارين من التعالق الفكري والوجداني والتعبيري التصويري في المحاور التالية:

نبذة عن الشعارين المدابوي والكولخي

أولا: التعريف بالشاعر الكولخي:

هو إبراهيم (شيخ الإسلام) بن الحاج عبد الله الكولخي بن السيد محمد بن مدنّب بن بكر بن محمد الأمين الذي ينتهي نسبه إلى عقبة بن نافع

بن عبد القيس بن عقيل بن عامر.^٥ وهو صوفي ينتسب إلى الطريقة التجانية، ومن أكبر مشايخ الطريقة، وهو صاحب فيضتها أيضا. ولد بقرية طيبة أنيسين بإقليم سين سالوم، في جمهورية السنغال في مستهل القرن العشرين سنة ١٩٥٥م، ونشأ في كنف والده نشأة علمية ودينية.^٦

وقد استطاع أن يحفظ القرآن، ويتقن تجويده أمام والده كما اشتغل - فيما بعد - بالعلوم الدينية،^٧ وفي جوّ هذا النشاط العلمي حصل الشيخ إبراهيم على الإجازات من المشايخ وعمره لم يجاوز العشرين.^٨ وقد أنتج الشيخ إبراهيم الكولخي كتبا علمية وأدبية كثيرة التي تبين مدى ثقافته في العلم والفن، ومن انتاجاته الأدبية ديوان "نزهة الأسماء والأفكار في مديح الأمين ومعاني المخترار" وهو ديوان في ألفين وسبعمائة وعشرين بيتا، موزع في ستة دواوين، وسمي كل ديوان باسم خاص به، ويدل الاسم غالبا على التفكير الصوفي، فالأول: "تيسير الوصول إلى حضرة الرسول"، والثاني: "إكسير السعادة في مدح سيد السادات"، والثالث "سلوة الشجون في مدح الأمين المأمون"، والرابع "أوثق العرى في مدح سيد الوري، والخامس "مناسك أهل الوداد في مدح خير العباد". وقد تفرغت الدواوين الستة جميعها لمدح النبي صلى الله عليه وسلم، وكلها على البحر الطويل مع مراعات في الروي،

وديوانين " نور الحق " و "سير القلب للمصطفى الحبّ إلى حضرة الربّ" فقد رتبهما الشاعر على منوال البحر الطويل من غير مراعاة الترتيب في الروي.^٩

ثم ديوان "جامع جوامع الدواوين" ويختلف عن ديوان نزهة الأسماء إذ تناول الشاعر فيه مدح الرسول خاصة، بينما تناول في جامع جوامع الدواوين: التوسلات، ومدح شيخه أبي العباس التجاني.^{١٠}

ثانيا: التعريف بالشاعر المدابوي

هو عثمان ورش بن إبراهيم بن حامد بن عثمان (طَنْ عَفَا) بن مُحَمَّد بن حمزة بن أبي بكر بن علي بن أحمد بن عبد القادر، وينتهي نسبه إلى الحسن المثنى بن الحسن بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، وابن فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ.^{١١}

ولد سنة ١٩٦٣، يوم الثلاثاء، في شهر رجب، الموافق لـ..... بعد صلاة المغرب، في بلدة (غيوا) (Giwa) إحدى قرى زاريا، ولاية كدونا، نشأ في هذه البلدة حياته الأولى... إلى حارة مَدَابُو (Madabo) التي تقع في محافظة دال (Dala)، ولاية كنو؛ ليعيش عند جده الشيخ حامد بن عثمان (طن عفا) (Dan Affa)، وتعلم منه الحروف الهجائية وبعضاً منالصور القرآنية، وعندما توفي جده استمرت حياته في هذه الحارة تحت كفالة جدته من أبيه السيدة خديجة بنت الشيخ مَأْمُ نَتَعَالَى (Na Ta'ala)

بن الشيخ صالح الذي يسمى شَيْخُنْ مَدَابُو (Shehun Madabo) مع رعاية عمه الشيخ داوود ميكائيل إلى أن بلغ عمره سن الزواج، فتزوج وانتقل إلى حارة غُوْمَجَا (Gwammaja) التي هو بها حالياً.^{١٢}

لحق بمعهد الشيخ عبد الرحيم ميغري (Mai gari) بجارة كَرُوْفُنْ كَنْ غِيُوا (Karofin Kan Giwa) محافظة دَالْ، ولاية كنو. بعد ختم القرآن الكريم بدأ مباشرة في طلب العلوم الدينية والأدبية واللغوية وغيرها. وتعلم الفقه والحديث وبعض العلوم اللغوية عند بعض الشيوخ بكنو، ثم إلى بعض الولايات المجاورة له طلباً للعلم، حيث ارتحل إلى صوكوتو (Sokkoto)، وتعلم النحو والصرف والأدب عند الشيخ سليمان (Shehu Sulaiman) سنة (١٩٩١م).^{١٣}

وقد كونته شاعر كثرة مطالعة وإنشاد قصائد المديح النبوي وخاصة في دواوين الشيخ إبراهيم إنياس الكولخي، حيث تأثر بالمديح النبوي حتى تفرغ له، بحيث لم يقرض شعراً في مدح النبي ﷺ. كما تأثر أيضاً بهذه الدواوين حيث أنه نسلك مسلك دواوين الشيخ في قرض معظم أشعاره باستعمال بعض المصطلحات الصوفي، كالبقاء والفناء، والسحق والمحق، والجذب، والسلوك، وكذلك من ناحية البحر الشعري أيضاً، يكثر الشاعر من استخدام البحر الطويل، - حر ذلكم الديوان: لذلك

يشعر الدارس - في بعض الأحيان - عند قراءة بعض قصائد الشاعر كأنما يقرأ ديوان الشيخ إبراهيم إنياس الكولخي^{١٤}.
وأما إنتاجاته الشعرية فقد زوّد الشاعر العالم الأدبي النيجيري بإنتاجات أدبية، جادت بها قريحته في مجال المديح النبوي.

مظاهر تفاعل شعر المدابوي مع شعر الكولخي من حيث التجربة الشعرية

أولاً - الفكرة:

والفكرة هي الرسالة أو المعلومة والرؤية الخاصة التي يريد الشاعر أو الأديب إيصالها إلى المتلقي، ولا يخفى ما فيها من القيمة الجليلة لأنها عماد النص^{١٥}.

وقد أدرك النقاد قديماً وحديثاً أهمية هذا العنصر في إثراء النصوص الأدبية، يقول ابن طبا طبا: " وإذا أراد الشاعر بناء قصيدة مخض المعنى الذي يريد بناء الشعر عليه في فكره نثراً، وأعد له ما يلبسه إياه من الألفاظ التي تطابقه"^{١٦}.

والفكرة الأساسية التي تناولها الشاعران هي مدح جانب المصطفى ﷺ الذي يتسم بالشعور بعظمة ذات النبي ﷺ وصفاته الخلقية والخلقية يقول الشيخ إبراهيم الكولخي:

وإن شفائي في السقام ولا غروى * مديح حبيب الله من لا له شروى

نبي أتانا وهو نور وكله * من الله برهان وتي الغاية القصوى^{١٧}

فالشاعر يعاني سقام الغرام ولم يجد له داء يشفيه سوى ذلك السقام، وإن مديح الحبيب ﷺ هو الذي أسقمه وهذا المديح نور من الله وغاية قصوى منه قد أتانا جميعا.

ويقول الشيخ عثمان ورش:

براني هوى هذا الأمين الممجد * وما شاقني غير النبي فأبعد

فإن لم تدراكني فعرشي ساقط * فنَجَّ عبيدا قد أتاك مقصد^{١٨}

يذكر الشاعر أن جسمه مبري من حب الأمين الممجد صلى الله عليه وسلم وإن لم يتداركه المحبوب يهلك أو يحط قدره.

إن الشاعرين أرادا إظهار ما يكمن في عمق قلبيهما من الحب العارم الذي أسقمهما وبرى جسدهما حتى ظهر منهما ما يعانيانه من الوجد الروع تجاه المصطفى ﷺ، وهذه هي الفكرة الأساسية التي هيمنت هنا على النصوص الشعرية الصادرة من الشاعرين، وهذا يؤكد مدى قوة التفاعل بينهما في إصاغة الأفكار، حيث ذكر المدابوي ما يعانيه من الحب، فطابق ما ذكره الكولخي في بيتيه.

ثانيا- الوجدان:

وللوجدان أثر ظاهر في الأعمال الإبداعية، وهو من العناصر التي يتكون منها روح الإبداع، ويطلق في الفلسفة على " كل إحساس أولي باللذة أو الألم".^{١٩}

وبالرجوع إلى مدائح الشعارين يدرك أنها جميعا تفرغت للإحساس
بجمال الممدوح، وهذا الوجدان يسري في نفوس المتلقين من تلك المدائح
الشعرية التي خلفها الشاعران.

ويقول الشيخ إبراهيم الكولخي:

هنيئا لإبراهيم لاح هلاله * هلال بدى للناظرين جماله

هلال ربيع فيه جاء مُجَّد * فتم لنا البشرى وعم نواله^{٢٠}

ينبع من البيتين سرور متدفق من أعماق الشاعر، وهو سرور
باستهلال شهر ربيع الأول الذي ولد فيه الممدوح صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وفي مثل هذا
الوجدان يقول الشاعر الشيخ عثمان ورش:

فأهلا بشهر فيه جاء مُجَّد * بشيرا نذيرا كاملا جا مُجَّد

عليك صلاة الله يا طه أحمد * كذاك سلام الله طه مُجَّد^{٢١}

وهذا من أقوى مظاهر التفاعل بين مدائح الشعارين من جهة
الوجدان.

وقد يتشارك الشاعران الوجدان من حيث الشعور والإحساس بالألم،
خصوصا آلام فراق المحبوب صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومن ذلك قول الشاعر الشيخ إبراهيم
الكولخي:

لإن صدني عن قبر أحمد سربخ * فما صدني عن شوقه الدهر فرسخ

وما صدني عن ذكره عدل عاذل * فقد زادني تذكاري طه الموبخ^{٢٢}

يذكر الشاعر أنه لإن صدته المسافات الطويلة عن زيارة قبر ممدوحه فلا تستطيع أن تصده عن الشوق إليه، وكذلك لا يصده عدل عاذل عن تذكاره، بل كلما عدل العاذل يزداد اشتياق الشاعر.

أما الشاعر الشيخ عثمان ورش المدابوي فيقول:

تباعد عني من أحب فإنني * غليل عليل تائه اللهفان

سرايخ ما جييت بوصل فكيف لا * أحن فما لي فيه دون إبان^{٢٣}

يصرح الشاعر بألمه من أجل بعد ديار محبوبه ﷺ، وما حال دون الوصول إليه من السرايخ المبعدة، ولكنه كالشاعر الكولخي لا يبعد عن الحنين والشوق إليه مهما كلف الأمر.

ثالثاً- الألفاظ:

واللفظ هو اللبنة الأساسية في بناء الجملة، وأصغر وحدة لغوية دالة في بناء المنظومة اللغوية. وهي ما يعرف في اللسانيات بالمورفيم في بعض تحدياته، وهو ما يقابل في اللغة العربية "الوحدة الدالة الصرفية"^{٢٤}. وقد عرفه الشريف الجرجاني بقوله: "اللفظ: ما يتلفظ به الانسان أو من في حكمه، مهملاً كان أو مستعملاً."^{٢٥}

وتمتاز الألفاظ العربية بالمرونة والسلاسة والسهولة، وأسباب ذلك تضافر الزمان والمكان والإنسان؛ لتتوحيها على عرش التعبير والتصوير البياني أيام أن كان السلم والحرب يتصارعان لسلطة الكلمة البليغة

والشاعر والخطيب. ولأجل هذا وغيرها اختار المولى عزَّ وجلَّ هذه الألفاظ لتحمل الرسالة الخاتمة إلى البشر أجمعين وتكون في الختام لغة أهل الجنة.^{٢٦}

وفي المعاجم الحديثة المتخصصة يُدرج اللفظ في أبواب النحو والبلاغة "واللفظة إما مفردة أو مركبة، وهي موضوعة لخدمة المعاني: وإذا أرادوا إصلاح اللفظة فإنما عنوا خدمة المعاني^{٢٧}."

وقد تفاعل شعر المدابوي مع شعر الكولخي في استعمال الألفاظ في معانيها المطردة والمجازية، حيث أثَّرت صياغات الكولخي في صياغات المدابوي فكان يعبر عن مشاعره بها كما عبَّر الكولخي. ومن ذلك قول الكولخي:

بشير نذير مقسط وهو قاسم * جواد كريم باسط الكف منعما^{٢٨}

فقال الشاعر عثمان ورش المدابوي:

جواد كريم باسط الكف منعما * يجود وياوي كل خرق ويرقع^{٢٩}

هذان البيتان يؤكدان تفاعلاً قوياً بين الشعارين من جهة توظيف الألفاظ المعبرة عن مشاعرهما، حتى بلغ الأمر بالشاعر المدابوي إلى تضمين مصراع بيت بأكمله من شعر الكولخي وهو "جواد كريم باسط الكف منعما" من دون أيّ تصرف في التركيب.

ومن ذلك قول الكولخي:

أزج وأقنى وجه طه مدور * ولحيته كثنًا وصدر موسع^{٣٠}

فقال المدابوي:

أزج وأقنى أدعج العين أشكل * وأنجل عين ذو حياء ويخشع^{٣١}

فالنظرة السطحية تخون القارئ فيظنُّ أنه أمام بيتين لشاعر واحد لشدة تلاحم البيتين صوتياً، وصرفياً وتركيبياً، ودلالياً، كما أن ألفاظ كلا البيتين تحمل صفات الممدوح ﷺ كحسن الوجه واللحية والصدر والعين وما إلى ذلك، بل يستدعي الشاعر عثمان ورش نفس الألفاظ التي استعملها الشيخ إبراهيم مثل: "أزج" و"أقنى" وكذلك في تخلل واو العطف بين بعض الصفات، ومما يؤكد ذلك التفاعل الموجود بينالشاعرين اتحاد البيتين في الوزن والقافية بله الشكل والمضمون.

وقال الشيخ إبراهيم الكولخي:

أزهر لون أدعج العين تزدري * بعين المهى عند الخميعة ترتع^{٣٢}

فقال المدابوي:

وأزهر لون خافض الطرف أشنب * مرحب راحات وذا الصدر أوسع^{٣٣}
فيبدو من كل ما سبق من الأمثلة أن التفاعل بين الشاعرين قوي جداً، من أجل احتكاك اللاحق بالسابق من حيث التوزيع الصوتي للمفردات، ومن حيث الألفاظ السهلة الموحية لرسالة المبدع.

رابعاً- الصور:

إن الاحاطة بالصور الأدبية ماهيةً وتعريفًا صعب جدًا؛ لأنه قد تعددت فيها الأقوال وتشعبت فيها الأحوال، ولم يك منتهى الأمر فيها إلا علامة استفهام كبرى، ما هي؟

إن مفهوم الصورة مكرس لشمولية المصطلح، فهي تضم كل الأشكال البلاغية التصويرية، من تشبيه واستعارة وكناية ومحاز ورمز. ذلك الذي ركزت عليه البلاغة الكلاسيكية التي ما فتأت تتقلص وتتضاءل لتقلص الصورة شيئاً فشيئاً، وتنحصر في نهاية أمرها في الاستعارة والكناية يقول (جيرار جينيت Genette) البلاغيون الجدد يقصرون البلاغة على الاستعارة التي هي مرتكز مبدأ (التشبيه) وعلى الكناية التي هي مرتكز مبدأ (التجاوز)... وتاريخ البلاغة منذ نشأتها إلى الساعة، هو تاريخ تضيق عام، حين حولت البلاغة - تدريجياً - من الفصاحة إلى الشيع.^{٣٤}

والشاعر المدابوي تفاعل مع الكولخي في استخدام الصور الأدبية أو البلاغية فمن ناحية التشبيه يكثر الشيخ إبراهيم إنياس من تشبيه الممدوح ﷺ بالبحر في الجود كما في قوله:

فأنسى وروحي إن ذكرت مُجَّد * أب الكون بحر الجود عين سخاء^{٣٥}

أما المدابوي فيقول:

أنادي حبيب الله خاتم رسله * جواد كريم طه بحر خضم^{٣٦}
ويشبه الكولخي الممدوح ﷺ بالبدر في مواطن كثيرة، مثل قوله:
أنظم درّ اللفظ في ذكر وصفه * فأحسن بوصف البدر درًّا منظّمًا^{٣٧}
ويقول المدابوي:

ألا إنه بدر الكمال فكن له * هو الشمس هديا عمنا بنوالة^{٣٨}
وهكذا ينفعل الشاعر الشيخ عثمان ورش المدابوي مع الشاعر
الشيخ إبراهيم إنياس الكولخي من حيث استعمال أنماط التشبيه، الأمر
الذي يوحى بوجود علاقة وطيدة بين الشعارين.

ومن الاستعارات التي تناولها الشاعران استعارة الظلام أو الدجى
للظلم أو البغي أو الجهل ثم النور للهداية وغيرها. مثال ذلك قول
الكولخي:

كفاني شرور الجنّ والانس من نفى * دجى البغي والأسوء بالنور مصطفى^{٣٩}
وقول المدابوي:

وسلم على نور الإله حبيبه * وأوصل سلامي للذي جاء آمرا^{٤٠}
يرى الشاعران أن الممدوح نور تتشرق به الأرض، فيزول منها ظلام
البغي والفساد، بجامع الهداية في المستعار له والمستعار منه.
ومن ذلك استعارة الفيض للعطايا الجزلة كقول الكولخي:

ويتحفنا فوق المنى الدهر باسطا * لنا كل فيض من علوم ومن رزق^{٤١}

وقول المدابوي:

بكنزه أعظم يا خليفة سيدي * إفاضته منك إليك مُجَّد^{٤٢}
وعلى هذه الشاكلة تتفق أنساق الاستعارات الواردة في أشعار
الشاعرين، فتوضح للمتلقي حيويّة التفاعل بينهما.
وأما الكناية والرمز فقد كان لهما حظ وافر لدى الشاعرين، بما أنهما
صوفيّان، فلا غرابة أن كان للكناية والرمز حضور مكثف عندهما. يقول
الشاعر الشيخ إبراهيم:

فإني به الموصول وهو إشارتي * به وإليه فالمشير منير
هو الفاعل المرفوع بالضم نائباً * عن الحضرة العلياء وهو جدير^{٤٣}
ويقول الشاعر المدابوي:

بدونا حروفاً عاليات وأسطرا * لدى الوصف في اللاهوت ليس تردُّد^{٤٤}
تؤكد هذه النماذج مساهمة الشاعر المدابوي للشاعر الكولخي رأساً
على عقب، خلاهما يتلاعبان بالبيئة الدلالية عن طريق الرموز الصوفية
التي يتحايل إليها الشاعران ككناية عمّا يحتلج بداخله، وفي الأمثلة
السابقة أخذنا بعض المصطلحات النموية كوسيلة لتحقيق ذلك الهدف.

خامساً - الموسيقى:

موسيقى الشعر ترجع أساساً إلى الوزن والقافية، إذ ينشأ عنهما وحدة
النغم و"المراد بالنغم الوزن الذي تسير عليه القصيدة، والمراد بالإيقاع

وحدة هذا النغم^{٤٥}. فالوزن (البحر) الذي تسير عليه القصيدة يوقر لها توازنا في جميع العناصر الموسيقية عن طريق نظام محكم من الحركات والسكنات والتفاعيل، فتموجات النغم منتظمة مسلسلة ليس فيها اضطراب ولانشاز، وتمضى محتفظة بالرنين نفسه إلى نهاية القصيدة. فإننا حين نسمع موسقى منتظمة في اهتزازها وموجاتها الصوتية نستجيب لها مطربين حسبما فيها من الانتظام، ويضاف إلى ذلك أن انسجام الألفاظ بعضها مع بعض ودقة اجتماعها بعضها إلى بعض يمنحها قوة ذاتية ويجعل لها من الإيحاء والتأثير ما لا يكون لها في الكلام غير الموزن.^{٤٦}

ومن هذ ندرك أننا نتأثر بالموسيقى ونستجيب لها، والشعر تنظيم موسيقى للكلام، فإذا سمعته الأذن شعرت بالطرب الذي تشعر به حين تسمع الموسيقى.

الموسيقى من التجارب الشعرية التي تفاعلت فيها مدائح الشاعر المدابوي مع شعر الشاعر الكولخي، والموسيقى على قسمين: موسيقى الإطار وموسيقى الحشو.

ومن مظاهر التفاعل في موسيقى الإطار أن الكولخي نظم كل قصائده على البحر الطويل، وكذلك المدابوي باستثناء قصيدة واحدة على ما وقف عليه الباحثان في شعر المدابوي، ومثال ذلك قول الكولخي في مطلع قصيدة:

أبي القلب إلا أن يكون متيماً * حليف غرام بالني مهيماً^{٤٧}
وقول المدابوي:

أمن ذكرى سلمى دمعة العين ترقع * لبعد ديار مقلة العين تدمع^{٤٨}
وأما القافية فقد وظفهما الشاعران في نصوصهما في أنماط مختلفة،
مردوفة مؤسسة ومجردة وما شاكل ذلك، وكذلك الروي قد جاء في صور
متعددة، كما في قول الكولخي:

أريت بخير الخلق خير مرء * نفي الشك والأسوا وكل مرء^{٤٩}
وقوله:

رماي سعد منه فوز لفائز * لمدح همام مجزل للجوائز^{٥٠}
وقوله:

برئت من الإشارك والشك والعجب * بحب رسول الله في البعد والقرب^{٥١}
ويقول المدابوي:

أبي لي سرُّ حلٍّ بين حشائي * تناسي حبيب الله عين صفائي^{٥٢}
وقوله:

خليلي شأني حبُّ أحمد مالك * مُجَّد خير الخلق مبدي المناسك^{٥٣}
وقوله:

ألم تر أن الهاشمي مُجَّد * تجلت له ذات الإله ممجداً^{٥٤}

يظهر من كلّ ما سبق أن الشعارين سارا على نمط الوزن والقافية بحيث اتخذ كل منهما بحرا طويلا وأشبع آخر بيته بروي مخلف.
ومن تحليلات موسيقى الحشو عند الشعارين قول الكولخي مجانسا:
وثقت بماح قد محا كل ظالم * مُجَّد المختار نور العوالم^{٥٥}
وقول المدابوي:

جميل محى كل الجمال جماله * فهو خاتم سر الإله منورا^{٥٦}
وقع الجناس في البيت الأول بين "ماحي" و"محي" وفي البيت الثاني بين "جميل" و"جمال".
وعندما قال الكولخي في الطباق:

عليه صلاة الله ثم سلامه * بها موت نفسي والفؤاد بها يحيا^{٥٧}
فقال المدابوي:

فأليت أني لم أزل طود حبك * حياتي مماتي فيك يا عين ذاتك^{٥٨}
تجلى الطباق في البيت الأول بين "الموت" و"يحي"، وفي البيت الثاني بين "مماتي" و"حياتي".

وعن التكرار يقول الكولخي:

لأفضل أرض حلّ أفضل مرسل * بأفضل يوم فاستبان كماله^{٥٩}
ويقول المدابوي:

جمال رسول الله أحمد مجتبي * جمال بديع للمحاسن يجمع^{٦٠}

في البيت الأول كرّر الشاعر كلمة "الأفضل"، وفي البيت الثاني كرّر
قائله "جمال".

وهكذا كان دأب الشعارين في استنطاق النصوص الشعرية عن طريق
تفاعل متحرك بينهما، خصوصا في الظواهر الإيقاعية، كما شهدت
بذلك النصوص السابقة.

تفاعل شعر المدابوي بشعر الكولخي من حيث قيمة التجربة الشعرية

أولا- صدق الانفعال:

والانفعال حالات وجدانية تكون مصحوبة باضطرابات عضوية بارزة
تشمل جميع أجهزة الجسم العضلي والروحي والنفسي، الذي يشمل
الجانب الشعوري فيخبر به الشخص نفسه، والجانب الخارجي الذي
يشمل التحركات والألفاظ والإيماءات التي تصدر عنه.^{٦١}

والمتتبع للنصوص الشعرية التي تصدر من الشعارين يقر بصدق
عاطفتهم، وقد نتج ذلك من فناء الشعارين في الممدوح صلى الله عليه
وسلم، بحيث لا يريان شيئا سواه، وكل فضيلة وكمال يريانه لائقا
بالممدوح، يقول الكولخي:

ملاً القلب حبُّ المصطفى وتنافسي * مدى الدهر في وصله وهو مجالسي

تطوّفت في الآفاق طالب وصله * وشدّ اغترابي والأمين مؤانسي^{٦٢}

ويقول المدابوي:

براني هوى هذا الأمين الممجد* وما شاقني غير النبي فأبعد
أحب رسول الله قلبا وقالبا* يهيج شوقي ذكر من هو أمجد^{٦٣}
فهذه الأبيات تكشف مدى ولوع الشعارين بالممدوح ﷺ، ويقرُّ
الحال بصدق انفعالهما في ذلك واستنفاد حياتهما خدمة لهذا لجانب
الشريف.

ثانيا- صدق التعبير:

والتعبير هو القدرة على استخدام الأصوات اللغوية في نقل الأفكار
والمشاعر وتحقيق مختلف الأغراض الاتصالية، وتتضمن القدرة على
التفكير واستخدام الإشارات المختلفة في توضيح المعنى أو هو دفن نقل
الاعتقادات، والعواطف، والاتجاهات، والأفكار، والأحداث إلى
الآخرين. وهو مزيج من التفكير بما يتضمنه من عمليات عقلية، واللغة
بوصفها صياغة للأفكار والمشاعر والصوت لتحمل الكلمات
والأفكار.^{٦٤}

والتعبيرات التي يصوغها الشعاران تتسم بالصدق فيما تعبر عنه؛
لأنهما يتحرران الدقة في اختيار الكلمات المناسبة بالموضوع والحال وغير
ذلك. يقول الكولخي:

هنيئا لإبراهيم لاح هلاله * هلال بدى للناظرين جماله
هلال ربيع فيه جاء مُجَّد * فتم لنا البشرى وعمّ نواله^{٦٥}

ويقول المدابوي:

فأهلاً ببدر بالهداية طالع * فسُرُّ وجود الكون جاء محمَّد
هلال جمال فيه رحمة ربنا * جدير علينا الفرح منك مُحمَّد^{٦٦}
فقد ألقى الشاعران ظلالاً من التعبير الذي يؤثر في المتلقي نتيجة ما
فيه من الدقة في التعبير، بحيث لا يضطرب القارئ عند الوقوف على
مقاصده.

تفاعل شعر المدابوي بشعر الكولخي من حيث بواعث التجربة الشعرية
السيرة والطبع والأخلاق

النقد السوي يتوسل بالسيرة، لا لذاتها، ولكن بالقدر الضروري لفهم
البواعث الداخلية الوجدانية التي أدت إلى إفاضة التجربة الشعرية.^{٦٧}
ويصعب فهم طبيعة التجربة الشعرية فهما دقيقا بدون معرفة أخلاق
الشاعر وطباعه؛ لأن الشعراء يختلفون فيما بينهم اختلافاً غير قليل في
ذلك حسب البيئة والنشأة والثقافة والمزاج،^{٦٨} كما أن الطبع يؤدي إلى
تنازع الشاعر مع المؤثرات الخارجية.

يصور الكولخي أنه نشأ في مجتمع اتخذ أهله حبَّ النساء دأباً لهم
واشتغلوا به، فأراد أن يكون طبعه هو النفور عن ذلك. استمع إليه وهو
يذكر أن حب ممدوحه هو الذي محا عن قلبه حبَّ أولئك النساء
"كليلي" و"تندم":

محي من فؤادي حبّ ليلي وتندم* وداد الإمام الهاشمي المفخم^{٦٩}
وكذلك يقول المدابوي زاجرا عن حبّ "سلمى" أيضا:
فدع عنك سلمى واقين الدهر وافتخر* بذكر حبيب الروح أحمد أروع^{٧٠}
وإذا خدم بعض الموظفون الملوك والوزراء والأغنياء وغيرهم، فالكولخي
إنما يخدم ممدوحه، فيجير من يفد إليه، لأنه خديم المصطفى صلى الله
عليه وسلم يقول:

أجير لمن يأوي إليّ لأنني* خديم لطاه الهاشمي أجير^{٧١}
وهكذا كان شأن المدابوي إذ هو الآخر خديم له خصوصا من جهة
كونه شاعرا لجنابه، يقول:

أبو القاسم المنصور من طاب ذكره* فإني خديم شاعر لجنابه^{٧٢}
وعلى ضوء ذلك تبلور بيئة الشعارين وسلوكهما عن طريق
انتاجاتهما الشعرية. فالشعر إذن وجه من وجوه التعبير عن تصارع
الإنسان بما يحيط به، وبما يفرض عليه من المؤثرات في سعيه لتحقيق ذاته
ودأبه.^{٧٣}

تفاعل شعر المدابوي بشعر الكولخي من حيث أبعاد التجربة الشعرية
أولا- الوطنية:

وهي حبّ الوطن والشعور نحوه بالارتباط الروحي، وهي نزعة
اجتماعية تربط الفرد بالجماعة وتجعله يحبّها ويفتخر بها ويعمل من

أجلها ويضحى في سبيلها،^{٧٤} وحب الشاعر للوطن والشعور نحوه يفرض عليه أن يعبر عن آلام أمته وآمالها.

وبما أن الشعارين استقلالاً للمديح النبوي الشريف لا يوجد لديهم التفات إلى غير الممدوح الأعظم، ولكن هناك ملامح للوطنية تظهر من خلال علاقة الكولخي مع الآخرين في ذكر الممدوح وأحواله وكل ما يتعلق به كملازمته للممدوح واشتغاله به في حين اشتغال الناس بغيره، ولم يكن لهم همٌّ سوى الغفلة والاشتغال بالدنيا، يقول:

علقت به والناس في سنة الكرى * تمتعت منه الدهر إذ كنت مفردا
وزوحت في هذا الزمان وإنني * لفي غيرة ممن يروم محمد
ولكنه جليت قبل سباقهم * وقد نلت تبريز القرون لأحمد^{٧٥}
ويقول المدابوي:

أسرد فيه المدح درًّا منظما * وقد نام جاراتي وشغلي ما بقي^{٧٦}
فهذه النصوص تصور وطنية الشعارين من خلال ما يكابدانه في الوطن الذي يعيشان فيه، وشعور سائر المواطنين تجاه ممدوحه، فكأن الشعارين أرادوا إبداء ما فيهما من الحب والتعلق القوي بالنبي صلى الله عليه وسلم وليحرضان قومهما عليه، فيتعلق قلوبهم أيضا بما تعلق به قلوبهما من ذلك الحب، فهذا من باب حب الخير للغير.

ثانياً - الجمالية:

وأصل الكلمة يوناني إ، وكان غريقي يقصد بها العلم المتعلق بالإحساسات طبقاً للفظ، والجمالية فرع من فلسفة التعامل مع الطبيعة والجمال والفن والذوق. وعلمياً عرّفت على أنه دراسة حسية أو قيم عاطفية.^{٧٧}

والشاعر الشيخ إبراهيم إنياس لا يجذب تنميق اللفظ الذي يغرق فيه بعض المعاصرين، بل يكفي بعزوبة وسلالته، وبعض الصور البيانية ورموز الصوفية، ومع ذلك تنزه عن اللغة العامية والدارجية، وهذا موقف أدبي يتيح للمتلقي فرصة تذوق الجمال الفني الكامن في النص، بدلا من شحنه بما لا طائل وراءه جمالياً.. فاسمعه حين يقول:

جمعت وجودا هيبية وجلالا * وأبصرت من ذا بهجة وجمالا
جمالك أنس هيبية ومحبة * فأنت أتم المرسلين كمالا
وكلهم حازوا المكارم والعلی * وما كالأمام الهاشمي خصالا^{٧٨}
وتبع المدابوي نفس المذهب، وهذا ما يؤكد حركية التفاعل بين
الشاعرين يقول:

سموت عن الأكوان فالكل خادم * تعاليت قدرا أنت ربّ المكارم
كسيت جمالا من جمال إلهك * فإنك باب الله للكفر صارم^{٧٩}

الخاتمة:

تعرض هذا المقال لدراسة تفاعل شعر الشيخ عثمان ورش إبراهيم المدابوي مع الشاعر الشيخ ابراهيم انياس الكولخي من حيث التجربة الشعرية، فقد درس الباحثان ما يتعلق بمفهوم التجربة الشعرية مع الوقوف على بعض أبيات الشعارين - الكولخي والمدابوي- لهدف الكشف عن مدى تفاعل شعر المدابوي في صناعة المديح النبوي، وفي محاولة دراسة هذا التفاعل تم التركيز على بعض أهم عناصر التجربة الشعرية التي هي: الأفكار والشعور والألفاظ والصدق العاطفي والخيال.

وقد أسفر البحث خلال معالجته لهذا الموضوع- على نتائج

منها:

- أن هناك تفاعل ظاهر بشعر الكولخي في شعر المدابوي، وقد تجلّى ذلك في أفكاره وتعبيراته.
- أن هناك امتزاجية واتحاد المنحى الواحد بين الكولخي والمدابوي في قرص الشعر.
- أن المتفاعل - المدابوي- قد تولد عن المتفاعل به - الكولخي- في أصالية المنهج والطريق في التعبير عن المشاعر وما ينزعهما إلى إبداع جميل في الشعر.

- ظهر تفاعل شعر المدابوي بشعر الكولخيني الفكر والوجدان، وفي الصورة التعبيرية وصدق الانفعال وصدق التعبير، وفي السيرة والطبع والأخلاق والبيئة والمجتمع، وفي الوطنية والجمالية. وفي الختام يوصي الباحثان الدارسين والطلبة بالعكوف على دراسة الإنتاج الأدبية النيجيرية لكشف المعاني والأسرار الفنية الكامنة فيها.

الهوامش والمراجع:

- ١- مُجَّد أحمد بن طباطبا العلوي، عيار الشعر، تحقيق عباس عبد الستار، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٢، (ط١)، ص: ١١.
- ٢- هلال، مُجَّد غنيمي، النقد الأدبي الحديث، دار العودة، بيروت، ١٩٨٦م، ص: ٣٢٣.
- ٣- هلال، مُجَّد غنيمي، المرجع السابق نفس الصفحة.
- ٤- ويسيمر الباحثان على تعريف كل العناصر والأبعاد عند مناقشتها في هذه المقالة.
- ٥- الكولخي، إبراهيم بن عبد الله (الشيخ) مقدمة نزهة الأسماء والأفكار في مديح الأمين ومعاني المختار، دار الفكر، ص ١، بغير سنة الطبع.
- ٦- الكولخي، إبراهيم بن عبد الله (الشيخ)، مقدمة كتاب كاشف الالباس في فيض الختم أبي العباس، تقديم علي سيس، سنة ١٤٢١هـ، ص ١٥.

- ٧- ميغري، مُجَّد الطاهر، الشيخ إبراهيم السنغالي، حياته، وآراءه،
وتعاليمه، دار العربية ١٩٨٣، ص ٧٩.
- ٨- المرجع نفسه، ص: ٨٣.
- ٩- راجع الكولخي، إبراهيم بن عبد الله (الشيخ) مقدمة زهة الأسماء
والأفكار في مديح الأمين ومعاني المختار، دار الفكر، بغير سنة
الطبع.
- ١٠- راجع الكولخي، إبراهيم بن عبد الله (الشيخ) جامع جوامع الدواوين.
- ١١- عثمان، علي آدم، الأساليب الكنائية في ديوان فيض الأسرار للشيخ
عثمان ورش مدابو، قدم إلى قسم اللغة العربية جامعة بايرو، كنو،
لنيل شهادة الليسانس في اللغة العربية، سنة ٢٠١٥م، ص ١١.
- ١٢- المرجع نفسه، والصفحة نفسها.
- ١٣- داوود، عبد الرحمن، قصيدة الرحيق المختوم في مدح النبي المعصوم
صلى الله عليه وسلم، دراسة تحليلية لصور البيان، قدم إلى قسم اللغة
العربية جامعة بايرو، كنو؛ لنيل شهادة الليسانس في اللغة العربية، سنة
٢٠١٢، ص ٨-٩.
- ١٤- مقابلة شخصية مع الشاعر، في بيته، تاريخ ٤/٩/٢٠٢٠م، صباحا.
- ١٥- ابن طبا طبا، مُجَّد بن أحمد، عيار الشعر، تح: الدكتور مُجَّد زغلول
سلام/منشأة المعارف، الأسكندرية، ط: ٣، بدون التاريخ، ص: ٤٣.
- ١٦- ابن طبا طبا، مُجَّد بن أحمد، المرجع السابق والصفحة نفسها.

- ١٧- الكولخي، إبراهيم بن عبد الله، نزهة الأسماع والأفكار، حرف الراء
ص: ٢٥
- ١٨- المدابوي، عثمان ورش إبراهيم، فيض الأسرر، بدون معلومات النشر،
حرف الدال، ص: ٢٣
- ١٩- أنيس وآخرون، القاموس المحيط، مرجع سابق، ص: ١٠٥٢.
- ٢٠- الكولخي، إبراهيم بن عبد الله، نزهة الأسماع والأفكار، مصدر سابق،
حرف الهاء واللام، ص: ٩٢.
- ٢١- المدابوي، عثمان ورش إبراهيم، فيض الأسرر، بدون معلومات النشر،
حرف الدال، ص: ٢٥
- ٢٢- الكولخي، إبراهيم بن عبد الله، نزهة الأسماع والأفكار، مصدر سابق،
حرف الخاء، ص: ١٨.
- ٢٣- المدابوي، عثمان ورش إبراهيم، فيض الأسرر، بدون معلومات النشر،
حرف النون، ص: ١٥.
- ٢٤- قدور، أحمد مُجَّد، مبادئ اللسانيات، دار الفكر، دمشق، ص ١٣٩،
واللبدي، مُجَّد سمير نجيب، معجم المصطلحات النحوية، الصرفية،
قصر الكتاب، الجزائر، ص ١٢٥.
- ٢٥- الجرجاني الشريف، ١ لتعريفات، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: ١،
١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م، ص ١٩٢.
- ٢٦- قدور، أحمد مُجَّد، مبادئ اللسانيات، مرجع سابق والصفحة نفسها.

- ٢٧- التنجني، مُجَدِّد، المعجم المفصل في الأدب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩م، ج: ح، ص ٧٥١.
- ٢٨- الكولخي، إبراهيم بن عبد الله، نزهة الأسماع والأفكار، مصدر سابق، حرف العين، ص: ٨٦.
- ٢٩- المدابوي، عثمان ورش إبراهيم، فيض الأسرر، بدون معلومات النشر، حرف العين، ص: ١٤.
- ٣٠- الكولخي، إبراهيم بن عبد الله، (الشيخ)، نزهة الأسماع والأفكار، مصدر سابق، حرف العين، ص: ٤٨.
- ٣١- المدابوي، عثمان ورش إبراهيم، مصدر سابق، حرف العين، ص: ٥٩.
- ٣٢- الكولخي، إبراهيم بن عبد الله (الشيخ)، نزهة الأسماع والأفكار، مصدر سابق، حرف العين، ص: ٤٨.
- ٣٣- المدابوي، عثمان ورش إبراهيم، مصدر سابق، حرف العين، ص: ٥٩.
- [٣٤-](#) المدابوي، عثمان ورش إبراهيم، مصدر سابق، حرف الهاء، ص: ١٧. General, Gennette, figure///edition, de sevil 1972, p 24.
- ٣٥- الكولخي، إبراهيم بن عبد الله (الشيخ) نزهة الأسماع والأفكار، مصدر سابق، ص ٢٣.
- ٣٦- المدابوي، عثمان ورش إبراهيم، مصدر سابق، حرف الميم، ص: ٥٤.
- ٣٧- الكولخي، إبراهيم بن عبد الله (الشيخ) نزهة الأسماع والأفكار، مصدر سابق، حرف الألف، ص: ٦.
- ٣٨- المدابوي، عثمان ورش إبراهيم، مصدر سابق، حرف الراء، ص: ٢٩.

- ٣٩- الكولخي، إبراهيم بن عبد الله (الشيخ) نزهة الأسماع والأفكار، مصدر سابق، حرف الفاء، ص: ٥١.
- ٤٠- المدابوي، عثمان ورش إبراهيم، مصدر سابق، ص: ٢٩.
- ٤١- الكولخي، إبراهيم بن عبد الله (الشيخ) نزهة الأسماع والأفكار، مصدر سابق، حرف القاف، ص: ٥٤.
- ٤٢- المدابوي، عثمان ورش إبراهيم، مصدر سابق، حرف الدال، ص: ٢٥.
- ٤٣- الكولخي، إبراهيم بن عبد الله (الشيخ) نزهة الأسماع والأفكار، مصدر سابق، ص: ١٦٤.
- ٤٤- المدابوي، عثمان ورش إبراهيم، مصدر سابق، ص: ٣٤.
- ٤٥- حمزة، أبوبكر، التشكيل الإيقاعي ودلالته في ديوان سبحات الأنوار، للشيخ محمد الناصر كبر، رسالة الماجستير، غير منشور، قسم اللغة العربية، جامعة بايرو، كنو، ص: ٣٦.
- ٤٦- مالمفصود بموسيقى الشعر، وهل للشعر موسيقى الشعر، وهل للشعر موسيقى، وكيف؟ [Http://www.alamaany.com/answers/210433](http://www.alamaany.com/answers/210433).
- ٤٧- الكولخي، إبراهيم بن عبد الله (الشيخ) نزهة الأسماع والأفكار، مصدر سابق، حرف الهمزة، ص: ١٥٤.
- ٤٨- المدابوي، عثمان ورش إبراهيم، مصدر سابق، حرف العين، ص: ٥٨.
- ٤٩- الكولخي، إبراهيم بن عبد الله (الشيخ) نزهة الأسماع والأفكار، مصدر سابق، حرف الزاي، ص: ١٢٩.

- ٥٠- المصدر نفسه، حرف الباء، ص: ١٢٤.
- ٥١- ٠٣ المدابوي، عثمان ورش إبراهيم، مصدر سابق، حرف الهمزة، ص: ٥٧.
- ٥٢- المصدر نفسه، حرف الكاف، ص:
- ٥٣- المصدر نفسه، حرف الدال، ص: ١٩.
- ٥٤- المصدر نفسه، حرف الراء، ص: ٤٢.
- ٥٥- الكولخي، إبراهيم بن عبد الله (الشيخ) نزهة الأسماع والأفكار، مصدر سابق، ص: ٨٩.
- ٥٦- المدابوي، عثمان ورش إبراهيم، مصدر سابق، ص: ٤٢.
- ٥٧- الكولخي، إبراهيم بن عبد الله (الشيخ) نزهة الأسماع والأفكار، مصدر سابق، ص: ٦٣.
- ٥٨- المدابوي، عثمان ورش إبراهيم، مصدر سابق، ص: ٤.
- ٥٩- الكولخي، إبراهيم بن عبد الله (الشيخ) نزهة الأسماع والأفكار، مصدر سابق، ص: ٩٢.
- ٦٠- المدابوي، عثمان ورش إبراهيم، مصدر سابق، ص: ١٤.
- ٦١- موسوعة مقاتل الصحراء، بعنوان: الانفعالات www.moqatel.com.
- ٦٢- الكولخي، إبراهيم بن عبد الله (الشيخ) نزهة الأسماع والأفكار، مصدر سابق، ص: ٨٠.
- ٦٣- المدابوي، عثمان ورش إبراهيم، مصدر سابق، ص: ٢٣.

- ٦٤- الموقع التربوي، للدكتور وجيه المرسي أبولبي، فكر تربوي متجدد، بعنوان: مفهوم التعبير الشفوي وطبيعته، K General, Gennette, 2020, p 24.
- ٦٥- الكولخي إبراهيم بن عبد الله (الشيخ) نزهة الأسماع والأفكار مصدر سابق، ص ٩٢.
- ٦٦- المدابوي، عثمان ورش إبراهيم، مصدر سابق، ص: ٢٥.
- ٦٧- إيليا، الحاوي، نماذج في النقد الأدبي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط ٢، ص ٥٣.
- ٦٨- القط، عبد القادر، الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر، در النهضة العربية، بيروت، ط ٢، ١٩٨١م، ص: ٢٧١.
- ٦٩- الكولخي إبراهيم بن عبد الله (الشيخ) نزهة الأسماع والأفكار مصدر سابق، ص ٨٨.
- ٧٠- المدابوي، عثمان ورش إبراهيم، مصدر سابق، ص: ٥٨.
- ٧١- الكولخي إبراهيم بن عبد الله (الشيخ) نزهة الأسماع والأفكار مصدر سابق، ص ٧٢.
- ٧٢- المدابوي، عثمان ورش إبراهيم، مصدر سابق، ص: ٥١.
- ٧٣- إيليا، الحاوي، مرجع سابق، ص ٨٣.
- ٧٤- عفيفي، مُحمَّد الصادق، ا لنقد التطبيقي والموازنات، مؤسسة الخانجي، القاهرة، ص ٦٣.

٧٥- الكولخي إبراهيم بن عبد الله (الشيخ) نزهة الأسماع والأفكار مصدر سابق، ص:

٧٦- المدابوي، عثمان ورش إبراهيم، مصدر سابق، ص: ٣٥.

٧٧- موقع الحرة، ويكيبيديا، بعنوان: فلسفة الجمال، ar.m.wikipedia.org، ١١/١٠/٢٠٢٠م.

٧٨- الكولخي إبراهيم بن عبد الله (الشيخ) نزهة الأسماع والأفكار مصدر سابق، ص: ٢١٩.

٧٩- المدابوي، عثمان ورش إبراهيم، مصدر سابق، ص: ٣٨.

المعهد العلمية ودورها في تطوير اللغة العربية في مدينة مِيدَغْرِي بعد الاستعمار البريطاني

إعداد:

الدكتور أحمد محمد هارون

سفارة دولة الإمارات العربية المتحدة

مركز التأشيرات أبوجا - نيجيريا

amhza@yahoo.com

مقدمة:

تهدف هذه الورقة إلى دراسة عوامل تطوير وانتشار اللغة العربية في مدينة مِيدَغْرِي بعد الاستعمار البريطاني، وذلك لأهمية هذه المدينة بالنسبة لكل دارس للغة العربية في نيجيريا، حيث تعتبر "مِيدَغْرِي" مكمنا للعلم والثقافة العربية، ولأنها إحدى البوابات التي دخل من خلالها الإسلام واللغة العربية إلى دولة نيجيريا.

كما تعد مدينة "مِيدَغْرِي" قديما وحديثا مركزا للعلم والعلماء في شتى المجالات والفنون، فتجد فيها علماء اللغة والأدب والفقهاء والحديث والميراث والتصوف وغير ذلك، وذلك نتيجة لاهتمام أهلها بالدين، مما جعلهم يكرسون جهودهم لدراسة هذه اللغة، فتبحروا فيها، وأنشأوا لها المدارس والمعاهد والكليات والجمعيات الإسلامية، إضافة إلى حلقات

الدروس التي يعقدها العلماء في بيوتهم ومساجدهم والمؤلفات التي صنفوها في شتى مجالات اللغة العربية من نحو وصرف وبلاغة وعروض وشعر ونثر وغير ذلك.

إن جميع هذه المعطيات أدت إلى تطوير اللغة العربية في مدينة "ميدغري"، ومستقبلها مقترن بتطوير الأمة وازدهارها، فإذا ازدهرت الأمة وامتد أداؤها أصبحت أمة ذات عطاء ثقافي وحضاري يعلو مستواها على غيرها من الأمم، وذلك بإعداد الكوادر أصحاب الكفاءات لتدريسها في جميع أنحاء البلاد في الشمال والجنوب. وبهذا يكون الباحث قد تطرق إلى جانب هام، وربما يفتح هذا البحث نافذة للباحثين ليطلوا من خلالها على اكتشاف بعض الثغرات للسعي إلى سدها. فستتناول الورقة بالدراسة بعد المقدمة دور المعاهد الحكومية في نشر اللغة العربية في ميدغري، ودور المعاهد غير الحكومية، ثم الخاتمة.

دور المعاهد الحكومية في نشر اللغة العربية في مدينة ميدغري:

إن للمؤسسات التعليمية عدة عوامل ساعدت في تطوير العربية في مِيدُغْرِي، إذ ما أن غادر المستعمرون البلاد حتى استيقظ أهل مِيدُغْرِي حكومة وشعبا، حيث أخذ الجميع يقدم دعمه ماديا ومعنويا فيما يتعلق بالتعليم العربي الإسلامي، وفي هذا الصدد "بدأت الحكومة في الإقليم الشمالي تدخل بعض الإصلاحات في نظام التعليم العربي عام

١٩٦٠م، ومن هذه الإصلاحات تعيين موظف كمسئول عن تنظيم الدراسات العربية في وزارة التربية والتعليم، وكان هذا المنصب موازيا لمنصب مفتش التعليم، ومن ذلك الوقت أصبح لمواد اللغة العربية والدراسات الإسلامية صوت مستقل في الوزارات كما كان للمواد الأخرى، وكان قبل ذلك أن مفتش التعليم هو الذي يسند شئون هذه المواد إلى أحد موظفيه، وفي الغالب لم يكن للموظف إلمام تام بالمواد الإسلامية والعربية^١.

ونتيجة لذلك أسست حكومة برنو عام ١٩٦٤م أول مدرسة عربية وهي كلية "معلمي اللغة العربية"، ثم تلتها "كلية الدراسات العليا" وهي في أول الأمر عبارة عن قسم تابع لكلية معلمي اللغة العربية، ثم انفصلت عنها نتيجة لكثرة المتخرجين في المدارس الثانوية الأخرى، وبعد ذلك قامت الحكومة بتأسيس كلية الشريعة والقانون والدراسات الإسلامية التي تعرف اليوم باسم كلية محمد غوني، لسد حاجاتها في تخريج القضاة وموظفي المحاكم الشرعية، إضافة إلى تدريب المعلمين وتدريب اللغة العربية والدراسات الإسلامية في المدارس الحكومية والأهلية معا، كما فتحت قسما للغة العربية والدراسات الإسلامية في داخل جامعة مئذغري الاتحادية مما انتجت فيما بعد عدد من الخريجين في شتى مجالات اللغة العربية والدراسات الإسلامية، وكذلك كلية قاسم إبراهيم للتربية.

ومن المعاهد العليا التي نشرت اللغة العربية ولها علاقة مباشرة مع مدينة مَيْدُغْرِي، قرية اللغة العربية الواقعة في محلية انغالا بولاية برنو، ويرجع تأسيسها إلى عام ١٩٩٢م، وذلك من قبل الحكومة الاتحادية لتدعيم ورفع مستوى اللغة العربية في نيجيريا عامة وفي ولاية برنو ومَيْدُغْرِي خاصة، وهي عبارة عن مركز ثقافي للدراسات العربية والجامعية يهدف إلى تقوية وترسيخ العقيدة واللغة العربية في الأبناء وإرسالهم إلى البلاد العربية لتحقيق الأغراض التالية.^٢

- ١- تشجيعهم على دراسة اللغة العربية في بيئتها العربية.
 - ٢- أن توفر للطلاب بصرف النظر عن ولاياتهم أو أصولهم العرقية أو انتماءاتهم السياسية لاكتساب القدرة والمهارة في معرفة اللغة العربية.
 - ٣- تطوير مناهج التعليم العربي لتتماشى مع احتياجات كل المثقفين من إمكانات القرية.
 - ٤- تدريس المقررات المقترحة من المناهج المتعددة في الإطار الحديث، وذلك باستعمال الأجهزة المسموعة والمرئية. وتوفير بيئة متكاملة ومليئة بكل التسهيلات والإمكانات الثقافية والاجتماعية وجميع الوسائل التي تسهل تعليم اللغة العربية.^٣
- ومن استفاد من إمكانات وتسهيلات قرية اللغة العربية الطلبة الجامعيون، وطلبة الكليات التربوية، وتدريب معلمي المدارس الثانوية

لإعدادهم اعدادا جيدا لمواجهة الحياة المهنية، وإفادة القطاعين العام والخاص لاكتساب المهارة والبراعة في اللغة العربية، وهؤلاء الطلبة قد يكونون من الإداريين الناضجين الذين قد يكون من بينهم مديرو الشركات وموظفو الحكومة الاتحادية وحكومات الولايات ورجال الأعمال والاختصاصيون في مجالات الحياة المختلفة، ومن أسباب تأسيس هذه القرية ما ذكره أحد الإداريين بها وهو صالح مُجَّد الحسن حيث قال: "لقد وقع اختيار قرية اللغة العربية في انغالا في شمال شرقي نيجيريا وداخل ولاية برنو، لأن المكان كما قالت اللجنة التي قامت بهذه العملية به مضارب كثيرة تابعة لمن يسمون بالعرب "الشوا"، ولهذا فهو أنسب الأماكن لإنشاء ذلك المشروع، ولقد أنشأ ذلك المشروع فعلا وبالتحديد في المدرسة الثانوية القديمة والتي هي المدرسة الثانوية العليا بالقرية"^٤.
ومن أهم الأهداف التي أنشأت القرية من أجلها كمركز للأنشطة والأبحاث العلمية ما يأتي:

- ١- تأسيس مركز علمي يستخدم لتبادل المعلومات الخاصة بالدراسات العربية، وتزويد الباحثين بالمجال الواسع للدراسات العربية.
- ٢- تشجيع المستفيدين في المجال العلمي الأكاديمي وفي المساعي المتعلقة بتعليم وتدرّيس اللغة العربية.

- ٣- تكريس الجهود الخاصة من لدن القرية لجمع ونشر نتائج الأبحاث العلمية في الدراسات العربية في نيجيريا.
- ٤- ولكي تساهم القرية في تنمية وتطور الأبحاث العلمية والمجلات والصحف والوسائل التعليمية، وذلك من أجل تطوير مناهج التعليم العربي والمؤسسات العلمية في المراحل الثانوية والجامعات والمعاهد العليا.^٥
- ويتم تمويلها من قبل الجهات الآتية:
- ١- من هيئة الجامعات النيجيرية.
- ٢- من الهيئات الحكومية والخاصة والأفراد. والغرض من ذلك هو رفع مستوى التعليم العربي بين الشعب.
- ٣- المعونات من الحكومة المحلية وحكومة الولاية، وعلى رأس هذه الجهات كلها الحكومة الاتحادية.^٦
- أما منهجها الدراسي فمنهج خاص لجميع الأقسام الموجودة فيها، وينقسم إلى قسمين:
- أ- مجموعة من الدراسات الإلزامية.
- ب- ومجموعة من الدراسات الاختيارية.
- فالدراسات الإلزامية في الفترة الأولى مثلا: تشمل النحو والصرف والأدب والإنشاء وعلم الأصوات، أما المواد الاختيارية في الفترة الأولى

فتضم الصحافة والنقد الأدبي والثقافة الإسلامية والعربية والأدب الإفريقي واللغة العربية والترجمة وعلم البلاغة والأدب العربي النيجيري والأدب الحديث وغير ذلك، وتعتمد هذه الدراسة أساساً على نصوص مختارة للقراءة والإعراب مع الاهتمام الخاص بالنحو والصرف وذلك بتصحيح أواخر الكلمات المعربة والمفردة والجمع من الأسماء وصفات الأفعال الدالة على أزمنتها.^٧

أما المنهج الدراسي في الفترة الثانية فيتضمن تصريف الأسماء وعلم العروض والأدب العربي في العصر العباسي والأدب العربي في غرب إفريقيا علوم القرآن وعلم الأصوات ومنهج البحث العلمي والمسرحية والمقالة ومدرسة أدبية وغيرها من المواد.^٨

وأما قسم الدراسات الصيفية يعني بطلبة الكليات التربوية العليا في الدراسات العربية في نيجيريا عامة وفي ولاية برنو وميدغري خاصة وذلك لتدريبهم على اللغة العربية لفترة ثمانية أسابيع والمقرر الدراسي لهذا القسم هو النحو والأدب العربي والقراءة والمحادثة والترجمة والمعلومات العامة ومنهج البحث والإنشاء والإملاء وعلم الأصوات.^٩

وأما قسم الخدمات الاستشارية فإنه يقوم بتقديم خدماته للراغبين في اللغة العربية وما له صلة بها، وتلك الخدمات تتمثل في الترجمة من العربية إلى اللغة الإنجليزية ومن الإنجليزية إلى العربية، ومن اللغة العربية إلى اللغات

المحلية ومن المحلية إلى اللغة العربية والطباعة بالآلة العربية وتحرير الوثائق باللغة العربية وتوثيقها، وإعداد المترجمين لإدارة الحج والمؤسسات التجارية التي لها صلة مع العالم العربي، وتوفير المعلومات والخرائط واللوائح القانونية المتعلقة بالدول العربية وغيرها من الخدمات الاستشارية.^{١٠}

وأما قسم الدراسات التأهيلية فهو قسم يهتم بتعليم وتقوية الطلاب الراغبين في اللغة العربية مما يؤهلهم للتحدث بها، فطلاب هذا القسم ينقسمون إلى ثلاثة أقسام، وهي:

أ- مجموعة المبتدئين.

ب- مجموعة المتوسطين.

ج- مجموعة المتقدمين.^{١١}

وهدفه هو إعطاء الطلاب فكرة عن البنية الأساسية وكيفية استعمالها، ومما ساعد في إكمال هذه العملية الاستعانة بالأدوات السمعية والبصرية داخل المختبر اللغوي من أجهزة مسموعة وأفلام تعليمية مرئية، ولكل قسم من هذه الأقسام برنامج خاص، وكل برنامج يدرس في مدة اثنا عشر أسبوعاً، عشرة أسابيع منها للمحاضرات والأسبوعين للمراجعة والامتحانات.^{١٢}

وقد ساهمت هذه القرية في تخريج عدد كبير من طلاب الجامعات النيجيرية الدارسين للغة العربية، حيث كانت تلك الجامعات ترسل

طلابها إلى القرية لتزويدهم باللغة العربية والدراسات الإسلامية والتربوية، وذلك ليقضوا سنة كاملة في القرية لإكمال سنتهم الدراسية الثالثة، لما لها من معدات ومختبرات لغوية تساعد الطالب النيجيري في فهم اللغة العربية، وبعد ذلك يعودون إلى جامعاتهم لإكمال سنتهم الرابعة لنيل شهادة الليسانس، ومن تلك الجامعات التي كان لها اتصال بالقرية جامعة جوس وجامعة مِيدُغْرِي وجامعة إْلُورِن وجامعة لاجُوس وجامعة ولاية كُوغِي، وقد بلغ عدد المتخرجين من هذه القرية من طلاب هذه الجامعات حوالي ٤٠ ألف طالب وذلك خلال الفترة من عام ١٩٩٢ - ٢٠٠٠م.^{١٣}

وهناك بعض الكليات أيضا تبعث طلابها إلى القرية وهي: كلية التربية بَكُونُتُوغُورَا في ولاية التَّيْجِر والكلية الاتحادية للتربية بَقُنْشِن في ولاية بِلَاتُو والكلية الاتحادية للتربية بَكَاتْسِينَا في ولاية كَاتْسِينَا وكلية التربية بَكِيِي في ولاية كِيِي وكلية التربية بَعُومِيل في ولاية جِيْعَاوَا والكلية الاتحادية للتربية بَأُوكِيِي في ولاية كُوغِي وكلية مُجْدُ عُونِي للشريعة والقانون والدراسات الإسلامية بَمِيدُغْرِي في ولاية بَرُنُو ومركز اللاهوت والتربية الإسلامية بِيْدَا في ولاية النيجر والكلية الاتحادية للتربية بَزَارِيَا في ولاية كَادُونَا والكلية الاتحادية للتربية بِيُولَا في ولاية أَدَامَاوَا وكلية التربية بَأَزْرِي في ولاية بَاوْتَشِي وكلية التربية بَهُونُغ في ولاية أَدَامَاوَا وكلية قاسم إبراهيم

بميدغري في ولاية برنو والكلية الاتحادية للتربية بأبيوكوتا في ولاية أوغُنْ والكلية الاتحادية الخاصة بأويو في ولاية أويو وكلية شَيْحُو شَاغَارِي للتربية بصُكُّتُو وكلية التربية بعَشُوا في ولاية يُوِي والكلية الاتحادية بكَاثُو في ولاية كَاثُو وكلية التربية بمِينَا في ولاية النيجر وكلية التربية بكَاثُونَا في ولاية كَاثُونَا والكلية الاتحادية للتربية والتقنية بعُسُو في ولاية زَمْفَارَا وكلية التربية بأَبُوجَا وكلية التربية التابعة لجماعة نصر الإسلام بكَاثُونَا وكلية التربية بجَالِنْعُو في ولاية تَارَابَا وكلية التربية بمَازُو في ولاية زَمْفَارَا وكلية مفتاح الدين بإبَادَنْ وغيرها.^{١٤}

وأما بالنسبة لطلاب هذه الكليات فقد بلغ عدد الذين تخرجوا في هذه القرية خلال الفترة ما بين ١٩٩٢-٢٠٠٠م حوالي ٧٥٠ طالبا وطالبة.^{١٥}

وأما عدد الذين تخرجوا في الدورات التأهيلية من عام ١٩٩٢ إلى ٢٠٠٠م فبلغ حوالي ٣٢٧ طالبا وطالبة.^{١٦}

وأما بالنسبة للمعاهد الخاصة فقد نبغ كثير من العلماء في أواخر القرن العشرين، حتى أسس بعضهم معاهد ومدارس لمواصلة التعليم والتثقيف العربي والإسلامي، ومن أهم رواد تلك المعاهد والمدارس في ميدغري، الشيخ أحمد علي أبو الفتاح، والشيخ الشريف إبراهيم صالح الحسيني ولهما مؤلفات عدة في شتى المجالات في اللغة والأدب والتاريخ

وعلم التصوف والحديث والتفسير والفقهاء والميراث وغيرها، وكذلك جميع المشايخ الآتية أسماءهم لهم إسهامات كبيرة في هذا المجال، كما ورد لبعضهم في الدراسات السابقة، وهم: الشيخ أبوبكر المسكين، والشيخ آدم والشيخ أبا غوني، إضافة إلى كلية الكانمي للدراسات الإسلامية، وكلية معلمي اللغة العربية، وكلية الشريعة والقانون، ومركز الإمام مالك وغيرها.

دور المعاهد غير الحكومية في نشر اللغة العربية في مدينة ميدغري:

ومن أهم المعاهد أو المدارس الخاصة التي ساهمت في تطوير ونشر اللغة العربية في مدينة مِيدُغُري على سبيل المثال:

١- معهد الشيخ أحمد أبو الفتح، الذي أسسه عام ١٩٥٦م في مدينة مِيدُغُري^{١٧}:

ولد الشيخ أبو الفتح في رجب عام ١٩٢٣م في قرية "سندوا" التابعة لحكومة كُونْدُغَا المحلية بولاية برنو، ويكنى بأبي علي وأبي العباس واشتهر بأبي الفتح وهو لقب أطلقه عليه شيخه الشيخ إبراهيم إنياس الكولخي رحمته الله، أخذ عن والده قليلاً من سور القرآن حتى بلغ السن الخامسة من العمر، ثم بعثه والده إلى دراسة القرآن الكريم في إحدى البوادي، فخرج في صحبة مع معلمه وهو معلم علي تلميذ والده، ولما توفي والده عام ١٣٤٩هـ رجع إلى البيت وبعد فترة من الزمن هاجر إلى مدينة مِيدُغُري،

وهناك قرأ على الشيخ غوني غربا شيئا من القرآن الكريم، ومنها إلى بَنكُوري وهي قرية تقع في ولاية كنو وهناك ختم القرآن الكريم على يد الشيخ أبي بكر الدَّواكي، ثم سافر إلى زاريا ومكث فيها ثلاث سنوات درس خلالها على الشيخ الفقيه معلم نائبي علم الفقه، كما درس علم اللغة على يد أستاذه الكَثناوي، كما درس أيضا على أمير العلماء الإمام بَلارِي، وعند ما بلغه خبر الشيخ أبوبكر عتيق سافر إليه وهو بمدينة كَنُو حيث التقى به وجدد له في الطريقة التجانية ولازمه أعواما في خدمته إلى أن وجد منه التقديم ومنه سافر إلى كوخ حيث كان الشيخ إبراهيم نياس الكولخي، وكان يحضر دروسه كلها ومجالسه العلمية وتفاسيره القرآنية في أيام رمضان وغيره، حتى نال التقديم أيضا من مولاه إمام الفيضة الشيخ إبراهيم نياس الكولخي، وفي عام ١٣٧٤هـ أذن له الشيخ بالعودة إلى بلده (مِيدُغُري) ، وهناك أنشأ زاويته في عام ١٩٤٩م بحج "لاميسلا" كما أنشأ بعد ذلك مدارس علمية وأخرى لتحفيظ القرآن الكريم وعلومه.^{١٨}

ومن الأسباب التي دعت إلى تأسيس هذا المعهد أن الإنجليز وعملاءهم كانوا يجبرون أولاد المسلمين على الدخول في المدارس الابتدائية الإنجليزية، وكان بعض المسلمين يرفضون ذلك ويخفون أبناءهم في البيوت أو يهربون إلى الخلاء خوفا من إجبارهم على إدخال أبنائهم

في تلك المدارس الانجليزية، ولما رأى الشيخ ذلك خاف على مستقبل أولاد المسلمين من الضياع فأسس هذا المعهد، طبق المدارس العربية الإسلامية النظامية العصرية الموجودة لدى العالم العربي والإسلامي وسماه بهذا الاسم "المعهد الابتدائي"، وكان يدرس فيه التلاميذ الصغار ومريديه الكبار العلوم العربية والإسلامية، وعند ما كثر عدد الطلاب تفرغ هو لتعليم الكبار وأمر تلميذه الشيخ أبابكر المسكين بتدريس التلاميذ الشباب.^{١٩}

ويهدف هذا المعهد -أساساً- إلى تحقيق الأهداف التالية:

- ١- تعليم اللغة العربية التي هي الطريق الوحيد إلى فهم الإسلام فهما صحيحاً.
- ٢- تثقيف أبناء المسلمين ثقافة إسلامية، ونقل هذه الثقافة إلى الجيل الذي يأتي بعدهم.

وقد خرج هذا المعهد عدداً كبيراً من الطلاب بشهادات ممتازة أهلتههم إلى الالتحاق بالمدارس العليا لدراسة العلوم المختلفة، وقد واصل بعضهم في المعاهد العليا مثل كلية محمد عُوني للشريعة والقانون للدراسات الإسلامية، وكلية قاسم إبراهيم للتربية، كما التحق بعضهم بالجامعات المحلية النيجيرية مثل: جامعة مِيدُغْرِي وجامعة بَايْرُو وجامعة صُوْكَوْثُو وغيرها، وبعضهم من درس الهندسة والطب والعلوم الزراعية، كما درس

بعضهم خارج البلاد مثل: جامع الأزهر الشريف وكلية الدعوة الإسلامية العالمية وغيرها.^{٢٠}

وتظهر مساهمة هذا المعهد في نشر اللغة العربية وتطورها من خلال خريجيه الذين عكفوا على تدريس اللغة العربية في المدارس الابتدائية الأهلية والحكومية إضافة إلى الجامعات والمعاهد العليا على نطاق واسع في مدينة مَيدُغُري.

٢- معهد النهضة الإسلامي، لمؤسسه الشيخ الشريف إبراهيم

صالح الحسيني:

ولد الشيخ إبراهيم صالح في ليلة السبت ٣ مايو ١٩٣٨م في قرية عرندية إحدى قرى محافظة ديكوا التي كانت من إحدى عواصم امبراطورية برنو القديمة، نشأ هذا الشيخ في كنف والده الشيخ محمد صالح بن يونس الذي حرص على تربيته، فكان يجلسه إلى جانبه أثناء تدريسه لطلابه القرآن الكريم، وبدأ قراءة القرآن الكريم على يد والده، وكان حاد الذكاء لازم والده حتى توفي وهو ابن خمس سنوات من العمر، ثم التحق بعد وفاة والده بعدة معاهد قرآنية لحفظ القرآن الكريم وإتقانه، وبعد ذلك شرع في تعلم العلوم العربية والإسلامية على عدد كبير من علماء منطقته، كما تنقل بين علماء الامبراطورية للاستفادة منهم أمثال: الإمام محمد بن محمد المصطفى العلوي مَيدُغُري والشيخ محمد غبريما

والشيخ أبوبكر عتيق الكَنَوِي والشيخ الخليفة تجاني عثمان الكنوي أيضا وغير ذلك، ثم خرج إلى دول الجوار مثل جمهورية تشاد والسودان ومصر والمغرب وغيرها من الدول الإفريقية، واتصل بعلماء آسيا كالهند وباكستان وغيرها من دول العالم العربي والإسلامي، وألف الشيخ كتبا كثيرة منشورة وغير منشورة، ويقال إن عدد مؤلفاته يتجاوز خمسمائة كتاب في مختلف العلوم مثل: "تاريخ الإسلام وحياة العرب في امبراطورية كانم برنو" و"الاستدكار لما لعلماء كانم برنو من الآثار والأخبار" وهما في التاريخ، أما في السياسة فقد ألف فيها عدة كتب منها "مفهوم السيادة في نظام الدولة الإسلامية" و"أسس القيادة في المظهر والسلوك" وفي علم الحساب كذلك ألف كتبا كثيرة منها "الحساب الفلكي لتحديد بدايات الأهلة والسنين البسيطة والكبيسة" و"الجواهر واليواقيت في علمي الهيئة والمواقيت" وفي التصوف كتاب "التكفير أخطر بدعة تهدد الوحدة بين المسلمين في نيجيريا" و"المغير على شبهات أهل الأهواء وأكاذيب المنكر على كتاب التكفير" و"الكافي في علم التزكية" وفي الفقه كتاب "الحدود في الشريعة الإسلامية" و"مكانة القرآن والسنة في الفقه الإسلامي" و"بقية الفرائض في علم الفرائض" وفي العقيدة كتاب "الاقتصاد في تصحيح الاعتقاد" وفي اللغة "ديوان في الشعر"^{٢١}.

بدأ الشيخ إبراهيم صالح عقد حلقات للتدريس في عام ١٩٥٨م، وكانت له حلقة علمية يدرس فيها العلوم الشرعية واللغوية. وأما تأسيس معهد النهضة الإسلامي بصفة رسمية فيرجع إلى عام ١٩٦٣م بحى "عُونُغِي"، بدأ المعهد بفصل واحد واستمر على هذا الحال حتى خرج تلاميذ عام ١٩٧٤م، ثم أخذ يخرج في كل سنة عددا كبيرا من التلاميذ إلى الوقت الراهن، وفي عام ١٩٩١م رقى المعهد إلى مرحلة الإعدادية، وظل يخرج دفعات كبيرة إلى عام ٢٠٠٠م حيث فتح القسم الثانوي، ثم غير اسم المعهد إلى كلية النهضة للعلوم والدراسات الإسلامية، ثم فتح فيه أقسام أخرى لدراسة الدبلوم في التربية وفي الحاسوب وفي الدراسات الإسلامية وفي الشريعة والقانون وفي اللغة الإنجليزية^{٢٢}.

ولكلية النهضة عدة أنشطة أسعمت بها في تطوير اللغة العربية تقام أسبوعيا، منها: نادي اللغة العربية الذي يهدف إلى تطوير المهوبة الشعرية لدى الطلاب، ونادي الإعلام والصحافة وهو يهدف إلى تكوين مهارة الطالب في التحدث باللغة العربية والإنجليزية في نهاية كل أسبوع أثناء الطابور، ونادي العلوم والصحة ويهدف هذا النادي إلى تكوين الطلاب المتفوقين في مواد العلوم ويقوم بتقويتهم في أوقات خاصة مع أساتذة العلوم، كما كان يقوم بتنظيم عدة مسابقات بين

طلاب الكلية والمدارس الأخرى في الولاية، ونادي الرياضيات وهو يهدف إلى تكوين الطلاب لمعرفة المزيد والممارسة التطبيقية الدائمة لعلم الرياضيات، ونادي التمثيليات وهو يهدف إلى تكوين فئة قوية لتقوم بعرض تمثيلات باللغة العربية أثناء العطل المدرسية الكثيرة، ونادي الرياضة وهو نادي يهدف إلى تنشيط الطلاب بالرياضة البدنية أثناء أوقات الاستراحة اليومية، كما كان ينظم مباريات يشارك فيها الطلاب مع المدارس الأخرى.^{٢٣}

ولخبري هذه الكلية عدة أعمال ساهمت في تطور اللغة العربية، حيث التحق بعضهم بالمعاهد العليا والجامعات المختلفة في داخل نيجيريا وخارجها، فدرس بعضهم اللغة العربية والشريعة والقانون والدراسات الإسلامية والتربية وغيرها وقد نالوا في ذلك شهادة الدبلوم والليسانس والماجستير والدكتوراه، وهم الآن في داخل نيجيريا يشاركون في أعمال مختلفة في الحكومة والقطاع الخاص.^{٢٤}

٣- كلية الكانمي للدراسات الإسلامية: قام بتأسيس هذه الكلية السيد محمد عارف جمعة المعروف بزَيْدِين المولود في مدينة جُوس التي تقع في وسط شمال نيجيريا ثم رحل به والده إلى مدينة مِيدُغْرِي وهو صغير السن ، فكان والده عربيا هاجر من سوريا إلى نيجيريا، وقد بدأ تعليمه الابتدائي بحي "بلائين" حيث قبائل العرب المهاجرة من البلدان العربية

إلى هذه المنطقة كاليمن وسوريا ولبنان وليبيا، وكان لهؤلاء العرب منظمة خاصة تشرف على تعليم أبنائهم، وبعد أن تخرج من المرحلة الابتدائية أرسله والده إلى وطنه الأصلي سوريا لمواصلة تعليمه الثانوي، وبعد أن أكمل المرحلة الثانوية أعاده والده إلى نيجيريا ليساعده في أعماله التجارية ويشاركه في أعماله الدينية أيضا، وقد كان له مساهمة فعالة في نشر الإسلام واللغة العربية حيث إنه أسس منظمة إسلامية مهمتها القيام بالدعوة إلى الإسلام ونشر لغته العربية وثقافته الإسلامية، وتسمى هذه المنظمة بنور الإسلام (Light of Islam)، وهي مشهورة جدا في نيجيريا، ومن أهم أعمالها توزيع الكتب الدينية والمصاحف المترجمة إلى اللغات الأجنبية كالإنجليزية والفرنسية مجانا، كما قام بتأسيس جمعية أخرى سماها بالوحدة، وكانت مهمتها نشر الإسلام في ولايات شمال نيجيريا لكبح جماح الحملات التنصيرية في شمال البلاد، وكان هو الذي يقوم بتمويل نشاطات تلك الجمعية.^{٢٥}

ويعود تاريخ تأسيس هذه الكلية إلى عام ١٩٧٤م حيث حضر افتتاحها عدد من الشخصيات البارزة في مِيدُغْرِي أمثال: العميد مُجْد بخاري وأمير ولاية برنو المرحوم الحاج مصطفى عمر الكانمي، وبعض قضاة الولايات الشمالية وكذلك مجلس أمناء الكلية وعلى رأسهم المرحوم فضيلة الشيخ أبوبكر محمود غُومِي قاضي قضاة إقليم شمال

نيجيريا، والدكتور حسن فُورزُو قاضي قضاة ولاية كُنُو والبروفيسور أحمد خَراشيد والمرحوم الحاج بابا كُرَّا إمام قاضي المحكمة العليا، وقد كان للشيخ أبوبكر غومي دور كبير في إقامة هذه الكلية حيث استطاع بخبرته ومكانته الاتصال بحكام الولاية وحثهم على القيام بإنجاز هذا العمل الديني، وقد افتتحت الكلية في البداية بقسم واحد فقط وهو القسم الإعدادي وذلك بتاريخ ١٩٧٥م، وقامت على دعائم إسلامية بحتة ، ثم بدأت تقبل الطلاب، وسبب تسميتها بالكائمي لإحياء ذكرى ذلك العالم الفقيه المجدد المجاهد الشهير مُجَّد الأمين بن الشيخ لَنَعَّا الكائمي الذي أنقذ الامبراطورية من أعدائها والتي تنتسب إليه الأسرة الحاكمة إلى يومنا هذا، وكذلك سميت بهذا الاسم للفت انتباه هذه الولاية والدولة عامة على مكانة شخصية مُجَّد الأمين العلمية والثقافية والتاريخية والاجتماعية عبر تاريخ الامبراطورية.^{٢٦}

وتهدف هذه الكلية أساسا إلى تحقيق الأهداف التالية:

- ١- تذوق معاني الإيمان والالتزام بمقتضياته.
- ٢- تذوق اللغة العربية والسعي إلى إجادتها.
- ٣- توجيه العامة ودعوتهم إلى تعاليم الإسلام الخالدة والاعتزاز به.
- ٤- المعرفة التامة لطرق الدعوة والتبليغ.
- ٥- الشعور بالمسئولية بواقع المسلمين أينما كانوا ومحاولاة الاتصال بهم.

٦- تهيئة الطلبة وتأهيلهم للالتحاق بالمعاهد والجامعات داخل نيجيريا وخارجها^{٢٧}.

ولخريجي هذه الكلية دور كبير في نشر الإسلام واللغة العربية، إذ إن الدفعة الأولى لخريجي هذه الكلية وجدت منحة دراسية من قبل مؤسسها لتواصل دراستها بمعهد الفرقان لنيل الشهادة الثانوية، وبعد تخرجهم واصل بعضهم دراسته بجامعة الأزهر الشريف وتخرج بشهادة جامعية في اللغة العربية وبعضهم في الدراسات الإسلامية، والتحق بعضهم بجامعة أم القرى بمكة المكرمة وتخرج بشهادات مساوية لذلك في اللغة العربية والدراسات الإسلامية، وبعضهم التحق بالمركز الإفريقي بالخرطوم، وبعضهم التحق بجامعة النيجر وغيرها، إضافة إلى التحاق خريجي هذه الكلية بشتى الجامعات النيجيرية في مختلف المستويات من شهادة دبلوم ويسانس وماجستير ودكتوراه، ويتراوح عدد خريجي هذه الكلية منذ تأسيسها إلى يومنا هذا إلى ألفين ونيف طالب وطالبة.^{٢٨}

كما قامت هذه الكلية بتأسيس عدة مدارس عرفت باسم المدارس "الإيمانية" من ابتدائية وثانوية لنشر اللغة العربية وثقافتها في ربوع البلاد، وهي منتشرة في الولايات الآتية:

١- مدرسة الإيمان بإفيا الواقعة في ولاية نصرًاوا.

٢- مدرسة أزاز الواقعة في ولاية نصرًاوا.

- ٣- مدرسة الإيمان بِكَيْفِي الواقعة في ولاية نصراوا.
- ٤- مدرسة الإيمان بمدينة نصراوا الواقعة في ولاية نصراوا.
- ٥- مدرسة الإيمان بمدينة جوس الواقعة في ولاية بلاتو.
- ٦- كلية الإيمان الثانوية بجوس الواقعة في ولاية بلاتو.
- ٧- مدرسة الإيمان بمدينة كُورُغُوي الواقعة في ولاية بلاتو.
- ٨- مدرسة الإيمان بِشَنْدَام الواقعة في ولاية بلاتو.
- ٩- كلية الإيمان بِيُولَا الواقعة في ولاية أداماوا.
- ١٠- مدرسة الإيمان بِوُكَارِي الواقعة في ولاية تارابا.
- ١١- مدرسة الإيمان بِجَالِينُغو الواقعة في ولاية تارابا.
- ١٢- مدرسة الإيمان بِكُورَا الواقعة في مدينة كانو وغيرها.^{٢٩}

٤- مدرسة دَرِيبي الإسلامية الثانوية: يرجع الفضل في تأسيس

هذه المدرسة إلى الحاج مَي ديريبي بن أحمد كيارِي بونا المولود سنة ١٩٢٣م وكان أبوه ثريا من أثرياء مدينة ميدغري، وهو من الذين اشتهروا بالتجارة، وكلمة دريبي هي اسم لعتمته التي ربهه وظاهرة هذه النسبة إلى الأمهات شائعة لدى الكائوري، وأما والدته فاسمها الحاجة فلمة دَلارم، وقد انتقل أجداده إلى هذه المنطقة من مدينة كوكاوا عاصمة الإمبراطورية القديمة، وفي أواخر أيامه قد مرض مرضا شديدا حتى نقل إلى إحدى المستشفيات بألمانيا للعلاج، ومنها أحيل مستشفى

العلوي التونسي بمكة المكرمة ولم يمكث طويلا حتى مات وصلى عليه المسلمون في الحرم المكي بعد صلاة الفجر ودفن يوم الأربعاء ٢٩ ذو الحجة ١٤٢٢ هـ الموافق ١٣ مارس ٢٠٠٢ م^{٣٠}.

أما حالته الاجتماعية فقد كان يعامل الناس على حسب مراتبهم معاملة خاصة، ويحضر مناسبات أقرانه وزملائه في حالة الفرح والحزن، كما كان يحضر الاجتماعات الحكومية والدينية، وقد ساهم في كثير من الأعمال الخيرية، كبناء المساجد والمدارس الإسلامية وهذه المدرسة خير مثال على ذلك، كما كانت له انتماءات سياسية^{٣١}.

أما بالنسبة لتاريخ تأسيس هذه المدرسة فيعود إلى عام ١٩٩١ م على يد الحاج أحمد مي دربي، وتم تسجيلها رسميا في وزارة التربية والتعليم، وتهدف هذه المؤسسة إلى تعليم أبناء المسلمين العلوم الشرعية واللغوية، وكان الأستاذ عمر يونس في ذلك الوقت هو المدير العام والموجه لهيئة المدرسين في القسمين الابتدائي والإعدادي، وفي عام ١٩٩٩ م خرجت طلابها من القسم الإعدادي والتحقوا بالقسم الثانوي الذي فتح بها بدون اللجوء إلى المدارس الثانوية الأخرى، وهذا النشاط لم يتم إلا ببذل جهد من السيد المدير عمر يونس، وكان عدد طلابها آنذاك ٦٠ طالبا وطالبة، ومنذ تأسيسها عام ١٩٩١ م إلى أن خرجت الدفعة الأولى حاملة الشهادة الثانوية عام ١٩٩٨ م إلى يومنا هذا بلغ عدد خريجها حوالي ٤٢٥ خريجا^{٣٢}.

ولهؤلاء الخريجين مساهمة كبيرة في نشر الإسلام واللغة العربية، حيث التحقوا بعد تخرجهم من هذه المدرسة إلى عدة جامعات مختلفة داخلية وخارجية، فذهب بعضهم والتحق بكلية مُحمَّد غوني للشريعة والقانون والدراسات الإسلامية، وبعضهم التحق بجامعة ميدغري في قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية، وبعضهم التحق بقسم التربية وبعضهم بقسم اللغات واللسانيات، وبعضهم التحق بجامعة الملك فيصل بجمهورية تشاد، وبعضهم التحق بالجامعة الإسلامية بجمهورية النيجر، وبعضهم التحق بجامعة الأزهر الشريف، وبعضهم التحق بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة وغيرها من الجامعات المحلية والعالمية بغية الحصول على شهادة الدبلوم والليسانس^{٣٣}.

وبعد ظهور هذه المدارس في الثمانينات أخذت تتطور وتزدهر بإنشاء عدة مدارس ثانوية إسلامية نظامية على النمط الحديث في مدينة ميدغري، وتهدف هذه المدارس إلى تعليم أبناء الأمة الدين الإسلامي وثقافته العربية، ومن أبرز تلك المدارس ما يأتي:

١- مدرسة مَيَّري الثانوية الإسلامية.

٢- معهد الأزهر الشريف.

٣- معهد عثمان بن عفان الإسلامي.

٤- مركز الإمام مالك الإسلامي.

٥- مدرسة إحياء علوم الدين الإسلامية الثانوية.

٦- كلية مُؤدُو سُنُومًا للدراسات الإسلامية.

٧- مدرسة الهداية الإسلامية.

٨- مدرسة أبو الأنصار الإسلامية.

٩- مدرسة إبراهيم الإسلامية.

١٠- مدرسة آمنة التذكارية.

١١- مدرسة المختار الإسلامية.

١٢- كلية أنصار الدين الإسلامية.

١٣- معهد الإرشاد للتوجيه الإسلامي.^{٣٤}

وهذا على سبيل المثال لا الحصر، وجميع هذه المدارس تتبنى منهج جامعة أحمد بللو في زاريا، وأهم المواد العربية التي تدرس في تلك المدارس تشمل النحو والصرف والعروض والبلاغة والأدب والإنشاء والإملاء والمطالعة، أما المواد الإسلامية فتحتوي على القرآن الكريم وعلومه والفقه الإسلامي وأصوله والحديث وعلومه والتاريخ الإسلامي والتربية وطرق التدريس.^{٣٥}

الخاتمة:

عالج الباحث من خلال هذا العمل المؤسسات التعليمية النظامية ودورها في تطوير اللغة العربية في مدينة ميدغري، ومما ساعد على نشرها

أقدمية الإسلام في المدينة، واهتمام أهلها بالقرآن الكريم، وعلاقتهم بالعرب، ووجود العرب أنفسهم بها، كما كان للمدراس الحكومية والمعاهد الخاصة دور كبير أيضا في تطور اللغة العربية في ميدغري بعد الاستقلال مثل: معهد الشيخ أحمد بن علي أبو الفتح، ومعهد النهضة الإسلامي للشيخ الشريف إبراهيم صالح الحسيني رحمته الله، وكلية الكانمي للدراسات الإسلامية لمؤسسها السيد محمد عارف جمعة المعروف بزبدن، ومدرسة دربي الإسلامية الثانوية لمؤسسها الحاج مي دربي بن أحمد كيارى بونا رحمه الله، وللبعثات التعليمية والمنح الدراسية والجمعيات الإسلامية دور كبير وفعال في إنتاج أعداد كبيرة مثقفة باللغة العربية والدراسات الإسلامية، وتحملت فيما بعد لواء الدعوة الإسلامية ونشر الثقافة العربية في ربوع القارة الإفريقية عموما وفي نيجيريا خصوصا.

الهوامش والمراجع:

- ١- شيخو، أحمد سعيد غلادثي (الدكتور): حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا. ط ٣ من منشورات المكتبة الإفريقية ١٩٩٣م. ص ٩٠
- ٢- الرشيدة عبد الجليل عبد الله: قرية اللغة العربية "انغالا" ومساهمتها في نشر اللغة العربية في نيجيريا من تأسيسها عام ١٩٩٢م إلى ٢٠٠٤م. بحث جامعي لنيل شهادة الليسانس قدم إلى قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية بجامعة ميدغري، غير منشور، ٢٠٠٤م ص ٣٧

- ٣- المرجع نفسه ص ٣٩
- ٤- المرجع نفسه ص ٤٠
- ٥- المرجع نفسه ص ٤٢
- ٦- المرجع نفسه ص ٤٦
- ٧- المرجع نفسه ص ٤٧
- ٨- المرجع نفسه ص ٤٨
- ٩- عبد الله آدم جنغطو ويعقوب يونس: واقع المدارس القرآنية في ولاية برونو (ميدغري نموذجاً). مقال نشر في مجلة اللوح للغة العربية والدراسات الإسلامية، جامعة ميدغري، المجلد ٤ العدد ٣، ٢٠٠٨م ص ١٤٩
- ١٠- المرجع نفسه ص ١٥٠
- ١١- المرجع نفسه ص ١٥٢
- ١٢- مُجَّد زكريا بشير: مساهمة المدارس الثانوية الإسلامية في تطوير اللغة العربية وثقافتها في ميدغري. رسالة ماجستير قدمت إلى قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية بجامعة ميدغري ٢٠٠٩م غير منشورة ، ص ١٤
- ١٣- المرجع نفسه ص ١٨
- ١٤- المرجع نفسه ص ٢٢
- ١٥- المرجع نفسه ص ٣٢

- ١٦- المرجع نفسه ص ٣٥
- ١٧- آمال مُجد عبد الغفار: دراسة تحليلية حول نماذج من إنتاج الشيخ أحمد أبي الفتح في أدب الرحلة. رسالة ماجستير قدمت إلى قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية بجامعة ميدغري ٢٠٠٧م غير منشور. ص ١٥
- ١٨- المرجع نفسه ص ١٦
- ١٩- المرجع نفسه ص ١٧
- ٢٠- أبوبكر عمر: مدرسة الشيخ أبي بكر الصديق ومساهمتها في نشر الثقافة العربية في ميدغري القديمة. بحث جامعي قدم إلى قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية لنيل شهادة الليسانس بجامعة ميدغري ٢٠٠٧م، غير منشور. ص ٢٢
- ٢١- المرجع نفسه ص ٢٣
- ٢٢- أحمد تجاني عبد الله: تطور اللغة العربية في مجتمع مدينة ميدغري. بحث جامعي قدم إلى قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية لنيل شهادة الليسانس بجامعة ميدغري ٢٠٠٦م، غير منشور. ص ٣٣
- ٢٣- بابا مصطفى كلي: مساهمة مدرسة الحاج مود سنوما في نشر الثقافة العربية في حي ديكيجري - ميدغري. بحث جامعي قدم إلى قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية بجامعة ميدغري. غير منشور ٢٠٠٧م. ص ١٢

- ٢٤- الحاج بُكْرُ جَلَنَّمْبُو: الأمين التنفيذي لهيئة المنح الدراسية بولاية برنو: مقابلة خاصة يوم الثلاثاء الخامس من يوليو ٢٠١١م في مكتبه بمدينة ميدغري في ولاية برنو.
- ٢٥- رابع عمر تم: الانتاجات الشعرية لخرجي كلية مُجَدَّ غوني للشرطة والقانون والدراسات الإسلامية العليا. رسالة ماجستير قدمت إلى قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية بجامعة ميدغري ٢٠١٠م. ص ٢٩
- ٢٦- شريف مُجَدَّ عبد القادر (الدكتور) و مُجَدَّ مي أبوبكر (الدكتور): مقال بعنوان: الأثر الثقافي للغة العربية في اللغة الكانورية. نشرته مجلة اللوح التي يصدرها قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية بجامعة ميدغري، المجلد ٢ العدد ٤ ، ٢٠٠٩م ص ٣
- ٢٧- عبد الله غوني تجاني (الدكتور): الشيخ أبوبكر المسكين ومنظوماته العربية. رسالة دكتوراه ، قدمت إلى قسم اللغة العربية بجامعة بايرو ، كنو ٢٠٠٤م ، غير منشورة. ص ٣٦
- ٢٨- عبد الله غوني تجاني (الدكتور): ملامح عن العلماء في برنو عبر عصورها التاريخية. مجلة العربية، العدد ١ من منشورات قرية اللغة العربية بأنغالا ، ٢٠٠٨م. ص ٦٧
- ٢٩- عبد الغفار جده جريل: حالة اللغة العربية في برنو قبل الاستعمار وبعده. رسالة ماجستير قدمت إلى قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية بجامعة ميدغري ٢٠٠٤م، غير منشورة. ص ٣٤

- ٣٠- عمه أحمد خرسه: مساهمة الشيخ الشريف إبراهيم في نشر الثقافة الإسلامية. بحث تخرج لنيل شهادة الليسانس في اللغة العربية بجامعة ميدغري ١٩٨٨م. ص ٤٤
- ٣١- عمه أحمد خرسه: مساهمة المدارس الابتدائية الإسلامية في الثقافة الإسلامية في مدينة ميدغري. رسالة ماجستير قدمت إلى قسم الدراسات الإسلامية بجامعة بايرو. غير منشورة ١٩٩٢م. ص ٣١
- ٣٢- ماهر هارون ماهر: ماضي اللغة العربية وحاضرها في كلية الكاظمي. مجلة العربية ، العدد ١ من منشورات قرية اللغة العربية بأنغالا ٢٠٠٨م. ص ٥٦
- ٣٣- معاذ مُجَّد (الدكتور): الشعر العربي لدى الشباب في مدينة ميدغري. رسالة ماجستير قدمت إلى قسم اللغة العربية بجامعة بايرو - كنو ٢٠٠٢م، غير منشورة. ص ٦٨
- ٣٤- مُجَّد صالح جمال: المتوجات في الشعر العربي البرناوي. رسالة ماجستير قدمت إلى قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية بجامعة ميدغري ٢٠٠٥م غير منشورة. ص ٨٧
- ٣٥- يعقوب يونس موسى: اللغة العربية في مدينة يروا. مجلة اللوح، المجلد ٢ العدد ٢ من منشورات قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية بجامعة ميدغري ٢٠٠٧م. ٩٨

دراسة نحوية صرفية تطبيقية للأسماء الممدودة في القرآن الكريم: كلمة "أولياء" نموذجاً

إعداد:

الدكتور أحمد شيخ موساوا

قسم الدراسات العامة (فرع اللغات)

تقنية حسن عثمان كشنه، ولاية كشنه نيجيريا

ahmadmusawa98@gmail.com

مستخلص:

تُعَدُّ الأسماء الممدودة من ضمن الأسماء التي تمنع من الصرف، وهو كل اسم كان آخره ألف و "ياء" أو "واو" تقع بعد ألف زائدة، أو تقع ألفان للتأنيث فتبدل الثانية همزة، وبمعنى أنها تجرد من التنوين، والكسرة، وأنها ترفع بالضمة، وتنصب بالفتحة، وتجر بالفتحة نيابة عن الكسرة، وهذا هو الشأن في كل اسم من هذا الباب، ما دام أنه مجرد من "أل" والإضافة، هدفت هذه الدراسة إلى إبراز حقيقة الأسماء الممدودة، الواردة في القرآن الكريم، وبأخصها كلمة "أولياء" وتميزها عن غيرها من الأوزان التي تشبه بها، أما المنهج المتبع في البحث هو المنهج الوصفي والاستقرائي والتحليلي، وتوصلت الدراسة إلى عدة نتائج إلى أن في القرآن الكريم أسماء الممدودة الكثيرة الواردة فيها أهمها: ثلاثة فعلاء، وفُعلاء، وأفعلاء. أما فعلاء. منها صَفْرَاءُ: وفُعَلَاءُ. منها شُهَدَاءُ:

وأفعلاً. منها أغنياء:، تُوصي الدراسة بأن يتواصل البحث في نفس الموضوع تطبيقاً على بقية الأسماء الممنوعة من الصرف، الداخلة في القرآن الكريم، أو الأحايث الشريفة، أو نصوص العربية، نثراً كان أو شعراً، عن طريق حثّ الباحثين في مختلف المجالات الدراسية.

مقدمة:

الحمد لله رب العلمين والصلاة والسلام على أفصح العرب لهجةً، وأوجزهم عبارةً وأبلغهم حجّةً، وأعذبهم كلاماً وأعزهم حكماً، وأصدقهم حديثاً، وأعلمهم بلغات قبائل العرب، وأقدرهم على مخاطبة كل قبيلة بلغتها، وعلى آله وصحبه وأزواجه الطاهرين الذين ورثوا العربية كابراً عن كابرٍ إذ يتحدثون بسليقة، وسجية، ومن سلك نهجهم ووالى طريقتهم إلى يوم الدين.

أما بعد؛ فنزول القرآن بلسان عربي مبين إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لم ينف أن تكون رسالته إلى الناس كافة، كما كانت دعوته إلى الخلق عامة، أن الباعث على وضع علم النحو؛ تفشي اللحن وتسرب الكلمات الدخيلة من لغات الأجانب، نتيجة لاختلاط العرب بالموالي، وغيرهم، والأمر الذي أدى إلى شيوع اللحن في الكلام، والخشية من أن يتسرب إلى كتاب الله العزيز، ومن الأبواب التي قام باهتمام القدامى في الاستنباط؛ الباب "ما لا ينصرف" الذي اختلف النحاة فيه، أهو الممنوع

من التنوين، أو الجر بالكسرة، أو كلاهما، وهذا الباب في علم النحو مهم جداً، وفائدته ومكانته كثيرة، وَجَدَ العناية الكاملة عند النحويين، قلَّ أن تجد كتاباً مؤلفاً في النحو، منذ بداية تدوين اللغة وتطورها، نثراً كان أو شعراً، إلا وتجد له حظاً منه، ولأن القرآن جاء بكامل الإعراب، ومن ضمن ما جاء به القرآن الأسماء الممنوعة من الصرف.

وهذه المقالة مشتملة فيها النقاط الآتية بعد المقدمة وهي: مفهوم كلمة الصرف؛ منها الصرف لغة؛ والصرف في الاصطلاح؛ والصرف عند القدامى؛ والصرف عند المحدثين؛ اختلاف المصطلح حول كلمة الصرف؛ اختلاف المصطلح حول تسمية الباب؛ العلل المانعة من الصرف؛ قاعدة الأسماء الممنوعة من الصرف؛ مفهوم ألف التأنيث المدودة؛ كلمة "أولياء" في القرآن كريم؛ ثم الخاتمة ونتائج البحث.

مفهوم كلمة الصرف:

الصرف لغة: رُدُّ الشيء عن وَجْهه، صَرَفَه يَصْرِفُه صَرَفًا فَانصَرَفَ و"صارف" من باب ضرب^(١) أي: صارفَ نَفْسَه عن الشيءِ صَرَفَهَا عنه.

الصرف في الاصطلاح:

والصَّرْفُ عند اصطلاح العلماء: تأتي الكلمة على معان عدة منها: التوبة، والحيلة، والتَّقَلُّبُ، الميل، والْفَضْلُ. ولقد حاول النحاة القدامى

والمحدثون الإتيان بتعريفات مختلفة كلها تقارب المعاني المستقلة المقصودة، والمراد بها كلها التنوين وبعض النحاة يسمى التنوين كله "صرفاً".

أولاً: الصرف عند القدامى:

١ - الصرف عند سيبويه (ت: ١٨٠ هـ) "يعني التنوين لا الجر بالكسرة." (٢)

٢ - وعند أبي العباس المبرد (ت: ٢٨٥ هـ): "إن حق الأسماء أن تعرب جمعاً وتصرفاً، فما امتنع منها من الصرف فلمضارعتة الأفعال؛ لأن الصرف إنما هو التنوين، والأفعال لا تنوين فيها ولا خفض." (٣)

٣ - وأما عند أبي الفتح، عثمان بن جني (ت: ٣٩٢ هـ) قوله: "وتبقي التنوين الذي جاء لمعنى الصرف." (٤)

٤ - وعرفه أبو البركات الأنباري (ت: ٥٧٧ هـ) بقوله: "إن التنوين دخل لمعنى وهو الصرف." (٥)

٥ - وأما ابن مالك (ت: ٦٧٢ هـ) فقد ذكر الصرف في ألفيته بقوله:

الصَّرْفُ تنوينٌ أتى مُبَيَّنًا * مَعْنَى بِهِ يَكُونُ الاسمُ أَمْكَنًا. (٦)

وتابعهم في ذلك علماء في مصنفاتهم وأخص بالذكر منهم: عليُّ المرادي، (ت: ٧٤٩ هـ) صاحب توضيح المقاصد والمسالك بقوله: "الصرف تنوين يبين كون الاسم باقياً على أصلته، أي غير مشابه فعلاً"

ولا حرفاً." وتبعه في ذلك كثير من الشارحين؛ منهم ابن عقيل المصري (ت: ٧٦٩هـ) والأشموني (ت: نحو ٩٠٠ هـ) صاحب شرح الأشموني، ومُجَّد بن مصطفى بن حسن الحضري (ت: ١٢٨٧ هـ) صاحب حاشية الحضري، وغيرها من الشروح.

ثانياً: الصرف عند المحدثين:

١ - الصرف عند عباس حسن (ت: ١٣٩٨هـ): هو "قسم يدخله نوع أصيل من التنوين، لا يدخل غير هذا القسم، ولا يفارقه في حالات إعرابه المختلفة، وإذا ذكرت كلمة "التنوين" خالية من التقييد الذي يبين نوعه كان المقصود: "تنوين الأمكنية" أي "الصرف".^(٧)

٢ - وأما الصرف عند حسين بن أحمد بن عبد الله، المدرس بمعهد تعليم اللغة العربية بالجامعة الإسلامية فهو: "الصَّرْفُ التنوين فالاسم المنصرف، هو: الاسم الذي يُنَوَّن".^(٨)

٣ - وأما الصرف عند حمد بن صالح: فهو التنوين، والاسم المنصرف: الذي يلحقُ الصرفُ آخره، وهو الأصل في الأسماء، ومنه قول الله تعالى: { أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا } {سورة البقرة: الآية ٢٥٩}. فكلمة (قَرْيَةٍ) اسم مخفوض وعلامة خفضه الكسرة، وهو منصرف لِلْحُوقِ التنوين.

اختلاف المصطلح حول كلمة الصرف:

اختلف النحويون في الصرف فذهب المحققون إلى القول "بأنَّ الصرف هو التنوين وحده." وقال آخرون: "هو التنوين والجر." وأما المحققون فاحتجوا بما يلي:

الأول: الصرف "تنوين" فقط كما هو مذهب المحققين، "وأما الجر بالكسر فليس من مسمى الصرف بل تابع له وجوداً وعدمًا لتأخيها في الاختصاص بالاسم المنصرف."

الثاني: "هو من صريف الناب والبكرة والقلم وهو الصوت الذي يكون من هذه الأشياء وعلى هذا يكون الصرف هو "التنوين وحده" لأنه صوت يلحق آخر الاسم."

الثالث: وقد يجاب بأن المراد بالتنوين علامة الصرف أو المتمكن لا نفسه والعلامة لا يجب انعكاسها وهو (التنوين) علامة الأخف والأمكن، والكسر يؤاخيها في الاختصاص بالاسم. واحتج الآخرون بأقوال منها:

أ- أنَّ الصرف من التصريف وهو التقليل والجرُّ زيادة تغيير في الاسم فكان من الصرف.

ب- أنَّ التنوين مُنَع منه هذا الاسم لشبهه بالفعل لكونه من خصائص الأسماء والجرُّ بهذه الصفة فيكون من جملة الصرف."

ج- هو من صرفت الشيء وصرفته إذا ردّته وقلّته في الجهات وعلى هذا يكون، الجرّ من الصرف "إذ به يزيد تقليب الكلمة و الأوّل هو الوجه."

اختلاف المصطلح حول تسمية الباب:

اختلف النحويون حول تسمية هذا الباب حيث بين كل رأي؛ "والمنصرف وغير المنصرف" عبارة البصريين، واصطلاح الكوفيين "المجرى وغير المجرى". "يجري في تعبيرات بعض القدماء استعمال كلمة: "الإجراء" بمعنى "الصرف" و"عدم الإجراء" بمعنى: "منع الصرف". وبعض النحاة يسميها "ما لا يُجرى" ويسمى الأسماء المنونة: "ما يُجرى" فالصرف هنا، والتنوين، والإجراء، اصطلاحات بمعنى واحد: يراد بها التنوين والجر بالكسرة. ومصادق ذلك ما أنتجه كبار علماء المذاهب النحوية في ميدان تأليفهم حيث أيد كل بما سماه مذهبه في تسمية هذا الباب.

العلل المانعة من الصرف

العلل المانعة من الصرف تسع باتفاق العلماء وهي: العدل، والوصف، والتأنيث، والمعرفة، والعجمة، والجمع المتناهي، والتركيب المزجي، والنون الزائدة من قبلها ألف، ووزن الفعل. قال ابن الحاجب: غير المنصرف ما فيه علتان من تسع، أو واحدة منها تقوم "مقامهما، وهي:

عَدْلٌ ووصفٌ وتأنيثٌ ومعرفةٌ * وعُجْمَةٌ ثم جمعٌ ثم تركيبٌ.
والنون زائدةٌ من قَبْلِهَا أَلْفٌ * ووزنُ فعلٍ وهذا القول تقريبٌ.^(٩)

قاعدة الأسماء الممنوعة من الصرف

يُمنَعُ الاسم من الصرف إذا وجد فيه علتان فرعيتان من علل تسع أو واحدة منها تقوم مقامهما، وجميع العلل التي تمنع الاسم من الصرف على ثلاثة أنواع:

١ - ما يُمنَعُ صرفه لعلّة واحدة وهو صيغة منتهى الجموع، وما فيه أَلْفُ التأنيث المقصورة أو الممدودة.

٢ - ما يُمنَعُ صرفه لعلتين؛ العلمية، ومعها علة أخرى، وهي التركيب أو التأنيث أو العجمة.

٣ - ما يُمنَعُ صرفه لعلتين أيضاً؛ العلمية أو الصفة، ومعهما الزيادة أو العدل أو وزن الفعل.

فكلُّ ما ذكرناه من هذه الأسماء، وكذا ما أشبهها، لا يجوز تنوينه، وترفع بالضمّة، وتنصب وتجر بالفتحة نيابة عن الكسرة، أما الاسم الذي ينصرف فتتلخص حركات آخره الظاهرة، أو المقدره في أنه يرفع بضمّة واحدة من غير تنوين، وينصب بفتحة واحدة من غير تنوين، ويجر بفتحة واحدة أيضاً من غير تنوين؛ وذلك إذا لم يضيف ولم يقترب بـ "أل".

شروطه:

ويشترط لخفض الاسم الذي لا ينصرف بالفتحة، أن يكون خالياً من "أل" وألاً يُضافَ إلي اسم بعده، وإذا دخلت عليه الألف واللام كان جرُّه بالكسرة الظاهرة، ولا فرق بين أن تكون "أل" معرفة، أو موصولة، أو زائدة؛ لأن "أل" بمختلف أنواعها من خواصِّ الأسماء، وكذلك إذا أضيفت انصرف،

مفهوم ألف التانيث المدودة

الممدود ما كان آخره ألف و "ياء" أو "واو" تقع بعد ألف زائدة، أو تقع ألفان للتانيث فتبدل الثانية همزةً، لأنه إذا التقت ألفان فلا بد من حذف أو تحريك، "فأما ما كان غير مؤنث، فهمزته أصلية أو منقلبة من ياءٍ أو واو بعد ألف زائدة." والممدود هو المختص بمد الصوت في آخره، وسميت ممدودة لامتداد الصوت بها، وذكر القدماء: منهم سيويوه،^(١٠) أنها في الأصل مقصورة، وكلنها دخلت على آخره ألف، فاجتمع ألفان، وتعذر إخراجهما في النطق، فقلبوا الألف الثانية همزة، ودليل على ذلك أنها تسقط في الجمع مثل: صَحْرَاءُ، وَصَحَارَى. وَعَذْرَاءُ وَعَذَارَى^(١١) فإن كان قبل آخره ألفٌ غير زائدة فليس باسمٍ ممدودٍ، مثل "الماء والداء". فهذه الألفُ ليست زائدة، وإنما هي منقلبة. "والاصل "مَوءَ وَدَوءَ". بدليل جمعهما على "أمواء وأدواء".^(١٢)

- أنواعه: وأما الممدودُ المعروفُ من جهةِ القياسِ وهمزتهُ على أربعةِ أوجه:
- ١- إمَّا أن تكون أصليةً، كقُرَّاءٍ، ووُضَّاءٍ لأنهما من "قرأً ووُضُوًّا".
 - ٢- وإمَّا أن تكون مُبدلةً من واو أو ياء. فالمبدلةُ من الواو مثل "سَمَاءٍ وعدَّاءٍ" وأصلهما "سَمَاؤُ وعدَّاءُ" لأنهما من "سما يسمو، وعدا يعدو". والمبدلةُ من الياء، مثل "بَنَاءٍ ومَشَّاءٍ"، وأصلهما "بِنَّايٍ ومَشَّايٍ" لأنهما من "بني يَبي، ومشى ويمشي".
 - ٣- وإمَّا أن تكون مزيدةً للتأنيث كحسَناءَ وحمراءَ، لأنهما من الحُسْنِ والحُمرةِ.

٤- وإمَّا أن تكون مزيدةً للإلحاق كحِرباءٍ وقوباءٍ. (١٣)

والممدودُ قسمان قياسيٌّ؛ وسماعيٌّ.

- ١- الاسمُ الممدودُ القياسيُّ: "ممدودٌ يكون له وزن قياسي". كأن يكون له نظير من الصحيح يجب قبل آخره ألف، وهذا النوع ممدود بقياس. "وهذا من اختصاص النحوي، فالقياسي يصاغ على أشكال متنوعة." وفيه سبعة أنواع من الأسماء المعتلَّة الآخر. (١٤)
- ٢- الاسمُ الممدودُ السَّماعيُّ؛ وسماعي، وهو من اختصاص اللغوي، أما الممدود السماعي فينطبق عليه اسم الممدود، ولا تنطبق عليه الضوابط السالفة التي من أهمها: وجود نظير له من الصحيح؛ يكون في غير هذه المواضع السبعة مما وردَ ممدوداً، فَيُحَقِّقُ ولا يُقاسُ عليه، وذلك

مثل "الفتاءِ والسَّنَاءِ والعَنَاءِ والثَّرَاءِ". (الفتاء؛ بمعنى: حداثة السن، والثَّرَاء؛ بمعنى: الغنى، والسَّنَاء؛ بمعنى: الشرف.)^(١٥) وأشار إليها ابن مالك بيت واحد:

وَالْعَادِمُ النَّظِيرُ ذَا قَصْرٍ وَذَا * مَدَّ بِنَقْلِ كَالْحِجَا وَكَالْحِذَا. (١٦)

والمراد بالنقل: السماع "الحذا: الحذاء".

أوزان الممدود: وأما الممدودة في سبعة عشر وزناً وهي: "فَعْلَاءَ:"
فَعْلَاءَ:" فُعْلَاءَ:" أَفْعَلَاءَ:" أَفْعَلَاءَ:" فَعْلَلَاءَ:" (فُعْلَلَاءَ:" فِعْلَلَاءَ:"
فُعْلِيَاءَ:" فَعْوَلَاءَ:" مَفْعُولَاءَ:" مَفْعُولَاءَ:" فِعَالَاءَ:" يَفَاعِلَاءَ:" فَاعِلَاءَ:"
(فَاعِلَاءَ:" فَاعِلَاءَ:" فُعْلِيَاءَ:" فُنْعَلَاءَ:" فُنْعَلَاءَ:" (١٧)

كلمة "أَوْلِيَاءَ" في القرآن كريم

وكلمة أَوْلِيَاءَ، جمع "وَلِيٍّ" وزنه "فَعِيلٌ"، وهي صفة مشبهة على غير القياس، مأخوذة من الرباعيِّ "وَالِيٌّ"، وقولك: "وَلِيٌّ" اجتمعت فيها ياء فعيل مع لام الكلمة فشددت، وقد يكون من صيغ المبالغة لأن فعله متعد، فكلمة أَوْلِيَاءَ وزنها "أَفْعَلَاءَ" وهو نائب عن "فُعْلَاءَ" في فَعِيلٍ، إذا اعتلال اللام، أي: لامها معتلة: ومثلها قولك: "أَنْبِيَاءَ نَبِيٍّ، و"أَعْنِيَاءَ غَنِيٍّ"، و"أَوْلِيَاءَ وُلِيٍّ".

أَوْلِيَاءَ: من وُلِيٍّ: والوَلِيُّ: من أسماء الله تعالى، هو الناصِرُ وقيل: المتوَلِّيُّ لأُمُورِ العَالَمِ، والخلائق، القائمُ بها، وهو مالِكُ الأَشْيَاءِ جميعها

المْتَصِرْفُ فيها،^(١٨) وقد يطلق "الْوَلِيُّ" أيضاً؛ على المعتق، والعتيق، وابن العم والناصر، وحافظ النسب، والصديق، وكلّ من ولي أمر أحد، فهو وليه، ذكراً كان، أو أنثى، وقد يؤنث بالهاء فيقال هي "وَلِيَّةٌ"، ويجمع على "أولياء"، وفي قول بعض بني عقيل يقول: هن "وَلِيَّاتُ" الله، وعدوات الله، و"أَوْلِيَاؤُهُ"، وأعداؤه.^(١٩) ووردت سبع وعشرون (٢٧) مرة وهي كما يلي:

١- { لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ }

[سورة آل عمران: الآية، ٢٨].

وقوله: { لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ } { لَا يَتَّخِذِ }، على النهي، إنما كسرت الذال "يَتَّخِذِ" لأنها مجزوم للنهي، وحركت لاجتماع الساكنين، وقرأ الضبي: برفع الذال على النفي، والمراد به النهي، قال أبو البقاء وغيره: أجاز الكسائي فيه الرفع، - كقراءة الضبي-، على الخبر، والمعنى: "لا ينبغي"، وهذا موافق لما قاله الفراء، وظاهر الآية تقتضي النهي عن موالاتهم، قال الزجاج: ولو رفع على الخبر لجاز، "لأن معنى النهي ومعنى الخبر يتقاربان،^(٢٠) ويجوز أن يكون "يتخذ" متعدياً لواحد، فيكون "أَوْلِيَاءَ" حالاً، وأن يكون متعدياً لاثنين، وأولياء هو الثاني. وقوله: { مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ } فيه وجهان: أظهرهما: أن "مِنْ" لا ابتداء الغاية، وهي متعلقة بفعل "الاتخاذ"، والثاني: - أجاز أبو

البقاء - أن يكون في موضع نصب، صفة لـ "أولياء" فعلى هذا يتعلق
بمحذوف. (٢١)

وإعراب قوله: { لا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ
الْمُؤْمِنِينَ } (لا) ناهية جازمة، و(يَتَّخِذُ) فعل مضارع مجزوم بلا، وحرّك
بالكسر لالتقاء الساكنين، و(المؤمنون) فاعل مرفوع وعلامة الرفع الواو،
و(الكافرين) مفعول به أول، منصوب وعلامة النصب الياء، و(أولياء)
مفعول به ثانٍ منصوب وهو ممنوع من التنوين، لأنه ملحق بالأسماء
المنتهية بألف التانيث الممدودة، على وزن أفعلاء، و(من) حرف جرّ،
و(دون) ظرف مجرور بحرف جرّ، وجملة (من دون) جارّ ومجرور متعلّقان
بمحذوف نعت لأولياء، أو بمحذوف حال من المؤمنين، أي: متجاوزين
موالاة المؤمنين، ويجوز أن يتعلّقان بفعل "يَتَّخِذُ"، و"من" لا ابتداء الغاية،
و(المؤمنين) مضاف إليه مجرور وعلامة الجرّ الياء.

وكلمة أَوْلِيَاءَ: جاءت منصوبة على مفعول به ثانٍ، وهي منصوبة
بافتحة الظاهرة، منعت من التنوين لأنها ممدودة، ولكونها المنتهية بألف
التانيث الممدودة على وزن "أَفْعَلَاءَ"، وهي ممنوعة من الصرف (تمنع من
الصرف لعلّة واحدة) لختامها بألف التانيث الممدودة.

ب - { وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا
مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّى يُهَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ } [سورة النساء: الآية، ٨٩].

أُولِيَاءَ: سبق تعريف الكلمة في سورة آل عمران: الآية، ٢٨ .
قوله: {فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أُولِيَاءَ} جملة "فلا تتخذوا" مستأنفة،
و"الفاء" جواب شرط محذوف، وجمع "أولياء" لمراعاة جمع المخاطبين،
فإن المراد نهي ان يتخذ واحد من المخاطبين ولياً واحداً منهم، أى: إذا
كان حالهم ما ذكر من ودادة كفركم، فلا توالوهم. (٢٢)

وإعراب قوله: {فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أُولِيَاءَ} (الفاء) فصيحة، ورابطة لجواب شرط مقدر،
أى: إذا كانت هذه حالهم - وهي ودادة كفركم - فلا توالوهم، و(لا) ناهية جازمة،
و(تتخذوا) فعل مضارع مجزوم بلا الناهية، وعلامة الجزم حذف النون، و(الواو) فاعل،
و(من) حرف جر، و(هم) ضمير في محل جر، وجملة (منهم) متعلقان بـ "تتخذوا"، على
أنه مفعول به ثان، أو بمحذوف حال من أولياء، إن جعل متعدياً لواحد، و(أولياء)
مفعول به أول منصوب. أو (منهم) على أنه مفعول به أول، و(أولياء) مفعول به ثان.

وكلمة **أُولِيَاءَ:** جاءت منصوبة على مفعول به أول، أو ثان، وهي
منصوبة بالفتحة الظاهرة، منعت من التنوين لأنها ممدودة، ولكونها
المنتهية بألف التأنيث الممدودة على وزن "أَفْعِلَاءَ"، وهي ممنوعة من
الصرف (تمنع من الصرف لعله واحدة) لختامها بألف التأنيث الممدودة.

ت - {الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أُولِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ} [سورة

النساء: الآية، ١٣٩.]

أُولِيَاءَ: سبق تعريف الكلمة في سورة آل عمران: الآية، ٢٨ .

وقوله: { الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ } نصب "الَّذِينَ" على الذم، بمعنى أريد الذين، أو رفع بحذف المبتدأ، أي: بمعنى "هم" الذين. (٢٣)

وإعراب قوله: { الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ } (الذين) اسم موصول مبني في محل نصب، نعت للمنافقين في الآية السابقة، أو منصوب على الذم، لأنهم يوالون اليهود، أو هو خبر لمبتدأ محذوف تقديره "هُم"، و(يتخذون) فعل مضارع مرفوع، والواو فاعل، أو صلة الموصول، و(الواو) فاعل، و(الكافرين) مفعول به أول منصوب، وعلامة النصب الياء، و(أولياء) مفعول به ثان منصوب، وهو ممنوع من التنوين لأن على وزنه أفعلاء، و(من) حرف جرّ، و(دون) ظرف مجرور بحرف جرّ، وجملة (من دون) جار ومجرور متعلقان بـ "أولياء"، صفة لها، أو بمحذوف حال من فاعل يتخذ أي: يتخذون الكافرين أولياء متجاوزين في اتخاذهم اتخاذ المؤمنين، و(المؤمنين) مضاف إليه مجرور وعلامة الجر الياء.

وكلمة أَوْلِيَاءَ: جاءت منصوبة على مفعول به ثان، وهي منصوبة بالفتحة الظاهرة، منعت من التنوين لأنها ممدودة، ولكونها المنتهية بألف التأنيث الممدودة على وزن "أَفْعَلَاءَ"، وهي ممنوعة من الصرف (تمنع من الصرف لعلة واحدة) لختامها بألف التأنيث الممدودة.

ث - { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ
الْمُؤْمِنِينَ } [سورة النساء: الآية، ١٤٤].

أَوْلِيَاءَ: سبق تعريف الكلمة في سورة آل عمران: الآية، ٢٨.
وقوله: { لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ } مفعولان أي:
"لا تجعلوا خاصتكم وبطانتكم منهم"، في المراد بـ "الكافرين"، قولان؛
أحدهما: اليهود قاله ابن عباس، والثاني: المنافقون قال الزجاج، ومعنى
الآية: لا تجعلوهم بطانتكم وخاصتكم، قوله: "من دون المؤمنين"؛ حال
من فاعل "لا تتخذوا".^(٢٤)

وإعراب قوله: { لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ } (لا)
ناهية، وجازمة، و(تتخذوا) فعل مضارع مجزوم بلا، وعلامة الجزم حذف
النون، و(الواو) فاعل، و(الكافرين) مفعول به أول منصوب، وعلامة
النصب الياء، و(أولياء) مفعول به ثان منصوب، و(من) حرف جرّ،
و(دون) ظرف مجرور بحرف جرّ، وجملة (من دون) جار ومجرور متعلّقان
بمحذوف صفة لـ "أولياء"، أو بمحذوف حال من الضمير المستكن في
أولياء، أو من فاعل "تتخذوا"، كما سبق، و(المؤمنين) مضاف إليه
مجرور وعلامة الجرّ الياء.

وكلمة أَوْلِيَاءَ: جاءت منصوبة على مفعول به ثان، وهي منصوبة
بافتحة الظاهرة، منعت من التنوين لأنها ممدودة، ولكونها المنتهية بألف

التأنيث الممدودة على وزن "أفعلاء"، وهي ممنوعة من الصرف (تمنع من الصرف لعلة واحدة) لختامها بألف التأنيث الممدودة.

ج- { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ } [المائدة: الآية، ٥١].

أولياء: سبق تعريف الكلمة في سورة آل عمران: الآية، ٢٨.

وقوله: { لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ } قوله تعالى: { الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ } مفعولان لـ "تتخذوا"؛ وقوله: { بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ } مُبْتَدَأٌ وَخَبْرٌ، وهذه الجُمْلَةُ لا محلَّ لها؛ لأنها مُسْتَأْنَفَةٌ، وسيقتُ تعليلاً للتَّهْيِي المتقدِّم، وزعم الحوفيُّ أنها في محلِّ نصب نعتاً لـ "أولياء"، والأوَّل هو الظَّاهر، والضَّمير في "بَعْضِهِمْ" يعود على اليهود، والنَّصارى، على سبيل الإجمال. (٢٥)

وإعراب قوله: { لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءَ بَعْضٍ } (لا) ناهية، وجازمة، (تتخذوا) فعل مضارع مجزوم بـ "لا"، وعلامة الجزم حذف النون، و(الواو) فاعل، و(اليهود) مفعول به أوَّل منصوب، و(النصارى) معطوف على اليهود، بالواو منصوب مثله، وعلامة النصب الفتحة المقدَّرة على الألف، و(أولياء) مفعول به ثانٍ منصوب، و(بعض) مبتدأ مرفوع، و(هم) ضمير مضاف إليه، و(أولياء) مضاف خبر مرفوع، و(بعض) مضاف إليه مجرور.

وكلمة **أَوْلِيَاءَ**: جاءت منصوبة على مفعول به ثان، وهي منصوبة بالفتحة الظاهرة، منعت من التنوين لأنها ممدودة، ولكونها المنتهية بألف التانيث الممدودة على وزن "أَفْعَلَاءَ"، وهي ممنوعة من الصرف (تمنع من الصرف لعدة واحدة) لختامها بألف التانيث الممدودة.

ح- {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُؤًا
وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكَفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ
إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} { آل عمران: الآية، ٢٨ }

أَوْلِيَاءَ: سبق تعريف الكلمة في سورة آل عمران: الآية، ٢٨.

وقوله: {مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكَفَّارَ أَوْلِيَاءَ} فأعاد النهي عن اتخاذ اليهود، والنصارى، والكفار، أولياء، ولا شك أن الولاية المنهي عنها، هي الولاية بمعنى النصرة، النهي العام عن موالاته جميع وقراء {الْكَفَّارَ}، بالخفض، بمعنى: "ومن الكفار"، قال الكسائي: وفي حرف أَبِي اللَّهِ {وَمِنَ الْكَفَّارِ}، و{مِنَ} ههنا لبيان الجنس؛ والنصب أوضح وأبين، قاله النحاس. وقيل: هو معطوف على أقرب العاملين منه وهو قوله: {مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ}. (٢٦)

وإعراب قوله: {مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكَفَّارَ أَوْلِيَاءَ} (من) حرف جرّ، و(الذين) اسم موصول مبني في محلّ نصب مجرور بـ

"من"، وجملة (من الذين) جار ومجرور متعلقان بمحذوف، حال من الموصول الأول، أو من فاعل "اتخذوا"، وجملة أوتوا صلة، و(أوتوا) فعل ماض مبني على الضمّ، مبني للمجهول، و(الواو) نائب فاعل، و(الكتاب) مفعول به منصوب، (من) حرف جرّ، و(قبل) مجرور به "من"، وهو مضاف، و(كم) ضمير مبني في محلّ جر مضاف إليه، وجملة (من قبلكم) جارّ ومجرور متعلقان بـ "أوتوا"، و(الواو) عاطفة، و(الكفار) معطوف على الموصول الثاني، تبعه في حالة النصب، و(أولياء) مفعول به ثان عاملة "تتخذوا"، منصوب، وهو ممنوع من التنوين لأنه ملحق بالاسم الممدود على وزن أفعلاء.

وكلمة أولياء: جاءت منصوبة على مفعول به ثان، وهي منصوبة بالفتحة الظاهرة، منعت من التنوين لأنها ممدودة، ولكونها المنتهية بألف التأنيث الممدودة على وزن "أفعلاء"، وهي ممنوعة من الصرف (تمنع من الصرف لعلّة واحدة) لختامها بألف التأنيث الممدودة.

خ- {وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَاسِقُونَ} [سورة المائدة: الآية، ٨١].

أولياء: سبق تعريف الكلمة في سورة آل عمران: الآية، ٢٨.

وقوله: {وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ} "أي: لو كان إيمان المنافقين حقيقة ما اتخذوا اليهود أولياء في العون والنصرة" وكذلك

الضمير المنصوب في "اتَّخَذُوهُمْ" ، والضمير المرفوع في "اتَّخَذُوهُمْ" يعود على اليهود، { مَا اتَّخَذُوهُمْ } يَعْنِي الْكُفَّارَ. (٢٧)

وإعراب قوله: { وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ } (الواو) عاطفة، و(ما) اسم موصول مبني في محلّ جرّ، معطوف على لفظ الجلالة، و(أنزل) فعل ماض مبني للمجهول، ونائب الفاعل ضمير مستتر تقديره "هو"، و(إلى) حرف جرّ، و(الهاء) ضمير في محلّ جرّ، مجرور بحرف جرّ، وجملة (إليه) جار ومجرور متعلّقان بفعل "أنزل"، و(ما) نافية، و(اتَّخَذُوا) فعل ماض، و(الواو) فاعله، و(هم) ضمير مفعول به أوّل، جملة (ما اتَّخَذُوهُمْ) جواب الشرط، و(أولياء) مفعول به ثان منصوب لفعل "اتخذ".

وكلمة أَوْلِيَاءَ: جاءت منصوبة على مفعول به ثان، وهي منصوبة بالفتحة الظاهرة، منعت من التنوين لأنها ممدودة، ولكونها المنتهية بألف التأنيث الممدودة على وزن "أَفْعَلَاءَ"، وهي ممنوعة من الصرف (تمنع من الصرف لعلة واحدة) لختامها بألف التأنيث الممدودة.

د - { اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مَن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ } [سورة الأعراف: الآية، ٣.]

ذ - { قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِّن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ } [الرعد: الآية، ١٦.]

- ر- {أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى} [سورة الزمر: الآية، ٣].
- ز - {وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ} [سورة الشورى: الآية، ٦].
- س - {أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [الشورى: الآية، ٩].
- ش - {وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ} [سورة الأحقاف: الآية، ٣٢].

أَوْلِيَاءَ: سبق تعريف الكلمة في سورة آل عمران: الآية، ٢٨.

أما قوله: {مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ} في ست آيات، والجارّ والمجرور {مِنْ دُونِهِ} في ثلاث آيات (في الأعراف، والرعد، والأحقاف) متعلقان بحال من "أولياء"، وفي ثلاث آيات أخرى (في الزمر، وآيتين في الشورى)، متعلقان بالمفعول الثاني "أولياء"، و{أَوْلِيَاءَ}، في الثلاث الأولى على مفعول به ولم ينصرف لأن فيه ألف التانيث، أي لا تعبدوا معه غيره، وفي الثلاث الثانية يتعد لفعل "اتخذوا"، على المفعول الثاني، ولم ينصرف أيضاً. ^(٢٨) وقوله: "مِنْ دُونِهِ" يَجُوزُ أَنْ يَتَعَلَّقَ بِالْفِعْلِ قَبْلَهُ، أَوْ يَجُوزُ أَنْ يَتَعَلَّقَ بِمَحذُوفٍ؛ لِأَنَّهُ كَانَ فِي الْأَصْلِ صِفَةً لـ "أولياء" فَلَمَّا تَقَدَّمَ نُصِبَ حَالًا، وَالضَّمِيرُ فِي "دُونِهِ" يَعُودُ

على "الله" ولذلك قال الرَّخْشَرِيُّ "مِنْ دُونِ اللَّهِ"، وَيُجُوزُ أَنْ يَعُودَ عَلَى "مَا" الْمُوصُولَةِ، (بمعنى: ما سوى الله، داعي الله، كتاب الله)، وَأَنْ يَعُودَ عَلَى الْكِتَابِ الْمُنَزَّلِ، وَالْمَعْنَى: لَا تَعْدِلُوا عَنْهُ إِلَى الْكُتُبِ الْمَنَسُوحَةِ. (٢٩)

وإعراب قوله: {مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ} (من) حرف جر، و(دون) مجرور بـ "من"، وهو مضاف، و(الهاء) ضمير مضاف إليه، وجملة (من دونه) جارٌّ ومجرور متعلقان بمحذوف حال من أولياء، - نعت تقدم على المنعوت-، و(أولياء) مفعول به منصوب.

وكلمة أَوْلِيَاءَ: جاءت منصوبة على مفعول به الأول في بعض الآيات، وعلى المفعول به الثاني، في الآيات الأخرى، وهي منصوبة بالفتحة الظاهرة، منعت من التنوين لأنها ممدودة، ولكونها المنتهية بألف التأنيث الممدودة على وزن "أَفْعَلَاءَ"، وهي ممنوعة من الصرف (تمنع من الصرف لعلة واحدة) لختامها بألف التأنيث الممدودة.

ص- {إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ} [سورة

الأعراف: الآية، ٢٧].

أَوْلِيَاءَ: سبق تعريف الكلمة في سورة آل عمران: الآية، ٢٨.

وقوله: {إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ} {يحتمل أن يكون "جعل" بمعنى "صَيَّرَ"، أي: صَيَّرْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ، وقال الزجاج: سَلَّطَ، سَلَّطْنَاهُمْ عَلَيْهِمْ، وقيل: جعلناهم قرناء لهم، وقال الرَّهْرَاوِيُّ

"جعل" هنا بمعنى "وصف" وهذا لا يعرف في جعل وكأنه فراراً من إسناد جعل الشياطين أولياء لغير المؤمنين إلى الله تعالى وكأنها نزعة اعتزالية. وقال الزمخشري : خلينا بينهم وبينهم لم نكفهم عنهم حتى نولوهم وأطاعوهم فيما سولوا لهم من الكفر والمعاصي وهذا تحذير آخر أبلغ من الأول، وهو على طريقة الاعتزال. (٣٠)

و"للَّذِينَ" متعلّقة بـ "أولياء"؛ لأنه في معنى الفعل، ويجوز أن يتعلّق بمحذوف؛ لأنّه صفة لـ "أولياء". والمراد بـ "أولياء" معنى "أولياء"، أي: أعواناً وقرناء للَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ. (٣١)

وإعراب قوله: { إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ } (إِنَّا) مثل أنّه (جعلنا) فعل ماض مبني على السكون، و(نا) فاعل، و(الشياطين) مفعول به أول منصوب، و(أولياء) مفعول به ثان منصوب، منع من التنوين لأنه ملحق بالاسم المنتهي بألف التانيث الممدودة، و(اللام) حرف جرّ، و(الذين) اسم موصول مبني في محلّ جرّ، وجملة (للذين) جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لأولياء، و(لا) نافية، و(يؤمنون) مضارع مرفوع وعلامة الرفع ثبوت النون، و(الواو) فاعل، وجملة لا يؤمنون صلة الموصول.

وكلمة أَوْلِيَاءَ: جاءت منصوبة على المفعول به الثاني، وهي منصوبة بالفتحة الظاهرة، منعت من التنوين لأنها ممدودة، ولكونها المنتهية بألف

التأنيث الممدودة على وزن "أفْعَلَاء"، وهي ممنوعة من الصرف (تمنع من الصرف لعدة واحدة) لختامها بألف التأنيث الممدودة.

ض- {فَرِيقًا هَدَى وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنََّّهُمْ مُهْتَدُونَ (٣٠)}
[الأعراف: الآية، ٣٠.]

أَوْلِيَاءَ: سبق تعريف الكلمة في سورة آل عمران: الآية، ٢٨.

وقوله: {إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ} "إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا" جار مجرى التعليل، من حيث المعنى، لخذلانهم، وبفتح الهمزة، إن كان استثناءً لفظاً، وتحقيقاً لضلالهم. (٣٢)

وإعراب قوله: {إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ} (إنَّ) حرف مشبّه بالفعل - ناسخ-، و(هم) ضمير في محلّ نصب اسم "إنَّ"، و(اتَّخَذُوا) فعل ماضي مبني على الرفع لاتصاله بواو الجماعة، و(الواو) الفاعل، و(الشياطين) مفعول به أول، وعلامة نصبه الياء، و(أولياء) مفعول به ثان منصوب ومنع من التنوين لأنه ملحق بالاسم المنتهي بألف التأنيث الممدودة، و(من) حرف جرّ، و(دون) مجرور بحرف جرّ وهو مضاف، وجملة (من دون) جارّ ومجرور متعلّقان بمحذوف حال، أو بنعت لأولياء، و(الله) لفظ الجلالة مضاف إليه مجرور.

وكلمة **أَوْلِيَاءَ**: جاءت منصوبة على المفعول به الثاني، وهي منصوبة بالفتحة الظاهرة، منعت من التنوين لأنها ممدودة، ولكونها المنتهية بألف التأنيث الممدودة على وزن "أَفْعَلَاءَ"، وهي ممنوعة من الصرف (تمنع من الصرف لعدة واحدة) لختامها بألف التأنيث الممدودة.

ط- {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ} [التوبة: الآية، ٢٣].

أَوْلِيَاءَ: سبق تعريف الكلمة في سورة آل عمران: الآية، ٢٨.

وقوله: { لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ } والجمله استئنافية مسوقة للرد على ما قالوه بعد ما أمر الله تعالى بالتبري من المشركين، فقد قالوا: كيف يمكن أن يقاطع الرجل أباه وأخاه وابنه، فرد الله عليهم بذلك، أي أن مقاطعة الرجل أهله في الدين واجبة فالمؤمن لا يوالي الكافر وإن كان أباه وأخاه وابنه. (٣٣)

وإعراب قوله: { لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ } (لا) ناهية، وجازمة، و(تتخذوا) فعل مضارع مجزوم وعلامة الجزم حذف النون، و(الواو) فاعل، و(آباء) مفعول به أول منصوب، وهو مضاف، و(كم) ضمير مضاف إليه، و(الواو) عاطفة، و(إخوانكم) معطوف على آباء، وهو مضاف، و(كم) ضمير مضاف إليه، و(أولياء) مفعول به ثان منصوب.

وكلمة **أَوْلِيَاءَ**: جاءت منصوبة على المفعول به الثاني، وهي منصوبة بالفتحة الظاهرة، منعت من التنوين لأنها ممدودة، ولكونها المنتهية بألف التانيث الممدودة على وزن "أَفْعَلَاءَ"، وهي ممنوعة من الصرف (تمنع من الصرف لعدة واحدة) لختامها بألف التانيث الممدودة.

ظ - { وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ }

[سورة هود: الآية، ٢٠].

أَوْلِيَاءَ: سبق تعريف الكلمة في سورة آل عمران: الآية، ٢٨.

وقوله: { وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ } والجملة معطوفة على "لم يكونوا" في محل رفع، قيل: "ما" بمعنى الذي، و"من" في قوله: {مِنْ أَوْلِيَاءَ} زائدة، تقديره: أولئك لم يكونوا معجزين، لا هم، ولا الذين كانوا لهم من أولياء من دون الله؛ وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما. (٣٤)

وإعراب قوله: { وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ } (الواو) عاطفة، و(ما) نافية، و(كان) فعل ماض ناقص - ناسخ-، و(اللام) حرف جرّ، و(هم) ضمير في محلّ جرّ متعلّق بمحذوف خبر كان، و(من) حرف جرّ، و(دون) مجرور بحرف جرّ، وجملة (من دون) جارّ ومجرور، حال من أولياء، و(الله) لفظ الجلالة مضاف إليه مجرور، و(من) حرف جرّ زائد، و(أولياء) مجرور لفظاً مرفوع محلاً اسم كان مؤخّر،

وعلامة الجرّ الفتحة فهو ممنوع من الصرف، لاسم ختم بألف التانيث الممدودة على وزن أفعلاء.

وكلمة **أَوْلِيَاءَ**: جاءت مجرورة لفظاً مرفوع محلاً اسم كان مؤخر، وعلامة جره الفتحة نيابة عن الكسرة، وهي ممدودة، لكونها المنتهية بألف التانيث الممدودة على وزن "أفعلاء"، وهي ممنوعة من الصرف (تمنع من الصرف لعلة واحدة) لختامها بألف التانيث الممدودة.

ع - { **وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصِرُونَ** } [سورة هود: الآية، ١١٣].

أَوْلِيَاءَ: سبق تعريف الكلمة في سورة آل عمران: الآية، ٢٨.

وقوله: { **وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ** } والجمله معطوفة على جملة "لم يكونوا" في محل رفع حال من قوله: { **فَتَمَسَّكُمُ** } أي: لا تجدون من يسعى لما ينفعكم، فتمسكم النار وأنتم على هذه الحال، ومعناه: وما لكم من دون الله من أنصار، يقدرون على منعكم من عذابه، لا يقدر على منعكم من غيره. (٣٥)

وإعراب قوله: { **وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ** } (الواو) واو الحال، و(ما) نافية، و(اللام) حرف جرّ، و(كم) ضمير في محلّ جرّ، متعلق بخبر مقدّم، و(من) حرف جرّ، و(دون) مجرور بحرف جرّ، وجملة (من دون) جارّ ومجرور حال من أولياء، و(الله) لفظ الجلالة مضاف إليه

مجرور، و(من) حرف جرّ زائد، و(أولياء) مجرور لفظاً مرفوع محلاً مبتدأ مؤخر، وعلامة الجرّ الفتحة فهو ممنوع من الصرف، لاسم ختمه بألف التأنيث الممدودة على وزن أفعلاء.

وكلمة **أَوْلِيَاءَ**: جاءت مجرورة لفظاً مرفوع محلاً لأنه مبتدأ مؤخر، وعلامة جره الفتحة نيابة عن الكسرة، وهي ممدودة، لكونها المنتهية بألف التأنيث الممدودة على وزن "أفعلاء"، وهي ممنوعة من الصرف (تمنع من الصرف لعله واحدة) لختامها بألف التأنيث الممدودة.

غ - {وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ} [سورة الإسراء: الآية، ٩٧].

أَوْلِيَاءَ: سبق تعريف الكلمة في سورة آل عمران: الآية، ٢٨.

وقوله: { فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ } وجمع "الأولياء" باعتبار مقابلة الجمع بالجمع، أي: لن تجد لكل واحد ولياً، ولا لجماعته ولياً، كما يقال: ركب القوم دوابهم. و{من دونه} أي غيره.^(٣٦)

وإعراب قوله: { فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ } (الفاء) رابطة لجواب الشرط، و(لن) حرف نفي ونصب، و(تجد) فعل مضارع منصوب، والفاعل تقديره "أنت"، و(اللام) حرف جرّ، و(هم) ضمير في محلّ جرّ، وجملة (هَمْ) جار ومجرور متعلّقان بمفعول ثانٍ مقدر، و(أولياء) مفعول به منصوب، ومنع من التنوين لانتهاؤه بألف التأنيث الممدودة على وزن

أفعلاء، و(من) حرف جرّ، و(دون) مجرور بحرف جر، و(الهاء) ضمير في محل الحر مضاف إليه، وجملة (من دونه) جارّ ومجرور متعلّق بنعت لأولياء، أو حال له، و(الهاء) مضاف إليه.

وكلمة أولياء: جاءت منصوبة على المفعول به، وهي منصوبة بالفتحة الظاهرة، منعت من التنوين لأنها ممدودة، ولكونها المنتهية بألف التأنيث الممدودة على وزن "أفعلاء"، وهي ممنوعة من الصرف (تمنع من الصرف لعلة واحدة) لختامها بألف التأنيث الممدودة.

ف- { أَفْتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا } [الكهف: الآية، ٥٠].

أولياء: سبق تعريف الكلمة في سورة آل عمران: الآية، ٢٨.

وقوله: { أَفْتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي } { أَفْتَتَّخِذُونَهُ } والهاء هنا وفيما سيأتي {وذريته لإبليس، والهمزة للإنكار، والتعجب، أي: يفسق باستحقاقكم فنطرده لأجلكم، فيكون ذلك سبباً لأن تتخذوه، {وذريته} شركاء لي.

{ أولياء } لكم، { من دوني } تطيعونهم بدل طاعتي، وقوله تعالى: {وهم لكم عدوٌّ} أي: أعداء حال. (٣٧)

وإعراب قوله: { أَفْتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي } (الهمزة) للاستفهام الإنكاري التعجبي، و(الفاء) استئنافية - أو عاطفة -،

و(تتخذون) فعل مضارع مرفوع، و(الواو) فاعل، و(الهاء) ضمير، مفعول به، و(الواو) عاطفة، و(ذريّة) معطوف على الضمير الغائب المفعول "الهاء"، و(الهاء) مضاف إليه، وجملة (وذريته) اسم معطوف على الهاء، و(أولياء) مفعول به ثان منصوب، و(من) حرف جرّ، و(دون) مجرور بحرف جرّ، وهو مضاف، و(الياء) ضمير في محل الحر مضاف إليه، وجملة (من ذوي) جارّ ومجرور متعلّقان بنعت ل أولياء، أو بتتخذونه.

وكلمة أولياء: جاءت منصوبة على المفعول به الثاني، وهي منصوبة بالفتحة الظاهرة، منعت من التنوين لأنها ممدودة، ولكونها المنتهية بألف التانيث الممدودة على وزن "أفعلاء"، وهي ممنوعة من الصرف (تمنع من الصرف لعلة واحدة) لختامها بألف التانيث الممدودة.

ق - {أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ ذُوِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا} [الكهف: الآية، ١٠٢].

أولياء: سبق تعريف الكلمة في سورة آل عمران: الآية، ٢٨. وقوله: {أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ ذُوِي أَوْلِيَاءَ} {أَنْ يَتَّخِذُوا} سادّ مسدّ المفعولين، على الابتداء، والخبر "أَنْ" وما في حيزها، والمعنى: أفكافيهم، وحسيبهم أن يتخذوا كذا وكذا. (٣٨)

و{أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي} في هؤلاء العباد ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم الشياطين قاله ابن عباس، والثاني: الأصنام قاله مقاتل، والثالث:

الملائكة، والمسيح، وعزير، وسائر المعبودات من دونه، قاله أبو سليمان الدمشقي، وجواب الاستفهام في هذه الآية محذوف وفي تقديره قولان؛ أحدهما: أفحسبوا أن يتخذوهم أولياء؟ كلا بل هم أعداء لهم يتبرؤون منهم، والثاني: أن يتخذوهم أولياء ولا أغضب، ولا أعاقبهم.^(٣٩)

وإعراب قوله: {أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ} (أن) حرف نصب، و(يتخذوا) فعل مضارع مجزوم بحذف النون، و(عبادي) مفعول به أول، وعلامة النصب الفتحة المقدرة على ما قبل الياء، و(من) حرف جرّ، و(دون) مجرور بحرف جرّ، وهو مضاف، و(الياء) ضمير في محل الحر مضاف إليه، وجملة (من دوني) جار ومجرور متعلق بـ "أولياء"، أو متعلق بحال من أولياء، و(أولياء)، مفعول به ثان، وهو ممنوع من التنوين لأنّه ملحق بالمؤنث الممدود. وفيل: و(أن وما في حيزها) سدت مسد مفعولي "حسب"، و(من دوني) مفعول ثان، لـ "يتخذوا" و(أولياء) مفعول به أول. وكلمة أَوْلِيَاءَ: جاءت منصوبة على المفعول به الأول، وهي منصوبة بالفتحة الظاهرة، منعت من التنوين لأنها ممدودة، ولكونها المنتهية بألف التانيث الممدودة على وزن "أَفْعَلَاءَ"، وهي ممنوعة من الصرف (تمنع من الصرف لعلّة واحدة) لختامها بألف التانيث الممدودة.

ك - {قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ

أَوْلِيَاءَ} [سورة الفرقان: الآية، ١٨].

أَوْلِيَاءَ: سبق تعريف الكلمة في سورة آل عمران: الآية، ٢٨.
 وقوله: {أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ} قوله تعالى: {أَنْ نَتَّخِذَ} يقرأ بفتح النون، وكسر الخاء، على تسمية الفاعل، ويقرأ بضم النون، وفتح الخاء، على ما لم يسم فاعله، والمفعول الأول مضمّر، و"من أولياء" الثاني، وهذا لا يجوز عند أكثر النحويين، لأن من لا تزداد في المفعول الثاني، بل في الأول، كقولك: "ما اتخذت من أحد ولياً، ولا يجوز ما اتخذت أحداً من ولي، ولو جاز ذلك لجاز فما منكم أحد عنه من حاجزين، ويجوز أن يكون من دونك حالا من أولياء، و{من أولياء} هو المفعول الأول، و{من دونك} الثاني، وجاز دخول "من"، لأنه في سياق النفي فهو كقوله تعالى: {ما اتخذ الله من ولد}.^(٤٠)

وإعراب قوله: {مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ} (من) حرف جرّ، و(دون) مجرور بحرف جرّ، وهو مضاف، و(الكاف) ضمير في محل الحر مضاف إليه، وجملة (من دونك) حار ومجرور متعلقان بمحذوف، مفعول به ثان، لفعل "نتخذ"، و(من) الثانية حرف جر زائد، و(أولياء) مجرور لفظاً منصوب محلاً مفعول به أوّل، أو بالعكس، وعلامة جرّه الفتحة لامتناعه من الصرف فهو ملحق بالاسم المنتهي بألف التانيث الممدودة.

وكلمة أَوْلِيَاءَ: جاءت مجرورة لفظاً منصوب محلاً مفعول به أوّل، وعلامة جرّه الفتحة نيابة عن الكسرة، وهي ممدودة، لكونها المنتهية

بألف التأنيث الممدودة على وزن "أفْعَلَاء"، وهي ممنوعة من الصرف (تمنع من الصرف لعدة واحدة) لختامها بألف التأنيث الممدودة.

ل - {مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا} [العنكبوت: الآية، ٤١].

أَوْلِيَاءَ: سبق تعريف الكلمة في سورة آل عمران: الآية، ٢٨.

وقوله: {اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ} استئناف متضمن تقبيح حال أولئك، ويجوز أن يكون جميع من اتخذ غيره تعالى متكلاً ومعتماً، قال ابن عطاء: من اعتمد شيئاً فهو هباء لا حاصل له، وهلاكه في نفس ما اعتمد، ومن اتخذ سواه ظهيراً قطع عن نفسه سبيل العصمة، ورد إلى حوله وقوته، فالعنكبوت اتخذت بيتاً ظن أنه يكنه، وأوهن البيوت بيت ظن، بانيه أنه عامره، أو به قيامه، فهدمه حين بناه، وخربه حين عمره. (٤١).

وإعراب قوله: {اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ} (اتخذوا) فعل ماض مبني على الضم لاتصاله بواو الجماعة، و(الواو) فاعل، وجملة (اتخذوا) صلة وهو فعل وفاعل، (من) حرف جرّ، و(دون) مجرور بحرف جرّ، وجملة (من دون) جار ومجرور متعلقان بمحذوف، مفعول به ثان عامله "اتخذوا"، أو (من دون الله) حال، لأنه كان في الأصل صفة لأولياء، و(أولياء) مفعول به الثاني، لـ "اتخذوا" والأول محذوف أي: اتخذوه.

وكلمة **أَوْلِيَاءَ**: جاءت منصوبة على المفعول به الثاني، وهي منصوبة بالفتحة الظاهرة، منعت من التنوين لأنها ممدودة، ولكونها المنتهية بألف التأنيث الممدودة على وزن "أَفْعَلَاءَ"، وهي ممنوعة من الصرف (تمنع من الصرف لعدة واحدة) لختامها بألف التأنيث الممدودة.

م - { وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ أَوْلِيَاءَ يَنْصُرُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهَ فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ } [الشورى: الآية، ٤٦].

أَوْلِيَاءَ: سبق تعريف الكلمة في سورة آل عمران: الآية، ٢٨.

وقوله: { وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ أَوْلِيَاءَ يَنْصُرُونَهُمْ } أي: بل اتخذوا من دون الله أولياء.

وإعراب قوله: { وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ أَوْلِيَاءَ يَنْصُرُونَهُمْ } (الواو) عاطفة (ما) نافية، و(كان) فعل ماض ناقص، و(لهم) خبر كان مقدّم، و(من) حرف جر زائد، و(أولياء) مجرور "بمن الزائدة" لفظاً، مرفوع محلاً، على أنه اسم كان المؤخر، ومنع من التنوين لأنه ملحق بالمؤنث المنتهي بألف التأنيث الممدودة على وزن أفعلاء، وجملة (ينصرونهم) صفة لأولياء.

وكلمة **أَوْلِيَاءَ**: جاءت مجرورة لفظاً مرفوع محلاً لأنه اسم كان مؤخر، وعلامة جره الفتحة نيابة عن الكسرة، وهي ممدودة، لكونها المنتهية بألف التأنيث الممدودة على وزن "أَفْعَلَاءَ"، وهي ممنوعة من الصرف (تمنع من الصرف لعدة واحدة) لختامها بألف التأنيث الممدودة.

ن- { مِنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئًا وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ وَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ } [سورة الجاثية: الآية، ١٠].

أَوْلِيَاءَ: سبق تعريف الكلمة في سورة آل عمران: الآية، ٢٨.

وقوله: { ولا ما اتخذوا من دون الله أولياء } أي: من الأوثان عطف

على { ما كسبوا }، و { ما } فيهما إما مصدرية، أو بمعنى الذي أي: لا يغني عنهم كسبهم ولا اتخذهم، أو الذي كسبوه ولا الذي اتخذوه.^(٤٢)

وإعراب قوله: { اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ } (اتخذوا) فعل ماض مبني على الضم لاتصاله بواو الجماعة، و(الواو) فاعل، وجملة (اتخذوا) صلة وهو فعل وفاعل، (من) حرف جرّ، و(دون) مجرور بحرف جرّ، وجملة (من دون) جار ومجرور متعلقان بمحذوف، مفعول به ثان عامله "اتخذوا"، أو (من دون الله) حال، لأنه كان في الأصل صفة لأولياء، و(أولياء) مفعول به الثاني، لـ "اتخذوا" والأول محذوف أي: اتخذوه.

وكلمة أَوْلِيَاءَ: جاءت منصوبة على المفعول به الثاني، وهي منصوبة بالفتحة الظاهرة، منعت من التنوين لأنها ممدودة، ولكونها المنتهية بألف التأنيث الممدودة على وزن "أَفْعِلَاءَ"، وهي ممنوعة من الصرف (تمنع من الصرف لعله واحدة) لختامها بألف التأنيث الممدودة.

هـ - { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ

إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ } [سورة الممتحنة: الآية، ١].

أَوْلِيَاءَ: سبق تعريف الكلمة في سورة آل عمران: الآية، ٢٨.
 وإعراب قوله: {لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ} عدى فعل
 (اتخذ) إلى مفعوليه، وهما؛ "عدوي"، و"أولياء"، والعدوّ: فَعُول، من
 عدا؛ كعفوّ من عفا؛ ولكونه على زنه المصدر أوقع على الجمع إيقاعه
 على الواحد. (٤٣)

وإعراب قوله: {لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ} (لا) ناهية
 جازمة، و(تتخذوا) فعل مضارع مجزوم بلا، و(الواو) فاعل، (عدوّ)
 مضاف، و(الياء) ضمير للمتكلم، مضاف إليه، وجملة (عدوي) مفعول
 به، وهو يقع على الواحد فما فوقه لأنه بزنة المصدر، (الواو) عاطفة،
 و(عدوّ) معطوف على الأول منصوب، و(كم) ضمير مضاف إليه،
 وجملة (عدوكم) عطف على عدوي، و(أولياء) مفعول به ثان، منصوب.
 وكلمة أَوْلِيَاءَ: جاءت منصوبة على المفعول به الثاني، وهي منصوبة
 بالفتحة الظاهرة، منعت من التنوين لأنها ممدودة، ولكونها المنتهية بألف
 التأنيث الممدودة على وزن "أَفْعِلَاءَ"، وهي ممنوعة من الصرف (تمنع من
 الصرف لعل واحد) لختامها بألف التأنيث الممدودة.

و - {قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ
 النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} [سورة الجمعة: الآية، ٦].

أَوْلِيَاءَ: سبق تعريف الكلمة في سورة آل عمران: الآية، ٢٨.

وقوله: {إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ} قوله: (أَنْتُمْ أَوْلِيَاءُ) سادّ مسدّ المفعولين، أو المفعول على الخلاف، و"الله" متعلق بـ "أولياء" بمحذوف نعتاً لـ "أولياء"، و(من دون الناس) كذلك. (٤٤)

وإعراب قوله: {إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ} (إن) شرطية، و(زعمتم) فعل ماضٍ في محلّ جزم، وفعل الشرط، و(أنّ) حرف نصب وتوكيد، و(كم) ضمير مبني على السكون في محلّ النصب، اسم "إنّ"، والمصدر المؤوّل (أنكم...) في محلّ نصب سدّ مسدّ مفعولي "زعمتم"، و(أولياء) خبرها، (اللام) حرف جرّ، و(الله) اسم الجلالة مجرور بحرف جرّ، وجملة (الله) جار ومجرور متعلقان بمحذوف، نعت لأولياء، أو بنفس أولياء، و(من دون الناس) جار ومجرور، نعت ثان، أو حال.

وكلمة أَوْلِيَاءُ: جاءت مرفوعة على الخبر، وهي مرفوعة بالضمة الظاهرة، منعت من التنوين لأنها ممدودة، ولكونها المنتهية بألف التانيث الممدودة على وزن "أَفْعِلَاءُ"، وهي ممنوعة من الصرف (تمنع من الصرف لعلة واحدة) لختامها بألف التانيث الممدودة.

الخاتمة ونتائج البحث

ختمت الدراسة وكشفت إلى أنّ كل اسم فيه ألف التانيث ممدودة فهو غير مصروف، معرفة كان، أو نكرة، والعلة التي أوجبت ترك صرفه،

مع أنه فيه ألف للتأنيث فقط، وهي هذه الألف التي تدخلها ويبنى الإسم لها، وهي لازمة وليست كالهاء التي تدخل بعد التذكير، فصارت للملازمة والبناء، كأنه تأنيث آخر، لذلك قامت مقام العلتين.

- ومن نتائج هذه الدراسة أن كلمة **أُولِيَاءَ**: هي أكثر كلمة ورودا في القرآن الكريم، من ضمن الكلمات التي ختمت بألف التأنيث ممدودة، وردت فيها سبع وعشرون (٢٧) كلمة في سورة آل عمران: الآية، ٢٨. وثلاث كلمات في النساء: الآية، ٨٩. والآية، ١٣٩. والآية، ١٤٤. والمائدة: الآية، ٥١. والآية، ٥٧. والآية، ٨١. والأعراف: الآية، ٣. والآية، ٢٧. والآية، ٣٠. وكلمة في التوبة: الآية، ٢٣. وكلمتان في هود: الآية، ٢٠. والآية، ١١٣. وكلمة في الرعد: الآية، ١٦. والإسراء: الآية، ٩٧. وكلمتان في الكهف: الآية، ٥٠. والآية، ١٠٢. وكلمة في الفرقان: الآية، ١٨. والعنكبوت: الآية، ٤١. والزمر: الآية، ٣. وثلاث كلمات في الشورى: الآية، ٦. والآية، ٩. والآية، ٤٦. وكلمة في الجاثية: الآية، ١٠. والأحقاف: الآية، ٣٢. والممتحنة: الآية، ١. والجمعة: الآية، ٦. وجميعها منقسمة إلى ثلاثة أقسام؛ القسم الأول: معظمها جاءت منصوبة على مفعول به الأول في بعض الآيات، وعلى المفعول به الثاني، في الآيات الأخرى. القسم الثاني: وأربعة منها جاءت مجرورة لفظاً مرفوع محلاً، وذلك في قوله: {وَمَا كَانَ لَهُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِّنْ أُولِيَاءَ} [سورة

هود: الآية، ٢٠]. وقوله: { وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ } [سورة هود: الآية، ١١٣]. وقوله: { أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ } سورة الفرقان: الآية، ١٨]. وقوله: { وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ أَوْلِيَاءَ يَنْصُرُونَهُمْ } [الشورى: الآية، ٤٦]. القسم الثالث: وكلمة واحدة جاءت مرفوعة على الخبر بالضممة الظاهرة، وذلك في قوله: { إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ } [سورة الجمعة: الآية، ٦].

- ومن نتائج الدراسة التي قد توصلت إليها أن في القرآن الكريم كلمات الأَوْلِيَاءِ التي صُرِّفَ لأنها لم تستوف الشروط المنع أضيفت إليها الضمائر منها؛ قوله تعالى: { وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ التُّورِ } [سورة البقرة: الآية، ٢٥٧]. وقوله: { وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ } [سورة الأنعام: الآية، ١٢٨]. وقوله: { إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ } [سورة آل عمران: الآية، ١٧٥]. وقوله: { وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ } [سورة الأنفال: الآية، ٣٤]. وقوله: { إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَى أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا } [سورة الأحزاب: الآية، ٦].

- ومما أضيفت إليها الأسماء منها: قوله تعالى: { فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ } [سورة النساء: الآية، ٧٦]. وقوله: { أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } [سورة يونس: الآية، ٦٢].

وقوله: {بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ} في سورة [المائدة: الآية، ٥١].
و[الأنفال: الآية، ٧٢ و٧٣]. و[التوبة: الآية، ٧١]. و[الجاثية: الآية،
١٩]. لذلك صُرِّفَ كل ما ذكر.

وأخيرا، تُوصي الدراسة بأن يتواصل البحث في بقية الأسماء المنوعة
من الصرف، الداخلة في القرآن الكريم، وبأخصها الأوزان المذكورة
أهمها: فَعْلَاءٌ، وَفَعْلَاءٌ، وَأَفْعَلَاءٌ، والله أعلم.

الهوامش والمراجع:

- (١) انظر: المصباح المنير: للمقري، أحمد بن محمد بن علي الفيومي المقري،
دراسة وتحقيق: يوسف الشيخ محمد، د. ط. المكتبة العصرية، د. س.
ج ١، ص ١٧٦.
- (٢) انظر: كتاب سيبويه: سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر أبو البشر
سيبويه (ت: ١٨٠ هـ) تحقيق: عبد السلام محمد هارون، د. ط. دار
الجيل بيروت، د. س. ج ٣، ص ٢١٦.
- (٣) انظر: المقتضب: للمبرد، محمد بن يزيد أبو العباس المبرد، (ت:
٢٨٥ هـ) تحقيق: محمد عبد الخالق عزيمة، د. ط. عالم الكتب بيروت،
د. س. ج ٣، ص ١٧١.
- (٤) انظر: المنصف: لابن جني، أبو الفتح عثمان ابن جني الموصلي، د.
ت. د. ط. د. ن. د. س. ج ١، ص ٢٠.

- (٥) انظر: أسرار العربية: لأبي البركات الأنباري، عبد الرحمن بن مُجَّد بن عبيد الله بن أبي سعيد الأنباري، تحقيق: د. فخر صالح قدارة، ط ١، دار الجيل بيروت، ١٩٩٥م، ج ١، ص ٥٥.
- (٦) انظر: ألفية ابن مالك في النحو والصرف: لابن مالك الأندلسي، مُجَّد بن عبد الله بن مالك الأندلسي، أبو عبد الله قام بتنسيقها وفهرستها: علي بن نايف الشحود، (الباحث في القرآن والسنة) ج ١، ص ٣٥.
- (٧) انظر: النحو الوافي: لعباس حسن، (ت: ١٣٩٨هـ) د. ت. ط. ١٥، دار المعارف، د. س. ج ٤، ص ٢٠٠.
- (٨) انظر: شرح ألفية ابن مالك: لحسين بن أحمد بن عبد الله آل علي، د. ت. د. ط. د. ن. د. س. ج ١، ص ١٨٦.
- (٩) انظر: شرح الرضي على الكافية: للإستراباذي، رضي الدين الإستراباذي، تصحيح وتعليق: يوسف حسن عمر، (الاستاذ بكلية اللغة العربية والدراسات الاسلامية)، طبعة جديدة، جميع حقوق الطبع محفوظة جامعة قاريونس، ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م، ج ١، ص ١٠٠ - ١٠١.
- (١٠) انظر: شرح الرضي على الكافية: للإستراباذي، ج ٣، ص ٣٢٣.
- (١١) انظر: كتاب سيبويه: سيبويه، ج ٣، ص ٦٠٩.
- (١٢) انظر: جامع الدروس العربية: للغلاييني، الشيخ مصطفى الغلاييني، د. ت. ط. ١، دار ابن حزم بيروت لبنان، ١٤٣٢هـ = ٢٠١١م، ج ١، ص ٧٥.

(١٣) انظر: اللباب في علل البناء والإعراب: لأبي البقاء العكبري، محب الدين عبدالله بن الحسين بن عبد الله أبو البقاء العكبري، تحقيق: غازي مختار طليمات، ط. ١، دار الفكر - دمشق، ١٤١٦ هـ = ١٩٩٥، ج ٢، ص ٤٣٩.

(١٤) انظر: جامع الدروس العربية: للغلابيني، ج ١، ص ٧٥.

(١٥) انظر: النحو الوافي: لعباس حسن، ج ٤، ص ٦١٠.

(١٦) انظر: ألفية ابن مالك: لابن مالك الأندلسي، ج ١، ص ٤١.

(١٧) انظر: همع الهوامع في شرح جمع الجوامع: للسيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، (ت: ٩١١ هـ) تحقيق: عبد الحميد هندراوي، د. ط، المكتبة التوفيقية مصر، د. س، ج ٣، ص ٣٣٩ - ٣٤١.

(١٨) انظر: لسان العرب: لابن منظور، مُجَّد بن مكرم بن منظور الأفرريقي المصري، د. ت. دار صادر بيروت، د. س.، ج ١٥، ص ٤٠٥.

(١٩) انظر: المصباح المنير: للمقري، ج ١، ص ٣٤٦.

(٢٠) انظر: التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب: للرازي، مُجَّد بن عمر فخر الدين الرازي، التميمي الشافعي (٥٤٤ هـ - ٦٠٤ هـ) د. ت، د. ط، دار الكتب العلمية بيروت، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م، ج ٨، ص ١١.

(٢١) انظر: اللباب في علوم الكتاب: لابن عادل الدمشقي، أبو حفص عمر بن علي ابن عادل الدمشقي الحنبلي، تحقيق: الشيخ عادل أحمد

- عبد الموجود، والشيخ علي مُجَّد معوض، ط. ١. دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان ١٤١٩هـ = ١٩٩٨م، ج ٥، ص ١٣٧.
- (٢٢) انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: للعمادي، مُجَّد بن مُجَّد أبو السعود العمادي، د. ت، د. ط، دار إحياء التراث العربي - بيروت، د. س، ج ٢، ص ٢١٣.
- (٢٣) انظر: التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب: للرازي، ج ١١، ص ٦٤.
- (٢٤) انظر: تفسير روح البيان: للإستانبولي، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوقي، د. ت، د. ط، دار إحياء التراث العربي، د. س، ج ٢، ص ٢٤٧.
- (٢٥) انظر: اللباب في علوم الكتاب: لابن عادل الدمشقي، ج ٥، ص ٣٨٠.
- (٢٦) انظر: الجامع لأحكام القرآن: للقرطبي، مُجَّد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري أبو عبد الله الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت: ٦٧١هـ) تحقيق: هشام سمير البخاري، ط. ١، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٣هـ = ٢٠٠٣م، ج ٦، ص ٢٢٣.
- (٢٧) انظر: معالم التنزيل: للبغوي، محيي السنة، أبو مُجَّد الحسين بن مسعود البغوي [ت: ٥١٦هـ] تحقيق: حققه وخرج أحاديثه مُجَّد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش، ط. ٤، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤١٧هـ = ١٩٩٧م، ج ٣، ص ٨٥.

- (٢٨) انظر: إعراب القرآن: للنحاس، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس (ت: ٣٣٨هـ) تحقيق: د. زهير غازي زاهد، د. ط.، عالم الكتب بيروت، ١٤٠٩هـ = ١٩٨٨م، ج ٢، ص ١١٤.
- (٢٩) انظر: اللباب في علوم الكتاب: لابن عادل الدمشقي، ج ٩، ص ١١.
- (٣٠) انظر: البحر المحيط: لأبي حيان النحوي، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، ط. ١، دار الكتب العلمية بيروت - ١٤٢٢هـ = ٢٠٠١م، ج ٤، ص ٢٨٥ - ٢٨٦.
- (٣١) انظر: اللباب في علوم الكتاب: لابن عادل الدمشقي، ج ٩، ص ٧٨.
- (٣٢) انظر: تفسير السراج المنير: للشربيني، محمد بن أحمد الشربيني شمس الدين، د.ت، د.ط، دار الكتب العلمية بيروت، د. س، ج ١، ص ٣٧٤.
- (٣٣) انظر: إعراب القرآن وبيانه: لدرويش، محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش (ت: ١٤٠٣هـ) ط. ٤، دار الإرشاد للشئون الجامعية - حمص - سورية، (دار اليمامة - دمشق - بيروت)، (دار ابن كثير - دمشق - بيروت)، ١٤١٥هـ = ١٩٩٥م، ج ٤، ص ٧٦.
- (٣٤) انظر: الجامع لأحكام القرآن: للقرطبي، ج ٩، ص ١٩.
- (٣٥) انظر: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: للزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، (٤٦٧هـ

- ٥٣٨ هـ) تحقيق: عبد الرزاق المهدي، د. ط، دار إحياء التراث العربي، د. س، ج ٢، ص ٤٠٩.
- (٣٦) انظر: التحرير والتنوير: لابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: ١٣٩٣ هـ) د. ت. الدار التونسية للنشر — تونس، ١٤٠٤ هـ = ١٩٨٤ م، ج ١٥، ص ٢١٦.
- (٣٧) انظر: تفسير السراج المنير: للشربيني، ج ٢، ص ٣٠٢.
- (٣٨) انظر: اللباب في علوم الكتاب: لابن عادل الدمشقي، ج ١٢، ص ٥٧١.
- (٣٩) انظر: زاد المسير في علم التفسير: للجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (٥٠٨ هـ — ٥٩٧ هـ) د. ت، د. ط، المكتب الإسلامي بيروت، ١٤٠٤ هـ، ج ٥، ص ١٩٦.
- (٤٠) انظر: التبيان في إعراب القرآن: أبو البقاء للعكبري، عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري (ت: ٦١٦ هـ) تحقيق: علي محمد البجاوي، د. ط، عيسى البابي الحلبي وشركاه، د. س، ج ٢، ص ٩٨٢.
- (٤١) انظر: تفسير السلمى: وهو (حقائق التفسير): للسلمى، أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين بن موسى الأزدي السلمى، (ت: ٤١٢ هـ) تحقيق: سيد عمران، د. ط، دار الكتب العلمية بيروت، ١٤٢١ هـ — ٢٠٠١ م، ج ٢، ص ١١٦ — ١١٧.
- (٤٢) انظر: تفسير السراج المنير: للشربيني، ج ٣، ص ٤٧٠.

مجلة دراسات عربية، العدد ١٥، الرقم ٢، من السلسلة الجديدة أكتوبر ٢٠٢٠م

- (٤٣) انظر: الكشف عن حقائق التنزيل: للزمخشري، ج ٤، ص ٥١٠.
- (٤٤) انظر: اللباب في علوم الكتاب: لابن عادل الدمشقي، ج ١٩، ص ٧٦.

دلالات الأفعال الثلاثية المزيدة في ديوان "فرح الأحبة" للشيخ إبراهيم الخليل طنْدُمِي: دراسة لنماذج

إعداد

محمد تكرر ثامن

الجامعة الفدرالية دُوتسنما، ولاية كَاتْسِنَا - نيجيريا

stmuhammad@fudutsinma.edu.ng

الملخص

تمتاز اللغة العربية باتساع الأبنية وكثرة الصيغ التي تستوعب المعاني التي يمكن أن تجيش بها نفس الإنسان في وقت من الأوقات. ولما كان التصريف هو سبيل الوصول إلى تلك الصيغ فقد اهتم العلماء والباحثون بالبحث والتنقيب في القضايا والظواهر المختلفة المتعلقة بعلم الصرف فيما أنتجه الأدباء قديما وحديثا. هذا البحث محاولة يسيرة لاستخراج بعض هذه الظواهر الصرفية من انتاجات أديب نيجيري درس اللغة العربية بطريقة تقليدية وواظب على دراستها حتى أخذ نصيبا وافرا أمكنه من التصرف فيها بطرق مختلفة من بينها قرض الأشعار.

سيحاول البحث استخراج صيغ الفعل الثلاثي المزيد بحرفين في ديوان هذا الشاعر المسمى بفرح الأحبة مرتكزا على المنهج الوصفي التحليلي في ضمن الحديث عن ثلاثة محاور والخاتمة على النحو التالي:

- الديوان وصاحبه في سطور.

- دلالات الأفعال الثلاثية المزيد في اللغة العربية.
- دلالات الأفعال الثلاثية المزيدة بحرفين في الديوان المدروس.
- الخاتمة.

أولاً: الديوان وصاحبه في سطور

فرح الأحبة ديوان شعري مخطوط احتوى على مجموعة من القصائد في أغراض مختلفة أهمها المدح والرثاء والترحيب للشاعر الشيخ إبراهيم الخليل طَنْدَمِي، وهو من مواليد سنة ١٩٢١م في قرية طَنْدَمِي (Dandume) في ولاية كشنه نيجيريا. يعتبر من أهم إنتاجات الشاعر الأدبية. وقد اشتهر الديوان بألفاظ أبياته السهلة وبعده عن الغريب من الأفكار والتعبيرات المعقدة. وفيه صيغ كثيرة ذات الطوابع الصرفية التي تشهد للشاعر بالفضل وسعة الباع في اللغة العربية، كما تدل الأبيات على تمكنه في استخدام الأوزان العروضية الخليلية، حيث استخدم بحورا شعرية مختلفة فيه.

وقد تناول الشاعر في الديوان الأغراض الشعرية المتعددة - خصوصا المدح والرثاء والترحيب - بصورة تدل على تمكنه في العلوم اللغوية عامة وفي استخدام الصيغ الصرفية بصفة خاصة. وفيه سبع وعشرون قصيدة (٢٧) بلغ عدد أبياتها ثمانمائة وواحدا وأربعين (٨٤١) بيتا شعريا. اختار الباحث عشر قصائد الأولى في هذه الدراسة والتي يبلغ عدد أبياتها مائتين وواحدا وتسعين (٢٩١) بيتا.

ثانياً: دلالات الأفعال الثلاثية المزيدة في اللغة العربية

الفعل المزيد هو كل فعل زيد على حروفه الأصلية حرف أو حرفان أو ثلاثة أحرف تسقط في بعض تصاريف الفعل لغير علة تصريفية.^١ والفعل الثلاثي المزيد فيه ثلاثة أقسام: ما زيد فيه حرف واحد، وما زيد فيه حرفان، وما زيد فيه ثلاثة أحرف، فغاية ما يبلغ الفعل بالزيادة ستة أحرف، بخلاف الاسم فإنه يبلغ بالزيادة سبعة أحرف، لثقل الفعل وخفة الاسم.^٢ وحروف الزيادة عشرة بالتفاهق أهل اللغة إلا بعض المحدثين كراي الدكتور تمام حسان الذي يرى أن حروف الزيادة في اللغة العربية ليست قاصرة عند حروف "سألتمونها" إذ أن كل حرف من حروف العربية صالح للزيادة. ينقسم الثلاثي المزيد إلى ثلاثة أقسام، باعتبار الحروف الزائدة فيه لأنه إما أن يكون زائداً بحرف واحد أو حرفين أو ثلاثة.

الفعل الثلاثي المزيد بحرف واحد ودلالاته:

وهو ما زيد فيه حرف واحد على الثلاثي وهو ثلاثة أبواب: كل فعل ثلاثي سبق بهمزة قطع أو ضَعِّفَتْ عينه أو زيد فيه ألف بين الفاء والعين. فإن سبق بهمزة قطع فهو الباب الأول منه ووزنه أَفْعَلْ نُحُو: أَكْرَمَ وَأَعْظَمَ وَأَوْلَى. وإن ضَعِّفَتْ عينه فهو الباب الثاني ووزنه فَعَّلْ نُحُو: قَدَّمَ وَكَرَّمَ وَعَلَّمَ. وإن زيد فيه ألف بين الفاء والعين فهو الباب الثالث

ووزنه فاعل نحو: رَابِحٌ وَقَاتِلٌ وَنَاطِرٌ. ولكل واحد من هذه الأبواب دلالة في العربية:

أَفْعَلٌ يُفْعِلُ إِفْعَالًا: بزيادة همزة قطع في أوله، موزونه أَكْرَمٌ يُكْرِمُ أَكْرَامًا وعلامته أن يكون ماضيه على أربعة أحرف بزيادة الهمزة في أوله وبناءه للتعدية غالبًا وهي إكساب الفعلِ القُدْرَةَ على نصب المفعول به، وذلك نحو: "جلس الطالب" و "أجلسَ المدرسُ الطالب"، فإن الطالب في الجملة الأولى فاعل وفي الثانية مفعول به لأن المدرس الذي هو الفاعل أوقع الفعل عليه. وقد يكون لازمًا. مثال المتعدي نحو: أَكْرَمَ زَيْدٌ عَمْرًا ومثال اللازم نحو: أَقْدَمَ الرَّجُلُ. أَفْعَلٌ بفتح الهمزة والعين وسكون الفاء مضارعه يُفْعِلُ نحو: أَكْرَمَ يُكْرِمُ وَأَعْطَى يُعْطِي وَأَوْلَى يُؤَلِّي وَأَخْرَجَ يُخْرِجُ وَأَوْفَى يُؤَفِّي وَأَقَامَ يُقِيمُ وَأَشَارَ يُشِيرُ. ونظائرها: كُلُّ فِعْلٍ ماضيه على أربعة أحرف بزيادة الهمزة في أوله. والمصدر منه على وزن إِفْعَالٍ: نحو أَكْرَمَ أَكْرَامًا وَأَعْطَى اعْطَاءً وَأَوْلَى إِيْلَاءً وَأَخْرَجَ إِخْرَاجًا وأمثالها. وأفعال هذا الباب نوعان:

الأول: متعدٍ وهو الأكثر نحو: أَكْرَمَ زَيْدٌ مُحَمَّدًا، ونحو: أَعْطَى عمرو أخاه درهمًا ونحو: أَخْرَجَ المعلمُ تلميذَه من الفصل. ويتفرع من هذه الصيغة معان عديدة أشهرها التعدية أي جعل الفعل اللازم متعديًا، فالفعل "خَرَجَ" مثلاً فعل لازم، لا يأخذ مفعولاً به، تقول خرج زيدٌ، فإذا زيد عليه

همزة صار متعدياً، نحو: أَخْرَجْتُ زَيْدًا. وهكذا في كَرَّمَ وأَكْرَمَ، قام وأَقَامَ. فإذا كان الفعل المجرد متعدياً لمفعول واحد صار - بزيادة الهمزة - متعدياً لمفعولين، فالفعل "لَبَسَ" مثلاً يتعدى لمفعول واحد، نحو لَبَسَ زَيْدٌ ثَوْبًا، فإذا زيد عليه همزة، صار متعدياً لمفعولين، نحو: أَلْبَسْتُ زَيْدًا ثَوْبًا. وهكذا في فَهِمَ وَأَفْهَمَ، سَمِعَ وَأَسْمَعَ. وإذا كان الفعل متعدياً لمفعولين صار - بزيادة الهمزة - متعدياً إلى ثلاثة مفاعيل، فالفعل "عَلِمَ" إذا كان بمعنى أَيْقَنَ يتعدى لمفعولين، نحو: عَلِمْتُ زَيْدًا كَرِيمًا، فإذا زيد عليه الهمزة صار متعدياً لثلاثة مفاعيل. نحو: أَعْلَمْتُ عَمْرًا زَيْدًا كَرِيمًا. ومنها الإزالة والسلب نحو: أَقْشَرْتُ الْفَاكَةَ إذا أزلت قشرتها ونحو أَقْدَيْتُ عَيْنَهُ إذا أزلت قذاها، والتعريض نحو: أَزْرَعْتُ الْأَرْضَ أي عرضتها للزراعة. أَرْهَنْتُ الْمَتَاعَ أي عَرَضْتُهُ لِلرَّهْنِ. وإيصال العدد إلى حد معين نحو: أَسْبَعْتُ التَّخَلَ إذا صيرته سبعا في العدد وَأَرْبَعْتُ الْمَالَ إذا صيرته أربعاً، والتمكين نحو: أَدَخَلْتُهُ الدَّارَ أي مكنته من الدخول، ونحو: أَسَلَّمْتُهُ الْمَالَ إذا مكنته منه. وأن يكون بمعنى اسْتَفْعَلَ نحو أَعْرَضْتُ قَوِيَّ إذا استعرضتها ونحو أَخْرَجْتُ الْكَنْزَ أي استخرجته.^٣ وكون الشيء على وصف الحال نحو قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ﴾ [يوسف: ٣] أي وجدناه كبيراً. ويدل على المطاوعة للوزن فَعَّلَ نحو: كَرَّمْتُهُ فَأَكْرَمَ ونحو: أَعْطَيْتُهُ فَأَعْطَى.

الثاني: لازمٌ نحو: أَقَامَ عَلِيٌّ ويتفرع من اللازم المعاني التالية:

الدلالة على الكثرة نحو: أزهَرَ الشجرُ إذا كثر زهره، أو الصيرورة، نحو: أثمرَّ البستانُ أي صار ذا ثمر، ألحمَ الرجلُ أي صار سمينا ذا لحم، ودلالته على الزمان نحو: أضحَّ الرجلُ نشيطا أي ظهر نشاطه في الصباح، ونحو أمستِ المرأةُ حزينةً أي ظهر حزنها في المساء، ودلالته على المكان نحو: أيمَنَ الرجلُ اليومَ بمعنى اتجه جهة اليمين ونحو أضحَرَ زيدُ أي دخل الصحراء، وأعرق وأنجدَ و أتَّهمَ وأشأمَ، أو للدلالة على قرب الفاعل من الدخول في أصل الفعل، أحصدَ الزرعُ وأصرمَ النخل أي قرب حصاده وصرامه.^٤

فَعَلٌ يُفَعِّلُ تَفْعِيلًا: بزيادة حرف واحد بين الفاء والعين من جنس عين فعله، موزونه فَرَّحَ يُفَرِّحُ تَفْرِيحًا وعلامته أن يكون ماضيه على أربعة أحرف وبنائه للتكثير، نحو: عَلَّقَ زيدٌ البابَ. فَعَّلَ بفتح الفاء وتضعيف العين المفتوحة مضارعه يُفَعِّلُ نحو: فَرَّحَ يُفَرِّحُ وَدَبَّحَ يُدَبِّحُ وَعَلَّقَ يُعَلِّقُ وَرَكَّى يُرَكِّي. ونظائرها: كُلُّ فِعْلٍ ماضيه على أربعة أحرف بزيادة حرف واحد بين الفاء والعين من جنس عين فعله. والمصدر منه على وزن تَفْعِيلٍ نحو فَرَّحَ تَفْرِيحًا وَدَبَّحَ تَدْبِيحًا وَعَلَّقَ تَغْلِيقًا وَكَبَّرَ تَكْبِيرًا وَسَبَّحَ تَسْبِيحًا وَفَشَّرَ تَفْشِيرًا وأمثالها. وأفعال هذا الباب تأتي للدلالة على التعدية. والتعدية إما للتكثير وإما للدلالة على الإزالة أو التوجه أو اختصار الحكاية أو بمعنى فَعَّلَ أوللدلالة على قبول الشيء أو بمعنى

تفعل. فمثال الأول: وهو دلالة التعدية للتكثير في الفعل نحو طَوَّفَ زيدُ الكعبةَ وَعَلَّقَ زيدُ البابَ، ومثال السلب والإزالة نحو: نَقَيْتُ الحَبَّ إذا أزلتُ منه الشوائبَ، ونحو فَشَّرْتُ الفاكهةَ إذا أزلتُ قشرتها. ومثال التوجه: شَرَّقَ زيدُ الأرضَ ونحو: غَرَّبَ عمرو البلادَ إذا اتجه زيدُ جهةَ الشرقِ واتجه عمرو جهةَ الغربِ، ومثال اختصار الحكاية نحو: لَبَّى إذا قال لبيك الله، ونحو: كَبَّرَ إذا قال الله أكبر، ونحو سَبَّحَ إذا قال سبحان الله. ومثال الإتيان بمعنى فَعَلَ محَقَّفَ العين نحو: قَدَّرَ بمعنى قَدَرَ، وبَشَّرَ بمعنى بَشَرَ. ومثال الدلالة على قبول الشيء نحو: شَفَعْتُ زيدًا إذا قبلتُ شفاعته، ويتفرع من التعدية معانٍ؛ منها: الدلالة على الصيرورة نحو وَلَيْتُهُ البلادَ إذا صيرته واليًا عليها، ونحو حَجَّرْتُ الترابَ إذا صيرته مثل الحجر، و نحو: حَلَيْتُ الماءَ إذا صيرته مثل الماء الزلال. والنسبة نحو: جَرَّحْتُ عمرًا إذا نَسَبْتُهُ إلى التجريح، وَعَلَّطْتُ زيدًا إذا نَسَبْتُهُ إلى الغلط.

فَاعِلٌ يُفَاعِلُ مُفَاعَلَةً وَفِعَالًا: بزيادة الألف بين الفاء والعين، موزونه قَاتَلَ يُقَاتِلُ مُقَاتَلَةً وَقِتَالًا، وعلامته أن يكون ماضيه على أربعة أحرف، وبنائه للمشاركة بين الاثنين غالبًا وقد يكون للواحد، مثال المشاركة بين الاثنين نحو: قَاتَلَ لَصٌّ شُرْطِيًّا، ومثال الواحد نحو: قَاتَلَهُمُ اللهُ. فَاعِلٌ بفتح الفاء والعين والألف بينهما مضارعه يُفَاعِلُ نحو: قَاتَلَ يُقَاتِلُ

وضَارَبَ يُضَارِبُ وَلَاكُمْ يُلَاكُمْ وَسَلِّمَ يُسَلِّمُ وَجَالَسَ يُجَالِسُ. ونظائرها: كَلَّمَ فَعَلَّ ماضيه على أربعة أحرف بزيادة الألف بين الفاء والعين. والمصدر منه يرد على النحو التالي: مُفَاعَلَةٌ وَفِعَالًا. نحو: قَاتَلَ مُقَاتَلَةً وَقِتَالًا، ونحو: حَاسَبَ مُحَاسَبَةً وَحِسَابًا، ونحو: صَارَعَ مُصَارَعَةً صِرَاعًا. وهَلَمَّ جَرًّا.^٦ وأفعال هذا الباب نوعان: الأول: متعدٍ ويدل على التعدية ويفيد المشاركة بين الإثنين غالبًا نحو: نَظَرَ مُسَلِّمٌ مَسِيحِيًّا ونحو: حَاسَبَ الرَّجُلُ صَاحِبَهُ وَنَحْوَ صَارَعَ الْقَائِدُ نَظِيرَهُ. وقد يفيد الواحد نحو: قَاتَلَهُمُ اللَّهُ وَحَارَبَهُمُ اللَّهُ. ويتفرع من المتعدي معان أشهرها ما يلي: المتابعة نحو: تَابَعْتُ الشَّيْخَ، وَنَحْوَ جَارَيْتُ الْوَالِدَ. والموالاتة نحو: رَادَفْتُ الصَّدِيقَ. وَنَحْوَ وَالَيْتُ الْكَيْلَ إِذَا اتَّبَعْتُ الْكَيْلَ كَيْلًا آخَرَ. ودلالته على صفة الفعل نحو نَاصِرُهُ اللَّهُ أَي جَعَلَهُ ذَا نَصْرِهِ، آجَرَكَ اللَّهُ أَي جَعَلَكَ ذَا أَجْرٍ. ويرادف أَفْعَلَ نحو: تَابَعَ الصَّوْمَ بِمَعْنَى اتَّبَعَ بَعْضُهُ بَعْضًا. وأيضًا يرادف فَعَّلَ ليدل على التكثير نحو ضَاعَفْتُ الْعَدَدَ إِذَا كَثَّرْتَهُ بِمَعْنَى ضَعَّفْتُهُ. والثاني: لازم، وهذا نادر في العربية نحو: سَافَرَ زَيْدٌ وَوَاعَدَ وَجَاوَزَ وَدَافَعَ وَلِذَا فَهُوَ يَرَادِفُ فَعَلَ.^٧

الثلاثي المزيد بحرفين:

انْفَعَلَ: بزيادة الألف والنون، هذه الصيغة لها معنى واحد هو المطاوعة. والمطاوعة عبارة عن الإتيان طائعا سهلا عن طواعية بلا

إكراه. ويشترط في الفعل أن يكون ظاهراً كالكسر والحطم وغيرهما، أما الأفعال الباطنية فلا يكون مطاوعتها بانفعال فلا يقال علمته فانعلم. ولا يكون إلا لازماً مثل: انطلق، فإذا كان الثلاثي المجرد متعدياً وزيد ألفاً وتونا صار لازماً، وفائدة المطاوعة أن أثر الفعل يظهر على مفعوله فكأنه استجاب له، ولذلك سميت هذه النون نون المطاوعة. مثل: كسرتُ الشيء فانكسر، وفتحته فانفتح، وقدته فانقاد.^٨

افتعل: بزيادة الألف والتاء، من معاني هذه الزيادة، المطاوعة مثل جمعته، فاجتمع ويطاوع الثلاثي المزيد بالهمزة "أفعل" مثل: انصفته فاننصف، أسمعته فاستمع، ويطاوع الثلاثي المضعف العين فعَلَّ مثل: قرّبه فاقترّب، سوّيته فاستوى، والاتخاذ، مثل اعتاد، أي: اتخذ لنفسه عادة، وكادّبح واطّبخ واشتوى، أي اتخذ ذبيحة وطبخًا وشواءً. والتخيّر، مثل: انتخب واصطفى وانتقى. والمشاركة مثل: اجتور القوم أي صار بعضهم لبعض جيراناً. كما تفيد أيضاً معنى تفعلّ مثل ابتسم وتبسّم ومعنى فعّل، مثل: اقتدر وقدر. وقد يجيء بمعنى أصله لعدم وروده، مثل: اشتمل الثوب، وارتجل الخطبة.^٩

تفاعل: بزيادة التاء والألف، ومن معانيها المشاركة، مثل تضارب زيد وعمرو، والفرق بين فاعل وتفاعل في باب المشاركة أن الطرفين مع تفاعل مشتركان في المعنى واللفظ فزيد وعمرو مشتركان في الضرب

والرفع، أما مع فاعل فهما مشتركان في المعنى مختلفان في اللفظ، إذ يكون أحدهما فاعلاً مرفوعاً والآخر مفعولاً به منصوباً. ثم مطاوعة فاعل، مثل: باعدت زيدا فباعداً زيد، ضاعفت الحساب فتضاعف. والتظاهر، مثل: تمارض زيد، أي: تظاهر بالمرض، والتدرج، مثل: تزايد الماء، أي زاد بالتدرج. وتأني بمعنى فَعَلَ، كتواني ووني، وتعالى وعلا.^{١٠}

تَفَعَّلَ: بزيادة التاء وتضعيف العين، فهذه الصيغة لها عدة معانٍ من بينها: المطاوعة، مثل: جمَعته، فَجَمَع، كَسَرْتُهُ فَكَسَّر، عَلَّمته فَتَعَلَّم، والتكلف، مثل: تصنَّع الشاعر، أي تكلف في صياغة الشعر، والاتخاذ، مثل: توسَّد زيد، أي: اتخذ لنفسه وسادة، تبنَّيت الصبيَّ: اتخذته ابناً، والتجنب، مثل: تخرج طيباً، أي تجنب الحرج، تأثَّم وتهجَّد: إذا تجنَّب الإثم والهجود، والتكرار، مثل: تجرع المريض الدواء، أي: شربه جرعة جرعة، والطلب، مثل تنجَّزْتُهُ الوعد، أي طلبت منه انجازه، والاعتقاد في الشيء أنه على صفة، مثل: تعظَّمْتُ القاضي، أي اعتقدت فيه العظمة، وصيرورة الشيء ذا الشيء، مثل: تأهَّل الشابُّ، أي صار ذا أهل. والصيرورة فقط مثل: تزَيَّب العنب، أي صار زيبياً، تحجَّر الطين، أي صار حجراً.^{١١}

أَفْعَلَّ: بزيادة الألف وتضعيف اللام، هذه الصيغة تختص بالألوان، مثل احمَّر، اخضَّر، اسمَّر، ابيضَّ، كما تفيد كذلك العيوب الحسية، مثل:

اعورّ اعرجّ احوّل. ولا ينبني من مضاعف العين فلا يقال: رجل أجمّ بالجيم أي لا رمح معه في الحرب: أجمّم لما فيه من الثقل.^{١٢}

الثلاثي المزيد بثلاثة أحرف:

استفعل: بزيادة الألف والسين والتاء، من المعاني التي تفيدها هذه الصيغة الطلب، مثل استكتبتُ زيدا، أي: طلبت منه الكتابة، واستغفر واستعان واستطعم، أي سأل الغفران والإعانة والإطعام، وتفيد كذلك الصيرورة، مثل استخجر الطين أي صار حجراً. واختصار الحكاية، مثل: استرجع إذا قال: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٠٦] والاتخاذ، مثل: استعبد عبداً واستأجر أجيراً، إذا اتخذهما. والوجود والمصادفة، مثل: استعظمته إذا وجدته عظيماً. واعتقاد صفة الشيء، مثل: استصوبت الأمر، أي اعتقدت صوابه. والمطاوعة، مثل: أحكمه فاستحكم، واستقمته فاستقام واستبنته فاستبان. والمبالغة، نحو: استبشر واستأنس واستهزأ واستيأس واستغنى واستخيا واستقرّ، إذا أراد المبالغة في معاني هذه الأفعال. والقوة مثل: استهتر واستكبر إذا قوي هترة أي باطله.^{١٣}

أفعال: بزيادة ألف الوصل والألف وتضعيف اللام، هذه الصيغة تفيد نفس المعنى الذي تفيده أفعال، أي الألوان والعيوب بقصد المبالغة فيها، ومثال ذلك: إذا أراد شخص أن يبين شدة الألوان في لباس المرأة

ولون بشرة صاحبه ومنظر البستان يقول: احْمَارَ لباس المرأة، واسمات
بشرة صاحبي، واحْضَارَ البستان. فإن في استخدام هذه الأبنية دلالة
واضحة على المبالغة في الألوان المذكورة.

افْعَوْعَلْ: بزيادة الألف والواو وتكرير العين، وتأتي للمعاني الآتية:
المبالغة، مثل: اخشوشن الشيء إذا كثرت خشونته، اعشوشب المكان
إذا كثر عشبه. والصيورة، مثل: احلولى الشيء إذا صار حلوا،
واحقوقف الجسم والحلال إذا صار كل منهما أحقف أي منحنيا.
افْعَوْلْ: بزيادة الألف والواو المضعفة، هذه الصيغة تستعمل قليلا
مثل، اجلوّز أي أسرع، اعلوّط أي تعلق بعنق البعير. هذا فيما يتعلق
بمعاني الثلاثي المزيد بثلاثة أحرف.

ثالثا: دلالات الأفعال الثلاثية المزيدة بحرفين في الديوان

استخدم الشاعر صيغ الأفعال الثلاثية المزيدة بحرفين في ديوانه
بدلالات مختلفة على النحو التالي:

انْفَعَلَ يَنْفَعِلُ: بزيادة الهمزة والنون في أوله. تأتي هذه الصيغة لمعنى
واحد وهو المطاوعة، ولا يكون إلا لازما ويأتي لمطاوعة الثلاثي كثيرا
كقَطَعْتُهُ فانقطع، وكسَرْتُهُ فانكسر، ودَفَعْتُهُ فاندفع، وقَلَبْتُهُ فانقلب،
وأزَعَجْتُهُ فانزعج، وفتحْتُهُ فانفتح، وقَدَّعْتُهُ فانقاد، ومحوْتُهُ فانمحي،
ولمطاوعة غيره قليلا، كأطلقته فانطلق، وعدلْتُهُ فاعدل، ويأتي مختص

بالعلاجات (نسبة إلى العلاج) وهو العمل الذي يكون فيه حركة جسمية.^{١٤} فيما يلي عرض لدلالاتها في الديوان. وردت هذه الصيغة خمس مرات في ستة مواضع وكلها تدل على المطاوعة كالاتي:

- الدلالة على المطاوعة، في قول الشاعر في البيت السابع عشر من القصيدة الثامنة:

لو انصرفَ جميعُ الناسِ عنه * لقالَ لهمُ إمامي بالسلام^{١٥}

انصرف فعل ماض ثلاثي مزيد بحرفين على وزن "انفعل". انصرف عنه تحوّل عنه وتركه.^{١٦} بين الشاعر أنّ ممدوحه مؤمن واثق بنفسه راسخ القدم فيما هو عليه من التمسك بالدين الإسلامي والطريقة التجانية لدرجة لو اختار جميع الناس سبيلا آخر عن طواعية أنفسهم وبلا أدنى إكراه من غيرهم وتركوه فهو لا يبالي بهم بل يودّعهم ويقول لهم بالسلام. اختار الشاعر استعمال صيغة انصرف التي تدلّ المطاوعة والاختيار بدلا من أمثال صرّف وصرّف اللذان يحتاجان إلى معمول يتعديان عليه على أنه مفعول به.

- الدلالة على المطاوعة أيضا، في قول الشاعر في البيت السابع من القصيدة الأولى:

يا أيّها الباب انفتح لأدخلا * حضرة قطب الأولياءِ مُسجلا^{١٧}

انفتح فعل ماض ثلاثي مزيد بحرفين على وزن "انفعل". فتحت الباب فانفتح للمطأوعة.^{١٨} عبّر الشاعر عن الشيخ علي سيس بالباب واعتبره

بابا رئيسيا للدخول على الشيخ إبراهيم انياس وأمره بأن يفتح عن طواعية نفسه ليدخل منه ويحصل على مراده دون أي تأخر ولا تريث.

- الدلالة على مطاوعة ما فآؤه لام، وذلك قول الشاعر في البيت الواحد والعشرين من القصيدة الثامنة:

عليك به دواما فالتزمه * بصدق محبة أي التزام^{١٦}

التزم الشيء أو الأمر: أوجبه على نفسه. ينصح الشاعر الناس بالتمسك بممدوحه، واتباعه حيث خاطب المستمع لقصيدته والقاريء لها وطلب منه التمسك به والتسليم له، وعلل على ذلك في البيت التالي حيث قال: "يرى بركات ذلك"...

افتعل يفتعل بزيادة الألف والتاء. هذا البناء يأتي للدلالة على معان مختلفة، منها:

- الاتخاذ، نحو اشتوى القوم أي اتخذوا شواء، ومثلها احتبستته أي اتخذته حبسا، واختبرت: اتخذت خبزا، واختشب السيف: اتخذه خشبًا، واعتبده: اتخذه عبداً، واعتش الطائر: اتخذ عشًا، واكتال: اتخذ كيلاً، واختتم: اتخذ خاتماً، واعتقد اتخذ عقداً.

- الاجتهاد والطلب، نحو كسب فإنه بمعنى أصاب، أما اكتسب فهو التصرف والطلب والمحاولة والاجتهاد في سبيل الكسب.

واكتدَّ فلاناً: طلب منه الكدَّ، وأجَّج: طلب الأجرَ، واضطرب خاتماً: طلب أن يضرب له ويُصاغَ، واكتتب: استكتب، أي طلب أن يكتب له، وأبتر فلاناً: سأله أن يأبر له نخله أي سأله أن يصلحه له.

- مطاوعة فَعَّلَ، صيغة افتعل تعني عن انفعال في مطاوعة ما فاؤه لام أو راء أو نون أو ميم أو واو، فارتقى مطاوع رَمَى، ولا يُقال: انرمى. وله دلالات أخرى كالاستغناء عن ثلاثيه نحو: افتقر، ويأتي بمعنى فَعَلَ نحو: قرأتُ واقتُرأتُ. ورد هذا البناء ثماني مرات في اثني عشر موضعاً. فيما يلي عرض لما احتوى عليه الديوان من دلالة بناء افتعل:

- الدلالة على الاتخاذ، وهو ما في البيت السادس من القصيدة الرابعة، حيث يقول الشاعر

قد اختاره غوٲ البرايا خليفة * لما أنه في كل أوصافه كمل^{٢٠}

اختار: فعل ماضٍ ثلاثي مزيد بحرفين على وزن "افتعل" أصله اُخْتِيَر، نُحَرِّكِ الياءُ وانفتح ما قبلها فُقُلِبَتْ ألفا فصار "اختار". والاختيار: هو الاتخاذ والاصطفاء.^{٢١} بيّن الشاعر أن الشيخ إبراهيم إنياس قد اختار أمير كانوا مُحمَّد السنوسي الأول خليفة له لما لاحظته من صفات كريمة وأخلاق محمودة.

- الدلالة على الشدة أو المبالغة، كما قال الشاعر في البيت

التاسع من القصيدة التاسعة:

سُبْحَانَ رَبِّيَ إِنَّ الْمَرْءَ لَمْ يَكُ يَنْدُ * سَى نَفْسُهُ عِنْدَ هَذَا شَوْقِي احْتَدَمَا^{٢٢}

احتدم فعل ماضٍ ثلاثي مزيد بحرفين على وزن "افتعل". احتدمت الحرارة أو النار ونحوهما: اشتدت.^{٢٣} أورد الشاعر البيت في سياق سرده لما جرى بينه وبين المرحَّب به في القصيدة، حيث أتاه مُودِّعًا وقال له: "لاتنسي سيدي" فقال له "أن المرأ لم يك ينسى نفسه"، ما يدل على أنه اعتبر نفسه والشاعر نفس واحدة، فتأثر الشاعر واشتد شوقه إليه.

افعلل يفعلل بزيادة الهمزة وتضعيف اللام. لم يرد من هذا الصيغة شيء في محل الدراسة من الديوان.

تَفَعَّلَ يَتَفَعَّلُ بزيادة التاء وتضعيف العين. ويأتي لمعان، أشهرها خمسة

وهي:

- مطاوعة فَعَّلَ، نحو: كَسَّرْتُهُ فَتَكَسَّرَ، نَبَّهْتُهُ فَتَنَّبَهُ.
- الاتخاذ، نحو: تَوَسَّدَ ثَوْبَهُ، أي اتخذ وسادة.
- التَّكَلَّفُ، نحو: تَصَبَّرَ أَي تَكَلَّفَ الصَّبْرَ.
- التَّجَنَّبُ، نحو: تَحَرَّجَ أَي تَجَنَّبَ الْحَرَجَ.
- التدريج، نحو: تَحَقَّقْتُ الْعِلْمَ، أي مسألة بعد أخرى.

- وربما أغنى عن الثلاثي لعدم وروده، نحو: تَكَلَّمَ وتصدى.^{٢٤}
ورد هذا البناء ست مرّات في ستة مواضع. فيما يلي عرض لما احتوى عليه بناء تَفَعَّلَ من دلالة في الديوان:

- الدلالة على الاتخاذ، وهو قول الشاعر في البيت التاسع عشر من القصيدة التاسعة:

يا من تَسَمَّى باسم الختم ثم سَرَتْ* في كل هيكله أسرارُه فسما^{٢٥}
تسمى فعل ماض ثلاثي مزيد بحرفين على وزن "تَفَعَّلَ". وتَسَمَّى
بكذا: سُمِّيَ به، وتَسَمَّى بالقوم أو إليهم: انتَسَبَ إليهم واتَّخَذَ اسمَهُم.^{٢٦}
نادى الشاعِرُ ممدوحه الذي كان اسمه أحمد كما كان اسم رسول الله
ﷺ الذي هو خاتم النبيين وإمام المرسلين، فقال "يا من تسمى باسم
الختم" أي يا من اتخذ اسم مُحَمَّدٍ خاتم النبيين وإمام المرسلين واقتدى به ثم
تأثر بأخلاقه من خلال الاقتداء به في حياته اليومية فارتفعت منزلته
وعلا شأنه.

- الدلالة على مطاوعة فَعَّلَ، وذلك قول الشاعر في البيت الثالث من القصيدة السادسة:

ويرغب عنه كلُّ غمر مغفَلٍ* تجمَّع فيه شرُّ ما في البهائم^{٢٧}
جمع المتفرق جمعًا: ضم بعضه إلى بعض. أما تجمَّع فيفيد معنى انضم
بعضه إلى بعض. يزم الشاعر التارك لممدوحه والزاهد فيه ويصفه ببعض

الصفات المزمومة، منها أنه كثير الحقد والغل في نفسه، وشبّهه بالحيوان وقال: هو ممن اجتمعت فيه رزائل ما في البهائم.

- الدلالة على التَّكْلِيفِ. وذلك قول الشاعر في البيت الثاني والعشرين من القصيدة الثالثة:

تَشَمَّرَ لِلإِفَادَةِ غَيْرِ وَانْ * غدا في وطنه أم في المجال^{٢٨}

تَشَمَّرَ لِلأَمْرِ: تَهَيَّأ. يقال: تَشَمَّرَ عَنْ سَاعِدِهِ وَ عَنْ سَاقِهِ: جَدَّ وَاجْتَهَدَ. أما تَشَمَّرَ فمطأوع شَمَّرُهُ. وَتَشَمَّرَ الشَّيْءُ: تَقَلَّصَ.^{٢٩} بين الشاعر حال المرثي عليه وكيف كان زمن حياته تجاه طاعة الله تعالى في امتثال أوامره واجتناب نواهيه، حيث جدَّ واجتهد في ذلك من دون أن يتأثر فيه سلبا أنس الأهل ولا تبعات الغربة.

- الدلالة على معنى الثلاثي المجرد عن الزيادة. وذلك قول الشاعر في البيت الثاني والعشرين من القصيدة السادسة:

تَيَقَّنْتُ أَيَّ وَاجِدٍ كَلَّ مَطْلَبِي * متى جئت باب الغوث مصباح سالم^{٣٠}

تَيَقَّنَهُ وَبِهِ: يَقْنَهُ. وَيَقْنُ الشَّيْءُ يَقْنُ يَقْنًا وَيَقِينًا: ثَبَتَ وَتَحَقَّقَ وَوَضَحَ. يعرب الشاعر عن يقينه واعتقاده بقضاء جميع حوائجه إذا توسَّل بممدوحه، أو يقضيها له إذا أتى بابه لأجلها.

الختامة

أظهر هذا المقال أن يظهر المزايا اللغوية التي يتمتع بها العلماء في نيجيريا، خصوصا الناطقون بلغة هوسا، من خلال نظرة سريعة في ديوان "فَرَحُ الأَحِبَّةِ" للشيخ خليل طَنْدُمِي. توصل المقال إلى أن صاحب الديوان استخدم مختلف الصيغ والأوزان المعروفة في اللغة العربية في ديوانه، خصوصا صيغ الثلاثي المزيد بحرفين فاستخدمها الشاعر بدلالاتها المتباينة، منها ما يلي: انصَرَفَ وانفَتَحَ اللتان جاءتا على صيغة انفَعَلَ ودَلَّتَا على المطاوعة، واختَارَ واحتَدَمَ اللتان جاءتا على صيغة افْتَعَلَ ودَلَّتَا على الاتخاذ والمبالغة، وتَسَمَّى وتَجَمَّعَ وتَشَمَّرَ وتَيَقَّنَ اللتي جاءت على صيغة تَفَعَّلَ ودَلَّتْ على الاتخاذ والمطاوعة والتكلف ومعنى الثلاثي المجرد من الزيادة على الترتيب. وتحدث البحث أيضا عما للغة العربية من الرّونق والجمال والطلاوة الناتجة عن تنوع الصيغ وأوزانها ودلالاتها على المعاني المتعددة. هذه الظاهرة تعبّر عن الثروة الهائلة الثابتة للغة العربية، وتعبّر أيضا عن اتساع اللغة لتلبي نداء مستخدميها وقدرتها على التعبير عن مختلف الأغراض والحاجات. وبعبارة أخرى، جسّد البحث دور صيغ الكلمات في اختلاف المعاني وتعددتها، ما يحمل في طيّاته معنى قولهم: "الزيادة في المبنى تدلّ على الزيادة في المعنى".

الهوامش والمراجع

- ١- عبده الراجحي (١٩٨٤م) التطبيق الصرفي، مكتبة أنوار الهدى، القاهرة، ص: ٢٥
- ٢- أحمد بن مُجَّد الحملاوي (١٩٩٩م) شذا العرف في فن الصرف، مكتبة الصفا، ص: ٣٥
- ٣- عبده الراجحي، المرجع نفسه، ص: ٣١
- ٤- ابن عقيل، بهاء الدين، المرجع نفسه، ص: ٥٠
- ٥- ابن عقيل، بهاء الدين، المرجع نفسه، ص: ٥٣
- ٦- مُجَّد بكر إسماعيل (٢٠٠٠م) قواعد الصرف بأسلوب العصر، دار المنار، القاهرة، ص: ٦٦
- ٧- ابن عقيل، بهاء الدين، المرجع نفسه، ص: ٥١
- ٨- عبده الراجحي، المرجع نفسه، ص: ٣٤
- ٩- عبده الراجحي، المرجع نفسه، ص: ٣٦
- ١٠- ابن عقيل، بهاء الدين، المرجع نفسه، ص: ٥١
- ١١- ابن عقيل، بهاء الدين، المرجع نفسه، ص: ٥٢
- ١٢- عبده الراجحي، المرجع نفسه، ص: ٣٥
- ١٣- ابن عقيل، بهاء الدين، المرجع نفسه، ص: ٥٤
- ١٤- أحمد بن مُجَّد الحملاوي، المرجع نفسه، ص: ٤٠

- ١٥- إبراهيم الخليل طندمي (الشيخ)، فرح الأحبة، ديوان مخطوط القصيدة الثامنة ص: ١٤
- ١٦- الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث (٢٠١١م) المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، الطبعة الخامسة، مادة (عنى) ص: ٥٣٢
- ١٧- إبراهيم الخليل طندمي (الشيخ)، فرح الأحبة، المرجع نفسه. ص: ١
- ١٨- الجوهري (٢٠٠٩م) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، دار الحديث، ص: ٨٦٨
- ١٩- إبراهيم الخليل طندمي (الشيخ)، فرح الأحبة، المرجع نفسه. ص: ١٤
- ٢٠- إبراهيم الخليل طندمي (الشيخ)، فرح الأحبة، المرجع نفسه. ص: ٧
- ٢١- الجوهري، المرجع نفسه، ص: ٣٥٢
- ٢٢- إبراهيم الخليل طندمي (الشيخ)، فرح الأحبة، المرجع نفسه. ص: ١٦
- ٢٣- الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث، المرجع نفسه، ص: ١٦٧
- ٢٤- أحمد بن محمد الحملاوي، المرجع نفسه، ص: ٤١
- ٢٥- إبراهيم الخليل طندمي (الشيخ)، فرح الأحبة، المرجع نفسه. ص: ١٧
- ٢٦- الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث، المرجع نفسه، ص: ٤٧٠
- ٢٧- إبراهيم الخليل طندمي (الشيخ)، فرح الأحبة، المرجع نفسه. ص: ١٠
- ٢٨- إبراهيم الخليل طندمي (الشيخ)، فرح الأحبة، المرجع نفسه. ص: ٦
- ٢٩- الجوهري، المرجع نفسه، ص: ٥١٢
- ٣٠- إبراهيم الخليل طندمي (الشيخ)، فرح الأحبة، المرجع نفسه. ص: ١١

صيغة "أفتعل" ومعانيها في قصيدة كشف الغمة في مدح سيد الأمة محمود سامي البارودي

إعداد:

الدكتور إلياس عثمان

usmanilyasu5@gmail.com

و

عبد الوهاب عثمان أبوكي

قسم الدراسات العربية، كلية الآداب،

جامعة ولاية نضراوا، كيني، نيجيريا

ausman37@nsuk.edu.ng

الملخص:

هذه مقالة بعنوان "صيغة "أفتعل" ومعانيها في قصيدة كشف الغمة في مدح سيد الأمة محمود سامي البارودي"، تهدف إلى جمع الأفعال التي زيد فيها الهمزة والتاء (أفتعل) ماضيها ومضارعها وأمرها ثم دراسة بعض شواهدا في القصيدة لتقف على المعاني التي تفيدها فيها، ومنهج المقالة في ذلك استقراء واستنباط ثم الدراسة، وقد تتبعت المقالة القصيدة واستخرجت أفعالا على الصيغة، وجمعتها وتحصلت على أربعين فعلا زيد فيه الحرفان، فالتى تفيد المشاركة فيها سبعة أفعال، والمفيدة مطاوعة ثلاثة عشر فعلا، والمفيدة توكيدا أربعة أفعال، ثم التي تفيد معنى المجرد (فعل) ستة عشر فعلا.

المقدمة

البارودي هو محمود سامي الجركسي المصري، الأديب الشاعر ومجدد الشعر العربي، ورائد النهضة الشعرية المعاصرة، وزعيم مدرسة البعث والإحياء، والقنطرة بين عصر الانحطاط وعصر النهضة.

ولد في السادس من شهر أكتوبر عام ثمان وثلاثين وثمانمائة وألف من الميلاد في حي باب الخلق بالقاهرة بمصر لأبوين من بيت مؤثّل وأسرة ثرية من الجراسكة^١ وكان أبوه حسن حسني بك البارودي من أمراء المدفعية في عهد مُحمّد علي باشا والي مصر. توفي والده وهو ابن سبع سنوات، فذاق طعم الحرمان منذ الصغر، لكنه أبي على نفسه إلا أن يكون فارساً كأبيه مع ما عانى من مصاعب الحياة.^٢

تلقى دروسه الأولية في البيت حتى بلغ الثانية عشر من عمره، فأخذ مبادئ العلوم على أساتذة كانوا يحضرون منزله، ثم التحق بالمرحلة التحضيرية من "المدرسة الحربية المفروزة" عام ١٨٥١م وانتظم فيها يدرس فنون الحرب، وعلوم الدين واللغة والحساب والجبر، وتخرج فيها في السادسة عشرة من عمره، وقد قيل إنه تعاطى صناعة الشعر في أثناء دراسته، ولم يستطع استكمال دراسته العليا، والتحق بالجيش السلطاني.^٣ وقد تجلّت مواهبه الشعرية في سن مبكرة بعد أن استوعب التراث العربي وقرأ روائع الشعر العربي والفارسي والتركي.^٤

ويمتاز البارودي بشخصية امتلكت عدة مواهب ما تيسرت لغيره من معاصريه، فقد كان فارساً وقائداً وشاعراً وذا نسب شريف، ومجدداً للأدب العربي الحديث ورائداً له في وقت انخمدت فيه نار الشعر وانحطت منزلته، وصار كلفةً من صور البديع والمحسنات، على عدة قرون اتسمت بعصر الانحطاط.^٥

فهو شاعر أتى في هذه الفترة الراكدة وشكّل حلقة وصل بين التراث العربي القديم الذي بدأ ينهار بعد سقوط دولة بني العباس وبين العصر الحديث الذي تفجرت طاقاته بالنهضة العلمية والفكرية التي سادت أوروبا، والتي بدأت إرهاباتها في مصر في القرن التاسع عشر.^٦ فقرأ المئات من قصائد الجاهلين والمخضرمين وفحول المحدثين، ولا يُعرف أحد بين أبناء جيل البارودي أو أبناء الجيل الذي تلاه قرأ مثل ما قرأ من دواوين العرب واستفاد من صياغتها كما استفاد.^٧

وقد عزل الباروديَّ رئيسُ الوزراء بعد عودته من حرب البلقان ليجد حركة الجيش التي مهدت للثورة العرابية، لتعاطفه مع الثورة، فذهب إلى الريف معتزلاً الحياة السياسية، فتمَّ سطرَّ أروع قصائده، منها قصيدته المطولة في مدح النبي ﷺ، وقد خلف ديوان شعره الضخم، الذي عكف على تنسيقه وترتيبه ومراجعته وشرح غريبه والتعليق عليه قبل وفاته،^٨ ومن أعماله الأدبية الهامة المختارات التي جمعها من عيون الشعر العربي

في أربعة أجزاء، اختارها البارودي لثلاثين شاعرًا من كبار شعراء العصر العباسي، قام هو بشرحها والتعليق عليها، وأخيرًا تلك المختارات من النثر التي سماها "قيد الأوابد" والتي جمع فيها عيون الرسائل والخطب والتوقيعات.

وتوفي محمود سامي البارودي في ١٢ ديسمبر ١٩٠٤م بعد سلسلة من الكفاح والنضال من أجل استقلال مصر وحريتها وعزتها.^٩ أما عن قصيدته التي كانت مادّة هذه المقالة (قصيدة كشف الغمة في مدح سيد الأمة) فهي قصيدة في مدح النبي مُحَمَّد ﷺ وذكر سيرته قبل ولادته وبعدها ورضاعته، وما حدث قبل بعثته من أمانته وإرهاصاته ومعاملته مع الناس، وبعثته، وما جلب ذلك له من الأعداء، ومعجزاته، ودعوته، واستجابة بعضٍ له وإبادة بعض، وهجرته، وغزواته، وانتصاراته على الذين عادّوه، وغير ذلك، والقصيدة في سبعة وأربعين وأربعمئة بيت، من بحر البسيط، وهي ميمية القافية.

فالمقالة ستحتوي على النقاط التالية:

- مفهوم المزيد اللغوي والاصطلاحي
- أنواع الزيادة وحروفها
- صيغة "افتعل" ومعانيها الصرفية
- إبدال تاء "افتعل".

- صيغة "افتعل" بمعنى المشاركة في القصيدة.
- صيغة "افتعل" بمعنى المطاوعة في القصيدة.
- صيغة "افتعل" بمعنى المبالغة في القصيدة.
- صيغة "افتعل" بمعنى المجرد "فَعَلَ" في القصيدة.
- الخاتمة

مفهوم المزيد اللغوي والاصطلاحي:

المزيد: اسم مفعول، مشتق من "زاد" يقال: زَادَ، يَزِيدُ، زِدٌ، زيادةً وزيِّدًا، فهو زائد، والمفعول مزيد.

والمزيد في اصطلاح الصرفيين: هو ما زيد فيه حرف أو أكثر على حروفه الأصلية.^{١٠} أو ما زيد على حروفه الأصلية حرف أو أكثر من حروف الزيادة، والمراد بالحروف الأصلية ما يقابل الفاء والعين واللام، وبالزائد ما لم يكن فاء ولا عينا ولا لاما فنحو كتب فالكاف هو الأصل الأول والتاء الأصل الثاني والباء الأصل الثالث وكل ما زاد على هذه الأحرف الثلاثة الكاف والتاء والباء من أول الكلمة أو وسطها أو آخرها فهو زائد.^{١١} أو ما زيد على حروفه الأصلية حرفٌ يَسْقُطُ في بعض تصاريف الفعل لغير علة تصريفية، أو حرفان، أو ثلاثة أحرفٍ^{١٢}.

أنواع الزيادة وحروفها:

الزيادة تكون لأحد سبعة أشياء:

(١) لمعنى، وهو أقوى الزوائد، كحرف المضارعة، أو السين والتاء في نحو "استغفر" فإنهما للطلب.

(٢) الإمكان، كهزمة الوصل، ليتمكن النطق بالساكن.

(٣) لبيان الحركة كهاء السكت.

(٤) للمد "ككتاب، وعجوز، وقضيب".

(٥) لل عوض كتاء التأنيث في مثل: "زنادقة" فإنها عوض من ياء زنديق ولذا لا يجتمعان.

(٦) لتكثير الكلمة كألف "قبعثرى" (القبعثرى: الجمل العظيم أو الرجل الشديد).

(٧) للإلحاق كواو "كوثر" وياء "ضيغم" (الضيغم: الذي يعض، والأسد) وضابط الذي للإلحاق، ما جعل به ثلاثي أو رباعي موازنا لما فوقه، مساويا له في حكمه ك: "رعشن نونه زائدة للإلحاق لأنه من الارتعاش، فألحق بـ "جعفر"، و "فردوس" واوه زائدة للإلحاق بـ "جردحل".^{١٣}

فالزيادة التي تعني به هذه المقالة في هذا الصدد هي الأولى التي تكون لمعنى، والحروف التي تزداد على المجرد الثلاثي، أو المجرد الرباعي وغيرهما محصورة في عشرة أحرف يجمعها قولك: "سألتمونيها" أو "اليوم تنساه" أو "تسليم وهناء"،^{١٤} ذكرها ابن جني منظومة حيث قال:

هَوَيْتُ السَّمَانَ فَشَيَّبَنِي ... وما كنت قدما هَوَيْتُ السَّمَانًا^{١٥}
وذكر أيضا في مكان آخر بتركيب مُغَايِر لهذا:
سألت الحروف الزائدات عن اسمها * فقالت ولم تبخل: (أمان وتسهيل)^{١٦}
وقيل:

هم يتساءلون وما سألت يهون * والتَمَسَنَ هواي وسألتهم هواني^{١٧}
صيغة "افتعل" ومعانيها الصرفية:

إن صيغة "افتعل" صيغة تُوزَن عليها الأفعال إذا زيد عليها، فإنها تكون عندما يُراد في الفعل الثلاثي المجرد حرفان (ا ت) فتفيد الزيادة معنى زائدا على المعنى الأصلي الذي يؤديه الفعل في تجرده، وأما المعاني التي تفيده زيادة هذين الحرفين فهي:

١. الاتخاذ: أي أن يفيد اتخاذ شيء، كأن يقال: اختتم زيد، واختدم، إذا اتخذ له خاتماً، وخادماً.

٢. الاجتهاد والطلب: كاتسب، كقوله تعالى: "لِكُلِّ امْرِيٍّ مِنْهُمْ مَا اَكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ"^{١٨} أي ما اجتهد في كسبه، واكتتب، كقوله تعالى: "وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اِكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمَلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا"^{١٩}، أي اجتهد في كتابتها.

٣. التشارك: نحو: اختصم زيد وعمرو، أي اختلفا، ومنه قوله تعالى: "وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لِاِحْتِلَافْتُمْ فِي الْمِيعَادِ"^{٢٠} أي لتشاركنم في الاختلاف،

وقوله: "وَإِنَّ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا" ^{٢١} أي اشتركا في التقاتل.

٤. الإظهار: نحو: اعتذر واعتظم، أي أظهر العذر، والعظمة.

٥. المبالغة في معنى الفعل: نحو: اقتدر، وارتد، أي بالغ في القدرة والردة، ومنه قوله تعالى: "إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمَلَىٰ لَهُمْ" ^{٢٢}.

٦. مطاوعة الثلاثي كثيراً: نحو: عدلته فاعتدل، وجمعته فاجتمع، وربما أتى مطاوعاً للمضعف ومهموز الثلاثي، كقرّبه فاقترّب، وأنصفه فانتصف.

٧. وقد يجيء بمعنى أصله، لعدم وروده، كارتحل الخطبة، واشتمل الثوب. ^{٢٣}

وقد ذكر منها صاحب الشافية حيث قال:

والافتعال غالباً مُطَاوِعٌ ... فالاجتماع بعد جمع واقع
وَقَدْ أَتَى لِلاتِّخَاذِ كَأَشْتَوَى ... أَي أَخَذَ الْمَرْءُ لِنَفْسِهِ الشَّوَى
وَجَاءَ فِي مَعْنَى تَفَاعَلَ كَمَا ... تَقُولُ هُمْ يَشْتَرِكُونَ فِي الْحُمَى
وَرُبَّمَا يَجِيءُ لِلتَّصْرُفِ ... نَحْوُ اكْتَسَبَتِ السُّوءَ بِالتَّعْرِفِ ^{٢٤}

إبدال تاء "افتعل":

تبدل تاء "افتعل" في حالات، وهي أن تكون فاء الفعل واوا أو ياء أو دالا أو ذالا أو ثاء أو صاداً أو ضاداً أو طاء أو ظاء، فعندئذ تبدل فاء "افتعل" (التي للزيادة) حرفاً آخر، وفيما يلي تفصيلها:

- إن كانت فاء "افتعل" واوا أو ياء، أبدلت تاءً، وأدغمت في تاء الافتعال، وذلك كاتصل واتسر واتقى (والأصل "اوتصل وايتسر واوتقى") ويشترط في ذلك أن لا تكون الياء بدلا من الهمزة، فلا تبدل تاء، كما في "ايتمر" وأصلها "ائتمر". وقد تبدل على علة كما في "اتزر" وأصلها "ايتزر" وأصل هذه "ائتزر". ومنه الحديث "فَإِنْ كَانَ الثَّوْبُ قَصِيرًا، فَلْيَتَزَّرْ بِهِ".^{٢٥}

- إن كانت فاء "افتعل" ثاء أبدلت تاؤه ثاء، وأدغمتا، كاتأر، وأصلها "اثأر".

- وإن كانت فاءه دالا أو ذالا أو زايا، أبدلت تاؤه دالا كادعى واذذكر وازدهى (وأصلها ادتعى واذتكر وازتهى).

- وإن كانت فاءه صادًا أو ضادا أو طاء أو ظاء أبدلت تاؤه طاء كاصطفى واضطجع واطرد واضطلم، (وأصلها اصتفى واضتجع واطترد واطتلم).^{٢٦}

صيغة "افتعل" بمعنى المشاركة في القصيدة:

وردت صيغة "اَفْتَعَلَ" في قصيدة البارودي لإفادة المشاركة سبع مرات، منها قوله:

تَجَمَّعَتْ فِرْقُ الْأَحْلَافِ وَاقْتَسَمَتْ * بِنَاءَهُ عَنِ تَرَاضٍ حَيْرٍ مُقْتَسَمِ

تجمعت بطون قريش في بناء الكعبة واشترك كل بطن من البطون فيه على التراضي بينهم واقتسموا أدوار البناء بينهم خير اقتسام بحيث نال كل منهم ما يشغله وحظي بالمشاركة فيه.

فالفعل "اقتسم" صحيح سالم، ثلاثي، مزيد بالهمزة والتاء، مجردة: "قَسَمَ" من باب ضرب، فزيدت فيه الهمزة والتاء، فالزيادة فيه أفادته المشاركة بين طرفين أو أكثر، يقال: قسم الشيء، أي جزأه أجزاءً، واقتسم القوم، أي تحالفوا،^{٢٧} واشتركوا في القسمة.

ومنه قوله:

تَسَابَقُوا طَلْبًا لِلْأَجْرِ وَاخْتَصَمُوا * فِيمَنْ يَشُدُّ بِنَاهُ كُلِّ مُخْتَصِمٍ

كان تسابق قريش في بناء الكعبة قبل بعثة النبي ﷺ عن رغبة في نيل الثواب لصنيعهم إلا أنهم لما وصل البناء موضع وضع الحجر اشتدت الخصومة فيمن يضعه لدرجة الإعداد للقتال.

فلفظ "اختصم" فعل ماض، صحيح، سالم، ثلاثي، مزيد بالهمزة والتاء، ومجرده: "خَصَمَ يَخْصِمُ" من باب ضرب، و"خَصِمَ يَخْصِمُ" من باب فرح، فهو ذو باين في حال تجرده، والزيادة في الفعل للمشاركة، يقال: خصم فلاناً، أي غلبه بالحجة، واختصم الأشقاء، أي خاصم بعضهم بعضاً،^{٢٨} فالمراد من قول الشاعر: "تَسَابَقُوا طَلْبًا لِلْأَجْرِ وَاخْتَصَمُوا" هو أن الأحياء من قريش اشتركوا في السبابة إلى بناء بيت الله الحرام، كما اشتركوا في أيضا في الخصومة في شأنه.

وقوله:

فَكَانَ أَوَّلَ آتٍ بَعْدَمَا اتَّفَقُوا * مُحَمَّدٌ وَهُوَ فِي الْخَيْرَاتِ ذُو قَدَمٍ

أشار إلى قريش خوف التقاتل بينهم أبو أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، وكان عامئذ أسن قريش كلِّها أن يتحكّموا إلى أول من يطلع عليهم من باب المسجد فإذا بالنبي مُحمَّد يدخل عليهم من الباب فرَضُوا جميعاً بالتَّحَكُّمِ إليه فَحَكَمَ فيهم فَحَمَدَتْ بِحُكْمِهِ نارَ الفتنَةِ.

لفظ "اتَّفَقَ" فعل ماضٍ، مثال، ثلاثي، مزيد بالهمزة والتاء، على وزن "افْتَعَلَ" ومجرده: "وَفَقَّ" من باب حَسِبَ، فلما زيد فيه الهمزة والتاء صار "اِوتَّفَقَ"، فأبدلت فاء الكلمة تاءً، وأدغمت في التاء الزائدة، فصار الفعل "اتَّفَقَ"، فالزيادة في الفعل أفادت المشاركةً، يقال: وفق الأمر إذا كان صواباً مُوافقاً للمُراد، واتَّفَقَ الشَّخصان على شيءٍ، أي تواطأ على أمر واحد لا خلاف فيه، واجتمعت كلمتهما ولم يختلفا.^{٢٩}

صيغة "افتعل" بمعنى المطاوعة في القصيدة:

استخدم الشاعر صيغة "اِفتَعَلَ" لمعنى المطاوعة في القصيدة ثلاث

عشرة مرة، منها قوله:

كَأَنَّهَا أَحْرَفٌ بَرَقِيَّةٌ نَبَّضَتْ * بِالسِّلِكِ فَانْتَشَرَتْ فِي السَّهْلِ وَالْعَلَمِ

أي إن القطا المارة بالشاعر التي يتمنى لو تُوصِلَ له رسالته إلى إضم المُتَحَبِّبَةِ إلى قلبه شبيهةً ببرق متجمع منتظم في بداية أمرها ثم انتشرت في الآفاق.

الشاهد في البيت "إِنْتَشَرَ" وهو فعل ماضٍ صحيح، سالم، ثلاثي، مزيد بالهمزة والتاء، ومجرده "نَشَرَ"، فعندما زيد فيه الحرفان اكتسب معنى جديداً زائداً على معناه الأصلي في حالة التجرد، وهو المطاوعة، أي مطاوعة مجرده، يقال: نَشَرُهُ فانتشر، أي طَاوَعُهُ في الانتشار، يقال: نَشَرَ الثَّوبَ، أي بسطه ومدّه، انتشر الثوبُ، إذا انبَسَطَ وامتد.^{٣٠} وقوله:

حَتَّى إِذَا تَمَّ أَمْرُ اللَّهِ وَاجْتَمَعَتْ * لَهُ الْقَبَائِلُ مِنْ بُعْدٍ وَمِنْ زَمَمٍ

أي إن النبي لما نزل بالمدينة بنى مسجده واختصَّ بلالا بن رباح بالتأذين للصلاة للمسلمين فيه، واجتمع أمر القبائل الشَّتَّى المعتنقين بالإسلام فأخى الرسول بين أفراد المسلمين من المهاجرين والأنصار وأصلح بين الفئات المقاتلة كالأوس والخزرج.

لفظ "اجْتَمَعَ" ماضٍ، صحيح، سالم، ثلاثي، مزيد بالهمزة والتاء، ومجرده: "جَمَعَ يَجْمَعُ" من باب فَتَحَ، والزيادةُ أكسبته مطاوعةً فعله الثلاثي، يقال: اجتمع القومُ، بمعنى تَجَمَّعُوا^{٣١}، فإن قيل: جمع شيئاً يعني أَلْفَ متفرِّقا،^{٣٢} أما إن قيل: اجتمع الشيءُ فيعني ائتلف المتفرِّقُ.

ومن ذلك أيضاً قوله:

فَأَسْتَحْكَمَ الدِّينُ وَاشْتَدَّتْ دَعَائِمُهُ * حَتَّى غَدَا وَاضِحَ العَرِينِ ذَا شَمَمٍ

أي إن الإسلام نال التمكن في الأرض لما هوجر به إلى المدينة وترسّخ بحيث صار المسلمون يستطيعون التدبُّن بالإسلام دون خوف عدوِّ فتنان يفنن المسلمين أو يمنعهم من إفشاء أمر دينهم.

لفظ "اجتمع" ماض، صحيح، سالم، ثلاثي، مزيد بالهمزة والتاء، ومجرده: "شد"، وهو فعل ثلاثي مضعّف من باب نصر، فزيادة الحرفين في الفعل أفادته المطاوعة لفعله الثلاثي المضعف، يقال: شدّ الحبل فاشتدّ، أي طاوعه في الاشتداد، أو مطاوعة لثلاثي مزيد بالتضعيف "شدّد"، فيقال: شدّد عليه الأمر فاشتدّ عليه.

واستعمل مثله أيضا في قوله:

حَتَّى إِذَا سَكَنَ الْإِرْجَافَ وَاحْتَرَقَتْ * أَكْبَادُ قَوْمِ بِنَارِ الْيَأْسِ وَالْوَعَمِ
أي لم يزل النبي وصاحبه في الغار متخفّين طيلة ثلاثة أيام حتى قلّ
تجوّل مُبتغيهم وداحلهم اليأس من إمكانية لُقياه لإعدامه، ثم خرجا
وأبجها المدينة المنورة.

لفظ "احترق" فعل ماض، صحيح، سالم، ثلاثي، مزيد بالهمزة والتاء، على وزن "افتعل"، ومجرده: "حرق يحرق" من باب نصر، فتفاد من الزيادة المطاوعة، يقال: حرقه بالنار، أي جعل النار تؤثر فيه أثرها المعهود،^{٣٣} واحترق الشيء إذا طاوع الحرق، فقول الشاعر: "احترقت أكباد قوم" يعني طاوعت الحرق.

صيغة "افتعل" بمعنى المبالغة في القصيدة:

استعمل الشاعر أفعالا مزيدة على صيغة "اَفْتَعَلَ" لمعنى المبالغة أربع مرات، منها قوله:

وَبَادَهُوا أَهْلَ دِينِ اللَّهِ وَاهْتَضَمُوا * حُفُوفَهُمْ بِالتَّمَادِي شَرَّ مُهْتَضَمٍ

أي إن مشركي مكة لما لاحظوا ما كان للإسلام من التقوي ومبادرة الأحرار والعبيد إليه شنوا عليهم الغارات وفتنوهم عن دينهم وظلموهم وضيقوا عليهم شرَّ التضييق.

فلفظ "اهْتَضَمَ" فعل ماضٍ، صحيح، سالم، ثلاثي، مزيد بالهمزة والناء، ومجرده: "هَضَمَ يهضم" من باب ضرب، فلما زيد فيه الحرفان اكتسب معنى المبالغة في الفعل، يقال: هَضَمَ فلاناً: ظلمه، قهره، واهتضم حقه: أي بالغ في أخذه،^{٣٤} فقول الشاعر: "وَبَادَهُوا أَهْلَ دِينِ اللَّهِ وَاهْتَضَمُوا حُفُوفَهُمْ" يعني: بِالْعُوا فِي أَخْذِهَا.

وقوله أيضا:

حَتَّى اسْتَجَابَتْ لَهُ الْأَنْصَارُ وَاعْتَصَمُوا * بِجَبَلِهِ عَن تَرَاضٍ حَيْرٍ مُعْتَصِمٍ

أي ظل النبي ﷺ يدعو أهل المدينة الأنصار إلى الإسلام ولم يفتر حتى اعتنقوا الإسلام وحسن إسلامهم ونسوا ما بينهم من المقاتلة والشحناء فاتحدت كلمتهم بفضل الله.

لفظ "اعْتَصَمَ" فعل ماضٍ، صحيح، سالم، ثلاثي، مزيد بالهمزة والتاء، على وزن "افْتَعَلَ"، ومجرده: "عَصَمَ يَعْصِمُ" من باب ضرب، فالزيادة في الفعل لإفادة المبالغة في الفعل، يقال: عَصَمَ إِلَيْهِ عَصَمَا، إِذَا جَاءَ،^{٣٥} واعتصم به، أي بالغ في اللجوء إليه، ومعنى قول الشاعر: "اعْتَصَمُوا بِحَبْلِهِ" أنهم بالغوا في اللجوء إلى حبله، ومنه قوله تعالى: "واعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا"^{٣٦} أَي: تمسكوا بدين الله،^{٣٧} فالتمسك إنما يكون أخذ شيء بغاية القوة.

واستعمل مثله أيضا في قوله:

وَفِي حُنَيْنٍ إِذْ أَرْتَدَّتْ هَوَازِنُ عَنْ * قَصْدِ السَّبِيلِ وَلَمْ تَرْجِعْ إِلَى الْحَكَمِ
أي كانت غزوة حنين لما بدا من هوازن ارتداداً عن قصد السبيل والحيد
عن الطريق المستقيم والإبادة عن الرجوع إلى المنهج القويم.

فلفظ "ارتدَّ" فعل ماضٍ، صحيح، سالم، ثلاثي، مزيد بالهمزة والتاء، على وزن "افْتَعَلَ"، ومجرده: "رَدَّ يَرُدُّ" من باب نصر، والزيادة في الفعل تفيده المبالغة في معنى الفعل، ذكره الحملاوي،^{٣٨} ويرى الباحث أنها قد تكون للمطاوعة، فيكون مطاوعاً لفعله الثلاثي المضعف، فيقال: رَدَّهُ فارتدَّ، أي طاعه في الارتداد.

صيغة "افتعل" بمعنى "فعل" في القصيدة:

استخدم الشاعر أفعالا مزيدة على صيغة "افتعل" لمعنى المجرد
"فعل" ست عشرة مرة، منها قوله:

مَنَازِلٌ هَوَاهَا بَيْنَ جَانِحَتِي * وَدَيْعَةٌ سِرُّهَا لَمْ يَتَّصِلْ بِقَمِي

أي إن لمدينة إضَمَّ في قلب الشاعر منزلةً رفيعةً في قلبه، وذلك الحب متكاثف كامن في القلب، فهو سرٌّ مودوع فيه لم يتسرب إلى الفم فَتُعْبِرُهُ.

إن لفظ "يَتَّصِلُ" فعل مضارع جُزِمَ بحرف الجزم (لم)، ومضارع "اتَّصَلَ" وهو فعل ثلاثيُّ الأصل، مثال، مزيد بالألف والتاء، ومجرده "وصل"، ولما زيد فيه الحرفان أُبدلت فاء الكلمة تاءً لئلا يَثْقُلَ اجتماع الواو (فاء الكلمة) والتاء (الزائدة) في النطق، ثم أدغمتِ التاءُ الأولى في الثانية فصار "اتَّصَلَ"، والزيادة لم تُفدِ الفعل معنى زائداً على ما كان عليه في تجرده، فـ"وَصَلَ" و"اتَّصَلَ" بمعنى، يقال: وَصَلَ الشَّخْصُ إِلَى الْمَكَانِ، وَاتَّصَلَ إِلَيْهِ إِذَا بَلَغَهُ، وانتهى إليه.
وقوله:

وَاخْتَارَ أَمِنَةَ الْعَدْرَاءِ صَاحِبَةً * لِفَضْلِهَا بَيْنَ أَهْلِ الْحِلِّ وَالْحَرَمِ

أي وقع اختيار عبد الله بن عبد المطلب على أمانة بنت وهب لكونها من بيت كرم وعفة فتزوج بهار فكانت النتيجة ولادة النبي ﷺ.
إن قول الشاعر: "اختار" ماض على وزن "اِفْتَعَلَ"، وهو فعل ثلاثي أجوف مزيد بحرفين (الهمزة والتاء)، ومجرده "خار يخير" من باب ضرب يضرب، وزيادة الحرفين في الفعل لم تُفدِ معنى زائداً على معناه الأصلي،

فهو بمعنى مجردة، يقال: خار الشَّيءُ أو اختاره أي انتقاه واصطفاه^{٣٩} فهما بمعنى.

واستعمل مثله الشاعرُ في قوله:

بَنَى بِهِ عُشَّةً وَاحْتَلَّهُ سَكْنًا * يَاوِي إِلَيْهِ عِدَاةَ الرِّيحِ وَالرَّهْمِ

أي بَنَتِ الحمامة باب الغار بيتها الدالَّ على أنه لا يمكن أن يكون أحدُ عرج عليه قريبا وسكنت في البيت، وتلك حماية رحمانية حمى بها الله رسوله وصاحب أثناء مُكْتَبِهِمَا في الغار.

لفظ "احتلَّ" فعل ماضٍ، صحيح، ثلاثي مضعف مزيد بالهمزة والتاء، على وزن "افتعل"، ومجرده: "حلَّ يَحُلُّ" من باب نصر، و"حلَّ يَحُلُّ" من باب ضرب، يقال: حلَّ المكانَ، أو حلَّ بالمكان، أي نزل وأقام به، واحتلَّ المكانَ، أو احتلَّ به، إذا حلَّه، ونزل به، فالزيادة إذا لم تجلب للفعل معنى زائدا ومغايرا لمعناه الذي كان عليه في حال تجرُّده.

الخاتمة:

حمدا كثيرا لله تعالى على فضله ونعمته التي أنعم بها على اختتام هذه المقالة الوجيزة، وإنها لَجُهْدٌ مُقَلِّ تَنَاولَتْ أفعالا ثلاثية مزيدة بالهمزة والتاء، مُصَاغَةً على وزن "افتعل"، قد استطاعت المقالة أن تطوفَ بالقصيدة الطويلة وتستخرج الأفعال المزيدة فيها بالحرفين (ا ت) وتجمعها، ثم تُفَسِّمَهَا حسب معانيها الصرفية التي اكتسبتها نتيجة

الزيادة، وتحصلت بعد ذلك على أن المجموع الكليّ للأفعال التي صيغتْ على وزن "افتعل" في القصيدة أربعون فعلاً، وأن التي تفيد المشاركة من بينها سبعة أفعال، والتي تفيد المطاوعة منها ثلاثة عشر فعلاً، والمفيدة معنى المبالغة أربعة أفعال، ثم التي تفيد معنى "فعل" فيها خمسة عشر فعلاً، ولا يخفى على الدارس لهذه القصيدة أن الشاعر حاول في تجلية المعاني المختلفة باستخدام صيغة واحدة، ومن سر هذا الصنيع أن في ذلك إيجازاً حيث لو مال الشاعر إلى ذكر المطاوعة والتشارك والمبالغة بألفاظها كأن يقول طواع كذا في كذا أو شارك أو بالغ في كذا عند إرادة التعبير عنها لأدّى به ذلك إلى إطناب مُملٍ وإذهاب الذوق عن التعابير الواردة في القصيدة، وذلك ما رمت المقالة إلى إظهارها.

الهوامش:

- ١- الجراكسة والترك هم آخر طبقة من الغرباء قد وفدوا على مصر، واتخذوها وطنًا لهم.
- ٢- الموسوي، خليل، مقدمة كتاب "البارودي رائد النهضة الحديثة"، دار ابن كثير، دمشق، ط: ١، ١٩٩٩م، ص: ٢١.
- ٣- صلاح الدين، عبد التواب، مُجدّد، مدارس الشعر العربي في العصر الحديث، دار الكتاب الحديث، ٢٠٠٥م، ص: ٤.
- ٤- نفس المرجع والصفحة.

- ٥- شوقي ضيف، البارودي رائد الشعر الحديث، دار المعارف بمصر، ط: ٢، ص: ٩٩.
- ٦- العقاد، عباس محمود، شعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماضي، مكتبة النهضة الحديثة بمصر، ط: ٣، ١٩٦٥م، ص: ١٢٦.
- ٧- نفس المرجع والصفحة.
- ٨- نفس المرجع والصفحة.
- ٩- البعيني، المرجع السابق، ص: ٩.
- ١٠- الحملاوي، أحمد بن مُجَدِّد، شذا العرف في فن الصرف، المحقق: نصر الله عبد الرحمن نصر الله، الناشر: مكتبة الرشد الرياض، ص: ٢١.
- ١١- ثيَط، يحيى فاروق (الدكتور)، تيسير تصريف الأفعال بمضمون منظومة لامية الأفعال لابن مالك، مراجعة: (الدكتور) مُجَدِّد الثاني خامس دَرْقًا، ط/١، ١٤٣٠هـ، ٢٠٠٩م، دار الأمة لوكالة المطبوعات-كانو نيجيريا، ص: ١١٢.
- ١٢- مُجَدِّد محيي الدين عبد الحميد، دروس التصريف في المقدمات وتصريف الأفعال، دار الطلائع للنشر والتوزيع والتصدير، القاهرة، ط/٢٠٠٩م، ص: ٥٥.
- ١٣- الدقر، المرجع السابق، ص: ٢٨٢.
- ١٤- الدقر، عبد الغني بن علي، معجم القواعد العربية، ص: ٢٨٢.

- ١٥- ابن جني، أبو الفتح عثمان الموصلي، المنصف لابن جني، شرح كتاب التصريف لأبي عثمان المازني، الطبعة: الأولى في ذي الحجة سنة ١٣٧٣هـ - أغسطس سنة ١٩٥٤م، الناشر: دار إحياء التراث القديم، ص: ٩٨.
- ١٦- مُجَدِّد علي السَّراج، اللباب في قواعد اللغة وآلات الأدب، النحو، والصرف، والبلاغة، والعروض، واللغة، والمثل، مراجعة: خير الدين شمسي باشا، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣م، الناشر: دار الفكر - دمشق، ص: ٦٤.
- ١٧- الإستراباذي، مُجَدِّد بن الحسن الرضي، نجم الدين، شرح شافية ابن الحاجب، تحقيق: الأستاذ مُجَدِّد نور الحسن المدرس في تخصص كلية اللغة العربية وشركاءه، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، عام النشر: ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥م، ج: ٢، ص: ٣٣١.
- ١٨- سورة النور، الآية: ١١.
- ١٩- سورة الفرقان، الآية: ٥.
- ٢٠- سورة الأنفال، الآية: ٤٢.
- ٢١- سورة الحجرات، الآية: ٩.
- ٢٢- سورة مُجَدِّد، الآية: ٢٥.
- ٢٣- الحملاوي، المرجع السابق، ص: ٣٣.
- ٢٤- ابن الحاجب، أبو عمرو عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس، جمال الدين الكردي المالكي، الشافية في علم التصريف، المحقق: حسن

- أحمد العثمان، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م، الناشر: المكتبة
المكية - مكة، ص: ٢٣.
- ٢٥- مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني، الموطأ، المحقق:
مُجَّد مصطفى الأعظمي، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م،
الناشر: مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية
- أبو ظبي - الإمارات، ج: ٢، ص: ١٩٤.
- ٢٦- الغلابيني، مصطفى بن مُجَّد سليم، جامع الدروس العربية، الطبعة:
الثامنة والعشرون، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م، الناشر: المكتبة العصرية،
صيدا - بيروت، ج: ٢، ص: ١٢٣.
- ٢٧- مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد
عبد القادر / مُجَّد النجار)، المعجم الوسيط، الناشر: دار الدعوة،
ج: ٢، ص: ٧٣٤.
- ٢٨- أحمد مختار عبد الحميد عمر (الدكتور)، معجم اللغة العربية المعاصرة،
الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م، الناشر: عالم الكتب، ج: ١،
ص: ٦٥٣.
- ٢٩- نفس المرجع، المرجع السابق، ج: ٣، ص: ٢٤٧٣.
- ٣٠- نفس المرجع، ج: ٣، ص: ٢٢١١.
- ٣١- الفيومي، المرجع السابق، ج: ١، ص: ١٠٨.

- ٣٢- الفيروزآبادي، مجد الدين أبو طاهر مُجَّد بن يعقوب، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: مُجَّد نعيم العرقسوسي، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ص: ٧١٠.
- ٣٣- أحمد مختار عبد الحميد عمر (الدكتور)، المرجع السابق، ج: ١، ص: ٤٧٧.
- ٣٤- نفس المرجع، ج: ٣، ص: ٢٣٥٢.
- ٣٥- مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المرجع السابق، ج: ٢، ص: ٦٠٥.
- ٣٦- سورة آل عمران، الآية: ١٠٣.
- ٣٧- الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن مُجَّد بن علي النيسابوري، الشافعي، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ، دار النشر: دار القلم ، الدار الشامية - دمشق، بيروت، ص: ٢٢٥.
- ٣٨- الحملاوي، المرجع السابق، ص: ٣٣.
- ٣٩- أحمد مختار عبد الحميد عمر (الدكتور)، المرجع السابق، ج: ١، ص: ٧١٠.

إشكالية الاسم والصفة بين التراث النحوي والصرفي عند القدامى والمحدثين: دراسة تقابلية

إعداد:

الدكتور تجاني يوسف

قسم الآداب والعلوم الاجتماعية والتربية،

كلية التربية- جامعة أحمد بللو- زاريا

muniraty10@gmail.com

المقدمة:

يُعد الكلام وأقسامه من الإنجازات النحوية التي أتعبت النحاة قديما وحديثا، واشتبكوا على الدراسة النحوية تطلعات الصرفية والنحوية مغزاها تحديد الاسم عن غيره، والفعل وأزمانه، أخذهم ذلك إلى تدوين أسفار من الكتب والشروح والنظم والرسائل، وقد ترك سيبويه كتابا عجز عنه المتقدمون وانبهر به المحدثون، وكان مرجعا للقضايا النحوية والصرفية واللغوية والأسلوبية. وأن المحدثين حاولوا محاكاة المتقدمين وتحليل ما غمض من نظرياتهم النحوية وتيسير ما عاق مغزاه، بدءاً بمفهوم الكلام والجملة، وأقسام الكلام وما له علاقة بالتراكيب والفنولوجي وما جمع بينهما معاكضية الاسم والصفة ومرجعتهما بين النحو والصرف، وانطباق الأزان على الأفعال والأسماء والصفات، ولهذا

وذاك بدى للباحث أن يتناول هذه الإشكاليات بالبحث والتحليل على الخطوط العريضة:

- نظرية الكلام عند القدامى والمحدثين
- إشكالية الاسم وتردده بين التراث النحوي والصرفي عند القدامى والمحدثين
- تقابلية الأسماء والصفات الواردة على وزن الفعل: أَفْعَلٌ، يَفْعَلُ، فَعَّلٌ
- الخاتمة

أولاً: نظرية الكلام عند القدامى والمحدثين

مفهوم الكلام:

تعد مادة: (ك ل م): كلم: الكلم: الجرح، يقال: "أكلمته: أي جرحته. وكليمك: الذي يكلمك وتكلمه. والكلمة: لغة حجازية، والكلمة: لغة تميمية، والجمع الكلم والكلم، كما قال رؤبة العجاج: لا يسمع الركب به رجع الكلم"¹ وعرفه الجرجاني بقوله: الكلام في اصطلاح النحويين هو اللفظ المركب الذي فيه الإسناد التام. والكلمة هي اللفظ الموضوع لمعنى مفرد، وفي قول آخر هي ما يتركب من أجزاء^أ.

وأما صاحب قرآن النحو فقد عرف الكلام بقوله: هذا باب ما الكلم من العربية، فالكلم: اسمٌ وفعلٌ وحرفٌ جاء لمعنى ليس باسمٍ

ولا فعلي. فالاسم رجل وفرس. والفعل ما أخذ من لفظ الأحداث،
وإني لما مضى ولما يكون ولم يقع وما هو كائنٌ ولم ينقطع. كذهب
سمع، أذهب أسمع، يذهب يسمع، اذهب اسمع. والحرف ما جاء لمعنى
ليس باسم ولا فعل، نحو: ثم، سوف، واو القسم، ولام الإضافة^٣.
وأما صاحب الأصول في النحو عرفه بقوله: الكلام يتألف من ثلاثة
أشياء: اسمٌ وفعلٌ وحرفٌ^٤. وذهب ابن يعيش إلى أن الكلام هو
المركب من كلمتين أسندت إحداهما إلى الأخرى وذلك لا يتأتى إلا
في اسمين كقولك: زيد أخوك. أو فعل واسم كضرب زيد وانطلق بشر
ويسمى الجملة^٥.

ويرى الباحث أن النحويين استعملوا الكلم والكلام في محل
الجملة لتأدية معنى واحد حيناً ثم فرقوا بينهما لتأدية معنيين مختلفين
حيناً آخر، ويبرز تغافل معظمهم عن القيام بتعريف الكلام تعريفاً
جامعاً مانعاً، حيث مال معظمهم عند تعريف الكلام إلى ذكر
أقسامه، وكأنهم لا يريدون تعريفه حتى لا يثقل عليهم تحديده، أو لا
يريدون تعريفه خشية ألا يحيطوا بمضامينه، ويرى بعض العلماء أن
الكلام هو ما استعمل من الألفاظ لتأدية معنى سواء كان أداةً أو
اسماً أو فعلاً أو مصدرًا أو صفةً أو ظرفاً أو خالفةً أو ضميراً،
والشرط هو تأدية المعنى.

نظرية الكلام عند القدامى:

ذهب القدماء من النحويين إلى ازدواج الكلام بالجملة وذلك إزاء ما ذهب إليه سيويه في كتابه، حيث اقتصر استعمال مصطلح الكلام محل الجملة، إذ أن مصطلح الجملة لم يرد في كتابه سوى معناها الكامن في مصطلح الكلام، ومما يبدو أن أول نحوي عزى مصطلح الكلام إلى الجملة هو المبرد في مقتضبه، حيث يقول: وإنما كان الفاعل رفعا، لأنه هو والفعل جملة يحسن عليها السكوت، وتجب بها الفائدة للمخاطب، فالفاعل والفعل بمنزلة الابتداء والخبر، ومما يبدو أن الجملة أو الكلام عند المبرد هو ما تتركب من فعل وفاعله أو مبتدأ وخبره.

ويحيل المبرد معنى الكلام إلى الجملة أيضا في باب المسند والمسند إليه إذ يقول: فالابتداء نحو قولك: زيد. فإذا ذكرته إنما تذكره للسامع ليتوقع ما تخبره به عنه فإذا قلت: منطلق، أو ما أشبهه صح معنى الكلام. لأن اللفظة الواحدة من الاسم والفعل لا تفيد شيئا، وإذا قرنتها بما يصلح حدث معنى واستغنى الكلام^٦.

ويرى الباحث أنه قد جمع المبرد معنى الجملة والكلام في نظره، وأن جملة زيد منطلق وأشباهاها تعطي معنى صحيحا من أجل ذلك صارت كلاما، وذهب ابن جني على أن الكلام هو كل لفظ مستقل بنفسه، مفيد بمعناه. وهو الذي يسميه النحويون الجمل، نحو زيد أخوك، وقام مُجَدِّد

وفي الدار زيد وصه ومه^٧، ويظهر مما سبق أن الجملة والكلام سيان عند ابن جني على ما ذهب إليه معظم نحاة الأقدمين كسيبويه والمبرد وابن جني وابن السراج والجرجاني والزمخشري والفارسي وابن هشام. وذهب فريق آخر في أن الكلام والجملة عنصران متباينان؛ كالرضي وابن يعيش.

نظرية الكلام عند المحدثين:

وأما المحدثون فقد جمع بعضهم بين الكلام والجملة في تأدية المعنى إن كانتا مفيدتين، وذهب إبراهيم أنيس إلى أن الجملة في أقصر صورها وأطولها، تتركب من ألفاظ هي مواد البناء التي يلجأ إليها المتكلم أو الكاتب أو الشاعر، يرتب بينها وينظمها لتخرج لنا من هذا النظام كلاما مفهوما^٨. أي إذا أدى التعبير معنا خلال تراكيب منظمة في صور قصيرة أو طويلة في شعر أو نثر يعد كلاما أو جملة، فالشرط في الكلام والجملة هو تأدية المعنى، ويرى مهدي المخدومي أن الجملة هي الصورة اللفظية للكلام المفيد في أية لغة من اللغات، وهي المركب الذي يبين المتكلم به أن صورة ذهنية كانت قد تألفت أجزاءها في ذهنه المنقول إلى ذهن السامع^٩. والمعتبر هنا أن المخدومي ارتضى الإفادة مسارا للتسوية بين الجملة والكلام، لأن المتكلم لا يصدر إلا كلاما للتواصل بينه وبين السامع المثالي وإن لم تكن ألفاظا فهي تحل محل الألفاظ كالإشارة والرموز والصور والسيموطيقات.

ورأى بعضهم أن الكلام والجمله عنصران متفرقان، ومنهم: إبراهيم مصطفى في فلسفته مع علم الإسناد وعلم الإضافة، لأن الإسناد هو ظاهرة الاسم والفعل في الجمل ويعطي معنى، وعلم الإضافة ظاهرة الاسم والحرف، فالجمله عنده مبنية على الإسناد أو الإضافة^{١١}. وأما السامري فيرى أن الكلام هو ما تضمن الإسناد الأصلي وكان مقصودا لذاته^{١١}. ويذهب ديسوسير إلى أن الجمله هي أحسن نموذج يمثل التركيب أو السياق، إلا أنها من مشمولات الكلام لا اللغة أفلا ينجز عن ذلك أن يكون التركيب من منجزات اللفظ أو الكلام^{١٢}. ويرى محمد حماسة رأي ابن هشام في الجمله والكلام وإن خالفه في اختصارها على المحكوم عليه والمحكوم به، حيث نقد محمد حماسة نحاة القدامى في عدم الاعتناء بالتعليق سواء في الجمله أو الكلام، وذلك أن هناك تراكيب لا تتم الإفادة إلا بالتعليق أو الفضلة^{١٣}.

ويرى الباحث أن معظم النحاة المحدثين اعتنوا بالجمله غاية الاعتناء حتى إن كتاباتهم تكاد تنسى قيمة الكلام من الجمله إذ أن الكلام هو منبع الأصوات والكلمة واللفظ والقول، وبه يعبر الإنسان عن الحدث الكلامي المتمثل في استخدام الأصوات وتركيباتها لتؤدي جملة، على غرار ما ذهب إليه سيوييه في نظرية الكلام من مستقيم حسن ومستقيم محال ومستقيم كذب ومستقيم قبيح ومحال كذب^{١٤}، وإذا اعتبر الدارسون هذه

النظرية فيمكن استنباط ملامح للجملة عن طريق الكلام، إلا أن الكلام يقتصر على ما أفاد والجملة أفادت أو لم تفد.

أقسام الكلام عند القدامى والمحدثين:

يعد الكلام وأقسامه أقصى مبررات نحاة القدامى عند استقصائهم لألفاظ اللغة، وتفننهم في درك أغوارها في زمنهم، وخير مثال على ذلك ما أورده سيويوه والمبرد وابن مالك وابن السراج في كتبهم من أن الكلم اسم وفعل وحرف جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل، وذهب جمهور النحاة إلى أن الكلام ينقسم إلى ثلاثة، بيد أن هناك من خالفهم ورأى للكلام في تقسيمه رأيا آخر كما أورده السيوطي من أن بعض النحاة نظروا إلى اسم الفعل فجعلوه قسما رابعا للكلام سماه الخالفة^{١٥}.

١- فالاسم: رجل وفرس وحائط.

٢- والفعل: ما أخذ من لفظ أحداث الأسماء، وبنيت لما مضى، ولما يكون ولم يقع، وما هو كائن لم ينقطع، مثل: ذهب، سمع، يذهب يسمع، اذهب اسمع.

٣- والحرف: ما جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل، نحو ثم، سوف، واو القسم ولام الإضافة^{١٦}.

والاسم كلمة أسند ما معناها إلى نفسها أو نظيرها، والفعل كلمة تسند أبدا، قابلة لعلامة فرعية المسند إليه، والحرف كلمة لا تقبل إسنادا

وضعيًا بنفسها ولا بنظيرها^{١٧}. والاسم يعرف بعلامات كثيرة منها الألف واللام والخفض، والنعت والإضمار والنداء، ومنه معرب ومبني. وأما الفعل فدخل قد وسين وسوف وضمائر المتحركة، ويعتريه البناء والإعراب. والحرف علامته مفرد ومثنى وثلاث^{١٨}. وأما نحاة المحدثون فقد انقسموا إلى قسمين:

١- مؤيدوا رأي القدامى في تقسيم الكلام

٢- معارضوا القدامى في تقسيم الكلام

فأما من أيدوا رأي القدامى في تقسيم الكلام إنهم نظروا إلى الكلام على مسار الأقدمين من النحاة فنحوا نحوهم، ومنهم:

١- علي الجارم ومصطفى الأمين في "النحو الواضح"

٢- عبده الراجحي في "النحو الوصفي"

٣- عباس حسان في "التطبيق النحوي"

٤- محمد خير الحلواني في "الواضح في النحو والصرف"

٥- علي رضا في "المرجع في اللغة العربية"

٦- السيد أحمد الهاشمي في "القواعد الأساسية للغة العربية"

٧- والشيخ مصطفى الغلاييني في "جامع الدروس العربية".

وقد حاول المحدثون محاولة عنيدة في إعادة مسار تقسيم الكلام وذلك حين توسعت الأفكار واندجت اللغة العربية مع سائر اللغات في

الثقافة والتحضر ودعت الحاجة إلى إعادة النظر في تقسيم القدماء،
ويختار الباحث على سبيل المثال:

يعقوب عبد النبي:

يعد يعقوب عبد النبي من أوائل الذين تصدوا للنحو العربي بالنقد
والتجديد، وقد ذهب إلى أن حصر أنواع الكلام في ثلاثة حصر تعسفي
وتقسيم باطل. والأسس التي بنى عليها نظريته لا تكاد تخرج من:

١- القياس

٢- المشابهة اللفظية

٣- والمشابهة المعنوية

فاعتمد على الأسس المذكورة وبنى عليها نظريته في تقسيم الكلام على
رؤى جديدة، من أجل ذلك قسم الكلام إلى ثمانية أقسام:

١- الاسم: ما دل على مسمى.

٢- الضمير: ما حل محل الاسم وناب عنه، وهو خسة: ضمير

شخصي، إشاري، موصول، شرطي واستفهامي.

٣- المصدر: وهو لفظ الحدث.

٤- الصفات: ما دل على وصف وصاحبه، وتتخذ من ألفاظ

الأفعال.

٥- الظرف: ما دل على زمان الفعل ومكانه.

- ٦- الفعل: ما دل على حدث وزمن وقبل التصرف.
 ٧- الحرف: ما دل على معنى يظهر كاملاً في غيره.
 ٨- أسماء الأفعال والأصوات: وتؤدي الأولى معنى الأفعال وأعمالها، ولا تتصرف تصرف الأفعال، والثانية ألفاظ محكية عن الإنسان^{١٩}.

إبراهيم أنيس:

يرى إبراهيم أنيس أنه لما قنع النحاة بما جرى عليه فلاسفة اليونان والمناطق في جدل عقيم على تقسيم الكلام، شق عليهم تحديد المقصود من هذه الأجزاء، اتخذ في تحديد الكلام أسساً ثلاثة:

- ١- المعنى
 - ٢- الصيغة
 - ٣- وظيفة اللفظ في الكلام
- ويرى أن المحدثين وفقوا إلى تقسيم رباعي، وأنه أدق من تقسيم المحدثين، وبنوه على تلك الأسس الثلاثة.
- ١- الاسم: ويندرج تحته اسم العام والعلم والصفة.
 - ٢- الضمير: وفيه الضمائر وألفاظ الإشارة والموصولات والعدد.
 - ٣- الفعل: ويشمل الماضي والمضارع والأمرى.
 - ٤- والأداة: ويشمل على أداة الجر والنفي والاستفهام والتعجب والظروف^{٢٠}.

مهدي المخدومي:

انتقد تقسيم سيبويه والقدماء للكلمة ورأى لها رأيا آخر، فانقسم الكلام إلى أربعة أقسام.

١- الفعل

٢- الاسم

٣- الأداة

٤- والكناية.

تمام حسان:

يعد تمام حسان من اللغويين الذين رأوا لتقسيم الكلام رؤية جديدة، إذ إن ابن مالك حين قسم الكلام إلى ثلاثة أقسام أقامه على أساس المبنى دون المعنى، من أجل ذلك يرى أن أصل الطرق في تقسيم الكلام يكون على أساسيين:

١- المباني: الصورة الإعرابية، الرتبة، الصيغة، الجدول، الإلصاق، التضام، والرسم الإملائي.

٢- المعاني: التسمية، الحدث، الزمن، التعليق، والمعنى الجملي.

من أجل ذلك قسم الكلام إلى سبعة أقسام مراعيًا للأساسيين المذكورين على نحو التالي:

- ١- الاسم: اسم المعين، الحدث، الجنس، الأسماء ذات الصيغ المشتقة، واسم المبهم.
- ٢- الصفة: صفة الفاعل، المبالغة، التفضيل، المفعول، والصفة المشبهة.
- ٣- الفعل: الماضي والمضارع والأمرى.
- ٤- الضمير: ضمير الشخص، الإشارة، والموصول.
- ٥- الخوالب: خالفة الإخاله، الصوت، التعجب، المدح والذم.
- ٦- الظرف: ظرف الزمان والمكان.
- ٧- والأداة: الأصلية والمحولة^{٢١}.

ثانيا: إشكالية الاسم وتردده بين التراث النحوي والصرفى عند القدامى والمحدثين:

يعد الاسم من المنطلقات التي تدور عليها النزعة النحوية والصرفية معاً، وذلك إزاء ما جاء في كتاب سيبويه في أنه لم يحدد في كتابه الاسم بل إنما ضرب له أمثلة بين الاسم والصفة، ليبيّن على ذلك الأجيال القادمة، وقد صرح سيبويه أن الصفة تتبع النكرة في حال الرفع والنصب والجر والنعت لغيره، وذلك في قوله: هذا باب ما جرى من الصفات غير العمل على الاسم الأول إذا كان لشيء من سببه، وذلك في قولك: مررت برجل حسن أبوه، وإنما أجريت هذه الصفة على الأول حتى

صارت كأنها له لأنك قد تضعها في موضع اسمه فيكون منصوبا ومجرورا والنتع له، مثل: مررت بالكريم أبوه^{٢٢}.

والصفة المشبهة بالأسماء هي التي استحسنت فيها أن تُضاف لما هو فاعل في المعنى كـ "حسن الوجه" و "نقي الثغر" وحق الصفة المشبهة أن تكفي بمرفوعها ولا تعمل النصب لمباينها الفعل بدالاتها على الثبوت^{٢٣}.

خصائص الصفة المشبهة:

حاول النحاة في الحديث عما تختص به الصفة المشبهة عن اسم الفاعل ومن أجل ذلك أوردوا خمسة أمور:

١- أنها تصاغ من اللازم دون المتعدي؛ كـ "حسن" و "جميل" وهو يصاغ منهما كـ "قائم وضارب".

٢- أنها للزمن الحاضر الدائم، دون الماضي المنقطع والمستقبل، وهو يكون لأحد الأزمنة الثلاثة.

٣- أنها تكون مجازية للمضارع في حركته وسكونه؛ كـ "ظاهر القلب" و "ضامر البطن" وهو الغالب ويأتي من الثلاثي على غير ذلك الوزن، كـ "حسن وضخم".

٤- أن منصوبها لا يتقدم عليها بخلاف منصوبه ومن ثم صح النصب في نحو "زيدًا أنا ضاربه؛ بخلاف زيدًا أبوه حسن الوجه"

٥- أنه يلزم كون معمولها سببياً؛ أي متصلاً بضمير موصوفها إما لفظاً نحو: "زيد حسنٌ وجهه" أو معناً نحو: "زيدٌ حسن الوجه".

أحوال معمول الصفة المشبهة في الإعراب:

- ١- الرفع على الفاعلية أو على الإبدال من ضمير مستتر في الصفة
- ٢- والخفض بالإضافة
- ٣- والنصب على التشبيه بالمفعول إن كان معرفة وعل التمييز إن كان نكرة.

وكل من هذه الستة للمعمول معه ست حالات:

- ١- إما بـ "أل"؛ مثل: الوجه
- ٢- أو مضاف لما فيه أل؛ مثل: وجه الأب
- ٣- أو مضاف للضمير؛ مثل: وجهه
- ٤- أو مضاف لمضاف لضمير؛ نحو: وجه أبيه
- ٥- أو مجرد؛ نحو: وجه
- ٦- أو مضاف إلى مجرد؛ نحو: وجه أبي^{٢٤}.

ففي هذا المنطلق تكون الصفة في جانب التصريف، إذ يدخل عليها أحكام الأسماء المتمكنة وهو الإعراب، لأن الأسماء والأفعال المعربة هي مدار علم التصريف، وأما من جانب آخر فقد اشتبك الأمر على سيبويه أو على لغة دون أخرى، حتى إنه يقول: هذا باب ما جرى من

الأسماء التي تكون صفة مجرى الأسماء التي لا تكون صفة، وذلك أفعل منه ومثل كان وأخواتهما، وأفعل شئ نحو خير شئ وأفضل شئ، وإنما صار هذا بمنزلة الأسماء التي لا تكون صفة من قبل أنها ليس بفاعلة وأنها ليس كالصفات غير الفاعلة، نحو حسن وطويل وكريم^{٢٥}. إذاً أسماء التفضيل ليست عنده بصفة صرفة ولا فاعل لأنها غير مقترنة بزمن محدد إلا أنها تعمل عمل الصفة.

وقال أيضاً: هذا باب ما جرى من الأسماء التي من الأفعال وما أشبهها من الصفات التي ليست بعمل نحو الحسن والكريم وما أشبه ذلك مجرى الفعل إذا أظهرت بعده الأسماء أو أضمرتها؛ وذلك قولك: "مررت برجل حسن أبواه" و "أحسن أبواك" هذا بمنزلة "قال أبواك" و"قال قومك". فإن بدأت بالاسم قبل الصفة قلت: "قومك منطلقون" و"قومك حسنون" كما تقول: "أبواك قالوا" و"قومك قالوا" فالصفة هنا تعمل عمل الفعل وليس بالفعل وتعمل عمل الاسم ولأن فيها طابع الحدث^{٢٦}.

ويجدر الإشارة إلى أن إبراهيم أنيس حين حدد أسسه الثلاثة - المعنى - الصيغة - وظيفة اللفظ في الكلام، نوع الاسم إلى ثلاثة أنواع - الاسم العام - العلم - والصفة. ونوع إبراهيم أنيس أيضاً الصفة أو النعت أو ما يسميه المناطقة باسم الذات في الاسم، أمثال: إنسان

حيوان وكبير وأحمر، حيث يرى ارتباط اسم الذات بالصفة من ناحية الصيغة والمعنى، وقد تكون الكلمة اسماً أو صفة كما في: "وكان التميميون الجنود في طليعة القبيلة يشقون الطريق لها" فكلمة الجنود استعملت صفة ولم يتغير صيغتها، فالكلمة الواحدة قد تكون اسماً أو صفة ولا يوضح المراد منها إلا الاستعمال اللغوي^{٢٧}.

مميزات الاسم عن الصفة:

هناك الاستعمالات اللغوية التي تيسر التمييز بين الصفة والاسم في اللغة العربية في وضع الصفة بالنيابة للموصوف منها:

١- الصفة لا تتقدم على الموصوف

٢- تمييز المذكر والمؤنث في الصفات بالعلامات المشهورة الألف الممدودة والتاء المربوطة.

من أجل ذلك كان الصفة أوثق ارتباطاً بالاسم ومع ذلك تتميز عنه بميزاتها النحوية والصرفية، لأن من الأسماء ما يستوي التذكير والتأنيس كثير وقليل في الصفة^{٢٨}.

ذهب تمام حسان إلى أن الاسم ينقسم إلى خمسة أقسام: - اسم المعين - اسم الحدث - اسم الجنس - اسم ذوات الصيغ المشتقة - اسم المبهم، مبني على أساس المبنى والمعنى. فاسم الحدث يصدق على المصدر واسم المصدر واسم المرة واسم الهيئة، وهي جميعاً ذات طابع

واحد في دلالتها إما على الحدث أو عدده أو نوعه وتدخل تحت أنواع اسم المعنى.

أورد ابن مالك في ألفيته أوزان أسماء الأحداث في أبنية المصادر، وذلك في قوله:

فعل قياس مصدر المعدى من ذي ثلاثة ك"رَدَّ رَدًّا
وفعل اللازم بابه فعَلْ كفرح وكجوى وكشلل
وفعل اللازم مثل قعدا له فُعُولُ بالطراد كغدا
مالم يكن مستوجبا فعلا أو فُعَلانا فدر أو فَعَالا
فأول لذي امتناع كأبى والثاني لذي اقتضى تقلبا
للدَّ فُعال أو لصوت وشمل سيرا وصوتا الفعيل مصهل
فُعُولَةٌ فَعَلَةٌ لِفُعُلًا كسهل الأمر وزيد جزُلا
وما أتى مخالفما مضى فبابه النقل كسخطٍ ورضى
وغير ذي ثلاثة مقيس مصدره كقدس التقديس
وزَكَّه تزكية وأجملا إجمال من تجُمُلا تجملا
واستعد استعازة ثم أقم إقامة وغالبا ذا التا لزم
وما يلي الآخر مدَّ وافتحا مع كسر تلو الثان مما افْتُحِحا
بهمز وصل: كاصطفى وضم ما يربع في أمثال قد تلملما
فَعَلَالٌ أو فَعَلَلَةٌ - لِفَعَلَلًا واجعل مقيسا ثانيا لا أولا

لَفَاعَلٍ: الْفِعَالُ وَالْمِفَاعِلَةُ وَغَيْرَ مَا مَرَّ السَّمَاعُ عَادِلُهُ
وَفَعْلَةٌ لَمَرَّةٍ كَجَلْسَتُهُ وَفَعْلَةٌ لِهَيْئَةٍ كَجِلْسَتِهِ
فِي غَيْرِ ذِي الثَّلَاثِ بِالتَّامَّةِ وَشَذَّ فِيهِ هَيْئَةٌ كَالخَمْرَةِ^{٢٩}

بناءً على معطيات السابقة مهَّد ابن مالك أبياته بأوزان الثلاثي
المجرد وغير الثلاثي المسموعة منها والمقيسة، ومن ثم رتب أوزان
مصدر الميمي واسم الزمان والمكان ومصدر الصناعي واسم الآلة.
ففي أوزان الثلاثي المجرد مثلاً ذكر مصادره في أبوابها الستة: فَعَلٌ:
يَفْعَلُ، فَعَلٌ: يَفْعَلُ، فَعَلٌ: يَفْعَلُ، فَعِلٌ: يَفْعَلُ، فَعِلٌ:
يَفْعَلُ. واستمر بالمقيسة، ويدل مصدر المرة على المرة بالوصف؛ كرحم
رَحْمَةً وَاحِدَةً، ويدل على الهمة بالصفة؛ كنشد الضالة نَشْدَةً عَظِيمَةً،
ولا يبيِّن من غير الثلاثي إلا ما شذ، والميمي يقوي الدلالة بالتأكيد،
ويلازم الإفراد ولا يلحقه التأنيث إلا سماعاً؛ كالحببة والمودة، وأجاز
مجمع اللغوي مَفْعَلَةً؛ كمأسدة ومسبعة للدلالة على مكان كثر فيه
الأشد والسباع، ومصدراً اسم الزمان والمكان للدلالة على زمان
ومكان الفعل زيادة على المعنى المجرد، وهي خاضعة للقارئ ولا
تعملاً عمل الفعل، والمصدر الصناعي للجامد والمشتق زيد في آخره
ياء مشددة؛ نحو الحرية، الإنسانية والوطنية، قرره المجمع اللغوي على
زيادة ياء النسب والتاء^{٣٠}.

ويرى الباحث أن منها ما لا يُراد عليها التاء كالكيمياء والفيزياء، وأما مصدر اسم الآلة للمشتق ثلاثة أوزان وقد يجاوز الجامد ذلك، ومما يجدر ذكره في هذا المنطلق وصية مجمع اللغة بالقاهرة في اتباع صيغ المسموع من اسم الآلة فإذا لم يسمع وزن منها لفعل؛ جاز صياغته من ثلاثة أوزان: مَفْعَال، مَفْعَل، ومَفْعَلَةٌ^{٣١}.

علاوة على ما سبق من تجاذب النحاة المحدثين قضية الاسم بالتأويل، حيث خاضوا غمار الصرف في تحديد الاسم ولا عجب في ذلك لأن النحو والصرف كالروح والجسد لا يفترقان إلا في شذرات من المسائل؛ كالأسماء غير المتمكنة والأفعال المبنية وما عدا ذلك فللنحوي والصرفي التأويل والاجتهاد ما دامت اللغة تنمو وتتطور بالتعريب والاقتراض بأنساقها المعروفة.

قسم تمام حسان الكلم إلى سبعة أقسام من بينها: الصفة، وقد انتقد تمام حسان رأي القدامى في جعل الصفة اسماً بعد أن قالوا: الاسم ما دل على مسمى، وقد عرّفوا صفة المشبهة بأنها الدالة على الفاعل أو ما دل على الحدث ومفعوله أو ما دل على المبالغة والكثرة، والحقيقة كلها لاتدل على مسمى وإنما تدل على موصوف بما تحمله من معنى الحدث، تختلف كل صفة عن الأخريات مبنى ومعنى، وأما صفة المشبهة معرضة للإلباس وهي تدل على الدوام والثبوت وفي

مبناها تشبه اسم الفاعل، إلا أن المعنى هو الذي يفرق بين هذه الصفات^{٣٢}، من أجل ذلك أفرد لها قسما خاصا على أساس المبنى والمعنى على النحو التالي:

١- من حيث الصورة الإعرابية:

تتشرك الصفات والأسماء في حالة الجر، وتأبى الصفات ما يأباه الاسم من الجزم في غير الوقف، وبهذا تميزت الصفات والأسماء عن الأفعال والخوالب والأدوات، ولكن الصفات تفارق الضمائر والظروف التي لا تقبل الجر لفظا إلا محلا.

٢- من حيث الصيغة:

تتماز الصفات والأسماء عن بقية أجزاء الكلم بصيغ خاصة مشتقة عن أصولها كما في:

الصفة	الاسم	الصيغة
سهل	فلس	فعل
حذر	كيد	فعل
إيد	إبل	فعل
حلو	فقل	فعل
جنب ^{٣٣}	عنق	فعل

٣- من حيث الجدول:

فالجدول هو الذي يساعد على نسبة الصيغة إلى الاسم أو الصفة إذا اتفقا في الجدول التصريفي للعلاقة الاشتقاقية بين الصيغة والصيغة الأخرى؛ فكلمة فلس ماض ثلاثي الأصل ليس بصفة فاعل ولا مفعول ولا مبالغة ولا تفضيل إذا فلا تعتبر صفة مشبهة، فحل محلها سهل لأن صيغة مادتها الاشتقاقية فعلية وصفية مثل: سهّل يسهّل وأسهّل، فالكلمة صفة لا اسما فهذا هو الفارق بين الصفات والأسماء إذ الأسماء تقبل الدخول في جدول الإلصاق دون جدول التصريفي كما عند الصفات فامتازت عن الاسم والفعل.

٤- من حيث الإلصاق وعدمه:

الصفات والأسماء لا فرق بينهما في قبول الجر وأل والإضافة إلى ضمائر الجر المتصلة وامتاز الأسماء والصفات عن بقية أجزاء الكلم.

٥- من حيث التضام:

تجتمع الصفات مع الأسماء في التضام من ناحية ومع الأفعال من ناحية أخرى فتقبل الصفات النداء والإسناد والإضافة كما تقبل الأسماء، وتكون الصفات مسندة ومتعدية ولازمة فتضام المفعول مباشرة أو بواسطة الحرف؛ فمشابهة الصفات بالأسماء ينفي كونها فعلا ومشابهتها بالأفعال ينفي كونها اسما، وإذا لم تكن الصفات اسما من

الأسماء ولا فعلا من الأفعال فلا بد أن تكون جزءا مستقلا بذاته في أجزاء الكلم^{٣٤}.

٦- من حيث الدلالة على الحدث:

تدل الصفة على الموصوف بالحدث لا على الحدث وحده كما في المصدر ولا على اقتران الحدث والزمن كالفعل ولا على مطلق مسمى كما في الاسم، فهذا يكفي للصفات الاستقلال عن بقية أجزاء الكلم.

٧- من حيث الدلالة على الزمن:

إذا كان الفعل يدل على الزمن دلالة صرفية بحكم مبناه ولو كان خارج السياق، فالصفات لا تدل على الزمن دلالة صرفية وإنما يشوب عليها معنى الزمن النحوي سياقاً في تعدد المعنى الوظيفي للمبنى، فامتازت بقبولها معنى الزمن عن الأسماء وامتازت برفضها أن تدل على الزمن بصيغة صرفية عن الأفعال.

٨- من حيث التعليق:

يكون الاسم مسنداً إليه فقط كما يكون الفعل مسنداً لا غير، وأما الصفات تقبل أن تكون مسنداً فتؤدي وظيفة شبيهة بوظيفة الفعل في التعليق حيث تطلب مسنداً إليه أو منصوباً أو خبراً لمبتدئاً، وكذلك تكون مسنداً إليه فتكون فاعلاً أو نائب فاعل أو مبتدأ نحو: خير منك يفعل هذا، جاء الحسن وجهه، ومحمد المصون شرفه. فالأسماء تخصص الإسناد

بواسطة التعدية أو السببية والمعية، كما أن الأفعال مسندة تقبل التخصيص ولا تخصص شيئاً، وأما الصفات تخصص غيرها كالأسماء ويخصصها غيرها كالأفعال فتكون الصفة مفعولاً به ويكون لها مفعول به، من أجل ذلك امتازت عن الأسماء والأفعال وعن بقية أجزاء الكلم^{٣٥}.

ثالثاً: تقابلية الأسماء والصفات الواردة على وزن الفعل: أفعَل، يَفْعَل، فَعَّلَ:

ورد من الأسماء والصفات على وزن الفعل؛ أفعَل ويفعل وفعل، وليس ذلك بعجيب إذ من الأسماء ما لا ينصرف إذا كان صفة، يقول سيويه في باب ما ينصرف وما لا ينصرف: اعلم أن أفعَل إذا كان صفة لم ينصرف في معرفة ولا نكرة، وذلك لأنها أشبهت الأفعال نحو: أذهب وأعلم، لأن الصفات أقرب إلى الأفعال فاستثقلوا التنوين فيه كما استثقلوه في الأفعال، وأرادوا أن يكون في الاستثقال كالفعل، إذ كان مثله في البناء والزيادة وضارعه، وذلك نحو: أخضر، أحمر، أسود، آدر، أبيض. وكذلك من الأسماء على وزن أفعَل نحو: أفكل، أزمَل، أيدع، أربع لا تنصرف في المعرفة حيث أشبهت الفعل، لأن المعارف أثقل، وتنصرف في النكرة لبعدها من الأفعال^{٣٦}.

وأما الأسماء والصفات على وزن يفعل، فقد أشبهت الأفعال، فمن الأسماء مثلاً: يثرب، يعلى، تنضب، ترتب، تدرأ، تألب، نهشل وتولب

لا تنصرف. ومن الصفات مثلاً: يزيد، يشكر، تغلب ويعمر لا ينصرف^{٣٧}.

ومما جاء على وزن أفعال: فصار اسماً في لغة وصفة في لغة: أجدل، أخيل، أفعى، أسود، وأرقم فلا ينصرف في النكرة والمعرفة. ومن اسم التفضيل على وزن أفعال لا ينصرف في حالة النكرة والمعرفة، كما أورده السيرافي نحو: أفضل، أكرم، أعظم، أجدر، أنفع، أكبر، وإنما خالف اسم التفضيل باب أحرر لأنه لا يكون نعتاً إلا بمنك، مثل: مُجَّد أنفع منك^{٣٨}.

ومن الأسماء والصفات على وزن فَعَل، نحو: خَضَم، شَمَّر، دُئِل، هند، دعد، ماه، جور، آخر، جمع، كتع، بتع، سحر، عمر، زحل، جمع، لا تنصرف في النكرة ولا في المعرفة^{٣٩}. ففي هذه الأسماء ما ضُم عينه أو فُتِح أو ضُعِف لامه أو جُرَّ، والمقصود ضرب الأمثلة عليها جميعاً في عدم التصريف لا غير.

بناء على الأسس التي بنى عليها إبراهيم أنيس في تقسيم الكلام، من المعنى والصيغة ووظيفة اللفظ، فقد لا تكفي المعنى وحدها أو الصيغة في تمييز الصفة من الاسم كما لا تكفي وظيفة اللفظ إلا إذا قورنت الصيغة والمعنى أو وظيفة اللفظ والمعنى أو جميعها فيحصل المراد وإلا فلا. انطلاقاً إلى الأسس التي بنى عليها تمام حسان في تقسيم الكلام من

المبنى والمعنى المندرج تحتها فروع كثيرة، يحتاج النحوي والصرفي إليها جميعا ليتقن عمله في تحديد الكلام والاسم من الصفة وعمل الصفات المشبهة والاسم والصفة في حالة التصريف وعدمه، فمن أجل ذلك يجب على النحوي العمل بتلك الأسس التي حاول النحاة المحدثين استنباطها في أعمال نحاة القدامى باستقراءها وفك شفراتها، للذود عن لغة القرآن.

الخاتمة:

حاولت هذه الورقة تقنين مفهوم الكلام وأقسامه ونظرية الجملة عند القدامى والمحدثين وجدلية الاسم بين الدراسة النحوية والصرفية ومميزات الأسماء والصفات الواردة على وزن الفعل: أفعال يفعل، فَعَلْ، وذلك تماشيا مع مستجدات الدراسة النحوية القديمة والحديثة للوصول إلى الفارق الأساسي بين منجزات القدامى وتعليقات المحدثين على حد سواء، والميل إلى أقرب الصواب إن دعت الحاجة إلى ذلك كما في مفهوم الجملة والكلام وجدلية الاسم.

علاوة على ذلك فإن كل بحث من البحوث العلمية أو أكاديمية، لا بد له من نتائج إما إيجابية أو سلبية، وقد توصل الباحث إلى نتائج أبرزها:

- أن من النحاة من جمعوا بين معنى الكلام والجملة قديما وحديثا وأنه كذلك افترق بعض النحاة في معنى الكلام والجملة قديما وحديثا.

- وأن النحاة المحدثين اشتروا في تقسيم الكلام بعض العناصر لا بد من الرجوع إليها
- وأن من النحاة القدامى من قسموا الكلام إلى أربعة أقسام فزادوا الخالفة على الثلاثة المعروفة
- وأنه كذلك لم يحدد سيويه الاسم تحديدا دقيقا، إما لكثرتة أو خوف الوقوف على الخطأ في ذلك
- وأن النحاة قديما وحديثا جعلوا مميزات للاسم والصفة وإن جمع القدامى الاسم والصفة في قالب واحد
- وأن النحاة المحدثين حاولوا أن يبرروا أنفسهم في أن الصفة قسما مستقلا بنفسه بين أجزاء الكلام
- وأنه قد وقع من الأسماء والصفات على وزن الفعل كأفْعَلْ وَيَفْعَلْ وَفَعَّلْ، وقد فرقوا بينهما.

الهوامش والمراجع

- ١- الفراهيدي الخليل بن أحمد، (٢٠٠٣م)، كتاب العين، تحقيق هنداوي عبد الحميد، الطبعة الأولى، بيروت لبنان، دار الكتب العلمية، ج، ٤، ص ٣٥.
- ٢- الجرجاني علي الشريف، كتاب التعريفات، <http://book.google.com/>

- ٣- سيويه عمرو بن قنبر، (١٩٨٨م)، الكتاب، تحقيق: هارون محمد عبدالسلام، الطبعة الثالثة، القاهرة مطبعة الخانجي، ج ١، ص ١٢.
- ٤- النحوي محمد بن سهل بن السلاج، (١٩٩٦م)، الأصول في النحو، تحقيق الفتلي عبدالحسين، الطبعة الثالثة، بيروت، مؤسسة الرسالة، ج ١، ص ٣٦.
- ٥- ابن يعيش النحوي، شرح المفصل، مصر إجازة الطباعة المنيرة، جزء الأول، دون طبعة، تاريخ، ص ١٨.
- ٦- المبرد محمد بن يزيد، (١٩٩٤م)، المقتضب، تحقيق: عزيمة محمد عبدخالق، الطبعة الثانية، القاهرة، لجنة احياء التراث الاسلامي، ج ٤، ص ١٢٦.
- ٧- ابن جني عثمان، (١٩١٣م)، الخصائص، تحقيق: النجار علي محمد، الطبعة الثالثة، القاهرة، دار الكتب المصرية، ج ١، ص ١٧.
- ٨- أنيس إبراهيم، (١٩٦٦م)، من أسرار اللغة، الطبعة الأولى، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ص ٢٦٢.
- ٩- المخدومي مهدي، (١٩٨٦م)، في النحو العربي نقد وتوجيه، الطبعة الثانية، بيروت لبنان، دار الرائد العربي، ص ٣١.
- ١٠- إبراهيم مصطفى، (١٩٩٢م)، إحياء النحو، الطبعة الأولى، القاهرة، دون النشر، ص ٧٣.
- ١١- السامرائي فاضل صالح، (٢٠٠٧م)، الحملة العربية تأليفها وأقسامها، الطبعة الثانية، عمان، دار الفكر، ص ١٠.

- ١٢ - سعدية نعيمة، (٢٠١١م)، الجملة في الدراسات اللغوية، قسم الآداب واللغة العربية كلية الآداب واللغات، جامعة لخضر بسكرة، ص ٧٢.
- ١٣ - حماسة مُجَّد عبداللطيف، (١٩٨٣م)، العلامة الإعرابية في الجملة بين القديم والحديث، الكويت، جامعة الكويت، دون طبعة، ص ٢٣.
- ١٤ - سيوييه، (١٩٨٨م)، الكتاب، تحقيق: مُجَّد عبدالسلام هارون، الطبعة الثالثة، القاهرة مكتبة الخانجي، جزء الأول، ص ٢٥.
- ١٥ - سيوطي، همع الهوامع شرح جمع الجوامع، موسوعة علوم اللغة العربية الإلكترونية، جزء الأول، ص ٢٥.
- ١٦ - سيوييه، (١٩٨٨م)، مرجع سابق، ص ١٢. والمبرد، (١٩٩٤م)، كتاب المقتضب، تحقيق: عضيمة مُجَّد عبد الخالق، الطبعة الثالثة، القاهرة، وزارة الأوقاف، جزء الأول، ص ١٤١.
- ١٧ - ابن مالك، (١٩٩٠م)، شرح التسهيل، تحقيق: المختون والسيد، الطبعة الأولى، هجر، دون البلد، جزء الأول، ص ٨-١٠.
- ١٨ - ابن السراج النحوي، (١٩٩٦م)، الأصول في النحو، الطبعة الثالثة، بيروت مؤسسة الرسالة، ص ٣٦-٤١.
- ١٩ - مبروك عبد الوارث سعيد، (١٩٨٥م)، في اصلاح النحو العربي دراسة نقدية، الطبعة الأولى، كويت، دار القلم، ص ١٢٣-١٢٨.

- ٢٠- أنيس إبراهيم، (١٩٦٦م)، مرجع سابق، ص ٢٢٣-٢٧٨.
- ٢١- تمام حسان، (١٩٩٤م)، اللغة العربية معناها ومبناها، دون طبعة، المغرب، دار الثقافة، ص ٨٦-١٢٣.
- ٢٢- سيوييه، (١٩٨٨م)، مرجع سابق، ص ٢٢.
- ٢٣- ابن هشام الأنصاري، (٢٠٠٨م)، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، تزييل: مختصر مصباح السالك إلى أوضح المسالك، يوسف بركات هبود، الطبعة الثانية، بيروت، دار ابن كثير، جزء الثاني، ص ٤٠.
- ٢٤- ابن هشام الأنصاري، (٢٠٠٨م)، المرجع السابق، ص ٤١-٤٣.
- ٢٥- سيوييه، (١٩٨٨م)، مرجع سابق، ص ٢٤.
- ٢٦- سيوييه، (١٩٨٨م)، المرجع نفسه، ص ٣٦.
- ٢٧- أنيس إبراهيم، (١٩٦٦م)، مرجع سابق، ص ٢٦٣-٢٧٤.
- ٢٨- أنيس إبراهيم، (١٩٦٦م)، نفس المرجع والصفحة.
- ٢٩- ابن عقيل، (٢٠٠٤م)، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تحقيق: محي الدين محمد عبد الحميد، الطبعة الثانية، القاهرة، دار الطلائع، جزء الثالث، ص ٥٧-٦١.
- ٣٠- ابن هشام الأنصاري، (٢٠٠٨م)، مرجع سابق، ص ٢٣-٣٤.
- ٣١- ابن هشام الأنصاري، (٢٠٠٨م)، المرجع نفسه، ص ٣٤.

- ٣٢- تمام حسان، (١٩٩٤م)، مرجع سابق، ص٩٨-١٠٠.
- ٣٣- تمام حسان، (١٩٩٤م)، المرجع نفسه، ص١٠٠-١٠١.
- ٣٤- تمام حسان، (١٩٩٤م)، المرجع نفسه، ص١٠٢.
- ٣٥- تمام حسان، (١٩٩٤م)، نفس المرجع، ص١٠٢-١٠٣.
- ٣٦- سيوييه، (١٩٨٨م)، مرجع سابق، ص١٩٣-١٩٤.
- ٣٧- سيوييه، (١٩٨٨م)، نفس المرجع، ص١٩٥-٢٠٢.
- ٣٨- سيوييه، (١٩٨٨م)، المرجع السابق، ص٢٠٢-٢٠٣.
- ٣٩- ابن هشام الأنصاري، (٢٠٠٨م)، مرجع سابق، ص٢٣٤-٢٤٠.

صيغتا أَفَاعِلٌ، وَمَفَاعِلٌ، في مقامات الحريري من المقامة الأولى إلى العشرين: دراسة صرفية دلالية

إعداد:

الدكتور محمد هارون هطيجيا

قسم اللغة العربية جامعة بايرو بكنو، نيجيريا

و

داود محمد أبوبكر

دار الكتاب والسنة ليمًاوا هُوْتُرُو، كنو

dawoodmg8@gmail.com

مقدمة:

تعتبر اللغة أهم وسائل التفاهم بين أفراد المجتمع، ويلعب الجمع دورا هاما في اللغة إذ إنه يتوصل به إلى التعرف على كمية الأشياء، ولكل لغة طريقتها في بناء الجمع، واللغة العربية كغيرها من اللغات التي لا تلتزم بطريقة معيّنة في بناء الجمع، فقد بينى اللفظ على الجمع بزيادة أو نقصان أو تغيير صيغة المفرد، ومن أنواع الجمع في اللغة العربية منتهى الجموع؛ تتسم المقامات الحريري بزمرة من هذه الظاهرة مبثوثة في ثنايا الكتاب، وتقتصر هذه الدراسة على اثنين من أوزان صيغة منتهى الجموع وهما وزنا (أَفَاعِلٌ، وَمَفَاعِلٌ)، حيث يقوم الباحثان بالوقوف على

البناء الصرفي لهذه الصيغة، بغية الوصول إلى مختلف الأبنية التي مرّ بها اللفظ ليصل إلى الهيكل الذي يُرى عليه في المقامة، ثم الاتيان بعد ذلك بتلحليلها صرفيا وداليا، مستعينين بالمنهج الوصفي التحليلي حيث يورد الباحثان أماكن ورود الصيغ ثم يقومان بتلحليلها. ويحتوي البحث على العناصر التالية:

- التعريف بالحريري والمقامة.
- مفهوم صيغة منتهى الجموع.
- دراسة صرفية دلالية لصيغتي (أَفَاعِلٌ، وَمَفَاعِلٌ) الواردة في النص.
- الخاتمة.
- الهوامش والمراجع.

١- التعريف بالحريري والمقامة

أ- ترجمة الحريري:

مولده: هو الشيخ الأديب ذو البلاغتين، أبو مُجَدِّ القاسم بن علي بن مُجَدِّ بن عثمان البصري^١، الحريري^٢. ولد عام أربعمئة وستة وأربعين ٤٤٦ هـ بضاحية من ضواحي البصرة تسمى (المشنان) بفتح الميم^٣.

تعلّمه: ولما شبّ الحريري ذهب إلى البصرة حيث سمع الحديث وقرأ اللغة، وأخذ الأدب عن أبي القاسم الفضل بن مُجَدِّ البصري^٤ وغيره^٥.

ودرس على أبي الحسن بن موسى المقرئ، وأبي القاسم بن الفضل

العثماني الأديب وأبي القاسم الحسين بن أحمد بن الحسين الباقلائي وغيرهم. ثم قرأ الفرائض والحساب على أبي الفضل الهمذاني^٦.

آثاره: ألف الحريري عددا من المؤلفات، والرسائل، ومن أهمها:

١- درة الغواص، هو كتاب يبين فيه الحريري أغلاط الكتاب، في استعمال الألفاظ في غير معانيها.

٢- ملحة الإعراب في صناعة الإعراب، هي أرجوزة في النحو.

٣- شرح ملحة الإعراب^٧.

وفاته: توفي- رحمه الله- سنة ست عشرة وخمسة ٥١٦ هـ بني

حران من البصرة، ومات وهو ابن سبعين ٧٠ سنة^٨.

ب- التعريف بمقامات الحريري:

مفهوم المقامة الأدبية ونشأتها:

تدل كلمة (مَقَامَة) _ بفتح الميم _ واحدة المقامات في الاستعمال العربي القديم على موضع قدم، فهي على وزن مَفْعَلَة، ولذا فإنَّ أصل الكلمة مَقْوَمَة، تحركت الواو وقبلها حرف صحيح ساكن فنقلت حركة الواو إليه فصارت اللفظة مَقْوَمَة، ثم قَلِبَتْ الواو ألفا لمجانسة الفتحة، فصار اللفظ مَقَامَة. يقال مَقَام ومَقَامَة، كَمَكَان ومَكَانَة، وهما في الأصل اسمان لموضع القيام. و من ثمَّ توسَّع العرب في استعمال الكلمة حتى استعملت استعمال المكان والمجلس،

ويظهر هذا الاستعمال جليًا في استعمال عدد من أقدم الشعراء الجاهليين، كقول بشامة بن الغدير^٩:

وشربتُ بالقعب الصَّغير وقادني * نحوَ المقامة من بني الأصغر^{١٠}

واصطلاحًا: هي القصص القصيرة التي يودعها الكاتب ما يشاء من فكرة أدبية، أو فلسفية، أو خطرة وجدانية، أو لمحة من لمحات الدعابة والمجون^{١١}.

نشأت المقامة في الأدب العربي نتيجة تيارين، أحدهما: تيار أدب الحرمان والتسول الذي انتشر في القرن الرابع للهجرة^{١٢}، والثاني: تيار أدب الصنعة الذي بلغ به المترسلون مبلغًا بعيدًا من التألق والتعقيد، حتى أن الكتابة أصبحت مزيجًا من زخرف أنيق وموسيقى^{١٣}. وأول من اخترع هذا الفن بديع الزمان الهمداني، وتابعه الحريري، والزخشي^{١٤}.

ويرى الآخرون من المؤرخين أن ابن دريد الأزدي (٢٢٣-٣٢١هـ)، هو المؤسس الأول لهذا الفن، بينما يرى فريق آخر أن أبا الحسن أحمد بن فارس (٣٢٩-٣٩٥هـ)^{١٥}، هو صاحب الفضل في اختراع هذا اللون من الفن.

ووضع الحريري مقاماته في خمسين مقامة^{١٦}، واختار لها بطلا هو أبو زيد السروجي وراويا وهو الحارث بن همام^{١٧}. وهي مقامات ذات موضوعات مختلفة، فقد اتخذ الحريري من الحديث حول التسول سبيلًا

إلى معالجة موضوعات شتى، فهي تحتوي على الوعظ، ومنها الألبان، والقضايا الفقهية، بحيث يعرضها ثم يثبت لها حلولاً . واستغل طائفة منها لإبراز إلمامه بالفنون البلاغية، والألعاب الفنية^{١٨}. و يُعدّ كتاب مقامات الحريري أوّل كتاب ذاع اسمه في فنّ المقامة، وقد انتشر في جميع الأقطار العربيّة^{١٩}. وحاز اهتماماً بالغاً من قبل الأدباء؛ من عرب وغيرهم، فأقبلوا عليه يترجمونه، ويعلّقون عليه، ويشرحونه، حتى أنه قد عدّ حاجي خليفة^{٢٠} منها أربعين شرحاً^{٢١}، ونصّ على أن أجودها شرح أبي العباس الشريشي^{٢٢}.

٢- مفهوم صيغة منتهى الجموع

منتهى الجموع فرع من جموع الكثرة^{٢٣}، وهو كلّ جمع كان بعد ألف تكسيره حرفان^{٢٤} أو ثلاثة أحرف وسطها ساكن: كدراهم ودنانير. وصيغة منتهى الجموع هي وزن غاية جموع التّكسير، لأنّه يجمع الاسم جمع التّكسير جمعا بعد جمع فإذا وصل إلى هذا الوزن امتنع جمعه التّكسير، وإنما قيّدنا بغاية جمع التّكسير لأنّه لا يمتنع جمعه جمع السلامة وإن لم يكن قياساً مطّرداً. مثال ذلك "إنكن صواحبات يوسف"^{٢٥}. ومعنى هذا القول أنّ منتهى الجموع هو غاية ما يصل إليه جمع التّكسير، فلا يوجد بعده جمع، ولا يجمع الاسم الوارد على وزن منتهى الجموع جمع تكسير آخر، وهذا بخلاف جمع القلّة، وجمع الكثرة - من

غير منتهى الجموع- فقد يجمع وزن من أوزانها على وزن منتهى الجموع بعد كونه جمع قلّة أو كثرة، نحو: كلمة (يَدُّ)، ويطرّد جمعها جمع قلّة على وزن (أَفْعَل) لأنه اسم ثلاثي مضعف، فيقال: (أَيِّدِ)، ثمّ يجمع (أَيِّدِ) جمعًا متناهيًا أيضًا على (أَيَادِي)، لأنه اسم على وزن (أَفْعَل). والبحث الذي بين يدي القارئ مليءٌ بنماذج من هذا النوع في المادة المدروسة.

ولا يمتنع جمعه جمع السلامة، فالامتناع خاص بجمع التكسير، فقد يُجمع الجمع المتناهي، جمع السلامة، كما في كلمة صواحبات، فواضح أن هذا الجمع أصله صَوَاحِب، وهو جمع متناهي، ثمّ جُمع بعد ذلك جمع مؤنث سالم فصار صواحبات.

٣- دِرَاسَةٌ صَرْفِيَّةٌ دَلَالِيَّةٌ لَصِيغَتِي (أَفَاعِل) و(مَفَاعِل) الواردة في النص:

صيغة أَفَاعِل: تأتي هذه الصيغة غالبًا جمعًا لـ "أَفْعَل" تفضيل، ويجمع عليها شيان: أحدهما: ما جاء على (أَفْعَل) صفة للتفضيل، والثاني: اسم على أربعة أحرف أوّله همزة زائدة. وقد ورد الجمع على هذه الصيغة في محل الدراسة حسب الإحصاء في عشرة ألفاظ. وإليك نماذج منها مع تحليلها صرفيًا ودلاليًا:

لفظتا الأَيَادِي، والأَعَادِي في قول المؤلف: وَلَا أَعْرِسُ الأَيَادِي، فِي أَرْضِ الأَعَادِي^{٢٦}، والأَيَادِي جمع جَمع، لأنه جمع أَيَّدي، والأَيَّدي جمع

يدٍ وأصل يدٍ يدي فحذفت فاء الكلمة للتكثير، ثمّ جُمعت الكلمة جمع قلة على وزن "أفْعُل"، ثمّ جُمعت بعد ذلك جمعا متناهيا ليُدلَّ بها على تعاقب تلك الأيادي.

والأَيَادِي العَطَايَا والنَّعَم^{٢٧} الكثيرة، قال المتنبي:

له أَيَادِي عَلِيٍّ سَابِغَةٌ * أَعَدَّ مِنْهَا وَلَا أُعَدِّدُهَا

أي: له عليّ نَعَمٍ واسعة. وقوله: لَا أَعْرِسُ الأَيَادِي كناية عن بذلها وإعطائها، ويُعرب الأيادي بأنه منصوب بالفتحة الظاهرة على آخره، ومعنى ذلك: لا أصنع الجميل عند أعدائي فتضيع^{٢٨} وتذهب هباء منثورا.

أمّا لفظ الأَعَادِي فهو جمع جمع كذلك، لأن مفردة أَعْدَاء جمع لكلمة عَدُوٌّ فجمعت الكلمة جمع قلة على وزن أفعال، وأصل أَعْدَاء أَعْدَاؤُ فقلبت الواو همزة لوقوعها متطرّفة بعد ألف زائدة. والعدوّ من عَدَا يَعْدُو عَدُوًّا وَعَدُوًّا، وهو التعدي في الأمر^{٢٩}، ثمّ بني على فَعُول للدلالة على المبالغة، وأصله عَدُوُّ فادغمت الواو الأولى في الثانية، ومنعى العدو الحِصْم. وقد سبق الحديث حول المعنى السياقي للكلمة عند الكلام عن اللفظ الذي قبلها وهو الأيادي.

لفظة أَسَاوِد، في قول المؤلف: فَأَحْضَرْنَا الدَّوَاةَ وَأَسَاوِدَهَا^{٣٠}. والأساود جمع جمع لأن مفردة أَسْوَدَة جمع لكلمة أَسْوَد، وأسودة وزنه "أفْعلة"، وهو إحد أوزان جمع القلة.

وأساود الواردة في الجمل المراد بها: الأَقلام^{٣١}، والدَّوَاة المَحْبَرَة، وهذا المعنى أقرب عند الباحثين من غيره لأنه أكثر تماشيا مع طبيعة القِصَّة التي سردها الحريري في المقامة التي ورد فيها اللفظ^{٣٢}، ويُعرب أساود بأنه اسم معطوف على الدَّوَاة منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة وهو مضاف والهاء مضاف إليه، عائدة إلى الدَّوَاة.

واستوظف المؤلف منتهى الجموع في أساود ليدلّ على كثرة تلك الأَقلام التي أحضروها، حرصا منهم على تدوين تلك القِصَّة ذات العبر التي قصّها عليهم أبو زيد في تلك المقامة، فدلّ ذلك على أن كل فرد منهم قام بدوره في تدوين تلك القِصَّة، كما يفهم من كثرة الأساود كثرة الأفراد المستمعين، وما يؤكّد للقارئ أن استعمال المؤلف لمنتهى الجموع كان من أجل الدلالة على الكثرة التي يتضمنها الجمع أن لفظ أسود - وهو القلم - يمكن جمعه جمع قلة على أسودّة - على وزن أفعلّة - لكن مع ذلك عدل المؤلف عن ذلك إلى منتهى الجموع حتى يستقيم المعنى الذي أراده.

كلمة أَرَامِل، في قول المؤلف: إِعْلَمُوا يَا مَالَ الْأَمِلِ، وَثَمَالَ الْأَرَامِلِ^{٣٣}. والأَرَامِل جمع أَرْمَل أو أَرْمَلَة، على وزن "أَفْعَل"، وهو اسم على وزن الفعل، جُمع جمع تكسير لقلته. وأصل اللفظ من الرَّمْل وهو التراب، يقال أَرْمَل القوم إذا نفذ زادهم، أي كأنهم لصقوا بالرَّمْل من الفقر، كما قيل للفقير التَّرب، والأَرْمَل المحتاج، والأَرْمَل كذلك المرأة

المتوفى عنها زوجها، يقع اللفظ على الذكور والإناث، والغالب فيه أن يُطلق على النساء لأن الغالب في الأَرَامِلِ أُنْهَنَ نساءً^{٣٤}، وقد قُيِّدَ اللفظ أخيراً للمرأة الفاقدة زوجها^{٣٥} وفي الحديث: (السَّاعِي عَلَى الأَرْمَلَةِ وَالْمِسْكِينِ كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ^{٣٦}).

استوظف الحريري هذا اللفظ للدلالة على المعنى الأخير الذي ذكره الباحث وهو المرأة التي فقدت زوجها، لأنَّ أبا زيد السروجي ظهر في تلك المقامة في صورة عجوز متباكية، متقدمة في السنِّ ومعها صبيان، تُطَّلِعُ الناس على ما هي عليه من البؤس الشديد، وكان مظهرها مظهر امرأة تُوفِّي عنها زوجها وبقي أبنائها كلاً عليها، - وهو ضرب من حيل أبي زيد المتنوعة، والتي يمارسها كلما لجأ إلى التسوّل - وكان أول خطابه أن قال للقوم: حيّا الله المعارف..... إلى قوله: اعْلَمُوا يَا مَالِ الأَمَلِ، وَثَمَالَ الأَرَامِلِ.....، و وَثَمَالَ الأَرَامِلِ، أي غيائهنَّ وملجأهنَّ. وفي هذه الخطاب تلميح إلى ما يرمي إليه المتكلم قبل أن يفصح بما في ضميره، حيث يفهم مباشرة أنّ المتكلم يطلب حاجة من الناس. وقد استخدم البطل وسيلتين لإعطاء الفكرة عن موضوع خطابه أولاهما: مظهره الذي ظهر فيه، والثاني: مقدمته.

لفظة أَصَاغِر، في قول المؤلف: تَوَلَّتْ يَتْلُوهَا الأَصَاغِر^{٣٧}. ومفرد الأَصَاغِرِ أَصَغَر، على "أَفْعَل" تفضيل، وبالنظر إلى المفرد يمكن القول

بأنّ صيغة التفضيل هنا جاءت للدلالة على ثبات الوصف محلّة من غير نظر إلى التفضيل؛ أي المتكلم أثبت صفة الصغر للصبيان من دون الإشارة إل أنه أصغر من شخصية أخرى، وهو إحدى المعاني التي يأتي بها اسم التفضيل.

والمراد بـ **الأصاغر**؛ الأولاد الصغار، يتلّوها **الأصاغر** أي يتبعها الأولاد، وقد استوظف الحريري صيغة منتهى الجموع في لفظة **الأصاغر** للدلالة على كثرة الأولاد، وليس للدلالة على شدة صغرهم، فقد يخطر بذهن القارئ أن **الأصاغر** - ومفرده **أصغر** - إنما استوظف للدلالة على شدة صغر الأولاد، والباحث لا يرى هذا، وذلك لأنّ الحريري كان بإمكانه أن يستوظف كلمة "**الصغار**" وهي جمع كثرة كذلك على وزن "**فِعال**"، وهي أدلّ على **الصغر** من لفظة **الأصاغر**، إذ إنّ مفرد **الصغار** وهو "**صغير**" اسم مبالغة على وزن "**فَعِيل**". لكنّ الحريري استوظف **الأصاغر** بدلا منها لأنّها أدلّ مما سواها في سياقٍ يدلّ على الجمع الكثير فهو يبدأ من إحدى عشرة فما فوقها^{٣٨}.

صيغة مفاعل: يجمع على (**مفاعل**)، ما كان على أربعة أحرف، أوّله ميم زائدة، مثل: **مَسْجِدٌ مَسَاجِدٌ**^{٣٩}، ومفرده **مَفْعَلٌ** أو **مَفْعِلٌ** وزنٌ لاسم **مَكَانٍ**^{٤٠} من الثلاثي المجرد أو اسم آلة^{٤١} كما سبق في المثال، ويأتي اسم المكان في اللغة العربيّة للدلالة على مكان وقوع الحدث^{٤٢}.

أمّا اسم الآلة فتختلف دلالاته باختلاف أبنيته، فما جاء منها على مَفْعَلٍ كِمِبْرَدٍ، ومِفْعَالٍ كِمِفْتَاحٍ، ومِفْعَلَةٍ كِمِكْنَسَةٍ. فإنها تدل على الأداة من غير قيد أو زيادة^{٤٣}. وهذه الثلاثة - من أوزان اسم الآلة - هي التي لها علاقة بالبحث إذ إنّ الأوزن الباقية لا يأتي الجمع منها على (مَفَاعِلٍ). وتكرّر مجيئ الجمع على هذا الوزن في محل الدراسة سبعون مرة، فهو أكثر أوزان منتهى الجموع ورودا في النص المدروس، وربما يعود السبب في ذلك إلى أنّ هذا الوزن يختلف عن غيره بكون مفردة من أنواع متعددة من المشتقات، أي أنه لا يعتمد على مفرد واحد فقط أو مفردين كغيره من أوزان منتهى الجموع، فمفردة على سبيل المثال يكون أحيانا اسم مكان، كَمَشْهَدٍ وَمَشَاهِدٍ، كما يكون أيضا اسم آلة، مثل: مِبْرَدٍ وَمَبَارِدٍ، ولاسم الآلة أيضا صيغ أخرى - إلى جانب التي سبق ذكرها - يكون الجمع منها على مفاعل. وقد يكون غير ذلك^{٤٤}، ولكل من الأسباب السابقة يد العون في ورود عدد كبير من الجمع على وزن مفاعل. وفي ما يلي تحليل لبعضها:

لفظ مَسَارِحُ وَمَسَايِحُ، وذلك في قول المؤلف: فَطَفِقْتُ أَجُوبُ طُرُقَاتَهَا مِثْلَ الْهَائِمِ وَأَجُولُ فِي حَوْمَاتِهَا جَوْلَانَ الْحَائِمِ وَأَرْوُدُ فِي مَسَارِحِ لَمَحَاتِي وَمَسَايِحِ غَدَوَاتِي وَرَوْحَاتِي كَرِيمًا أَخْلُقُ لَهُ دِيبَاجِي وَأَبُوحُ لَهُ إِلَيْهِ بِحَاجَتِي^{٤٥}...

مَسَارِحٌ مفردة مَسْرَحٌ، تقول سَرَحْتَ الماشية تَسْرَحُ سَرَحاً وسُروحاً: إذا سامت^{٤٦}. وسَرَحها هو أسامها، يتعدى ولا يتعدى، قال أبو ذؤيب^{٤٧}:
 وكان مثلين أن لا يسرحوا نَعَمًا* حيث استراحت مواشيهم، وتسريح^{٤٨}
 قال الله تعالى: ((وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ))^{٤٩}
 يقال سرحتُ الماشيةَ أي أخرجتها بالغداة إلى المرعى^{٥٠}.

والمَسْرَحُ بفتح الميم اسم مكان من سَرَحَ على وزن (مَفْعَل) أي: مرعى الإبل، ويمكن اعتباره كذلك مصدرا ميميا على وزن مَفْعَل. وفي الحديث: ((لَهُ إِبِلٌ قَلِيلَاتُ الْمَسَارِحِ))^{٥١}، ومنه قول الشاعر:

إذا عاد المسارحُ كالسباح^{٥٢}

قال المؤلف: أُرودُ^{٥٣} في مسارح لَمَحَاتِي...، قال الشريشي: يريد المواضع التي يسرَحُ عينيه بالنظر^{٥٤}. ولفظ مَسَارِحٍ في الجملة مجرور بالكسرة الظاهرة، والكسرة من أجل الإضافة، ولَمَحَاتِي مضاف إليه. وقد استوظف الحريري هذه الصيغة للكناية عن الأماكن التي يتسلى فيها الراوي، أو يأوي إليها كلَّ يوم، فدلّت الصيغة على تعدد الأماكن التي يختلف إليها الراوي، وأنه خبير ببلدة اليمن.

وبالنظر إلى السياق الذي وردت فيه الصيغة وهو:

أرود في مَسَارِحٍ لِمَحَاتِي كريمة^{٥٥} يفهم القارئ دلالة تجعله يحكم على الراوي قطعا بأنه من المتسولين، وأن التسؤل هو الباعث إلى لجوئه

في صنعاء اليمن في أول الأمر. فهو- كما يفهم من السياق- يلتمس رجلاً كريماً أو جواداً ييؤح له بما ألمَّ به من المتربة والمسكنة، حتى أنه وقد أُلجأه حاله ذاك إلى السفر إلى صنعاء ليحصل فيها على مبتغيه من رغد العيش وطيبه. فما أشبهه عندئذٍ بالإبل وقد غدت إلى مرعاها إلتماساً للمأكل والمشارب.

أمّا مسايح فجمع مَسِيحَة ، بفتح الميم الزائدة وكسر السين. ويكون مسايح كذلك جمع مَسْحَة، وهي الطَّوْفَة، من قولك: مسحْتُ البيت، أي: طفتُ به، فعند الأخذ بالأول وهو مَسِيحَة تكون ميمه ميماً زائدة فيبنى على (مَفَاعِل)، وتكون ميمه عند الأخذ بالثاني زائدة فيبنى على (فَعَائِل)^{٥٦}.

ومسِيحَة اسم مكان من ساح في الأرض يسبح سيحاً وسوحاً وسياحة، إذا ذهب. على زنة (مَفْعَل)، وأصل مَسِيحَة مَسِيحَة^{٥٧}، حدث في الكلمة إعلال بالنقل بأن نُقلت حركة الياء إلى الساكن الصحيح قبلها وهو السين. والسَّيْح: الماء الجاري على وجه الأرض، ويُجمع جمع كثره على سِيوح، كما يجمع جمع قلة على أَسِيَّاح^{٥٨}. وأراد المؤلف بالمسايح هنا: المسالك: أي طُرُقَه التي يمرُّ بها فيها بالغدوّ والعشي^{٥٩}. في بلدة صنعاء. ورُوي في الحديث^{٦٠}: ((أولئك أئمة ليسوا بالمسايح))، أي ليسوا من الذين يسبحون في الأرض بالنميمة والشر^{٦١}.

ويُعرَب مَسَائِحُ بأنه معطوف على مَسَارِحِ، ولذا جاء مجروراً، وليس العطف -فحسب- هو الباعث إلى جرِّه، بل لكونه مضافاً أيضاً، ولولا الإضافة لبقِيَ على إعرابه قبل الإضافة وهو أن يُجرَّ بالفتحة في حالة الجرِّ نيابة عن الكسر، حالما يكون خالياً من الإضافة والجرِّ معاً، كما في قوله سبحانه وتعالى: ((بَأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ))^{٦٢}. فكلمة أباريق هنا معطوفة على كلمة مجرورة إلا أن الفتحة نابت عنها لكونها على وزن منتهى الجموع وخلوّها من ال المعرفة والإضافة.

ولم يكن توظيف المؤلف -رحمه الله- لصيغة منتهى الجموع في لفظي مَسَائِحِ ومَسَارِحِ -التي سبق دراستها- عفوًا من غير قصد. نعم!، إن القاعدة في معناها تقول: بأنَّ اللفظ المصوغ على منتهى الجموع إذالم يُسمع له جمع قلّة ولا جمع كثرة، إنما يستعمل في القلّة والكثرة ومنتهى الجموع جميعاً.

ثمّ إن كِلتي اللفظتين لم يطرد فيهما وزن من أوزان القلّة ولا الكثرة، وعلى هذا الأساس فإن اللفظتين - أعني؛ مَسَارِحِ مَسَائِحِ - يمكن أن يكون المقصود بعددهما هنا ما دون العشرة، أي أن عدد المسارح والمسايح التي يتراودها الراوي يكون عددها بين ثلاثة وعشرة، وذلك إذا حُكم عليهما بمضمون جموع الكثرة أو القلّة.

لكن الباحثان يريان أن المؤلف إنما قصد بهما منتهى الجموع عينه، وذلك حرصاً منه للدلالة على كونه عارفاً بالبلد مليماً بمناجره ومذاهبه،

وأنه ليس فيه من الغرائب، حتى وأنه يعرف فيه أما كن عديدة قد كان يختلف إليها في السابق من الزمان، وأن هذه الأماكن كثيرة وعديدة طالما لاذ بها في الشدائد إلتماسا للمكاسب وتسلية النفس. فكان استعماله لمنتهى الجموع أدلّ مما سواه على المعنى الذي يرمي إليه المؤلف.

كلمة المراسي، في قول المؤلف: هَتَفَ دَاعِي الشَّوْقِ بِي إِلَى رَحْبَةِ مَالِكِ بْنِ طُوقٍ^{٦٣}، فَلَبَّيْتُهُ مُتَطِيًّا سِمْلَةً وَمُنْتَضِيًّا عَزْمَةً مُشْمَعَلَّةً، فَلَمَّا أَلْقَيْتُ بِهَا الْمَرَّاسِي وَشَدَدْتُ أَمْرَاسِي رأيتُ غَلَامًا أَفْرَعًا مِنْ قَارِبِ الْجَمَالِ^{٦٤}.

المراسي جمع مرساة؛ اسم آلة^{٦٥} على وزن مفعلة ، وحدث في اللفظ إعلال، لأن أصله مرسوة فقلبت الواو ألفا تخفيفا لوقوعها متحركة بحركة أصليّة في موضع العين كما في قَالَ إذ أن أصله قَوْل^{٦٦}، وقد وقع الإعلال كذلك في مادة الكلمة الأصليّة رسا ، إذ إن الأصل رسو ثم قلبت الواو ألفا.

والمرساة ثقل يُلقى في الماء فيمسك السفينة أن تجري، مشتقة من الرُسُو، وهو الوقوف والثبيت^{٦٧}، قال الله تعالى: ((وَجَفَانٍ كَالْجُؤَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ^{٦٨})).

والجملة (أَلْقَيْتُ بِهَا الْمَرَّاسِي) التي استوظها الحريري بمجملها كناية عن الوقوف والإقامة والنزول^{٦٩}، كانت العرب تقول: ألقى

القوم مَرَاتِيهِمْ أي أقاموا^{٧٠}، وربما استوظف العرب جمع الكثرة هنا بدلا من المفرد للدلالة على حدوث الإقامة الثابتة التي لا تردد فيها، فالسفينة التي يتم توقيفها بأكثر من مَرَسِبَةٍ واحدة أثبتت من التي تُوقَف بمرساة واحدة فقط. والمسافر يحتاج بعد مشقة الطريق التي عاناها إلى راحة لا يعتربها أي عاق في الجسم والعقل، فكأن المسافر أنزل كل أحماله وأثقاله مبتغيا الراحة. فالراوي ابن همام خرج بداعي الشوق إلى رحبة، فخرج إليها خروج المتشوق إلى ما يتشوقه، وهو يقصد البلدة وحدها لا غيرها، ولم يفرق بين الليل والنهار سيرا، رجاء منه أن يصلها في مدة قصيرة، مما يوحي إلى أنه لم ينزل في بعض طريقه إلا لضرورة، فبلغها متعبا مرهقا محتاجا إلى راحة، فدلّت الجملة (أَلْقَيْتُ بِهَا الْمَرَّاسِي) على وقوفه الثابت المتيقن، وأنه لا يفكر أبدا بالمواصلة في السير.

كلمة المَادِب، في قول المؤلف: وَأَعْرَضْتُمْ عَنْ تَعْدِيدِ النَّوَادِبِ إِلَى

إِعْدَادِ الْمَادِبِ^{٧١}.

والمَادِب جمع مَادِبَة بضم العين وفتحها؛ والفتح هو القياس لأنه اسم مكان على وزن مَفْعَلَة، من أَدَبَ^{٧٢} أَدَبًا إذا صنع مَادِبَة، وسمِع بضم العين مَفْعَلَة، وهو شاذّ مثل المَفْبُرة والمَشْرِبَة^{٧٣}. أما التاء في مَادِبَة فهي تاء التأنيث.

وأصل مادب مأدب بمأدب بهمزة فألف، اجمعت همزتان وكانت الأولى منهما متحركة والثانية ساكنة، فوجب قلب الثانية حرف مد يجانس ما قبله^{٧٤}، فصار مادب.

أما المآدب الواردة في النصّ فالمقصود بها أطعمة الوليمة، وتدل صيغة منتهى الجموع هنا على عدد غير محدود، وذلك لأن لفظ مأدبة - كما سبق - له جمع آخر إلى جانب منتهى الجموع، وهو مأدبات، لكن المؤلف اختار منتهى الجموع لأنه أبلغ، ولكي يفهم القارئ من دون تردد أن هؤلاء القوم أصحاب هُو ولعب من خلال كثرة مآدبهم ومحافلهم، إذ إن ذلك يتنافى مع الزهد في أيامهم تلك، فكأنهم يصنعون المآدب في كل صغيرة وكبيرة، وذلك لترفهم وهُوهم، ونسيانهم الموت.

والمراد بقول المؤلف: وَأَعْرَضْتُمْ عَنْ تَعْدِيدِ النَّوَادِبِ، أي تناسيتهم وتجاهلتهم وتنحيتهم، هؤلاء الأرامل اللواتي يبكين رجالهن الميتين، ولم يكف هُو أنكم تنحيتهم عنهنّ بل تؤوليتم إلى إعداد المطاعم والمشارب، فأنتم منشغلون بمصالحكم الشخصية ولا يهتمكم ما ألمّ لفلان وفلان.

لفظ المعاطب في قول المؤلف: وَتَبَصَّرُ الْعَوَاقِبَ يُؤْمِنُ

المعاطب^{٧٥}.

المعاطب، جمع معطّيب؛ وهو اسم مكان من عَطَبَ يَعْطِبُ عَطَبًا إِذَا هَلَكَ وَفَسَدَ^{٧٦}، قال ابن منظور^{٧٧} في لسان العرب:

"واستعملها أبو عبيدة في الزرع فقال: فنى أنّ نهي النبي ﷺ عن المزارعة، إنما كان لشروط، لأنها مجهولة، لا يُدرى أتسلم أم تعطب". بمعنى: أم تفسد.

والمعاطب الواردة في الجملة المذكورة تحمل نفس المعنى الذي ذكره الباحث، وهو الهلاك، فالمعاطب المهالك والمخاطر، قال المؤلف: وَتَبَصَّرُ الْعَوَاقِبُ يُؤْمِنُ الْمَعَاظِبُ؛ أي أنّ إمعان النظر في عاقبة الأمور يقي المرء من الهلاك، كقول الإمام الشافعي:

إِذَا لَمْ تَخْشِ عَاقِبَةَ اللَّيَالِي * وَلَمْ تَسْتَحْيِ فَاصْنَعْ مَا تَشَاءُ

ويبدو أنّ استعمال المؤلف لمنتهى الجموع هنا لم يكن من أجل وظيفتها الصرفية، وإنما كان لشيئين؛ الأول: كون الكلمة - أعني معطب - لا يوجد لها جمع آخر سوى الجمع المتناهي. والثاني: التحسين اللفظي وهو توافق الفواصل بين الجملة الأولى والثانية.

الخاتمة

وهي عبارة عن دراسة صيغ أفاعل، ومفاعل - من صيغ منتهى الجموع - في المقامات العشرين الأولى من مقامات الحريري، دراسة صرفية دلالية. وتناول البحثان الحديث عن الحريري ومقاماته، وفنّ المقامة، وتحدثا عن الجمع وطريقة صوغه وأنواعه ثم تحدثا عن جمع الكثرة ومن بينها صيغة منتهى الجموع، وأخيرا قام الباحثان بالدراسة التطبيقية

لصيغ مفاعيل، ومفاعل الواردة في العشرين الأولى من المقامات مع ذكر أماكنها وتحليلها تحليلًا صرفيًا ودلاليًا.

توصل الباحثان إلى أن وزن (مفاعل) من أشهر أوزان منتهى المجموع وأكثرها تداولًا، ويعود السبب في ذلك إلى تعدد أوزان مفردة، فمعظم الأسماء التي أولها ميم وهي على أربعة أحرف تُجمع عليه، كأسماء المكان، وأسماء الآلة، ولكل منها أوزان عدة.

وتوصل الباحثان كذلك إلى تأثير الشعر في نصوص الحريري الثرية، مما جعله يستوظف بعض هذه الأوزان لا لمعانيها الدلالية، وإنما سجعًا وحرصًا على توافق الفواصل، فهذه الأوزان لها وقع موسيقي، وبعضها من التفاعيل العروضية، وهذه القضية دور كبير في ارتفاع منزلة هذا الكتاب.

الهوامش والمراجع

- ١- السيوطي؛ جلال الدين عبد الرحمن بن كمال الدين أبي بكر بن محمد سابق الدين الخضير الأسيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، المكتبة العصرية بيروت-لبنان، ج ٢ ص ٢٥٧.
- ٢- ابن خلكان؛ أحمد بن محمد، وفيات الأعيان، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ١٩٩٨م، ج ٣ ص ٤٩٦.
- ٣- المشان بفتح الميم و الشين المعجمة: بلدة فوق البصرة كثيرة النخل موصوفة بشدة الوخم.

- ٤ - الفضل؛ هو الفضل بن مُجَّد بن فضل القصباني المتوفى عام ٤٤٤ .
- ٥ - الشريشي؛ أحمد بن عبد المؤمن بن موسى بن عيسى القيسي، شرح المقامات، دار الفكر، ١٤٣٠ هجرية، ج ١ ص ٥ .
- ٦ - مُجَّد إنوا ثالث طلحة: صور من الأساليب البديعية في مقامات الحريري، دراسة بلاغية تحليلية: بحث مطروح لنيل شهادة الدكتوراه في قسم اللغة العربية بجامعة بايرو، عام ٢٠٠٩م، ص ٣٤ .
- ٧ - السيوطي، بغية الوعاة، المصدر السابق، ج ٢ ص ٢٥٩ .
- ٨ - علي بن يوسف القفطي؛ جمال الدين أبو الحسن، أنباه الرواة على أنباه النحاة، الطبعة الأولى، دار الفكر القاهرة، ١٩٨٦م، ج ٣ ص ٢٧ .
- ٩ - ابن الغدير؛ شاعر جاهلي، من أصحاب المفضليات، واسمه: بشامة بن عمرو، والغدير لقب لأبيه .
- ١٠ - حسن عباس (الدكتور)، نشأة المقامة في الأدب العربي، دار المعارف، بلا تاريخ، ص ٩ .
- ١١ - زكي عبد السلام مبارك (الدكتور)، النثر الفني في القرن الرابع الهجري، الطبعة الثانية، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ج ١، ص ١٩٧ .
- ١٢ - حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب، دار الجيل، بيروت، بلا تاريخ، ج ١، ص ٦١٦ .

- ١٣- المرجع نفسه ٦١٧.
- ١٤- المرجع نفسه، ٢٧.
- ١٥- حسن عباس (الدكتور)، نشأة المقامة في الأدب العربي، المصدر السابق، ص ٢٥
- ١٦- محمد إنوا ثالث طلحة: صور من الأساليب البديعية في مقامات الحويري، دراسة بلاغية تحليلية، المرجع السابق، ص ٤٠.... وهذا هو الراجح عند الدكتور شوقي، بخلاف القصة التي تقول: إنه ألفها في بداية الأمر أربعين ثم ألحق بها عشرة أخرى فيما بعد.
- ١٧- شوقي ضيف، المقامة، المرجع السابق، ص ٤٨ - ٤٩.
- ١٨- المرجع السابق، ص ٦٢
- ١٩- زكي مبارك (الدكتور)، النشر الفني في القرن الرابع الهجري، المرجع السابق، ص ٢٠٢.
- ٢٠- حاجي خليفة: جوغرافي ومؤرخ، عاش في الدولة العثمانية، وتوفي سنة ١٦٠٩م
- ٢١- في كتابه "كشف الظنون عن أسامي الفنون".
- ٢٢- الشريشي: هو كمال الدين أحمد بن عبد المؤمن ولد في مدينة شريش من بلاد الأندلس وتوفي بها سنة ٦١٩ هجرية.
- ٢٣- هو ما تجاوز الثلاثة إلى ما لا نهاية له، إلا صيغة منتهى الجموع فتبتدئ من أحد عشر.

- ٢٤- ألف التكسير: ألف تزداد في بعض جموع الكثرة.
- ٢٥- الاسترابادي، شرح شافية ابن حاجب، تحقيق مُجّد محي الدين، الطبعة الحادية عشرة، القاهرة، مصر، ١٣٨٣، ج ١ ص ١٤٥.
- ٢٦- الحريري، المقامات، المصدر السابق، ص ٣٥.
- ٢٧- الشريشي، شرح المقامات، المصدر السابق، ج ١، ص ١٦٦.
- ٢٨- الحريري، المصدر السابق، ص ٣٥.
- ٢٩- الخليل بن أحمد، كتاب العين، تحقيق الدكتور عبد الحميد هنداو ي، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٣م، مادة عدو، ج ٣، ص ١١٣.
- ٣٠- الحريري، المقامات، المصدر السابق، ص ٤٦.
- ٣١- يوسف مُجّد البقائي، قاموس الطلاب، دار الفكر، بيروت-لبنان، ص ٢٦٠، مادة الدواة.
- ٣٢- هي المقامة الخامسة؛ الكوفية، وقد وفد فيها أبو زيد على الكوفة، فاستضافه قوم كانت لهم به معرفة سابقة، فاتقصوه، وبعد أن قصّ عليهم قصة عجيبة، أرادوا أن يقيدوها فأحضروا أدوات القيد من أقلام ودواة.
- ٣٣- الحريري، المقامات، ص ١٢٠.
- ٣٤- ج ١١، ص ٢٩٦، مادة رمل.
- ٣٥- الشريشي، شرح المقامات، المرجع السابق، ج ١، ص ١١٥.

- ٣٦- صحيح، حديث رقم ٥٤٢٩.
- ٣٧- الحريري، المقامات، المصدر السابق، ص ١٢٥.
- ٣٨- مصطفى الغلاييني، جامع الدروس العربية، الطبعة الأولى، دار إحياء التراث العربي، لبنان-بيروت، ٢٠٠٤م، ص ١٨٣.
- ٣٩- الغلاييني، جامع الدروس، المرجع سابق، ص ٥٠ - ٥٥٠.
- ٤٠- اسم المكان: اسم يؤتى به للدلالة على مكان وقوع الفعل، ويُصاغ من الفعل المضارع على اختلاف أبوابه بحذف حرف المضارع واستبداله ميمًا ويسمى موضوعًا أو مكانًا أو اسم مكان.
- ٤١- اسم الآلة: نوع من المشتقات يؤتى به للدلالة على ما وقع الفعل بواسطته.
- ٤٢- صفة مطهية، (الدكتورة) الدلالة الإيحائية في الصيغ الإفرادية، مرجع سابق، ص ٢٠٢.
- ٤٣- محمود عكاشة، (الدكتور)، التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، مرجع سابق، ص ٩٠.
- ٤٤- الغلاييني، جامع الدروس، مرجع سابق، ج ٢، ص ٥١.
- ٤٥- الحريري المقامات، المصدر السابق، ص ١٠.
- ٤٦- سامت الماشية: خرجت إلى المرعى ترعى حيث شاءت.
- ٤٧- هو أبو ذؤيب الهذلي، شاعر مخضرم، جاهلي فإسلامي.
- ٤٨- ابن منظور جمال الدين بن مُجَّد بن مكرم الأفرقي المصري، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ج ٢، مادة: سَرَخ.

- ٤٩- سورة النحل الآية ٦.
- ٥٠- ابن منظور، لسان العرب، المرجع السابق، مادة: سَرَح.
- ٥١- هو حديث أم رزق، وهو حديث متفق عليه، أخرجه مسلم برقم: ٢٤٤٨.
- ٥٢- أروود أي ألتمس.
- ٥٣- أي أروود أي ألتمس.
- ٥٤- الشريشي، شرح المقامات، المصدر السابق، ج ١، ص ٥٣.
- ٥٥- الحريري، المقامات، المصدر السابق، ص ١٠.
- ٥٦- الشريشي، شرح المقامات، المرجع السابق، ص ٥٣.
- ٥٧- الشريشي، شرح المقامات، المرجع السابق، ص ٥٣.
- ٥٨- الخليل بن أحمد، كتاب العين، المرجع السابق، مادة "سوح".
- ٥٩- المرجع السابق، ص ٥٣.
- ٦٠- هذا النص نقلته هكذا عن معجم العين، ويدبوا أنه ليس نصا مرفوعا إلى النبي ﷺ.
- ٦١- الخليل بن أحمد، كتاب العين، المرجع السابق، مادة "سوح".
- ٦٢- سورة الواقعة، الآية ١٨.
- ٦٣- مالك بن طوق: بلد على الفرات بينه وبين حلب خمسة أيام، وبين دمشق ثمانية أيام.
- ٦٤- الحريري، المقامات، مصدر سابق، ص ٨٩.

- ٦٥- اسم الآلة: سبق تعريفه في صفحة ...
- ٦٦- أحمد الحمالوي (الشيخ) شذا العرف في فنّ الصرف، الطبعة الأولى، دار الفكر العربي، بيروت، ١٩٩٩هـ، ص ٩.
- ٦٧- مجمع اللغة المصري، المعجم الوسيط، مرجع سابق، مادة رسا، ص ٣٦٩.
- ٦٨- سورة سبأ، الآية ١٣.
- ٦٩- الشريشي، شرح المقامات، مرجع سابق، ج ١، ص ٨٩.
- ٧٠- مجمع اللغة المصري، المعجم الوسيط، مادة: رسا، ص ٣٦٩.
- ٧١- الحريري، المقامات، مرجع سابق، ص ٩٩.
- ٧٢- أدب، مادة لغوية ذات دلالات معجمية متعددة، تطورت تدريجاً بتطور الأزمنة، فقد كان العرب في الجاهلية يقصدون بها الدعوة إلى المأدبة من طعام أو شراب، وفي عصر صدر الإسلام أُطلق لفظ الأدب على الخلق الجميل المهذب، وظلّ الأمر هكذا في عصر بني أمية مع تطور بسيط، إذ أنه أصبح معنىً تربوياً تعليمياً تثقيفاً وتهذيباً، حيث ظهرت في هذا العصر شخصية الأديب، وهو المعلم الأستاذ التي يختاره الأمراء لتربية أبنائهم، ومن ثم أُطلق الأدب على طائفة ممتازي الأساتذة وهم (المؤدبون)، أما في العصر العباسي وفي القرن الثالث الهجري تحديداً، تطور معنى الأدب إلى المأثور من الشعر والنثر وما يتصل بها، أو يفسرها أو يدل على مواضع الجمال

فيها، وفي بدايات القرن الرابع الهجري، صار لفظ الأدب يطلق خاصة على الشعراء والكتاب دون المرتون. وفي العصر الحديث صار معنى الأدب يطلق عموما على كل ما يكتب في اللغة مهما يكن أسلوبه، كما أطلق خصوصا كذلك على ما كان من ذلك جميلا بحيث يؤثر على عواطف القارئ.

٧٣- الغلاييني، جامع الدروس، مرجع سابق، ج ١، ص ٢٠٣.

٧٤- الغلاييني، جامع الدروس، مرجع سابق، ج ٢، ص ١١٧.

٧٥- الحريري، المقامات، مرجع سابق، ص ١٦٦.

٧٦- مجمع اللغة المصري، المعجم الوسيط، ص ٢٥١.

٧٧- ابن منظور: هو الأديب المؤرخ الفقيه أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي، ولد عام ٦٣٠هـ - ١٢٣٢م. بقفصة بتونس، وقيل بطرابلس ليبيا، وقيل بمصر أيضا، قال عنه ابن حجر: "كان مغرى باختصار كتب الأدب"، وتوفي بالقاهرة سنة ٧١١هـ - ١٣١١م، ومن أشهر مؤلفاته (لسان العرب) و(مختصر تاريخ دمشق) و(مختصر تاريخ بغداد).

اللغة العربية وتفاعلها مع الدعابة الشعبية الهوساوية

إعداد:

محمد مجتبي عبد الله

قسم اللغة العربية، جامعة بايرو كنو، نيجيريا

mmabdullahi.ara@buk.edu.ng

الملخص:

ناقش الباحث في هذا المقال أوضاع اللغة العربية خارج الوطن العربي من منظور تفاعلها مع الدعابة الشعبية الهوساوية في شمال نيجيريا، وحاول قدر الإمكان وصف تنوعات هذه الدعابة الشعبية الهوساوية وتوضيح ارتباطاتها الوثيقة بألفاظ اللغة العربية الفصحى، وفصل القول أيضا عن أهداف هذا التوظيف والدلالات الجديدة الحاصلة. واختار الباحث المنهج الوصفي لعرض نماذج الدعابة وتحليلها منتهيا بذكر النتائج والتوصية.

المقدمة:

تعد اللغة العربية الفصحى من أعرق اللغات العالمية التي توطدت في نيجيريا بوسائل حضارية لتعم كل أقطار الشمال إلى أقصى الغرب والجنوب. والفضل في ذلك كله لله، ثم بجهود علماء الدهاليز الذين عاشوا فترة ما قبل رواج التعليم النظامي الحديث بمراحله المختلفة بداية خمسينيات القرن الماضي. وإذا كان التأثير والتأثر ثمرة تجنى من أي تفاعل

حضاري يحدث بين القوميات طوال الزمن بحيث يتم تبادل بعض الألفاظ وتكون الغلبة للغة الأقوى، فقد تجسد هذا الواقع على اللغة الهوساوية بعد مضي مئات السنين على احتكاك شعبها باللغة العربية والثقافة الإسلامية، وتكرس اللغة العربية في عقلية القوم جعل من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وكلام الفقهاء المالكيين مادة مستساغة لتوليد ألفاظ وعبارات عربية بهدف نشر الدعابة في المتلقي أو التعمية على خبر يراد نشره لفريق من المتلقين دون الفريق الآخر.

والهدف من تحرير هذا المقال هو دراسة أبعاد لغوية (صوتا وتركيبا ودلالة) لنماذج من هذه الدعابة التي كانت يوظف فيها أصوات عربية على خطاب هوساوي وتُفرض - بالمقابل - أصوات هوساوية على خطاب عربي، أضف إلى إقحام بعض عناصر النحو العربي في الخطاب الهوساوي وإطلاق الألفاظ العربية على مسميات من منطلق التجانس الصوتي واعتماد الترجمة الحرفية الخاطئة، كل ذلك لتحقيق أهداف معينة؛ أي نشر الدعابة في المتلقي أو التعمية على خبر يراد نشره لفريق من المتلقين دون الفريق الآخر كما مر سابقا. ولكي يتمكن الباحث من حل إشكالية تفاعل اللغة العربية بالدعابة الهوساوية سيطبق معطيات المنهج الوصفي رجاء الوصول إلى استنتاجات مرجوة إن شاء الله. ووضع خطة عريضة تتلخص في النقاط الآتية:

- المقاربة الألفبائية بين العربية والهوساوية
- توظيف الصوت العربي في الخطاب الهوساوي
- توظيف الصوت الهوساوي في الخطاب العربي
- استغلال التجانس اللفظي وصوغ مشتقات معقدة
- توظيف عناصر النحو العربي في الخطاب الهوساوي
- تعمّد توظيف الترجمة الخاطئة لأهداف معينة
- الخاتمة

المقاربة الألفبائية بين العربية والهوساوية:

تكاد العربية والهوساوية تستهوذان - من حيث المخارج الصوتية - على مدارج النطق كلها، فتتوزع مخارج أصوات اللغة العربية على كل من الجوف والحلق واللسان والشفيتين والخيشوم لإنتاج تسعة وعشرين صوتاً على ما اتفق عليه البصريون^(١)، في حين لا تختلف مخارج أصوات اللغة الهوساوية كثيراً في الاستحواذ على المدارج نفسها لإنتاج أربعة ثلاثين صوتاً^(٢). ولعل الفارق الجوهرى يتجلى في عدد الأصوات الحلقية حسب تجربة الباحث، فبينما يبلغ عدد الأصوات الحلقية في اللغة العربية ستة ممثلة في الهمز والهاء والحاء والعين والغين والحاء لا تجد اللغة الهوساوية نصيباً من الأصوات الحلقية إلا ثلاثة أصوات ممثلة في الهمز والهاء والغين. وفيما يتعلق بالصفات تستهوذ أصوات اللغة العربية على

الصفات المتضادة من همس وجهر وشدة وتوسط ورخاوة، واستعلاء واستفال وإطباق وانفتاح في حين تفتقد اللغة الهوساوية إلا صفات الإطباق والانفتاح والاستفال والاستعلاء^(٣)، ما يعني تخليها عن خصائص التفخيم والترقيق بقدر ما هو موجود في اللغة العربية^(٤). فأغلب الأصوات الهوساوية واقعة بين التفخيم والترقيق فليست مرفقة بحتة ولا مفخمة بحتة كما في العربية. من هذه المقاربة يفهم أن توظيف نظام الصوت العربي في الخطاب الهوساوي يعتبر دخيلا في اللغة الهوساوية، كذلك توظيف نظام الصوت الهوساوي في الخطاب العربي يعتبر أيضا دخيلا.

توظيف الصوت العربي في الخطاب الهوساوي:

يتم توظيف الصوت العربي في الخطاب الهوساوي لغرض نشر الدعابة لا غير، وأهم مظاهره صفتا الترقيق والتفخيم المفقودتان في اللغة الهوساوية كما مر سابقا، وفي البداية كان هذا التوظيف ديدنا لطائفة من دعاة السلفية في غرب إفريقيا بفعل الحرص الشديد على تطبيق الصوت العربي لحظة الاقتباس. وترجم هذا السلوك لاحقا في الأفلام الهوساوية وفي المسلسلات أيضا. فمسلسلات الكوميديا التي تبثها قناة (AREWA 24) الفضائية^(٥) باللغة الهوساوية كمسلسل "Gidan Badamasi" ومسلسل "Babban Gida"^(٦) مثال واضح لتوظيف الصوت

العربي في الخطاب الهوساوي، ويحدث مع ممثلين يتظاهران بالصلاح والتقوي وفي كل خطاب هوساوي يصدر عنهما يوظفان الصوت العربي في مثل قولهما: "Haba malam wannan ya sava da koyarwar addinin musulunci" بمعنى: "ويحك يا رجل! هذا السلوك يتنافى مع تعاليم الإسلام". والجدول التالي يتضمن تقييمًا صوتيًا عن ألفاظ هذه العبارة الكوميدية.

ألفاظ العبارة بالحرف اللاتيني	ألفاظ العبارة بالحرف العربي	النطق الهوساوي	النطق العربي
Haba	هبا	الهاء والباء أقرب إلى التفخيم منهما إلى الترقيق	الهاء والباء مرقتان
Malam	مالم	الميم واللام أقرب إلى التفخيم منهما إلى الترقيق	الميم واللام مرقتان
Wannan	وتنن	الواو والنون أقرب إلى التفخيم منهما إلى الترقيق	الواو والنون مرقتان
Ya		الياء أقرب إلى	الياء مرققة

ألفاظ العبارة بالحرف اللاتيني	ألفاظ العبارة بالحرف العربي	النطق الهوساوي	النطق العربي
	يا	التفخيم منها إلى الترقيق	
Sava	سابا	السين والباء أقرب إلى التفخيم منهما إلى الترقيق	السين والباء مرقتان
Da	د	الدال أقرب إلى التفخيم منها إلى الترقيق	الدال مرققة
Koyarwar	كُوَيَّرُور	الكاف والياء والواو أقرب إلى التفخيم منها إلى الترقيق	الكاف والياء مستفلتان ومرقتان
Musulunci	مُسلنتشي	الميم والسين واللام والتشاء أقرب إلى التفخيم منها إلى الترقيق	الميم والسين واللام ومركب التشاء مرققة

توظيف الصوت الهوساوي في الخطاب العربي:

تمثل هذا النقطة اتجاهها معاكسا يتم فيه توظيف الصوت الهوساوي في الخطاب العربي بهدف إشعار المتلقي بطبيعة الاختلافات الصوتية الحاصلة بين بعض الأصوات في اللغتين، وفي البداية كان يُمارس هذا التوظيف هوساويون ساذجون مبتدئون في تعلم النطق بتراكيب العربية، وتطور الأمر إلى نوع من السخرية يُمارس لنشر الدعابة في المتلقي. ويكثر تداوله قول الساخرين: "رلّ رلاّلا بّيّدا" وهو تهويس للآية الكريمة: "ضل ضلالا بعيدا" وقولهم "ولا اللالين" وهو تهويس لقول المولى في آخر سورة الفاتحة "ولا الضالين".

ومن ذلك ما يتناقله الناس من أخبار سالم (أحد كوادر نشر هذه الدعابة في طندمي)^(٧) وقد سافر مرّة إلى جمهورية السنغال في رحلة جماهيرية لحضور مناسبة دينية، وفي بعض اللحظات فقد رفاقه بعد خروجه من المسجد فصار في مأزق شديد قبل اللحاق بهم، وكان يحكي القضية مستوظفا الصوت الهوساوي في الخطاب العربي قائلا: "دَيّ حَرَجَ مَسَلَاتَشِي، يّ رَلّ، يّ بُكَاءُ يّ بُكَاءُ، سَيّ يّ رَأَى وَلَدِي سَيّسَا، سَيّ يّ دَأْنِي "بَابْن مَعَاجِي، سَيّ نَج لَزّ، كَمَر يّ جَأْلِي الْجُنَّة". وتعني العبارة بفصيح الأسلوب: "بعد خروجي من المسجد، فقدت رفاقي، فبكيت بكاء شديدا، فأبصرت ولدي

(سيّسا) وأبصري هو، فناداني: يا أبا معاج!، فارتحت بالا كأنه أدخلني في الجنة.

هذه تجربة سالم وقد استخدم فيها أسلوب العرسة^(٨) الذي يتم فيه الخلط بين ألفاظ عربية وأخرى هوساوية، وإلى جانب العرسة أخطأ نطق الأصوات العربية كما يتضح في الجدول التالي:

الألفاظ العربية في الحكاية	الانحراف الصوتي في نطقها
(خرج) من الخروج	هرج
(ضل) من الضلال	رلّ
(بكاءً) بتنوين آخره، مصدر بكي يبيكي	بكاءً بعدم تنوين آخره
(دعاني) من الدعوة	دآني
(لذة) بالذال	(لرّ) بالزاي
(جعلني) بالعين	(جألني) بالهمزة

فمن عملية التحليل الواردة في الجدول يتضح للقارئ مدى استئثار الهوساوي الساذج نطق أصوات الخاء والضاد والعين والذال، ومن نطقها نطقا سليما، فلا بد من أنه خضع لتدريبات تصقيل اللسان، وقد وجد المدربون على النطق الصحيح فرصة لمحاكاة هذه الأخطاء ساخرين ممن لا يجيد نطقها ونشرا للدعاية في المتلقي، ولا يوظف الصوت الهوساوي في الخطاب العربي من المثقفين إلا لأغراض الدعاية.

استغلال التجانس اللفظي وصوغ مشتقات معقدة:

كثيرا ما يُستغلّ التجانس الحاصل بين ألفاظ هوساوية وأخرى عربية لنشر الدعاية في المتلقي، واشتهرت بهذا الممارسة جماعة في الخلاوي القرآنية تعرف تقليديا بـ "Gardawa" كان شغلهم الشاغل حفظ القرآن الكريم أكثر من غيره من مواد اللغة والأدب، ربما كان هذا ضمن الأسباب التي أدت إلى رواج هذا التوظيف فيهم. ولتوظيف هذا النوع - كسابقه - أهداف عدة أهمها التعمية على خبر لا يرجى إدراكه من عموم المتلقين بل يوجّه لطائفة معينة، كما يُعدّ من الأهداف أيضا تضمين مسمّيات عدة للإيعاز بوجودها في ألفاظ القرآن الكريم، ولهذا السبب إذا أدرك المتلقي مضمون اللغز لا يملك إلا أن ينفجر ضاحكا. فالجدول الآتي يوضّح بعض النماذج مع دلالاتها وأصولها القرآنية والهدف من توظيفها:

رقم	نماذج التجانس اللفظي	دلالاتها الهوساوية	أصولها القرآنية	الهدف من التوظيف
١	إلا من تاب	إشارة إلى السيجارة التي تسمى	(تاب) من قوله تعالى: إلا من تاب	تضمين اسم السيجارة أو الإشارة إلى

الهدف من التوظيف	أصولها القرآنية	دلالاتها الهوساوية	نماذج التجانس اللفظي	رقم
حضور المدخن بالمكان	وآمن وعمل عملا صالحا.	باللغة الهوساوية (taba)		
تضمين اسم البدين ومن ثم نشر الدعاية	(الاختين) من قوله تعالى: وأن تجمعوا بين الاختين إلا ما قد سلف (برواية ورش)	إشارة إلى رجل بدين. فالرجل البدين يسمى باللغة الهوساوية (Lukuti) فلفظ (خ) ينطقه بعض الهوساويين (ك)	وأن تجمعوا بين لكتين	٢
التنويه إلى حالة	(وتب، ما أغنى) من قوله تعالى:	إشارة إلى أن هناك شيئا دبر مسبقا. ف		٣

الهدف من التوظيف	أصولها القرآنية	دلالاتها الهوساوية	نماذج التجانس اللفظي	رقم
الاستنكار والاستغراب إثر حدوث شيء	تبت يدا أبي لهب وتب، ما أغنى عنه ماله	"وتب" جانس (wata) وهو ضمير تانيث، و (an gani) يعني أبصر باللغة الهوساوية	وَتَبَّ مَا أَنْعَى	
الإخطار بقدم الشرطة وحث المجرم على الفرار	(أن اغدوا) من قوله تعالى أن اغدوا على حرثكم.	إشارة إلى الفرار والهرب فلفظ (Gudu) يعني اهْرَبْ باللغة الهوساوية	أن اغدوا	٤
الإشارة إلى حالة التحسر واليأس	(بابٌ باطنه) من قوله تعالى: له	إشارة إلى الخذلان وهو يشبه المثل الهوساوي	باب باطنه	٥

الهدف من التوظيف	أصولها القرآنية	دلالاتها الهوساوية	نماذج التجانس اللفظي	رقم
	باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب.	القائل: (ba wan ba) kanin بمعنى ضاع الكبير والصغير		
تضمين اسم (gayya) ونشر الدعاية	(غيًا) من قوله تعالى: فسوف يلقون غيا.	إشارة إلى الحشود لأن لفظ (Gayya) في اللغة الهوساوية يعني الحشود من الناس	فسوف يلقون غيًا	٦
تضمين الاسم في اللفظ	وهو خير الحاكمين	إشارة إلى أحد حاشية الملك ويسمى (Hākimi) باللغة الهوساوية	وهو خير الحاكمين	٧

رقم	نماذج التجانس اللفظي	دلالاتها الهوساوية	أصولها القرآنية	الهدف من التوظيف
٨	أن تَبْتَعِي	إشارة إلى القلنسوة وتسمى (Tagiya) في لهجة صكوتو وهي من لهجات هوسا السائدة	(أن تبتغي) من قوله تعالى فإن استطعت أن تبتغي نفقا في الأرض..	تضمين اسمها في اللفظ ونشر الدعابة
٩	مكلبين	إشارة إلى خمار الرأس الذي يُسمى (Kallabi) باللغة الهوساوية	(مكلبين) من قوله تعالى: "وما علمتم من الجوارح مكلبين"	تضمين الاسم في اللفظ ونشر الدعابة
١٠	قبيلًا	إشارة إلى المجوسي أو	(قبيلًا) من قوله تعالى أو	الإشارة إلى الشخص غير

رقم	نماذج التجانس اللفظي	دلالاتها الهوساوية	أصولها القرآنية	الهدف من التوظيف
		الوثني فلفظ (kabila) يطلقه الهوساويون تارة على غير المسلم	يأتي ربك والملائكة قبيلًا	المسلم أو شخص بدي غريب الحال
١١	الذي أنقض	إشارة إلى تجدد وقوع حدث، فلفظ (An kara) بالهوسا يعني الإعادة والتجدد.	(الذي أنقض) من قوله تعالى الذي أنقض ظهرك	تضمنين الاسم في اللفظ ونشر الدعاية
١٢	فلما زاغوا	إشارة إلى سلوك طريق بهدف التحايل أو التخفي عن الأنظار، فلفظ	(فلما زاغوا) من قوله تعالى فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم.	تضمنين الاسم في اللفظ ونشر الدعاية

رقم	نماذج التجانس اللفظي	دلالاتها الهوساوية	أصولها القرآنية	الهدف من التوظيف
		(Zagaye) يترجم هذا المعنى		
١٣	وما ألتناهم	إشارة إلى تلقي إشعار من البنك، وهو لفظ إنجليزي (Alert) فهو بحكم اللفظ الدخيل في اللغة الهوساوية	(ألتناهم) من قوله تعالى وما ألتناهم من عملهم من شيء	تضمين الاسم في اللفظ ونشر الدعابة
١٤	ويمكرون	إشارة إلى خلو الشوارع من المارة بفعل الإغلاق الناتج عن انتشار	"ويمكرون" ورد اللفظ في سورة الأنفال الآية	وتوظيف الآية للإيجاء بأن معاناة العالم التي أسفرت إلى

الهدف من التوظيف	أصولها القرآنية	دلالاتها الهوساوية	نماذج التجانس اللفظي	رقم
فرض الإغلاق الذي انتهى بخلو الشوارع عن الحركة كان انتقاما إلهيا على جراء تراكم المعاصي.		جائحة كورونا في مدن العالم لأن لفظ (Wayam) يعني الخلو.. بمعنى أخليت الشوارع خشية كورونا		

وهناك نوع آخر من الدعاية يعكس عبقرية علماء الدهاليز في تحوير اللغة العربية بما يشبه الجناس المعروف في دروس البلاغة^(٩) أشاعه المرحوم الشيخ الحاج عبد الله طندمي، ويتألف من عملية معقدة جدا يتم فيها صوغ مشتقات من ألفاظ عربية من أخرى هوساوية أو العكس. ومن ذلك قوله:

▪ **أَقْوِيَاءُ:** ردًا على إحدى زوجاته التي قابلته بالترحيب مستخدمة عبارة: "Sannunku 'yan kauye" بمعنى: يا من حضروا من الريف.

▪ **كُجِي كُنْشِي (فني):** ردّا على ولد أرسل ليتسلم مبلغا من المال يتم به إعداد وجبة الطعام حسب التقليد الساري لدى الهوساويين. ف"فني" كلمة عربية بمعنى نغد وتشيفني مبلغ يقدم للزوجة تستعين به لإعداد الطعامز

▪ **إُزُو مِن مِيَا:** ردا على أحد أصحابه الذي مازحه بما يشبه المعاتبة لأكله من أمام الغير في مأدبة الطعام، فقال له باللغة الهوساوية: (Shehi) (kana cin gaba na kamar baka karanta Iziyya ba!) "ما لك يا شيخ تأكل من أمامي كأنك لم تقرأ (كتاب العزية)^(٣٣) فجاء رد الشيخ مشتقا من لفظ (العزية): "Kai da ka karanta Iziyyar izomin miya" بمعنى: أفضِ الإدام أمامي يا من قرأ كتاب العزية.

▪ **إِذَا قَف:** تعليقا على شخص قرأ سورة الواقعة عدة مرات يفتح بها باب الأرزاق من الله لكنه لزم بيته ولم يتحرك لممارسة التجارة أو العمل.. فقال الشيخ قولة قد تكون شائعة بين الهوساويين: Idan akai Iza waka, Sai ai Iza kafa. بمعنى: إذا قرأت "إذا وقعت الواقعة" تخرج إلى الأسواق للتجارة أو العمل.

والجدول الآتي يوضّح طبيعة التجانس وصوغ المشتقات من كلام الشيخ عبد الله طندمي:

المشتق منه ودلالته	المشتق	رقم
kauye: ومعناه باللغة الهوساوية الريف وفي تركيبه اللفظ الصوتية القاف والواو والياء	أقوياء	١
Cefane : ومعناه باللغة الهوساوية المبلغ الذي يعطى للأهل ليستخدم في إعداد الطعام	(تشي فني) والمقصود ما فيه فلوس! لأن عبارة (تشي) هوساوية ومعناها: قل، ولفظ فني من فني يفني بمعنى نفذ، وقد أمال حركة النون متأثراً بأسلوب الأفارقة في قراءة القرآن برواية ورش عن نافع	٢
Iza kafa: يعني باللغة الهوساوية سرّ بالقدم، لأن لفظ (Iza) يعني سر، ولفظ (Kafa) يعني القدم.	(إذا وق) اقتطعت العبارة من قوله تعالى في سورة الواقعة: إذا وقعت الواقعة.	٣

هذان النوعان من توظيف التجانس وصوغ مشتقات معقدة يشيران إلى تمكنهم من اللغة العربية وقد بلغوا مبلغاً في جعل الألفاظ العربية آلية لنشر الدعابة في المتلقي.

توظيف عناصر النحو العربي في الخطاب الهوساوي:

الهدف من توظيف عناصر النحو العربي في الخطاب الهوساوي هو فرض ظاهرة الإعراب في السياق الهوساوي فيجعل من ألفاظ هوسا منصوبا بالفتحة ومجرورا بالكسرة ومرفوعا بالضممة، وهذه العناصر كلها دخيلة في اللغة الهوساوية، ومن ثم لا يمارسه إلا الراسخون في معرفة قواعد النحو العربي. ومن ذلك قول بعض الشباب الجامعيين^(١٤) "ليتشؤبنه" على وزن ليفعلنه، وكأنه يمهّد به الطريق لتصريف الفعل أكثر فأكثر فيقال في الماضي تشأب وفي المضارع يتشأب وفي الأمر اتشأب واللفظ يتضمن تهديدا ووعيدا يشبه إلى حد بعيد قول العرب: "سوف يدفع الثمن غاليا".

وخير شاهد على توظيف عناصر النحو العربي دعاء لا يزال منشورا بالفيديو على اليوتيوب^(١٥) تضمن عريسة أي الخلط بين الألفاظ العربية والهوساوية، ونصه كالاتي:

اللَّهُمَّ كُطِطْنَا كَمَا كُطِطْتَ صَاحِبَ كُطِي كُطًا كَبِيرًا يَا اللَّهُ!
وَمَوْتِنَا مَوْتًا فُرَادِيَّةً أَوْ هِينِيَّةً أَوْ مَرَسِيدِيَّةً أَوْ إِنْدُونَسُكُوشِيَّةً
أَوْ كُونْدِينَسُكُوشِيَّةً أَوْ بُومَاتِيكِيَّةً، اللَّهُمَّ ارزُقْنَا غَدًا بَيْنِيَا
بِنْتَلِيَشِيَا، وَارزُقْنَا شِنكَافَةَ عُوْمَتِيَّةً الَّتِي لَا ظُكُو فِيهَا وَلَا ظِنْتَا،
وَارزُقْنَا شِدَّةً عَالِيَّةً، وَارزُقْنَا أَتْنَعَةَ كُودِيَوِيَّةً..

وترجمة الدعاء باللغة العربية الفصحى: اللهم اعطنا أموالا كما أعطيت الأغنياء أموالا كثيرة يا الله، واعطنا سيارة فاخرة من طراز الهينيسي والمرسيديس وإيند أوف ديسكوشين وبوماتيك، اللهم ارزقنا منزلا مكونا من أطباق ذات تهوية، وارزقنا أرزًا أجود خاليا من الحصباء، وارزقنا قماشا من طراز مميز (غليله للرجال) وقمّاشا مصنوعا في كوديبوا (مميز للنساء). والجدول الآتي يتضمن تحليل هذا الدعاء نحويا.

رقم	الألفاظ الموظف فيها عناصر نحوية	العناصر النحوية
١	كُطِطَ	فعل أمر مبني على السكون على افتراض أنه من كَطَطَ يَكْطِطُ كُطِطَ والمصدر كُطِي أي الأموال
٢	كُطِطَت	فعل ماض مبني على السكون لاتصاله بباء المخاطب وكُطِطَت بمعنى (أعطيت أموالا)
٣	كُطًا	مصدر وقع في السياق تمييزا مبني على الفتح بفتحة ظاهرة على آخره.
٤	مَوْتَت	فعل أمر مبني على السكون

رقم	الألفاظ الموظف فيها عناصر نحوية	العناصر النحوية
		وهو مشتق من "mota" أي السيارة
٥	مَوْتَةٌ	مفعول به منصوب لفعل مَوْتَتْ وهو من "mota" أيضا
٦	فُرَادِيَّةٌ	نعت منصوب بالفتحة على التبعية ولفظ (فُرَادُو) يقصد به سيارة (Toyota Prado) وهو دخيل في اللغة الهوساوية كما في اللغات الأخرى.
٧	هِنِينِسِيَّةٌ	معطوف على منصوب وهو لفظ (فرادو) ويشير هنا إلى سيارات تنتجها شركة (Hennessey) واللفظ دخيل أيضا في اللغة الهوساوية كما في اللغات الأخرى.
٨	مَرَسِيدِيَّةٌ	معطوف ثان على منصوب، ويقصد به سيارة (Mercedes) واللفظ دخيل في اللغة

العناصر النحوية	الألفاظ الموظف فيها عناصر نحوية	رقم
الهوساوية كما في اللغات الأخرى.		
معطوف ثالث على منصوب، ويشير به إلى سيارة End of (discussion) وهو دخيل في اللغة الهوساوية كما في اللغات الأخرى.	إِنْدِيسْكُوشِيَّةً	٩
معطوف رابع على منصوب، والهدف سيارة continue Discussion واللفظ دخيل في اللغة الهوساوية كما في اللغات الأخرى.	كُونْدِيسْكُوشِيَّةً	١٠
معطوف خامس على منصوب، والهدف سيارة 4Matic واللفظ دخيل في اللغة الهوساوية كما في اللغات الأخرى.	بُومَاتِيكِيَّةً	١١
مفعول به منصوب بالفتحة	عِدًّا	١٢

رقم	الألفاظ الموظف فيها عناصر نحوية	العناصر النحوية
		الظاهرة على آخره، والهدف Gida أي المنزل باللغة المحلية.
١٣	بِنِيًّا	نعت منصوب بالفتحة على التبعية، والهدف Bene أي المنزل المكون من طوابق باللغة المحلية.
١٤	بِئْتَلِيشِيًّا	نعت ثان منصوب بالفتحة على التبعية، والهدف ventilation أي منزلا ذا تهوية، واللفظ دخيل في اللغة الهوساوية كما في اللغات الأخرى.
١٥	شِنكَافَةَ	مفعول به منصوب بالفتحة الظاهرة على آخره، والهدف Shinkafa أي الأرز باللغة الهوساوية.
١٦	عُومَنِّيَّةً	نعت منصوب بالفتحة على التبعية، والهدف Gwamnati

العناصر النحوية	الألفاظ الموظف فيها عناصر نحوية	رقم
تحويس للفظ "Government" الدخيل الإنجليزي، والهدف النوع الأجود من الأرز.		
(ظكُو) اسم منصوب بـ لا النافية وفتحته مقدره على آخره في قوله: "لا ظكو فيها"، والهدف Tsakuwa وهي الحصيات الموجودة في النوع الرديء من الأرز.	ظكُو	١٧
(ظنتنا) اسم معطوف منصوب بالتبعية، والهدف Tsinta أي الحبيبات السوداء الموجودة في بعض الأرز.	وَلَا ظِنْتَنَا	١٨
مفعول به منصوب بالفتحة الظاهرة على آخره من قوله: "وارزقنا شدة"، والهدف Shadda وهو نوع من الأقمشة كان يلبسها الهوساويون.	شَدَّة	١٩

رقم	الألفاظ الموظف فيها عناصر نحوية	العناصر النحوية
٢٠	عَالِيَّةً	نعت منصوب بالفتحة الظاهرة على آخره، والهدف Galilah وتعد من أجود الأقمشة فهي لَمَاعَة ومميزة.
٢١	أَتْنَفَةً	مفعول به منصوب بالفتحة الظاهرة على آخره من قوله: وَاذْرُقْنَا أَتْنَفَةً، والهدف Atampa وهو نوع من أقمشة النساء الأفارقة.
٢٢	كُودِيَّوِيَّةً	نعت منصوب بالفتحة الظاهرة على آخره، والهدف Cote deivoir أي المستوردة من هذه الدولة الإفريقية وهي فائقة الجودة.

فمن التحليلات الجدولية السابقة يمكن القارئ من فهم رسوخ القوم في معرفة النحو العربي ومن ثم تمكنهم من توظيف بعض عناصره - نشرا للدعابة - في اللغة الهوساوية التي لا تعرف الحركات الإعرابية لا من قريب ولا من بعيد.

تعمد توظيف الترجمة الخاطئة:

تكون هذه النقطة ختام النقاط الست التي يتناولها الباحث في مداخلته لتمثيل تفاعل اللغة العربية بالدعابة المحلية الهوساوية، ويهدف بهذه النقطة كشف مغالطات التعبير لدى الطلاب الثنائين الذين يتعلمون العربية كلغة ثانية وهم - في فترة ما قبل التمكن - يعبرون تراكيب اللغة العربية بمنظومة اللغة الهوساوية. وبالتالي عمد الراسخون في اللغة العربية على محاكاة هذا النوع من التعبير الخاطئ للسخرية من الخاطئين ونشر الدعابة في المتلقي. وعلى المتلقي مثل هذا التوظيف أن يكون هو الآخر عارفاً بأساليب اللغة العربية الفصحى لضمان الاستمتاع بمدلولات الترجمة. وإلى جانب نشر الدعابة في المتلقي هناك هدف آخر يتمثل في التعمية على معلومة يُكنتم بها على شريحة من المتلقين دون الأخرى، كأن يكون بمحضر المتكلم عربي قح أو مثقف بالعربية، لا يراد منهما إدراك فحوى الحديث. ولتتمكن المحترفين بهذا النوع من التوظيف ذهبوا بعيداً فنقبوا في مكونات أسماء الناس وترجموها ترجمة حرفية، وما تعذر ترجمته يبقى على حاله فيعدونه "مما لا ينصرف" مشاكليين بذلك الممنوع من الصرف في العربية^(١١). ومن جهابذة هذا النوع من التوظيف الزميل الدكتور بشير لون المحاضر بقسم اللغة العربية بجامعة بايروكنو نيجيريا^(١٢) وفي الآتي عرض نماذج الترجمة الخاطئة مع

شرح مدلولها في الأسلوب العربي الصحيح والإشارة إلى الهدف من التوظيف حسب قراءة الباحث:

رقم	نماذج الترجمة الخاطئة	دلالتها في الأسلوب الصحيح	الهدف من التوظيف
١	تحية البطن	وهو التمهيد بتناول شيء بسيط قبل تناول الطعام وهو ترجمة حرفية لـ (shinfidar ciki)	التعمية ونشر الفكاهة
٢	سكين الذكر	وهو ما يُتخذ من الزاد أو العتاد احتياطا ترجمة حرفية لـ (wukar gindi)	
٣	سمعنا الجسد	بمعنى تعبنا كثيرا وهي ترجمة حرفية لـ (mun ji jiki)	التعمية ونشر الدعابة
٤	تقاصر أب الأبرص	يعني لا يطيقه الأقوى بله الأضعف. وهي ترجمة حرفية للمثل الهوساوي القائل: (Uban kuturu yai kadan bare na	التعمية ونشر الدعابة

رقم	نماذج الترجمة الخاطئة	دلالتها في الأسلوب الصحيح	الهدف من التوظيف
		(makaho).	
٥	لقد أعطاني	يعني خيب ظني، وهي ترجمة حرفية لعبارة: (ya bada ni).	
٦	ديك الفصل	الطالب الأذكي ، وهي ترجمة حرفية ل: (zakaran aji).	التعمية ونشر الدعاية
٧	يقرأ رسالة الحمار	يعني يحدق بشيء وهو صامت في إشارة إلى التفكير. وهي ترجمة حرفية ل (karanta wasikar jiki).	التعمية ونشر الدعاية
٨	ابن الهواء	يعني رجل خبيث غير مهذب. وهي ترجمة حرفية ل (dan iska)، فلفظ (qan) يعني ابن، ولفظ (iska) يعني الهواء	التعمية ونشر الدعاية

رقم	نماذج الترجمة الخاطئة	دلالتها في الأسلوب الصحيح	الهدف من التوظيف
٩	كُلّ الأمام	يعني تابع السير، أو استمر. وهي ترجمة حرفية ل: (ci gaba) فلفظ (ci) يعني كل من الأكل، ولفظ (gaba) يعني الأمام.	نشر الدعاية
	لا سمع	ما فيه مشكلة، أو لا عليك. وهي ترجمة حرفية ل: (ba ji) فلفظ (ba) يفيد النفي، ولفظ (ji) يعني السمع.	نشر الدعاية
١٠	دقيق ^(١٢)	يعني بطئ الفهم، والذي حصل في اللفظ أقرب إلى التطور الدلالي بآلية الانتقال من معنى إيجابي (قوي الإدراك) إلى معنى سلبي (بطيء الإدراك).	مصارحة
١١	أبو أحمر	يعني (Abuja) عاصمة	

رقم	نماذج الترجمة الخاطئة	دلالتها في الأسلوب الصحيح	الهدف من التوظيف
		نيجيريا، فلفظ (Abu) قريب إلى المعنى العربي للفظ (أبو) أي الأب، ولفظ (ja) يعني الأحمر.	نشر الدعاية
١٢	جبل ما	اسم بلدية في ولاية كتشنا تسمى (Dutsamma) اسم بلدية في ولاية كتشنا، فلفظ (Dutse) يعني: جبل، و(ما) غير منصرف حسب اتجاه معلم عيسى حماد	التعمية ونشر الدعاية
١٣	ابن المجاهد	اسم قرية صغيرة تابعة لبلدية طندي في ولاية كتشنا النيجيرية تسمى (qān mayaki) فلفظ (qān) يعني الابن، ولفظ (mayaki) يعني المجاهد	التعمية ونشر الدعاية

رقم	نماذج الترجمة الخاطئة	دلالتها في الأسلوب الصحيح	الهدف من التوظيف
١٤	أعطني النوم	يعني الوداع ولا علاقة للعبارة بالنوم بتاتا. فأصل العبارة (ban-kwan)، فلفظ (ban) يعني أعطني، ولفظ (kwana) يعني النوم أو المبيت.	التعمية ونشر الدعابة
١٥	أبناء ثور رأس	يعني حراس متطوعون، فأصل العبارة (yan sa) (kai) بمعنى متطوعون في عمل، فلفظ (yan) اختصار (ya'ya) بمعنى أبناء، وحرف "n" الأخير يفيد النسبة، ولفظ (sa) يشبه في المعنى لفظ "ثور"، ولفظ (kai) يعني رأس.	التعمية ونشر الدعابة
١٦		اسم شجيرة يُتغذى من أوراقها، وأصل اللفظ	

رقم	نماذج الترجمة الخاطئة	دلالتها في الأسلوب الصحيح	الهدف من التوظيف
	كيف البنون	(yaqīya) فمقطع (ya) يشبه في المعنى لفظ "كيف" ومقطعا (diya) يشبهان في المعنى لفظ البنون في لهجة أهل صكوتو ^(١٤)	التعمية ونشر الدعاية
١٧	قل البنين	ترجمة حرفية لعناصر تركيب لفظ (ceqīya) وهي نوع من الأشجار المفيدة علاجيا، فمقطع (ce) يشبه في المعنى لفظ "قل" ومقطع (qīya) يشبه في المعنى لفظ البنون في لهجة أهل صكوتو .	التعمية ونشر الدعاية
١٨	تي قديني	ترجمة حرفية لعناصر تركيب اسم (Tijani) الاسم المشهور في جمهور	التعمية ونشر الدعاية

رقم	نماذج الترجمة الخاطئة	دلالتها في الأسلوب الصحيح	الهدف من التوظيف
		الصوفية، والمقطع الأخير من اللفظ (jani) يشبه في المعنى عبارة "قد ني" من القيادة. على أنّ المقطع (ti) يُعد مما لا ينصرف هوساويا.	
١٩	قُد كي	ترجمة حرفية لعناصر تركيب لفظ (jaki) بمعنى الحمار، والمقطع الأخير من اللفظ (ja) يشبه في المعنى عبارة "قد" من القيادة أيضا. على أن المقطع (ki) الأخير يعد مما لا ينصرف.	التعمية ونشر الدعابة
٢٠	حب أحمر	ترجمة حرفية لعناصر تركيب لفظ (soja) بمعنى الجندي، والمقطع الأول من اللفظ (so) يشبه في المعنى لفظ	التعمية ونشر الدعابة

رقم	نماذج الترجمة الخاطئة	دلالتها في الأسلوب الصحيح	الهدف من التوظيف
		"حب" ومقطع (ja) الأخير يشبه في المعنى الأحمر من الألوان.	
٢١	نحن اجعل	ترجمة حرفية لعناصر تركيب لفظ (موسى)، فمقطع (مو) يشبه في المعنى ضمير "نحن". والمقطع (سى) يشبه في المعنى "اجعل"	التعمية ونشر الدعاية
٢٢	نعم اجعل	ما قيل في موسى يتكرر في عيسى، وهو ترجمة حرفية لعناصر تركيب اللفظ (عيسى)، فمقطع (عي) يشبه في المعنى لفظ "نعم". والمقطع (سى) يشبه في المعنى "اجعل"	التعمية ونشر الدعاية
٢٥	أنت أنتِ	ترجمة حرفية لعناصر تركيب لفظ (keke)، أي الدراجة	

رقم	نماذج الترجمة الخاطئة	دلالتها في الأسلوب الصحيح	الهدف من التوظيف
		الهوائية فاللفظ ينطوي على مقطعين متشابهين، ويشبهان في المعنى أنتِ أنتِ.	التعمية ونشر الدعابة

لا شك أن من تابع هذه التحليلات الجدولية يقبل بمصادقية حدوث التفاعل القوي بين اللغة العربية والدعابة الشعبية الهوساوية، ويسلم بأنها أصبحت لغزا يكون من الصعب جدا على العربي القح إدراكه.

الخاتمة:

- وختاما استنتج الباحث ما يلي:
- اللغة العربية راسخة في المجتمع الهوساوي يشهد على ذلك تحوير ألفاظها في الدعابة الشعبية.
 - توظيف الصوت العربي على الخطاب الهوساوي يكون لأغراض الدعابة فقط.
 - توظيف الصوت الهوساوي على الخطاب العربي يمثل حالة الهوساوي الساذج ومحاكاة هذه السذاجة من المثقفين تعني نشر الدعابة في المتلقي.

- استغلال التجانس اللفظي وصوغ مشتقات معقدة من ألفاظ عربية وأخرى عربية كان لأغراض الدعاية والتعمية أيضا. وأوصي بما يلي:
- للغة العربية مستقبل عجيب بالنسبة لدلالات ألفاظها خارج الوطن العربي، وأمام العرب تحديات كبيرة خارج الوطن العربي أيضا ستكشف لحظة التقابل مع جماعة تجيد هذا النوع من الدعاية.
- تنظيم بحوث لغوية مشتركة عابرة للحدود سيسهم في تدارك هذا التطور اللغوي ويتم به التعرف على مستجدات اللغة العربية في العالم الخارجي.

المراجع والهوامش

- (١) القرأش، جمال بن إبراهيم دراسة المخارج والصفات ط ١ (١٤٣٣هـ ٢٠١٢م) مكتبة طالب العلم مصر - شين الكوم ص ١٤
- (٢) Tsarin Sauti da Nahawun Hausa by: M.A.Z Sani (1999) UPPLC ص ٣
- (٣) مفهوم الاستعلاء عند ابن جني هو التصعد في الحنك الأعلى وتشمل أصواته (القاف اللهوية والغين والحاء الطبقيتين والصاد والضاد والطاء والظاء اللثوية) راجع: العطية، خليل إبراهيم (الدكتور) في البحث الصوتي عند العرب منشورات دار الجاحظ للنشر - بغداد الجمهورية العراقية (١٩٨٢) ص ٥٧

(٤) هذا هو القول الصائب بحجة أن المدربين في تصقيل أسنة على تجويد القراءة في بلاد هوسا يعتنون للطالب بإتقان نطق الحاء والعين الحلقيتين والذال والطاء والثاء والصاد ثم التفخيم مع الأصوات المفخمة استعلاء وإطباقا، والترقيق مع الأصوات المرققة استفلا وانفتاحا، ثم تفخيم الراء إلخ. وما ذكره سمير عزت إبراهيم إسماعيل في مقال له بعنوان: "الأصوات الهوساوية بيان للخواص وتحديد للملامح (دراسة نظرية) من أن في الأصوات الهوساوية صفة الاستعلاء يتنافى

مع الواقع.. موقع نشر المقال: <https://dergipark.org>

(٥) أنشأت عام ٢٠١٤م. الموقع: <https://ng.linkedin.com>

(٦) يتناول المسلسلان مشاكل أسرية متفاقمة بأسلوب فكاهي كوميدي.

(٧) بلدة زراعية عملاقة تقع في ولاية كتشنه بشمال نيجيريا ويقطنها كبار العلماء.

(٨) العربية أسلوب اشتهر به كتاب الشعر من العلماء في بلاد هوسا كشعر المرحوم الحاج مودي سبيكين.

(٩) الجناس: هو تشابه لفظين في النطق، واختلافهما في المعنى، وهو ينقسم إلى نوعين: لفظي - ومعنوي: وإلى تام وغير تام. الشحود، علي بن نايف الشحود الخلاصة في علوم البلاغة ج ١، المكتبة

الشاملة رقم ٦، (١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م) ص ٨٢

(١٠) عنوان الفيديو على اليوتوب: [matasa na addu'ar kuqi](https://www.youtube.com/watch?v=matasa_na_addu_ar_kuqi)

- (١١) كل النماذج التي عقب الباحث في شرحها بعبارة "ما لا ينصرف" فهي من دعاية معلم عيسى حمّاد أحد كوادر هذه الدعاية ويسكن بلدة (unguwar sallah) في ولاية كتشنة بشمال نيجيريا. قابله الباحث بتاريخ: الجمعة ٢٨/٧/٢٠١٧م.
- (١٢) والنماذج المتبقية مما لم يعقب الباحث عليها بعبارة "ما لا ينصرف" مما التقطه الباحث من دعاية الدكتور بشير لون على مر الأيام.

نشأة اللغة الإنسانية وتطورها حسب العصور والأزمان

إعداد:

سكينة بشير

شعبة اللغة العربية قسم اللغات

بكلية سعادة رمي للتربية كُمبُوطُو، كنو - نيجيريا

الملخص:

إن اللغة وسيلة التحديث للأغراض البشرية قائمة من الاستخدام بألفاظ محفوظة عند المتكلم أو ملحوظة بالإيماء والإشارة عند الأصم والأبكم، فهي بهذه الصفة إما أن تكون فطرية كما فطر المتكلم فتكون فطرة الله التي فطر الناس عليها أو تكون مكتسبة شيئاً فشيئاً، إلا أن الأقرب إلى الصواب أن الإنسان مجبول باللغة للتفهم والتفهم، كما أن الطيور وسائر الحيوانات مجبولة بنطقها لا يعلمها إلا من علم إياها كسليمان عليه السلام. ومهما لقت ودارت النظرية تنتهي في آخر المطاف إلى أن اللغة موهبة إنسانية وغريزة فطرية قابلة للتطور والتغير حسب مرور الأزمان والعصور حضارية وأمور مستحدثة لا تنقضي مدى الدهر. فهذه الورقة تلخص آراء بعض الدارسين عن نشأة اللغة ومواقفهم بغية الوصول إلى الوجه الأقرب إلى الصواب منها، علها تفيد طلاب اللغة العربية في المعاهد.

تمهيد:

اللغة نعمة الله سبحانه وتعالى للإنسان وهي الميزة التي تفرق بين الإنسان والحيوانات وجعلها سبيل اتصاله بمحيط أسرته ومجتمعه، ووطنه، وهي وسيلة لنقل أفكاره وأحاسيسه، وعواطفه، وميوله، بل اللغة هي القلب الذي تصوغ فيه الأمة أفكارها ومفاهيمها، وثقافتها، ومعتقداتها وإنجازاتها. اللغة هي إحدى الآيات التي تبرهن على قدرة الله الخالق كما في قوله تعالى: "ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم".^١

إن اللغة بدأت صغيرة أيا كانت، وهي بذلك محدودة الألفاظ والقواعد طبقاً مع ظروف حياة الإنسان وأفكاره المحدودة البدائية، ثم تتطور وتستزيد الألفاظ مع نمو الفكر الإنساني وتوسيع ظروف حياته اليومية. فهذا التطور طبيعة لازمة من طبائع اللغة الحية، تسير مع التطور ما دام فكر الإنسان ينمو ويتطور.

وترجع أهمية الدراسة في هذا الموضوع إلى إلقاء الضوء على أهمية اللغة للإنسان إذ أنها تلعب دوراً هاماً في حياة الإنسان، إذ بها تتم الاتصالات بين الأفراد والمجتمعات في جميع ميادين الحياة، وذلك إما الشفوية أو عن طريق الكتابة وترتبط اللغة بالتفكير ارتباطاً وثيقاً لأن أفكار الإنسان تصاغ دوماً في قالب لغوي، وبها يجد القدرة على

اكتساب المعلومات واستخدام نظام معقد للتواصل وخاصة قدرة الإنسان على القيام بالأفكار المعقدة.

واللغة العربية كسائر اللغات أنها بدأت صغيرة محدودة الألفاظ والقواعد، ثم صارت تتطور بتطور الفكر الإنساني عبر العصور والأزمان، وتتأخر حتى صارت أوسع لغات العالم.

وتشكل هذه الدراسة: الوقوف على آراء بعض الدارسين عن نشأة اللغة ومواقفهم، بغية الوصول إلى الوجه الأقرب إلى الصواب منها مع انتقاد من على السواء أو الصواب.

كما تهدف الدراسة إلى:

- التعريف باللغة وأهمية البحث عن نشأتها وإبداع رأي الباحثة عن ذلك.
- مراحل تطورها عند الباحثين والأفكار المتعلقة بها، مع ذكر ما يستفاد من ذلك واستخراج نتائج الأحوال.

تعريف اللغة ونشأتها:

اللغة لغة: حسب اشتقاق الصرفية هي (فعل) من لغوت، أي تكلمت، ككرة، وقلة، وثبته. فهي إذاً لغوة قبل الاعلال والتعويض. ثم استثقلت الحركة على الواو، فنقلت لساكن قبلها، وهو الغين، فبقيت الواو ساكنة، فحذفت وعوض عنها هاء التأنيث، ووزنها بالإعلال "فعة" بحذف اللام^٢.

- واصطلاحاً:** يختلف تعريف اللغة باختلاف آراء العلماء، لأنها ترتبط بشكل كبير بالعلوم مما يعطيها مجالات أوسع بكثير في تعريفها.
- ١ - اللغة عند ابن جني: " أنها مجموعة من الأصوات التي تعبر بها كل قوم أو مجتمع عن أغراضهم واحتياجاتهم"^٣.
 - ٢ - عرف العالم فادليك ديسوسير اللغة بقوله: "هي هيكل عن عاقل يتم فيه تحديد الأجزاء المختلفة من قبل بعضها البعض."^٤ فهي نظام وأبنية لرموز الكلام.
 - ٣ - وعند العالم تشومسكي: أن الناس (مفطورون على لغة) ولدوا جميعاً ولديهم معرفة فطرية بالقواعد التي تشكل أساساً لاكتساب اللغة بالعامل.^٥ وتعتبر اللغة غريزة أساسية للبشر.
 - ٤ - اللغة عند علماء النفس: تعتبر اللغة عندهم أنها مجموعة من الإشارات الصالحة للتعبير عن حالات الإنسان النفسية والفكرية والعاطفية (الشعور) أو أنها الوسيلة التي يمكن من خلالها تحليل الصور، والأفكار الذهنية إلى خصائصها أو أجزائها، والتي تمكن من تركيب الصور أو الفكرة مجدداً في أذهاننا وأذهان من حولنا، وذلك من خلال تأليف كلمات وترتيبها في وضع خاص.^٦
- فالباحثة ترى أن هذا التعريف لعلماء النفس يعني أن اللغة ما هي إلا أنها رموز صوتية وإشارية يقوم بها المتكلم بتفهم مخاطبيه هوأياه

وأحاسيسه عن طريق اللفظ أو ما يقوم مقامه من الالغاز أو الاحاظ أو الإشارة باليد أو استعمال آلة الكتابة كالقلم، والحاسوب. ومن هنا ترى الباحثة أن اللغة يمكن أن تكون منطوقة ومكتوبة ومرموزة ولم تقف شفوية فحسب، وإنما تحيط بكل ما يساعد على توطيد العلاقة البشرية.

٥- واللغة عند علماء علم علوم الاجتماع: فيرون "أن وظيفة اللغة ليست مجرد وسيلة للتفاهم أو التواصل، بل وظيفة اللغة: هي أنها حلقة في سلسلة النشاط الإنساني المنتظم، وهي جزء من السلوك الإنساني، وأنها ضرب من العمل، وليست أداة عاكسة للفكر، واستعمال اللغة على هذه الصورة ليس قاصرا على الجماعات البدائية بل إنه ليلاحظ في أرقى الجماعات تمدنا...^٧

نشأة اللغة وتطورها:

من المعروف أن نشأة اللغة يرجع إلى لفظ ومعنى ولكل من اللفظ والمعنى نموه وتطوره على نحو تراكمي حيناً، وعلى نحو تجددى حيناً آخر عبر توالي الأزمنة؛ ولقد كان الإنسان مصدرا لهذا التراكم وذلك التجدد^٨. لذا كان البحث عن نشأة اللغة الإنسانية وتطورها يتعلق بأمر غيبي ليس في نصوص الوحي ما يحسمه^٩. غير أن بعض الباحثين يرى "أن الإنسان منذ تكوينه مخلوقا، خلق متكلما، ويبرهن على ذلك بما أثبتته لنا القرآن الكريم ما حدث من الحوار الذي دار بين الله سبحانه

وتعالى وآدم عليه الصلاة والسلام والملائكة جهة...^{١٠} إلا أن المعنى المراد من هذا الحوار يحتمل أن يكون من نوع حوار الله سبحانه مع السموات والأرض حيث يقول: " ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقالها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين"^{١١} فهي إذا تتعلق بأمور غيبية لم يحسمها أي نصوص من العلماء. لكن كونها من الآيات الدالة على كمال القدرة الإلهية اكتسب هذه الدراسة أهمية كبيرة.

ولذا عكف الباحثون منذ القدم على البحث عن كيفية نشأة اللغة، وقد اهتم بهذا البحث الأقدمون والمحدثون على سواء من المسلمين وغيرهم. فمن الأقدمين من يقول: إن اللغة الإنسانية طريقها الوحي والإلهام، اعتمادا على قوله تعالى "وعلم آدم الأسماء كلها..."^{١٢}. وقد أوضح هذا الرأي بشيء من التفصيل ابن فارس في كتابه: الصاحبي في فقه اللغة، وتحدث عنه طويلا ابن جني في كتابه: الخصائص، ومنهم من يقول: إن الإنسان قد تعلم اللغة عن طريق المحاكاة ثم المواضعة والاصطلاح، وقد تحدث عن هذا الرأي أيضا وأفاض في الحديث عنه ابن جني في "الخصائص"^{١٣}.

مراحل تطورت اللغة:

إن اللغة الإنسانية، شأنها شأن الكائن الحي بدأت صغيرة محددة الألفاظ والقواعد طبقا لظروف حياة الإنسان وأفكاره البدائية ثم تطورت

مع مراحل تطوره، كما يراها المحدثون أنها -اللغة - ظاهرة اجتماعية
حضعت في نشأتها وتطورها إلى قاعدة التطور العام على سبع مراحل
كالآتي:

المرحلة الأولى: مرحلة الأصوات الساذجة غير المكيفة التي تشبه
الأصوات الإنبعائية أو التلقائية التي تصدر على الطفل في أول عهده
للنطق، فهي أصوات مبهمه لا تعين رغبة ولا تحدد غرضاً.

المرحلة الثانية: مرحلة الأصوات المكيفة التي تشبه النغمات الموسيقية
إلى حدّما، وتنبعث عن الأغراض والرغبات بما يصاحبها في الغالب من
إشارات أو حركات.

المرحلة الثالثة: مرحلة المقاطع التي تتكرر في الغالب، وتظهر منها
آثار المحاكاة لما تتكرر في الغالب، وتظهر منها آثار المحاكاة لما في
الطبيعة من أصوات الأشياء والحيوانات كأن يقول الطفل: تكّ- تكّ
يريد الساعة، وميؤ-ميو يريد القطة وهكذا. وعندنا في مجتمعنا يقول
(مِؤ مِؤ) للقطة. و(مؤ مؤ) للبقرة.

المرحلة الرابعة: مرحلة الكلمات المكونة من مقاطع، وهذه المرحلة
هي التي حيرت الباحثين فسببها لديهم غير معروف، إذ كوّن الإنسان
كلمات من مقاطع يعبر بها عن أغراضه حين اكتملت قواه العقلية،
ونضجت أعضاء التكلم لديه، وعلى مرّ الزمن وتشعب نواحي الحياة

نمت هذه الكلمات وكثر عددها حتى تكون منها لغة كافية للتعبير عن أغراض الإنسان المختلفة، ومشاهدته المتعددة.

المرحلة الخامسة: مرحلة الوضع والاصطلاح المبتكر، وهذه مرحلة متقدمة من مراحل النمو اللغوي العادي حيث اضطر الإنسان إلى الوضع والاصطلاح لتنمية لغته حتى تفي بأغراضه المتزايدة وتتسع للتعبير عن تجاربه النامية المطردة.

المرحلة السادسة: مرحلة التعقيد والتقنين المساعدة في ضبط اللغة والحفاظ على خلوها من الأخطاء في صوغ الكلمات أو في تكوين الجمل والأساليب.

المرحلة السابعة: مرحلة التعميق والتحسين، وهي أرقى المراحل وتتمثل في تزيين الأسلوب بالمحسنات البلاغية، لفظية، ومعنوية، واستعمال التشبيه، والاستعارة، والكناية، والصور البلاغية المختلفة.^{١٤} فهذه المراحل السبعة مرّ عليها واقع تطوّر اللغة الإنسانية، وقد حاولت نظريات الباحثين في تحديد أوليات اللغة ومبدأ نشأتها على ضوء بعض تلك المراحل بصورة عشوائية مما جعل نظرياتهم عرضة للانتقاد.

والآن تأخذ الباحثة القاريء إلى ذكر آراء النقاد عن اللغة وتطورها، ومن ذلك:

أولاً: نظرية بو - واو (Bow-Wow Theory)^{١٥}

وتسمى نظرية المحاكاة، التي تقول بأن اللغة نشأت من تقليد الأصوات الطبيعية، وإنما هي من الأصوات المسموعات كدوي الريح، وحنين الرعد، وخرير الماء، وتشقيق الحمار، ونعيق الغراب، وصهيل الفرس، ونزيب الطي، وغير ذلك. وضابط هذه النظرية أن الإنسان الأول عندما أراد أن يميز بين الكائنات، بأسماء ليتحدث عنها أو يشير إليها في غير وجودها أخذ في محاكاة أصواتها الطبيعية مثل: نباح الكلب، واتخذ ذلك رمزاً ليدلّ على الحيوان، ومن أصحاب هذا الرأي الإمام الخليل بن أحمد وتلميذه سيويه والفيلسوف اليوناني الراقيون في القرن التاسع عشر، وأبده علماء بارزون مثل جسرسين، والدكتور إبراهيم أنيس، والدكتور علي عبد الواد وغيرهم. إلا أن هذه النظريات ينقصها أنها قصرت الفكر الإنساني على حدود نظائر الحيوان مع أن الفكر الإنساني أقوى وأفصح منها.

ثانياً: نظرية دنغ دونغ^{١٦} (Ding Dong Theory):

وهي التي تسمى "نظرية الاستعداد الفطري" فهي أنّ الإنسان مزود بفطرته بالقدرة على صوغ الألفاظ الكاملة كما أنّه مطبوع على الرغبة في التعبير عن أغراضه، بأية وسيلة من الوسائل، غير أن القدرة على النطق بالألفاظ، لا تظهر آثارها إلا عند الحاجة، أو في الوقت المناسب.

فقبل في هذه النظرية، أنها أقرب إلى الصواب، ولكن لم تخلو من الانتقادات من قبل اللغويين فهم يرمونها بالغموض والإحاطة بالسحر. هذا: وأزالت الباحثة غطاء هذا الغموض عند حديثها عن مرحلة اللغة الثانية، وهي مرحلة الأصوات المكيفة التي تشبه النغمات الموسيقية، وتبني عن الأغراض والرغبات بما يصاحبها في الغالب من إشارات أو حركات، ولو بين أصحاب النظرة كيف ومتى زود الإنسان بهذه الفطرة اللغوية لما واجهوا نقدا.

ثالثا: نظرية: يو - هي - هو^{١٧} (Yo - He - Ho Theory):

تبنت فكرة أن اللغة الإنسانية بدأت بمقاطع عفوية غير مقصودة ناتجة عن استخدام الإنسان لقدراته البدنية في الحمل أو الجر أو الدفع، أو القطع، تصدر منه أصوات أثناء قيامهم بتلك الاعمال الشاقة، مثل (Yo-He - Ho) لاستراحة النفس عن التعب. فردّ أصحاب هذه النظرية لأنه من المستحيل إرجاع جميع الكلمات التي تتكون منها اللغات إلى تلك التجارب، ولم تأت بيان شاف حول نشأة اللغة، وذلك إنها تشير إلى أن الإنسان قبل أن يتكوّن مجتمعه لم يكن متكلماً فهذا مستبعد عن طبيعة الإنسان.

لكن موقف الباحثة في هذه النظرية ليس موقف رُفضَ تماماً، بل موقف تعديل وهو، أن الإنسان في مرحلة الحياة الأولى عند ما يحاول

تكوين اللغة يتناسب مع هذه النظرية عندما يكون أصوات ساذجة غير مكيفة، مبهمة لا تعين رغبة، ولا تحدد غرضاً، ومحل خطأ، أصحاب النظرية وضعها على الرجل الكبير الذي يقوم يحمل أو يدفع فينطق استراحة، بعد أن تكونت لديه اللغة.

رابعا: نظرية بوه - بوه^{١٨} (Pooh - Pooh Theory):

وسماها البعض "التنفيس عن النفس" هذه النظرية تقرر أنّ الفضل في نشأة اللغة يرجع إلى غريزة خاصّة، زُوِّدَ بها في الأصل، بنو الإنسان، وهذه الغريزة تحمل كل فرد على التعبير عن انفعالاته بحركات وأصوات خاصة، مثل: انقباض الأسارير وانبساطها، أو الضحك والخوف والحزن والشور، وكانت متحدة عند جميع الأفراد في طبيعتها، ووظائفها وما يصدر عنها، وبفضل ذلك اتحدت المفردات وتشابحت طرق التعبير، عند الجماعات الإنسانية الأولى، فاستطاع الأفراد التفاهم فيما بينهم، فمثلا عند الشعور بالإزداء أو الغضب ينشأ صوت مثل (Pooh) بالإنجليزية أو (أفّ) بالعربية، وفي حالة الألم (Oh) أو صوت (آه) أو (Ah) وغير ذلك.

وأصحاب هذه النظرية هم الأبيقوريون اليونان في القرن الرابع قبل الميلاد، والعلامة الألمانيّ ماكس موللر (Max Muller) والفرنسي أرنست رينان (Ernest Renon) في القرن التاسع عشر وغيرهم.

هذه النظرية لم تأت ببيان مقنع في قضية نشأة اللغة لأنها منعزلة عن الكلام الحقيقي الذي يصدر عن الإنسان، وأن كثيرا من هذه الأصوات لا يمكن كتابتها لأنها لا تحمل في طياتها معان مفيدة كافية التي يفهمها المتكلم والمخاطب، والأصوات أيضا قليلة الوقوع.

ترى الباحثة تجاه آراء علماء سابقين من المعروف أن الله خلق الإنسان في أحسن تقويم، فجعل له طاقات كثيرة من السمع والبصرة والفؤاد، وإعطاء القدرة على الإبداع والمحاكاة والاستقلال، في مراحل حياته، قدر على إبداع المحاكاة وفي هذه المرحلة تظهر منه آثار تلك المحاكاة، إضافة إلى ما لديه من غيرها، فيحاكي ما كان يتكرر من الطبيعة من أصوات الأشياء والحيوانات وغيرها وليس قاصرا على الحيوانات. قال تعالى: "والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون"^{١٩}. وترى الباحثة أيضا أي أن الإنسان يستفيد من الأصوات عندما سمعها بأشكالها، وألوانها، وأبصارها، ثم يستعمل عقله في تكوين مقاطع صوتية متكررة استعداد للمرحلة التي بدأ سماعها.

الختام:

حاولت الباحثة أن تجمع شتات الأقوال والآراء الراجحة والموجودة في نشأة اللغة الإنسانية ثم وصلت في آخر هذا البحث إلى أهم النتائج المذكور أدناه:

١- إنّ اللغة الإنسانية أهميتها بديهية إذ أنّ التفاهم بين بني البشر لا يحدث إلا بها.

٢- إن الباحثين من المسلمين وغيرهم من الفلاسفة اختلفوا في نشأتها بآراء بعيدة عن الصواب وأخرى قريبة إلى الصواب، وهي القول بأنّ الإنسان خلق متكلمًا فتربيه أمه متكلمًا بلغة أمه، ثم إنه قد يتعلم فيما بعد (اللغة الثانية).

٣- إنّ اللغة علم موجود في داخل الفؤاد والقلب يظهر في لسان الإنسان بعد التعلم المنطقي من قبل الأمّ والجوّ المحيط به قال تعالى: "والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً".

٤- إن اللغة بمعنى الكلام لا تكون إلا بوسيلة الأصوات المعيّنة المنبعثة عن الأغراض.

ومن هنا يستفاد من أنّ اللغة تتطور مع تطور العصور والأزمان. ويستفاد أيضا أن استخدام (العين) و (اليدين) و (الرأس) و(الرجل) وأعضاء أخرى التي يقصد بها أغراض إذا عجز الفم عن النطق بها وعندئذ يستعمل الإنسان لغة الإشارة الدالة على ما كتبه القلب فتقيم ببيان عنه.

فخلاصة رأي الباحثة أن اللغة أصوات يعبر بها الإنسان عن أغراضه وأحاسيسه، ولكن تتطور بتطور الدهور والأزمان إلا أن مفهوم اللغة لا

تقتصر على الكلام بالفم فحسب، بل إنما تترقى إلى استعمال الرموز ذات الإشارة باليد أو العين أو الشفة، الأمر الذي أتاه المتكلم الفرصة أن يكلم الأبكم والأصم وغيرهما ممن لا تفهم لغتهم.

الهوامش:

- ١- سورة الروم: ٢١-٢٢
- ٢- ابن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص، مطبعة دار الكتب المصرية، ١٣٧١هـ | ١٩٥٢م، ج ١، ص: ٣٤. و مُجَدُّ أسعد النادري، (الدكتور) **فقه اللغة مناهله ومسائله**، المكتبة العصرية، ١٤٣٠هـ | ٢٠٠٩م، ص: ٩.
- ٣- مفهوم اللغة عند القداماء - موضوع - <http://mawdoo3.com/%D9%85%D9%81%...>
- ٤- تعريف اللغة عند تشومسكي | المرسل، www.almrsal.com.post954761
- ٥- تشومسكي | المرسل، المرجع السابق.
- ٦- <http://mawdoo3.com/%A3%D9%87%....>
- ٧- محمود السعراي (الدكتور)، **اللغة والمجتمع رأي ومنهج**، ط ٢، ١٩٦٣م. والنادري، المرجع السابق، ص: ١٠.
- ٨- تمام حسان، **الفكر اللغوي الجديد**، ٢٠١١م، علام الكتب، ص: ١١.
- ٩- المهدي، مُجَدُّ المختار مُجَدُّ، مجلة الأزهر.

10- Matthew, c.m.(1979) words lutter worth press, guild ford, London, P. 1 – 2

١١- سورة فصلت-آية ١١ .

١٢- سورة البقرة: آية ٣١

١٣- المهدي، مجلة الأزهر المرجع السابق، وانظر ابن جني، المرجع السابق، ص: ٤١ .

١٤- أحمد بن فارس بن زكريا الرازي، **الصاحبي في فقه اللغة العربية** ومسائلها وسنن العرب في كلامها، دار الكتب العلمية، ج ١، ١٩٩٧م، ط ١، ص: ١٣ .

15- eorge,Yule, The study of language, 2nd edition CambridgeUniversity press (1996) P-2.

16- Otto Jespersen, Langue its nature, development and oringin, London.p-6

17- George,Yule, The study of language, 2nd edition CambridgeUniversity press (1996)P-3

18- George,Yule, The study of language, 2nd edition CambridgeUniversity press (1996) P-3

١٩- سورة: النحل: ٧٨ .

مواطن التناص وأشكاله في شعر المجتبي محمد الثاني

إعداد

شمسية إبراهيم مَحْجِي

قسم اللغة العربية، جامعة بايرو، كنو - نيجيريا

shamcyeriro@gmail.com

مقدمة:

إن الدراسة التي قامت بها الباحثة في هذا الشاعر النيجيري تتمحور حول مواطن التناص التي تعتبر من أهم الركائز الشعرية التي أظهرت في شاعريته، وقد تبعت الباحثة المواطن التي تكوّنت بها أبنية قصائده. لقد تنوعت وجوه التناص لدى الشاعر وفقاً لمرجعياته الثقافية، فقد كانت المرجعية الدينية الإسلامية من أهم مقومات بناء شعره، تتمثل في القرآن والحديث وبقية مصادر الدين الإسلامي، كما أن العامل الصوفي من أهم ما ارتكزت عليه شاعريته، فتبين للباحثة أن أهم تلك الآليات تشمل آليات التمطيط والقلب والتحاذي والتباعد والتضاد والتفاعل وغير ذلك.

استغرق الشاعر المجتبي محمد الثاني في استلهام النصوص الشعرية الأخرى، ليدل ذلك على شدة تفاعله بتلك النصوص، ولذا صح التعبير بأن كل أنواع التناص ما هي إلا تفاعل بالنصوص الأخرى.

وانتهت الدراسة إلى أن تناص الشاعر ما هو إلا تفاعله بكل النصوص التي مرت عليه في الدراسة أو نشأ عليها مثل النصوص الدينية.

موجز حياة الشاعر:

وُلد الشاعر المجتبي في مدينة زاريا بولاية كدونا في الشمال الغربي لنيجيريا يوم الخميس من أغسطس عام (١٩٨٩م)، وفي هذه المدينة نشأ وترعرع حتى بلغ أشده وانفتحت عيناه علي التعليم.

رحلة الشاعر العلمية إلى القاهرة للدراسة في الأزهر الشريف من أهم مكونات الشاعر الثقافية، وقد بدأ الشاعر بممارسة الشعر منذ الصغر، والاطلاعات العلمية والثقافية من الأمور التي كوَّنت ثقافته الشعرية، هذا بالإضافة إلى الثقافة الصوفية التي نشأ عتي أنغامها وترعرع علي مزرعتها. لقد ترك لنا الشاعر المجتبي بصمة ظاهرة في مجال الشعر العربي والصوفي نظراً لديوانه الشعري (هدير الروح)، واستحق شعره البحث عنه واستخراج ما فيه من العلوم العربية والصوفية والثقافية.

والدراسة التناصية تظهر فيها التنوعات المتعددة من التعالق والتفاعل والتحاوور بين النصوص، وهذه السمة تشير إلى التزاوج والروابط التي تحدث بين بين الأفكار البعيدة، ثم تتوحد في قالب واحد بحكم الل ستئصال والثقافة والفكرة بين هذا وذاك.

تقع الدراسة في شعر المجتبي مُجَّد الثاني فهو شاعر نيجيري شاب؛ تسربل بقميص الشعر منذ الصغر؛ حتى وصل إلى مرحلة الثقافة التي نضجت فيه حتى استطاع أن يصنع ديوانه الشعري الممتلئ بما يُوقَفُ المتلقي عنده لالتقاط ما فيه من الصور الأدبية والثقافية.

مفهوم التناص:

إذا أردنا أن نعرف " التناص " معرفةً حقيقيّةً يجب أن نقف عند مفهومه لغة واصطلاحاً، ذلك ما يمكّننا من الوصول إلى عمق معناه، هذا لا يتأتى إلا بعلقه بـ"النص" ذلك لأنّ مادة الاشتقاق الصرقي لكلمة التناص جاءت منه، وهذا يوضّح لنا حقيقة المفهوم والدلالة بعد التصاقه بالنص؛ ولأن النص هو ميزان التناص، والتناص إذن مصطلح مشتق من النص، ولذلك كان لزاماً على الباحثة أن تقوم بعرض هذه المفردات؛ كلٌّ على حدة ثم مزج المفردات في قالبٍ واحدٍ لاستنتاج ما يسعى إليه البحث وفلسفته لتظهر من خلال ذلك تلك الآليات.

النص لغة: عندما نطالع المعاجم اللغوية نجد معاني متعددة للنص، وهي في مجملها تفيد (الرفع) و (الحركة) و (الإظهار) حيث جاء في اللسان، " النص " رفعك الشيء، نصّ الحديث ينصّه نصاً، رفعه، ونص المتاع : جعل بعضه على بعض^١، وبهذا يكون مفهوم النص لغة

الارتفاع، أي من شأنه أن يُعلي النص الثاني النص الأول كما هو شأنه تحريك النصوص الأخرى وإظهار ما اختفى فيها.

كان هناك تعريفات لغوية للنص في المعاجم اللغوية الأخرى إلا أن المعنى الذي يرد في كلٍ منها يدور في قالب واحد، هذا ما جعل الباحثة تقف عند عرض هذه النماذج، مع الاكتفاء بها، وهذه المعاني لا تتجاوز: الاظهار والاستقصاء والحركة والوضوح والبيان وغير ذلك، هذا في الحقل اللغوي.

بعد عرض مفهوم "النص" في اللغة العربية يأتي الحديث عن مفهومه عند المتخصصين، "ربما كان باختين أسبق إلى اكتشاف الإحساس بالحالة التناصية دون أن يصرّح به مباشرة حين راح يقارن بين حالة النص الأدبي وحالة المهرجان أو الكرنفال (carnival) التي يختلط فيها كل شيء: الثقافة العليا والثقافة الدنيل والثقافة الرسمية والثقافة الشعبية".^٢

وقد اعتمد النقاد المحدثون مفهوم التناص اصطلاحاً على وفق ما أدركته حواسهم، لقد عرّف مارك أنجينو بأن التناص هو: " كل نص يتعايش بطريقة من الطرق مع نصوص أخرى، وبذلك يصبح نصاً في نص تناصاً،"^٣ وعلى هذا فإن كثيراً من المحدثين العرب - أيضاً - قد بسطوا القول وفصلوا الخطاب عن النص الذي تطوّر إلى التناص لتداخل

بعضه في بعض، كذلك نجد أن "موضوع التناص عاماً كان أو خاصاً ليس جديداً تماماً في الدراسات الحديثة، حيث إن جذوره تعود في الدراسات الشرقية والعربية القديمة إلى تسميات ومصطلحات أخرى؛ كالاقتباس، والتضمين، والاستشهاد، والقرينة، والتشبيه، والانتحال، والسرقه، والنسخ، وهذا ما أشار إليه عبد القاهر الجرجاني".^٤

مواطن التناص وأشكاله في شعر المجتبي:

إن التناص في مفهومه - كما سبق - ما هو إلا إعادة نسيج الماضي في الحاضر في صورة متغايرة، ولكن ليس هذا هو الأهم؛ بل الأهم أن يكون هناك تحاور وتمازج وتفاعل بين النصين، وأن يكون الأخير قادراً على استحداث ما لم يكن في الماضي من المواطن الفنية والاستخدام بكل الآليات التي تجعل النص اللاحق جديداً، فإن هذه المواطن تكون على الشكل التالي:

التطابق التناسي :

إن هذا الشكل من التناص يتمثل في أن "تعامل المبدع مع التناص بوصفه إستراتيجية بنائية تؤسس للنص، وتحقق كفايته الانتاجية على المستوى الدلالي، وهذه المحاور هي التناص الموجه والتناص المراوغ والتناص المركب، فإن هذه المظاهر لا تحضر في صيغ مستقلة، وإنما تلتحم معاً في إطار الجسد النصي الواحد، بما يسمح لها بتبادل أشكال التأثير

والتأثر، ومن ثم الفصل بينها هو أحد مقتضيات التحليل النصي المعني بالكشف عن القيم الوظيفية للتناص التاريخي في تظاهراته المختلفة^٥، ومما يفهم من هذا الشكل من التناص فإنه يمرر النص من التفرد إلى التنوع، إذ إن فكرة المبدع الثاني هي التي تشكل هذا التنوع من حيث تمرير الدلالة إلى أقصاها.

وبهذا يكون هذا النوع من التناص على تحققه في استنساخ النصوص

بعضها ببعض من النصوص السابقة، وفي هذا يقول شاعرنا المجتبي :

لا حسن في غير الحبيب، وهل رأى^٦ العشاق غير حبيبهم يا قاضيه؟!
 هذا هو الحبّ الذي أحببته ودخلته جهلاً بكنهه الماهيه
 يا لائمى أتلومني فيما يفوق مقادري لأغيّرنّ قضائيه
 إني لذو قلبٍ يُضاهي المغنطيس إذا رأى ما يشتهيّه، فما ليه؟
 أطرقت أنظر في الأنام دقيقه وجليله، عليّ أفوز بداهيه
 فإذا بكنز الحسن، بل ربّ الجمال، وحوله أصحابه وإذا بيه!
 المغنطيس رأى الحديد كلاهما يتجاذبان، ويا لها من ثانيه!
 ملكته قلبي؛ ليفعل ما يشاء يا طه خذ بيدي، وخذ بالناصيه

إن التطابق في هذا النص ليس في شكله؛ إنما هو في مضمونه وتطابقه فكرة الشاعر ومن استغرق في المديح قبله من المادحين، فهذه الأبيات تطابق في -محتواها - تلك النصوص المثيرة، والتي من خلالها

يستمد كل الشعراء الصوفية طاقتهم العرفانية، والذي يمكن أن نقرأه في أخيلة الشاعر المجتبي هو النظر إلى الكون وما كان يختبئه من الأسرار الإلهية، وذلك يتضح في سعي الشاعر إلى التدبر في ملكوت الله، مشعراً بعظمة الله تعالى في نفسه، هو أن هذه الموضوعات متوفرة في قواميس الصوفية، إلا أن كل شاعر يتناول مثل تلك القضايا حسب فقهه للأمور وإدراكه لها، بالإضافة إلى الفيوض التي نالها عن طريق الرياضة الروحية، ولكن في هذا المجال نجد أن الشاعر قد وظّف في هذا النص كل آليات التطابق ليكون في موضع يُرى أنه الأنسب له، حيث قام بتشبيه نفسه كالمغنطيس، وشخصية الرسول صلي الله عليه وسلم لها صفة جاذبية كالحديد، وبالتأمل إلى صورة التجاذب نجد أنه شئ فيه تصوّر خيالي علي صورة واقعية، وأن هذا التشبيه ليس حيلة بل وصف تطابقي لحالة العاشق والمعشوق خاصة عند الصوفية، وإذا أراد الناس معرفة شدة شوق الشاعر إلى الرسول صلي الله عليه وسلم فلينظروا إلى الحديد والمغنطيس، و يقول أيضاً في موطن آخر:

رَبَّةَ الشَّعْرِ، دَعِكِ مِنْ هَذِهِ اللَّعْبَةِ^٧ رُدِّي إِلَيَّ سِحْرَ بِيَانِي
وَأَعِيدِي إِلَيَّ مِيرَاثَ آبَائِي مِنَ الْحَسَنِ، وَابْتِكَارَ الْمَعَانِي
لَمْ أَعِدْ أُسْتَطِيعُ صَبْرًا عَلَى الْبَيْنِ مُضَافًا إِلَيْهِ لَثَمَ اللِّسَانِ
عِيلَ صَبْرِي يَا رَبَّةَ الشَّعْرِ عَنْ سَخْرِيَةِ الْفَنِّ، أَوْ عَقُوقَ الْبِيَانِ

أزفت ساعة الحبيب، وعهد الحبّ والشعر سوف يلتقيان وبالتأمل إلى هذا القول من الشاعر ، فإن هذا النص يشير إلى تطابق وتفاعل نصي آخر، حيث إنه ألصق حبّه للرسول صلى الله عليه وسلم بتحريك لسانه، وأن فيه الحب والملحمة؛ بحيث هو الوسيلة الأولى لترجمة الحبّ، وهل يا تُرى أن يكون الحبّ شاعراً..؟ وهل يا ترى كيف تخرج المعاني التي أصقلها التفاني في الحب، يتّضح ذلك في قوله (الحبّ والشعر سوف يلتقيان) فقد تطابق مع نص الشاعر إبراهيم أحمد مقري في محتواه فيقول :

دعيني بحالي يا ابنة الفكر واذهي تديعين عني: لم أعد أعشق الفناء^١
عزائي من القلب المضرج في الأسي علينا، ومن بالضاد يرهو كما كنا
فلا الفن مثل الفن مذ عم جنبه ال خراب، وقد عاد النفاق له وزنا
لعا لابنة الفكر التي داس حرمها ال سعال التي تغتر أن عافت الحسننا
وعلى هذا فإن النماذج السابقة تدلّ على التطابق التناصي الذي
تظهر عند قراءة النص، حيث إن التطابق يشمل الفكر، والأسلوب،
واللغة، والثقافة وغير ذلك، وقد نجد هذا كلّ عند نص الشاعر وأن
الشاعر وتجواله كان في القالب الصوفي وعرفانيته.

فليس من السهل العثور علي الملامح المباشرة بين النصوص القديمة
والجديدة في مثل هذه الأشكال من التناص، فالتطابق قد يظهر في

الفكر أو التأثير أو غير ذلك، بحيث يسقي القديم الجديد بالمعاني الجديدة ضمناً كما هو معروف.

التفاعل التناسي:

إن التفاعل النص بغيره يكون ظاهراً وضمناً، ومدخل ذلك يكون بامتصاص أو غيره من آليات التفاعل الذي يعتبر تناسياً، حيث يمتص النص الثاني من الأول في بنيته ثم يزيد هذا الامتصاص في تمرير المعنى وتجديده وتنويع مظاهره.

إن التفاعل التناسي هو الذي يفضل بعض النقاد تسميته بـ(التفاعل النصي)، ومفهوم هذا الشكل يتنوع علي (المناصة والمتناسية والميتناصية)، وهي عملية علاقات نصية متنوعة، ولكل شكل من هذه الأشكال خاصية له يعمل علي بناء النص تفاعلياً.

إن عملية إنتاج النص إنما تتم في إطار من (التفاعل) الذي هو نوع من التعاون بين مرسل النص و مستقبله، و(النص) فعل يحاول بواسطة منشئه أن يوجه المتلقي، بخلاف الجملة التي لا تهدف إلي توجيه متلقٍ أو تغيير وضع معيّن.

ندرك ذلك عندما فرّقنا -سابقاً- بين النص والتناس في السطور السابقة، وأظهر ما يمكن الاستدلال به في هذا المحقل هو نوعية الامتصاص وما أثر في النص. فأني نص هو نتيجة تفاعل مع نصوص

أخرى، تنتمي إلى آفاق ثقافية مختلفة، تكون درجات وجودها بحسب نوع النص المنقول إليه، وأهداف الكاتب ومقاصده^٩، يقول الشاعر المجتبي:

رُحماه !! كان إلى ذاك الجمال هفاً^{١٠} عهداً وثيقاً إلى خام الجمال وفي
 قد كان يعشق كل الحسن، يعبده وكان حسن الغواني كلَّ ما عرفا
 وكان يعرف أن الحسن ما اختطف العينين والقلب، فانقادا له شغفا
 لكن رأى حسن ذاك الحي من مُضِرِّ فكان ما كان... حبا عارما وجفا
 بالنظر إلى هذا النص نجد أن الشاعر قد تفاعل مع النصوص
 الصوفية تفاعلاً ظاهراً في مناولتهم الجناح النبوي، ويصفونه بكل
 صفات الجمال، ويذهب بعضهم إلى إظهار ضعفهم في وصفه إذ تعجز
 أقلامهم عن ذلك، ويكاد يكون نوع التناص من الشعر الصوفي تفاعلاً
 إذ لا تجد موضوعاً إلا وقد تناوله الكثير منهم، فيكون إعادة تناوله ليس
 إعادة للصياغة بل تفاعلاً معه، وبهذا تكون كل أنواع التناص عملية
 تفاعل وتناسخ من النصوص السابقة التي قرأها المتأخرون عن السابقين.
 من خلال نظرنا إلى نص الشاعر المجتبي والنصوص الشعرية الصوفية
 التي حذى حذوها فإن المتأخر يسلم من المتقدمين من حيث الفكرة
 والثقافة لتحاوّر المعنى المتداول على الساحة الصوفية وإظهار ما يتضمنه
 النص من المعنى الدلالي والعرفاني.

التداخل التناسي:

أما التداخل التناسي فيُقصد به أن يكون النص متداخلاً بعضه من بعض،" ويقصد به تداخل النصوص المتعددة، بعضها في بعض في فضاء نصيٍّ عام، وهذا التداخل أو الدخول أو المداخلة، حتى وإن لم يحقق الامتزاج أو التفاعل بينها، وهي تظل دخيلة تحتل حيزاً من النص المركزي، وإن شبيهاً إلى نفسه وهذا التشارك يوجد صلات معينة بينها"^{١١}، ومن هذا الجنس من التناص وتداخل أشكاله ومعانيه قول الشاعر:

عوجاً برقع الحبِّ والأشواق^{١٢} فبه ابتلاني قاسم الأرزاق
وإذا وصلنا الرِّبع قولاً للأولى خطفوا الفؤاد، وشدّدوا بوثاقي
ماذا يضركم إذا بلّغتموني حيث قلبي جانب العشاق
أو ما يضركم إذا سلّمتموا روحي لجسمي، واسّعوا آفاقي
جوداً بوصل التوءمين، وخلياً "مشتاقاً تسعى إلى مشتاق"

هذا التداخل يوجد في الشكل والمضمون، فإن الشاعر قد فطن إلى الثقافة الشعرية والصوفية التي تشكّل جثمان بيد غاسله، فيسرد ما في خياله مصوراً ما تخيّله مع إدخال نص آخر في نصّه ليأخذ طابعا منه، وهذا النموذج له طابع جاهلي في الوقوف على الأطلال ليكون تمهيداً إلى دخول صميم الموضوع، وقد نصّ الشاعر المجتبي في أبياته من أبيات أحمد شوقي في قصيدته المشهورة التي يقول فيها:

رَمَضَانُ وَلَّى هَاتِمًا يَا سَاقِي مُشْتَاقَةً تَسْعَى إِلَى مُشْتَاقٍ
 مَا كَانَ أَكْثَرَهُ عَلَى الْأَفْهَامِ وَأَقْلَهُ فِي طَاعَةِ الْخَالِقِ
 اللَّهُ غَفَّارُ الذُّنُوبِ جَمِيعِهَا إِنْ كَانَ نَمَّ مِنَ الذُّنُوبِ بَوَاقِي
 بِالْأَمْسِ قَدْ كُنَّا سَجِيئِي طَاعَةَ وَالْيَوْمَ مَنَّ الْعِيدُ بِالْإِطْلَاقِ
 ضَحِكْتَ إِلَيَّ مِنَ السُّرُورِ وَلَمْ تَزَلْ بِنْتُ الْكُرُومِ كَرِيمَةَ الْأَعْرَاقِ

فيظهر في هذا النموذج التداخل النصي بين نص الشاعر ونص
 الآخرين من جانب، ومن أظهر ذلك التداخل امتزاج فكر الشاعر
 بفكرة الصوفية من حيث "الإسقاط"، حيث أعاد إلينا بثقافة الوقوف
 على الأطلال، ذلك النسق الجاهلي القديم، فأنسجه في عصر يجهل فيه
 كثير من الناس أشكاله وهيئاته، وهذا التداخل النصي الجاهلي والصوفي
 في آن واحد من أهم معايير التناص.

التحاذي التناصي:

يتمثل التحاذي التناصي في الدراسات التناصية الحديثة في " المجاورة
 أو الموازة في فضاء مع محافظة كل نص على هويته وبنيته"،^{١٣} ويمثل هذا
 في شعر المجتبي قوله:

تَرَحَّمْ لِقَلْبِ الصَّبِّ حَرَّقَهُ الْوَجْدُ^{١٤} وَقَطَّعْ أَوْصَالَ الْحَشَى، فَاَنْقَضِي الرِّشْدَ
 سَرَى فِي شَرَايِينِي، وَغَلْغَلَ دَاخِلِي، فَهَامَتْ كَمَثَلِ الْعَيْنِ أَذْنَائِي تَرْتَدُّ
 وَوَدَّتْ لِقَاءً فِيهِ يَسْعُدُ بَاصِرِي بِمَشْهَدِ هَذَا النُّورِ، يَا أَيُّهَا السَّعْدُ

فإن التحاذي في هذا النص هو أن الشاعر قد أبدى ما يقاسيه داخل نفسه في نصّه، وقد جاور به النصوص الشعرية الصوفية الشائعة التي يُظهر الشعراء حال وجدهم عند مشاهدة قبر الرسول ﷺ، فإن هذه النصوص توضّح لنا أن الشعراء المتصوفة يتحدثون في كل شيء إذ إن لغتهم واحدة وثقافتهم في مخاطبة النفس واحدة، لكن فكرة وضع المعنى وبناء الدلالة هي التي تفرّق ما جمعهم في زاوية واحدة، ذلك لأن كل شاعر له طريقته في إظهار الحب أو العرفانية التي تخرج من أسلوبه. ومن ذلك قوله أيضاً:

رأيُكم فاهتزّ قلبي صباباً وما فيه إلا أن رأى الشمس إذ تبدو
رأى العلم، والعرفان، والدين ماشياً ولم يرها قبلاً تُرّوح أو تغدو
فغفوا إذا حرّكت جلمودَ صخرةٍ بخفقة قلبي، أو بقافية تعدو

يتحدث في حضرة شيخه الشيخ الشريف، حيث أذهل الشاعر
بجمال الشيخ وهيبته، وأنه تمثّل الشيخ رضيعاً يمتص منه لبان الفيوض،
وما يشعر به الشاعر المرید من ألم الوجد وكثرة اللوام عليه دعا الأقرباء
إلى الترحم عليه، ومن هذا النوع يقول الشاعر إبراهيم مقري:

تأوّب قلبي الليل غائب شاهد فأوقد ناراً هيّجت كلّ راقد^{١٥}
ونادى منادي القوم حيّ على الصلاة وإني بمحراب الهوى جدّ ساجد

ليكون ذلك معروفاً أن من دأب الصوفية أن يصيغوا من هذه المفردات الشائعة مفرداتهم الخاصة التي تحاذي الفكر، واللغة، والأسلوب، والثقافة، ومن هذا قوله أيضاً:

رفقاً بقلبي فما في الحبِّ إكراه وقد بلغتني بتعديبي قصاره^{١٦}
قالوا تجلّد وحلمي لا تقوم به رضوى وقالوا: احمل ما كنت تلقاه
ظلمت نفسك إذ عرّضت نفسك للهوى فصبراً على ما قدر الله
وعلى هذا، فإن النصوص السابقة تدلّ على امتزاج الفكر والأسلوب والثقافة واللغة في وضع الكلمات والمفردات في قالب واحد، وهو إظهار الحبِّ والتفاني في قلب المعشوق، وأن الذي يقرأ النصوص الصوفية يجد أن هذا اللون متوزعاً بينهم وهي بضاعتهم وفق ثقافتهم العلمية.

التباعد التناصي:

يتمرد النص الأول على الثاني في شكله ومضمونه أما تمرد النص فإنه يتمثل في تشتيت بناء النص الأصلي ثم استخراجها في صورة بعيدة عن النص الأول بحيث يبني الشاعر دلالة من ذلك النص إلا أن صورة البناء تتغيّر، حيث نلمح من خلال النص الأخير امتصاصاً شكلياً بعيداً في مظهره عن الأول الأصلي.

والتباعد التناسبي في أبسط مفهومه " هو التحاذي الشكلي والمعنوي والفضائي، وقد يتحول إلى تباعد شكلي ومعنوي وفضائي^{١٧}، ويمثل هذا التيار من التناص قول الشاعر:

نامي قرير العين، يا مضرية^{١٨} القلب عرشك والجفون مطيه
نامي، فخذك مُتعبٌ، وعيونك النجلاء مُرهقة أيا حوريه
استيلمي للشعر وهو مدثرٌ بالحرفِ بردك، باسطٌ برويه
عزفٌ على وتر الحياة مهدهدٌ وعليه ضوءٌ خافتٌ وهديه
حتى أرى إيزيسَ تُسلم روحها للطف راضية به مرضيه
بالنظر إلى التباعد الجوهرى الذي من طبيعة النص أن يأخذ شكلاً
آخر من غيره مع أن فضائهما يتقلبان في قالب واحد، وكذلك عند
قراءة هذا النص نحس أنه على شكل سردي، وهذا من طبيعة تباعد
النص عن أن يتخذ كل شاعر موضوعاً آخر يخصه إلا أنه على شكل
مسلسل يشبه السرد، كذلك أن المعنى الجوهرى لهذا الجزء من الأبيات
يدل على الكتابة عن المحبوب والرمز بالأنتى على وفق الثقافة الصوفية،
لذا فإن الشاعر في هذا النص يشير إلى شيء من التغزل رمزاً عن
المحبوب؛ فيقول عليّ محمود طه :

حلفتُ بالخمير، والنساء ومجلس العشر، والغناء^{١٩}
ورحلة الصيف في أوربا وسحر أيامها، الوضاء

رفعت فيها لواء مصرٍ ورأس مصرٍ إلى السماء
لم أنسكم قطّ أصدقائي ولم يحل عنكم إخائي
أحبكم فوق كلّ حبّ وهان في حبكم فنائي
لكن طابع الشعر عند المجتبي لا يتشكل بهذه النوعية من المفردات
مع صحة ذلك مجازاً وقد نرى أكثر من ذلك عند الصوفية في جعلهم
الخمرة والمرأة قناعاً للوصول إلى مرماهم، ومما ينبغي أن نلاحظه في شعر
المجتبي فإنه قد سار على نهج الصوفية في احتذاء فكرة السابقين وإعادة
إنتاج المعنى ليخرج في صورة فريدة من نوعها بحيث يجد المتلقي أن
الدلالة تتجدد بتجدد المبدعين عندما يتناولون موضوعاً ما.

التقاصي التناصي:

أما التقاصي فهو من جنس النصوص التي يقوم شكلها على
التقابل بين النصوص الدينية والنصوص الفاجرة السخيفة"، وهذا الجنس
من التناص يمكن حمله على نوع من الانزياح أو العدول من الطور المعين
إلى آخر لا علاقة لهما شكلاً ومضموناً من داخل النص، ومن ذلك
قول الشاعر:

أنا قلبٌ دعا الهوى فأطاعاً^{٢١} وقسا في شـروطه فانصاعاً
وتحدّى سلامه، فسلام الـ عقل، فالنفس، فالشعير تباعاً
وتعدّى على الجنان فصاح الـ جسم، والعقل بالهوى تتداعى

أبرح الجسم من صنوف عذاب الحب، أضحي جميعه مُلتاعا
وسبي العقل، بل وقيدته في الدَّير، يُسقيه في الهوى أنواعا
في هذا نجد الشاعر المجتبي قد اتخذ نوعاً من المراوغة الشعرية حيث
أصبح هو القلب وأراد الهوى فاشتراط عليه التعامل معه فوافق من حيث
شخص المعدوم وحرك الجأمد بخياله، إلا أن صورة هذا النوع من التناص
من الصعوبة بمكان عثوره في نصوص الشعر النيجيري فضلاً عن أن
يكون من الصوفية لأن السخرية والدين متباينان، يقول الشاعر نزار قباني:

إني خيرتك.. فاختاري
ما بين الموت على صدري
أو فوق دفاتر أشعاري
اختاري الحب... أشعاري
اختاري الحب.. أو اللاحب
فجبنٌ أو لا تختاري...
لا توجد منطقة وسطى
ما بين الجنة والنار...
ارمي أوراقك كاملة...
وسأرضي عن أي قرار
قولي.. انفعلي... انفجري

لا تقفي مثل المسمارِ
لا يمكن أن أبقى أبداً
كالقشّة تحت الأمطار
اختاري قدراً بين اثنين
وما أعنفها أقداري
مُرَهقَةٌ أنتِ.. وخائفَةٌ
وطويلٌ جداً.. مشواري
غوصي في البحر.. أو ابتعدي
لا بحرٌ... من غير دُوار...

هذا أقرب نص مع نص الشاعر إن تركنا كل نص على أن له مذهباً ونواحيه واتجاهاته، إلا أن هذا التقاصي يأخذ طابعاً منوعاً حسب اتجاه كل شاعر من الشعراء، ولكن الانحراف الديني والأخلاقي وحتى الاجتماعي شيء له ألف حساب عند معظم المجتمعات الأفريقية.

الخاتمة

إن هذه الرحلة في شعر المجتبي والوقوف بين جدران قصائده الشعرية ما يعني أن الشعر ليس بمعزل عن قلبه الأصلي، وكما رأينا أن الشاعر قد وصل إلى قمة من التفاعل مع النصوص الأخرى التي مكنته من التقارب إليها بشيء من فطنته ودكائه.

التناص شيء ضروري في حياة المبدعين وقد أكد على هذا المتخصصون في مجال الإبداع الفني، وعند عرض جميع أنواع التناص في الدراسة فقد بدا لنا أن التناص في شعر المجتبي كان قريباً جداً للشعر العربي الحديث، ذلك لأن الشعر الحديث هو مرجعية الشاعر، وهو مرآته الحقيقية.

إن من العوامل المهمة في مسيرة الشاعر المجتبي عامل التصوّف، بوصفه صوفياً فإن قراءته للشعر الصوفي زاده التحاماً بالنصوص الأخرى التي استوعبها من الشعر بعد التي تعهد لها لدى الشعراء المعاصرين.

الهوامش والمراجع

- ١- لسان العرب، مادة النص.
- ٢- الأدب نظريته وفنونه ، د. عبد الناصر حسن ، دار الكتب والوثائق القومية ، القاهرة . ٢٠٠٩م، القاهرة ، ص ٤٨.
- ٣- التناص في الثقافة العربية المعاصرة دراسة تأصيلية في بيلوجرافيا المصطلح، الدكتور إبراهيم عبد الفتاح رمضان، ص ١٥٦. نقلاً عن، في أصول الخطاب النقدي الجديد، مارك أنجينو، ص ١٠، دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٨٧م، بغداد، مجلة الحجاز العالمية المحكمة للدراسات الإسلامية والعربية، العدد الخامس، محرم ١٤٣٥هـ، نوفمبر ٢٠١٣م.

- ٤- التناص تعريفه مفهومه وأنواعه ، منتديات فرسان الثقافي
/http://omferas.com/vb/t57951
- ٥- التناص التاريخي في شعر أبي همام ، د. علاء عبد المنعم ، مجلة عالم
الفكر ، العدد ١ ، المجلد ٤٤ ، عام ٢٠١٥ ، ص ١٢٣ .
- ٦- ديوان الشاعر ، ص ١٠ .
- ٧- ديوان الشاعر ، ص ١٢ .
- ٨- ديوان خلاصة العشرينيات ، ص ٢٢٣ .
- ٩- المرجعيات التناصية في شعر محمود درويش ، مفيد نجم ، ص ٥ .
- ١٠ - ديوان الشاعر ، ص ١٦ .
- ١١ - المرجعيات التناصية في شعر محمود درويش ، ص ٥ .
- ١٢ - ديوان الشاعر ، ص ٢٣ .
- ١٣ - المرجعيات التناصية في شعر محمود درويش ، ص ٥ .
- ١٤ - ديوان الشاعر ، ص ٨٥ .
- ١٥ - ديوان خلاصة العشرينيات ، ص ٥٢ .
- ١٦ - المرجع السابق ، ص ٥٦ .
- ١٧ - المرجعيات التناصية في شعر محمود درويش ، ص ٥ .
- ١٨ - ديوان الشاعر ، ص ٥٧ .
- ١٩- على محمود طه ، روائع الأعمال الشعرية (أعمال مختارة) ، أحمد
سويلم ، مكتبة الأسرة ، القاهرة ٢٠٠٤م ، ص ٨٢ .

تمييز الحروف العربية من حروف لغة الهوسا ومعرفة قواعد الوقف والابتداء وأثر ذلك في تجنب الأخطاء في قراءة القرآن الكريم

إعداد

الدكتور رفاعي أوبا جمزة

قسم الدراسات الإسلامية

كلية سعادة ريمي للتربية كُنو - نيجيريا

rufaiuba@yahoo.co.uk

ملخص:

يقدم هذا البحث مقارنة بين الحروف العربية التي نزل عليها القرآن الكريم وبين حروف لغة الهوسا كبرى اللغات المحلية في نيجيريا مبيِّناً أوجه الاتفاق والاختلاف بينهما لتنبه أبناء هذه القبيلة على الأخطاء الشائعة التي تصدر منهم في قراءة القرآن الكريم، ولتذليل ما قد يستعصي عليهم في تعلمه والنطق بحروفه. ويقدم البحث دراسة في الوقف والابتداء موردًا القواعد العامة في هذا الفن ويعقبها بالتنبيه على ما يسبب العرق والتعب للطلبة من ذلك. وسلك البحث المنهج المقارن والمنهج الوصفي حسب ما تطلبتة المواقف. ونتج من هذا البحث أن هناك حروفًا متفقا عليها بين اللغة العربية ولغة الهوسا، وأخرى اختلفت

اللغتان فيها إما لأنها غير موجودة في إحدى اللغتين أو أنها موجودة بصفات مغايرة لما في اللغة الأخرى، وظهر أن عدم الإمام بعلم الوقف والابتداء يوقع الطلبة في الأخطاء الشائعة في قراءة القرآن الكريم. وانتهى البحث بذكر مصادره ومراجعته.

مقدمة:

الحمد لله الذي أنز على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً، القائل: ولقد يسرنا القرآن للذكر، فهل من مدكر^٢، والقائل: وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً^٣. اللهم صل وسلم على محمد النبي الأمي القائل: خيركم من تعلم القرآن وعلمه، وعلى أهل بيته الأطهار وأصحابه الأبرار ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. وبعد:

فهذا بحث وجيز أردت منه عقد مقارنة بين الحروف العربية وحروف لغة الهوسا، وذكر أهم قواعد الوقف والابتداء لتفادي الوقوع في الأخطاء في تلاوة القرآن الكريم سميته: "تمييز الحروف العربية من حروف لغة الهوسا ومعرفة قواعد الوقف والابتداء وأثر ذلك في تجنب الأخطاء في قراءة القرآن الكريم". وقسمته إلى مقدمة، وفيها مشكلة البحث وأهميته وأهدافه ومنهجه. وصلب الموضوع، وفيه ثلاثة مطالب. وخاتمة، وفيها نتائج البحث والمراجع.

مشكلة البحث: ظاهرة تفشي اللحن في قراءة القرآن الكريم حيث كانت الأخطاء الصادرة من غير العرب في تلاوة القرآن الكريم تختلف من قبيلة إلى أخرى. فالأخطاء الشائعة بين الهوسا قد تتباين من التي بين كانوري، والحروف التي تكون صعبة على يوربا قد لا تشكل مشكلة عند فلاته. وفي نيجيريا حوالى مائتي لغة ولهجة، ولغة الهوسا هي كبرها وأكثرها انتشاراً بين المسلمين، فجاء هذا لمعالجة هذه الظاهرة.

أهمية البحث: تظهر أهمية هذا البحث في أنه سيساهم في تعلم قراءة القرآن قراءة صحيحة، ويبرز أهمية دراسة اللغة العربية في نيجيريا.

أهداف البحث:

تهدف هذه الدراسة إلى:

- ١- دراسة مقارنة بين حروف اللغة العربية وحروف لغة الهوسا
- ٢- الوقوف على أهم قواعد الوقف والابتداء
- ٣- تنبيه الطلبة على الأخطاء الشائعة في قراءة القرآن الكريم لتجنبها
- ٤- دور اللغة العربية في خدمة مسلمي نيجيريا

منهج البحث:

يستخدم البحث المنهج المقارن للحاجة إلى بيان الاتفاق والاختلاف بين حروف اللغتين، والمنهج التحليلي للحاجة إلى البيان بعد عقد المقارنة.

المطلب الأول: خصائص لغة الهوسا ومصادر الأخطاء بين أبنائها في قراءة القرآن الكريم:

من خصائص لغة الهوسا أنها لغة تتفق مع أحكام تجويد القرآن الكريم في بعض الأحكام وتشارك اللغة العربية في أكثر الحروف. فتتفق معها في أحكام النون الساكنة والتنوين من الإظهار والإدغام والإخفاء والإقلاب. فالهوساوي يظهر عند حروف الإظهار مثل بَبَّنْ أَلَّامْرِي (Babban Al'amari). ويستثنى له من حروف الإظهار الغين مثل أَنْعَمَا فيخفي عندها، وهو في ذلك يوافق قراءة أبي جعفر رحمه الله. ويخفي عند جميع حروف الإخفاء مثل أَنْجَمَا (Anjima)، وبَابَنْ كَاسُوَا (Baban Kasuwa)، ويدغم في حروف الإدغام مثل بَابَنْ يَّارَا (Baban Yara) كَيْفِنْ رِيْجِيَا (Kifin rijiya)، ويقلب عند الباء مثل أَنْ بَانِي (An bani) أَنْ بَزَمَا (An Bazama).

وتعود مصادر أخطاء الطلاب في الغالب إلى أربعة أمور:

١- الاكتفاء بسماع الأشرطة، فالطالب الذي يعتمد على الشريط دون العودة إلى قارئ متقن فتكثر بذلك أخطاؤه. الشريط وسيلة إضافية لا أساسية في تعلم القراءة. وقد يظل الطالب فترة طويلة يظن أن القارئ الذي يستمع إليه في الشريط يتلفظ بالحرف أو الكلمة على نحو معين فلا يعرف أن سماعه غير صحيح حتى يُنبه على ذلك.

٢- تعبيرات المؤلفين العرب في التجويد، توجد تعبيرات من الكتاب العرب في كتب التجويد توهم الطلاب غير العرب خلاف المعنى المقصود. فمثلاً صفة الصفير في الصاد، الصفير في لغة الهوسا يفسر بفيتو (Fitto) فينطق الطالب الصاد مصحوبة بهذا الصوت الزائد على خلاف ما تنطقه العرب.

٣- تصحيح ملاحظات أداء المتسابقين من لجان التحكيم في المسابقة القرآنية، المعروف في المسابقات القرآنية في جميع دول العالم أن لجنة التحكيم تضرب الجرس أو الضوء الأحمر عند خطأ المتسابق في الحفظ، لكن الأمر في نيجيريا يختلف، حيث يكون ذلك في خطأ الحفظ وفي ملاحظات الأداء معاً. ساعد هذا السلوك على اشتهاار المتسابقين النيجيريين في المسابقات الدولية بأخطاء معينة في الأداء أو عدم تمكنهم من إتقان أوجه أخرى.

المطلب الثاني: الحروف وصفاتها

الحروف العربية مجموعة في أوائل حروف كلمات هذا البيت الذي ذكره ابن الجزري:

أبج دهم حطي كلم نصع فضق* رست ثخذ ظغش على هذا النسق^٤
وتنقسم هذه الحروف في لغة الهوسا إلى ثلاثة أقسام:

١- حرف متفق عليها بين اللغتين وهي ثلاثة عشر حرفاً: الباء، الدال، الهاء، الزاي، الياء، الكاف، اللام، الميم، النون، الراء، السين، التاء، الشين.

٢- حروف موجودة في لغة الهوسا لكن بصفات غير صفاتها في اللغة العربية وهي ستة حروف: الهمزة، الجيم، الطاء، الفاء، القاف، الغين.

٣- حروف عربية غير موجودة في لغة الهوسا وهي ثمانية: الحاء، الصاد، العين، الضاد، الثاء، الخاء، الذال، الظاء. وأخطاء الطلاب في الغالب الكثير تكون في القسم الثاني والثالث. فلنشر إلى الأخطاء الشائعة في كل حرف:

- ١- الهمزة: - الهمزة العربية قوية وفي الهوسا غير قوية.
- ٢- الجيم: - الجيم العربية شديدة لا همس فيها، أي لا هواء فيها، مع أنه لا تختلف في اللغتين من حيث الصوت.
- ٣- الطاء: - لها في العربية الاستعلاء والإطباق، ويخطئ الطلاب في عدم الإتيان بهما أو في الإتيان بهما أكثر من المعروف.
- ٤- الفاء: - في اللغة العربية مهموسة، أي فيها هواء خفيف، يخطئ الطلاب في ترك الهمس أو الإتيان به أكثر من اللازم.
- ٥- القاف: - في العربية مستعلية، ويخطئ الطلاب في ترك الاستعلاء أو الإتيان به أكثر من اللازم أو إدخال صفة الإطباق فيها.

- ٦- الغين: - في اللغة العربية مستعلية، ويخطئ في ترك استعلائها أو الإتيان به أكثر من اللازم أو إدخال صفة الإطباق فيها.
- ٧- الحاء: - غير موجودة في الهوسا، فيجب النطق بها كما ينطق بها العرب. ويخطئ الطلاب في عدم إخراجها من مخرجها الصحيح ويجعلونها أصغر حجماً من الهاء الموجودة في الهوسا. ويسمون الأولى الحاء الصغيرة والثاني الهاء الكبيرة. وهو خطأ. فكلتاها صغيرتان أي مستفلتان في اللغة العربية.
- ٨- الصاد: - غير موجودة في الهوسا. يصعب على الطلبة التمييز بينها وبين السين المعروفة في لغتهم. ويتركون استعلائها أو مراعاة مراتبه. وينقصون إطباقها أو يزيدون فيه. وكثير منهم يصوتون عليها صوتاً زائداً (Fito). وبعض الناس ينطقون كسر الصاد في الصراط المستقيم وصراط الذين أنعمت عليهم مشوبة بالضم.
- ٩- العين: - غير موجودة في الهوسا. لا يخرجونها من مخرجها الصحيح، ويفخموها أحياناً، ويرفعون الفك الأعلى أحياناً عند النطق بها وخاصة عند السكون فتخرج مستعلية.
- ١٠- الضاد: - غير موجودة في الهوسا. وهي من أصعب الحروف عليهم يخطئون كثيراً في عدم إخراجها من مخرجها الصحيح. وقد ذكر العلماء أنها تخرج من حافة اللسان اليمنى أو اليسرى أو هما معاً.

وهي مع تغير المخرج لا يتغير صوتها. وخروجها من الجهة اليمنى أيسر عند الهوسا بخلاف العرب، ويخطئون في ترك الاستطالة فيها فتخرج صغيرة. ومنهم من يحولها دالا أو لاماً. وبعضهم يجعلها في حروف الشدة (أجد قط بكت) وخاصة في (الضالين) فيقطع نفسه عليها كما في كلمة (دأبة).

١١-الثاء:- غير موجودة في الهوسا، يخطئ الطلبة في ترك همسها أو في همسها أكثر من المطلوب ومنهم من يحولها سيناً.

١٢-الحاء:- غير موجودة في الهوسا، ويخطئون في الغالب في عدم مراعاة مراتب التفخيم والاستعلاء فيها. ويجعلون فيها الإطباق أحياناً.

١٣-الذال:- غير موجودة في الهوسا، ينطقونها أحياناً كالزاي المعروفة عندهم. وبعضهم يدخلون على صوتها الصغير. ومنهم من ينطقها دالا وخاصة عند الإسكان في نحو إذ.

١٤-الطاء:- غير موجودة في الهوسا. كثير منهم لا يخرجونها من مخرجها الصحيح ويدخلون عليها الصغير كالزاي ويزيدون في استعلائها وإطباقها.

ويمكن معالجة هذه الأخطاء بهذه الأمور:

١- التزام النطق بالحروف غير الموجودة في الهوسا، كما ينطقها العرب إما عن طريق الاستماع إلى القراء العرب أو ممن تعلموا منهم.

- ٢- تعلم القرآن الكريم من القراء المتقنين دون الاكتفاء بالأشرطة.
- ٣- عدم اكتفاء المتسابقين الفائزين بمستواهم. فالفوز في المسابقة لا يعني بحال بلوغ الذروة في الأداء لأن عدم الممارسة يؤدي إلى التبدلي فيجب المواصلة في التحصيل.
- ٤- ترك نظام الجرس على ملاحظات الأداء في لجان التحكيم في المسابقات القرآنية.
- ٥- عقد لقاءات بين المعنيين في مجال القرآن الكريم لتبادل الخبرة وذلك في صورة ورشات عمل ومؤتمرات وندوات.

المطلب الثالث: الوقف والابتداء

أخطاء الوقف والابتداء أكبر شبكة يصطاد منها المتسابقون النيجيريون وخاصة الأخير، لأن الأول يمكن تفاديه بالتزام الوقف على علاماته في المصحف بخلاف الثاني. وأسباب هذا الخطأ تعود إلى أمرين: أولهما قلة المعرفة والإلمام باللغة العربية وقواعدها. والثاني: قلة الاطلاع على الكتب المدونة في فن الوقف والابتداء. ولست أريد هنا سرد أحكام الوقف والابتداء إنما أقصد تنبيه الطلاب على الأحكام التي تسبب لهم التعب في الغالب.

عبر الشيخ أحمد بن عبد الكريم الإثموني عن عامة موانع الوقف والابتداء في التنبيه الثالث من كتابه منار الهدى في بيان الوقف والابتداء

حيث قال: "اعلم أن كل كلمة تعلقت بما بعدها وما بعدها من تمامها لا يوقف عليها، كالمضاف دون المضاف إليه، وعلى المنعوت دون نعته ما لم يكن رأس آية، وعلى الشرط دون جوابه، ... وعلى الرفع دون مرفوعه، وعلى الناصب دون منصوبه، وعلى المؤكد دون توكيده، وعلى المعطوف دون المعطوف عليه، وعلى البديل دون المبدل منه. ولا على أنَّ أو كان أو ظن وأخواتهن دون اسمهن. ولا اسمهن دون خبرهن. وعلى المستثنى دون المستثنى منه... ولا يوقف على حرف دون متعلقه ولا على الحال دون ذيتها، ولا على المبتدأ دون خبره، ولا على المميز دون مميزه، ولا على القسم دون جوابه، ولا على القول دون مقوله".^٥

فأخطاء الطلبة النيجيريين شائعة في هذه الأحكام. ويجب التنبيه هنا إلى أنه يجوز الوقف في بعض الحالات على الأول لكن لا يجوز الابتداء بالثاني كالوقف على القول دون المقول. ففي قوله تعالى: "لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير^٦ فيجوز الوقف على قالوا ولكن لا يُبتدأ بإن الله.

ومنها ما لا يجوز الوقف على الأول ولا الابتداء بالثاني كما في المضاف والمضاف إليه الذي حذف في الأول النون. ففي قوله تعالى: "وما نحن بتاركي آلهتنا^٧" لا يجوز الوقف على تاركي ولا الابتداء بآلهتنا لأن أصل تاركي تاركين حذفت النون للإضافة.

ولنتحدث بالإيجاز عن أكثرها شيوعاً وأسوأها تأثيراً:

١- القول والمقول: فيجب في كل موضع ورد فيه القول وما اشتق منه مثل قال، يقول، يقولون، قولوا، قل، أن يصله بمقول القول. فإذا وقف الطالب على موضع فلينظر هل قبله قول أو مشتقاته فيبتدىء منه.

٢- المضاف والمضاف مثل تبت يدا أبي لهب، فلا يقف على يدا دون أبي ولا يبتدأ بأبي.

٣- الناصب والمنصوب. إذا قرأ لفحص قوله تعالى: "أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين ءامنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم^٨"، فلا يبتدىء بسواءً لأنه منصوب فيرجع إلى أن نجعلهم لأنه ناصبه، وإذا قرأ سواءً بالرفع فله أن يبتدىء به. ومثله "والمسجد الحرام الذي جعلناه للناس سواء العاكف^٩"، ومن قرأ بنصب سواء يبتدىء بالذي جعلناه ومن قرأه بالرفع يبتدىء بسواء.

٤- الموصول وصلته، لا يجوز الوقف على الموصول مثل الذي، التي، اللاتي، ولا الابتداء بالصلة مثل آمنوا من الذين آمنوا.

٥- الحرف ومتعلقه مثل الوقف على ما، لا، ثم، لما وما أشبهها.

٦- الوقف على الفعل دون الفاعل مثل تجري من "تجري من تحتها الأنهار"^{١٠} فإذا وقف على تجري فمعنى ذلك أن جنات هي التي

تجري لا الأنهار. ولا بأس بالوقف على تجري إذا سبقها الفعل نحو
"والفلك التي تجري".

وهذا الباب يحتاج من الأخوة المتخصصين أن يخصصوه بدراسة
مستفيضة حتى يتم سد هذه الثغرة في جدار الأداء القرآني الشامخ في
نيجيريا. والله أعلم.

الخاتمة

وقف المقال على نتائج أهمها:

- ١- أن هناك حروفاً متفقا عليها بين اللغة العربية ولغة الهوسا، وأخرى
اختلفنا فيها إما لأنها غير موجودة في إحدى اللغتين أو أنها موجودة
بصفات مغايرة لما في اللغة الأخرى.
- ٢- أن الأخطاء الشائعة عند الهوسا توجد في حروف عربية غير
موجودة في لغتهم أو موجودة بصفات مغايرة لما في اللغة العربية.
- ٣- عدم الإلمام بقواعد اللغة العربية وعلم الوقف والابتداء يوقع
الطلبة في الأخطاء الشائعة في قراءة القرآن الكريم.

المراجع

- ١- سورة الكهف الآية: ١
- ٢- سورة القمر، الآية: ١٥
- ٣- سورة سبأ، الآية: ٢٨

٤- ابن الجزري، مُجَّد بن مُجَّد بن مُجَّد بن يوسف أبو الخير، طبية النشر،
(المدينة المنورة: دار ابن الجزري، ط ٥، ٢٠١٢م)، ص: ٣٣، مصدر
سابق.

٥- الأشموني، أحمد بن عبد الكريم، منار الهدى في بيان الوقف والابتداء،
(بيروت: دار الكتب العلمية، ط ٢، ٢٠٠٢م)، ص ٤٦-٤٨.

٦- سورة آل عمران، ١٨١

٧- سورة هود، الآية: ٥٣

٨- سورة الجاثية: الآية: ٢١

٩- سورة الحج، الآية: ٢٥

١٠- سورة البقرة، الآية: ٢٥

دراسة أدبية لقصيدة "هازم اللذات" في الزهد للشاعر آدم يونس

إعداد

آدم أحمد المؤذن

قسم الدراسات العربية جامعة ميدغري - نيجيريا

ملخص:

إن هذه المقالة عبارة عن دراسة أدبية لإحدى قصائد الشاعر آدم يونس الزهدية تناولت السيرة الذاتية للشاعر من حيث الولادة والنشأة والتعليم، وبعد ذلك تطرق الباحث للوقوف على قصيدة الزهد لهذا الشاعر التي سماها بـ"هازم اللذات" حيث تحدث الشاعر فيها بما يتعلق بالموت ومدى مصير الإنسان بعد الموت، وقد استعمل الشاعر فيها أفكارا دينية وأخلاقية، وتناول أيضا جودة الألفاظ والمعاني من حيث البناء والأسلوب، واشتملت أيضا على الصور الجمالية والفنية حيث أن الشاعر استعمل الصور البيانية والبديعية والمعانية في نظمه لهذه القصيدة.

مقدمة:

الحمد لله الذي يرث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين، القائل في كتابه العزيز { وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَهْوٌ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ } [سورة الأنعام الآية: ٣٢]. والصلاة والسلام على خير خلقه سيدنا مُحَمَّد وعلى آله الطيبين الطاهرين وأصحابه الغر الميامين.

وبعد:

فقد وجد الشاعر آدم يونس نفسه من بين الشعراء الذين تناولوا موضوع الزهد في الدنيا في هذه القصيدة بما فيه من التخويف من الموت وبيان أن الدنيا ستنتهي لا محالة والإنسان لا يعرف الوقت والمكان الذي يموت فيه، ويذكر بالوحشة بعد الممات وغير ذلك، وتطرق إلى الحديث عن التوبة والرجاء والعفو من الله، حيث غلب على شعره ألفاظ الموت والفناء والرحيل والقبر، فكان الشاعر يختار الألفاظ والمعاني التي تناسب هذا النوع من الشعر. فلذلك كله يهدف هذه المقال إلى تحليل هذه المعاني، وسيستعمل الباحث المنهج الوصفي التحليلي في إجراء هذا العمل، وتناولت هذه المقالة النقاط التالية:

• ترجمة الشاعر وحياته العلمية

• عرض القصيدة المعروفة بـ"هازم اللذات"

• تحليل مضامين القصيدة

• القيم الفنية للقصيدة

• الظواهر البلاغية في القصيدة

• الخاتمة

ترجمة الشاعر وحياته العلمية:

هو آدم بن يونس بن عيسى الهوساري التجاني، وهو أخت للشيخ عيسى "مَيّ عشرينية" وُلِدَ في صفر ١٤٠١هـ، ١٩٨٠-١٢-١٣ في هوساري إحدى حارات مدينة ميدغري ونشأ فيها وترعرع في بيت والده المعلم يونس عيسى التجاني أحد تلاميذ الشيخ أبا غوني ووالد مالم عيسى "مَيّ عشرينية" كان من أهل "عَرَكو" الحكومة المحلية بولاية كَنُو، وأمه رقية عيسى المولودة في ميدغري^١.

شيوخه الذين أخذ عنهم: تتلمذ الشاعر على يد بعض العلماء والمشائخ في هذه الدولة وقرأ عدة كتب في اللغة العربية والدراسات الإسلامية، ومن هذه الكتب: كتاب عقائد التوحيد، والأخضري، والعشماوي، والمقدمة العزية، وروح الأدب في الآداب، والنحو الواضح، والبلاغة الواضحة وميزان الذهب وغير ذلك. أما بالنسبة للعلماء الذين أخذ عنهم أمثال: أخيه الشيخ عيسى صاحب العشرينية، ونائبه مالم آدم الحَيَّاط، ومالم إبراهيم الحلاق، ومالم أحمد كوكو الساكن في ولاية كَيِّي، والشيخ زكريا، ومالم صالح بَرْدِي، ومعلم خامس البوتسكمي، وهارون بَلَارِي الكانوري. وقد سمع الشاعر أيضا عن بعض العلماء أمثال: الشيخ عثمان كسفا زاريا، الشيخ مُحَمَّد سعدو عَمْدُو، الشيخ إبراهيم أبا غوني، الشيخ بللو صاحب الديوان وغيرهم.

تعليمه في المدارس النظامية والحلقات العلمية:

التحق الشاعر في الدراسات النظامية منذ نعومة أظفاره حيث أنه بدأ دراسته الابتدائية في معهد الشيخ أحمد أبي الفتح وحصل على درجة الامتياز وذلك في عام ١٩٩٤م، ثم التحق بكلية محمد غوني للشرعية والقانون والدراسات الإسلامية في القسم الثانوي وتخرج فيها في عام ٢٠٠٠م، ثم واصل دراسته في مرحلة الدبلوم قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية بكلية محمد غوني للشرعية والقانون والدراسات الإسلامية في عام ٢٠٠٣م، ثم التحق-بعد ذلك-بقسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية في جامعة ميدغري، وقد واصل دراسته حتى وصل إلى مرحلة الماجستير^٢.

عرض القصيدة المسماة بـ(هازم اللذات)

هذه القصيدة تتكون من تسع وخمسين بيتا، وموضوعها واحد وهو الزهد في الدنيا حيث تناول الشاعر فيها ألفاظا مختلفة توحى بمعاني الزهد كذكر الموت وما بعده، وطلب التستر والتضرع إلى الله، والتحذير من الدنيا وما فيها، وتوكل على الله في طلب الرزق وعدم الخوف من الفقر، وبيان أن كثرة الصدقة والجود وقضاء حوائج المحتاجين يدفع عن الانسان الفقر، وغير ذلك من التعابير التي احتوتها القصيدة. والقصيدة من البحر الوافر ونصها هو:

- ١ فَلَا أَدْرِي مَتَى مَوْتِي وَكَفَيْني وَلَا أَيْنَ الْمَمَاتِ وَأَيْنَ دَفْنِي
- ٢ وَلَا كَيْفَ الْحِتَامِ أَفِي صَلَاحٍ وَصِدْقٍ أَمْ عَلَيَّ فِسْقٍ وَمَيْنِ
- ٣ مَصِيرِي جَنَّةٌ أَمْ قَعْرُ نَارٍ لِذَاكَ أَعِيشُ فِي حَوْفٍ وَأَمْنِ
- ٤ فَإِنِّي شَائِقٌ لِلْمَوْتِ طَوْرًا وَحِينًا كَارِهِ هَلْ مِنْ مِحْرٍ
- ٥ سَأَلْتَنِي اللهُ رَغْمًا عَنِّ عِيَالِي وَهَلْ أَلْقَاهُ بَعْدَ زَوَالِ رَنْبِي
- ٦ يَمُوتُ الْأَقْرَبَا وَالْأَصْدِقَاءُ مَتَى مَوْتِي سَبَبُعدُ أَمْ سَيُدْنِي
- ٧ فَتَلْكُمُ شَاغِلِي يَا وَيْحَ قَلْبِي وَتَلْكُمُ مَا يُحْيِي فِكْرَ ذَهْنِي
- ٨ فَآهَ لِابْنِ يُونُسَ مَا أَعَدَّ لِيَوْمِ الْمَوْتِ شَيْئًا وَيْحَ حُزْنِي
- ٩ تُرَوِّعُنِي الْجَنَائِزَ كُلَّ يَوْمٍ وَيُثْقِلُنِي مُضِيَّ الْعُمْرِ مَنِي
- ١٠ صَغِيرًا كُنْتُ أَصْبَحْتُ كَبِيرًا دَنَا شَيْئًا فَشَيْئًا يَوْمَ دَفْنِي
- ١١ أَجَلُ آجَالِنَا قَرُبَتْ وَلَكِنْ يُبْعِدُهَا لَنَا طَوْلَ التَّمَنِّي
- ١٢ أَلَا نَسِيَانُ مَوْتِي مُسْتَحِيلٌ فَذِكْرُ الْمَوْتِ عِنْدِي فَرَضُ عَيْنِ
- ١٣ وَلَا أَنْسَى بِأَنَّ الْقَبْرَ يَوْمًا سَيَحُونِي مَتَى أَلْبَسْتُ كَفْنِي
- ١٤ فَمَنْ لِي تَوْبَةٌ مَنْ لِي صَلَاحًا قَرِيبًا قَبْلَ إِعْمَاضِي لِجَفْنِي
- ١٥ أَلَا أَحْشَى الْمَمَاتَ فُبَيْلَ كَوْنِي تَقِيًّا صَالِحًا مَنْ لِي بِكَوْنِي
- ١٦ أَلَا أَحْشَى الْمَمَاتَ فُبَيْلَ كَوْنِي رَضِيًّا اللهُ دَا فَتَحِ وَيْمِنِ
- ١٧ أَلَا يَا مَوْتُ فَاَنْتَظِرُنْ صَفَائِي وَأَمَّا قَبْلَهُ لَا تَنْزِلِي
- ١٨ فَيَا رَبِّ الثَّقَى رَبِّ الصَّلَاحِ أَنْبِي دَا وَذَاكَ وَجَدُ بِمَنْ

- ١٩ عَصَيْتُكَ إِنِّي حَقًّا مُقَرَّرٌ بِذَنْبِي وَالْعِبَادَةَ بِالتَّائِبِي
- ٢٠ وَلِكَيْ رَجَوْتُ الْعَفْوَ مِنْكُمْ وَرَحْمَتُكُمْ إِلَهِي فَاعْفُ عَنِّي
- ٢١ سَتَرْتَنِي بِلَا شَكِّ لِأَنِّي بِرَحْمَانٍ عَرَفْتُكَ فَارْحَمِي
- ٢٢ وَتَسْتُرْنِي بِلَا رَبِّ لِأَنِّي بِسِتَارٍ عَرَفْتُكَ فَاسْتُرْنِي
- ٢٣ رَفَعْتُ يَدَ الضَّرَاعَةِ يَا رَحِيمُ وَيَا حَنَّانُ يَا مَنَّانُ صَنِي
- ٢٤ أَجْبِنِي يَا قَرِيبُ وَيَا مُجِيبُ عَلَى نَيْلِ الرِّضَى مِنْكُمْ أَعْنِي
- ٢٥ رِضَاكَ رِضَاكَ يَا اللَّهُ دَوْمًا فَإِنَّ رِضَاكَ هُوَ أَقْصَى التَّمَنِّي
- ٢٦ أَجْرْنَا يَا مُجِيرُ مِنَ الْعِقَابِ فَلَا مَلْجَأَ سِوَاكَ فَالْجَأْنِي
- ٢٧ أَعْنِي يَا مُعِينُ عَلَى الصَّلَاةِ كَذَلِكَ عَلَى صَفَاءِ الْقَلْبِ مِنِّي
- ٢٨ فَوَاللَّهِ الَّذِي لَا رَبَّ غَيْرُهُ فَأَفْضَلُ مَا أُرِيدُ رِضَاكَ عَنِّي
- ٢٩ بِحَمْدِ اللَّهِ لَا الدُّنْيَا أُرِيدُ وَلَا مُلْكًا وَلَا جَمْعَ اللُّجَيْنِ
- ٣٠ أَيَا دُنْيَا اعْلَمِي مَا نِلْتِ رُوحِي وَلَا قَلْبِي وَلَكِنْ نِلْتِ بَدَنِي
- ٣١ فَزَيْنُكَ بَعْدَ حِينٍ صَارَ شَيْنًا وَيُبَدَلُ شَيْنٌ أَعْدَاكَ بِزَيْنِ
- ٣٢ فَمَا لِسَعَادَةِ الدُّنْيَا دَوَامٌ وَإِنَّ نَعِيمَهَا لَكَالْمَحِ عَيْنِ
- ٣٣ لِذَاكَ يُطَلَّقُ الدُّنْيَا ثَلَاثًا أَحُو الْكَيْسِ الْعَقِيلِ بِلَا تَأْنِي
- ٣٤ فَنِعَمَ الْحَسَبِ حَسْبِي أَنْتَ رَبِّي فَدُمَ حَسْبِي إِلَى الْآبَادِ عَوْنِي
- ٣٥ وَرَدَّ شُرُورَ أَعْدَائِي جَمِيعًا وَحُلَّ يَا رَبِّ بَيْنَهُمْ وَبَيْنِي
- ٣٦ عَلَيْكَ تَوَكُّلِي فِي كُلِّ حَالٍ إِلَى نَفْسِي وَغَيْرِكَ لَا تُكَلِّبْنِي

- ٣٧ حَمِدْتُ اللَّهَ لَمْ أَبْرَحْ حَمِيدًا سَأَحْمَدُهُ عَلَى سُوءِ وَحْسَنِ
 ٣٨ وَلَمْ لَا إِنَّمَا الْأَسْوَاءُ حُسْنُ بُعِيدِ الصَّبْرِ رَبِّي صَبْرَتِي
 ٣٩ فَإِنَّ الْخَوْفَ لَا يُجِدِي دَوَامًا سِوَى خَوْفِ الْإِلَهِ فَصَدَّقَنِي
 ٤٠ لِذَلِكَ لَا أَخَافُ الْفَقْرَ دَوْمًا وَكَيْفَ أَخَافُ وَالْمَنَانَ مُدِنِ
 ٤١ يَمُنُّ بِفَضْلِهِ دَوْمًا عَلَيْنَا وَإِنِّي إِنْ دَعَوْتُ سَيَسْتَجِبْنِي
 ٤٢ وَإِنْ أَفْرَضْتُهُ قَرْضًا يُضَاعَفُ فَأِقْرَاضِي لَهُ دَفْعُ لِحْزَنِي
 ٤٣ تَصَدَّقْ إِنْ حَشِيتَ الْفَقْرَ تُرْزَقْ وَجُدْ فَالْجُودُ عَن حَوْجَاكِ يُعْنِي
 ٤٤ أَيَا ذَا الْفَضْلِ يَا رَبًّا عَفُورًا لِتَغْفِرَ لِي كَرِيمٌ أَقْرَ عَيْنِي
 ٤٥ لِتَجْعَلَ عَامَ مَوْتِي خَيْرَ عَامِي أَكْثَرَ فِيهِ ذَكَرَ اللَّهُ حِصْنِي
 ٤٦ لِتَجْعَلَ يَوْمَ مَوْتِي خَيْرَ يَوْمِي أَصُومُ مُكْتَرًا صَدَقَاتِ عَيْنِ
 ٤٧ لِتَجْعَلَ وَقْتِ مَوْتِي خَيْرَ وَقْتِي أَشَاهِدُ مَنْ عَلَيْهِ اللَّهُ يُثْنِي
 ٤٨ لِتَجْعَلَ آخِرَ الْأَقْوَالِ مِنِّي صَلَاةَ الْمُصْطَفَى وَشَهَادَتَيْنِ
 ٤٩ لِتَجْعَلَ ثَوْبَ كَفْنِي خَيْرَ ثَوْبِي وَأَنْقَذَ جُنَّتِي مِنْ كُلِّ شَيْنِ
 ٥٠ لِتَجْعَلَ قَبْرَ دَفْنِي خَيْرَ دَارِي أُجَالِسُ فِيهِ مَحْبُوبِي وَرَبِّي
 ٥١ لِتَجْعَلَ خَيْرَ جَنَاتٍ مَصِيرِي أَجَاوِرُ سَيِّدِي مِنْ دُونِ بَيْنِ
 ٥٢ لِتَجْعَلَ مَا دَعَوْتُكَ مُسْتَجَابًا بِفَضْلِكَ يَا أَحَا فَضْلٍ وَمَنْ
 ٥٣ بِجَاهِ الْمُصْطَفَى الْمَحْمُودِ الْهَادِي وَبِالزَّهْرَاءِ وَالِدَةِ الْحُسَيْنِ
 ٥٤ دَعَوْتُ لَوَالِدِي وَلَاقْرَبَائِي وَأَخْبَابِي الَّذِي أَدْعُوكَ حِصْنِي

- ٥٥ لَكَ الْحَمْدُ الْمُسْرَمُ كُلِّ حَالٍ لَكَ الشُّكْرُ الْمُؤَبَّدُ فَارْضَ عَنِّي
٥٦ إِلَهِي أَنْتَ مُحَمَّدَ الْفُؤَادِ وَمَشْكُورُ اللِّسَانِ عَلَيْكَ يُثْنِي
٥٧ فَسُبْحَانَ الَّذِي حَمَدِي وَشُكْرِي لَهُ مَا دَامَ رُوحِي وَسَطَى بَدَنِي
٥٨ صَلَاةُ اللَّهِ يَلْزِمُهُ سَلَامٌ عَلَى جَنْبِ الْحَبِيبِ مُزِيلِ شَيْنِي
٥٩ وَالصَّحَابِ وَكُلِّ عَبْدٍ قَفَى الرُّهَادَ لَمْ يَكْ عَبْدَ رَبِّينِ

تحليل مضامين القصيدة

يلتمس القارئ في هذه القصيدة عناصر الزهد ومعناه حيث أن الشاعر افتتح قصيدته بذكر الموت والختام والمصير وما يجري بعد ذلك فسيأتي تحليل هذه المضامين حسب الموضوعات التالية:

ذكر الموت والختام والمصير:

- ١ فَلَا أَدْرِي مَتَى مَوْتِي وَكَفَيْني وَلَا أَيْنَ الْمَمَاتُ وَأَيْنَ دَفْنِي
٢ وَلَا كَيْفَ الْخِتَامِ أَيْ صَلَاحٍ وَصِدْقٍ أَمْ عَلَى فِسْقٍ وَمَيْنِ
٣ مَصِيرِي جَنَّةً أَمْ قَعْرُ نَارٍ لِذَاكَ أَعِيشُ فِي حَوْفٍ وَأَمْنِ
٤ فَإِنِّي شَائِقٌ لِلْمَوْتِ طَوْرًا وَحِينًا كَارَهُ هَلْ مِنْ مَجْرٍ
٥ سَأَلْتَنِي اللَّهُ رَعْمًا عَن عِيَالِي وَهَلْ أَلْقَاهُ بَعْدَ زَوَالِ رَبْنِي
٦ يَمُوتُ الْأَقْرَبَا وَالْأَصْدِقَاءُ مَتَى مَوْتِي سَيَبْعُدُ أَمْ سَيَدْنِي
٧ فَتِلْكَمُ شَاغِلِي يَا وَيْحَ قَلْبِي وَتِلْكَمُ مَا يُحَيِّرُ فِكْرَ ذَهْنِي
٨ فَآهَ لِابْنِ يُوسُفَ مَا أَعَدَّ لِيَوْمِ الْمَوْتِ شَيْئًا وَيْحَ حُرْنِي

٩ تُرَوِّعُنِي الْجَنَائِزَ كُلَّ يَوْمٍ وَيُقْلِفُنِي مُضِيَّ الْعُمْرِ مِنِّي
١٠ صَغِيرًا كُنْتُ أَصْبَحْتُ كَبِيرًا دَنَا شَيْئًا فَشَيْئًا يَوْمَ دَفَنِي

هذه الأبيات يبين الشاعر فيها أحاسيسه وشعوره كونه غافلا عن وقت منيته وأين ستدركه، أفي حسن ختام أم غير ذلك. ويضيف الشاعر أيضا بأنه أحيانا يتشوق إلى الموت وتارة أخرى يكرهه، لأنه لا يعرف مصيره في الجنة أو في النار، فدائما أرى الأقرباء والأصدقاء يموتون فموتهم دلالة على موتي يوما ما. فهذا الشيء دائما يشغل فكري وذهني، فكنت أرتجف خوفا عندما أشاهد كثرة الجنائز التي تؤخذ إلى المقابر، فأتذكر ما فاتني من العمر الذي لم أقضه في طاعة الله ورسوله.

ذكر الغفلة عن الموت والتوبة:

١١ أَجَلَ آجَالِنَا قَرَّبْتَ وَلَكِنْ يُبْعِدُهَا لَنَا طُولَ التَّمَنِّي
١٢ أَلَا نَسِيَانُ مَوْتِي مُسْتَحِيلٌ فَذِكْرُ الْمَوْتِ عِنْدِي فَرَضٌ عَيْنِ
١٣ وَلَا أَنْسَى بِأَنَّ الْقَبْرَ يَوْمًا سَيَحْوِينِي مَتَى أَلْبَسْتُ كَفَنِي
١٤ فَمَنْ لِي تَوْبَةٌ مَنْ لِي صَالِحًا قَرِيبًا قَبْلَ إِغْمَاضِي لِجَفْنِي
١٥ أَلَا أَحْشَى الْمَمَاتَ قُبَيْلَ كَوْنِي تَقِيًّا صَالِحًا مَنْ لِي بِكَوْنِي
١٦ أَلَا أَحْشَى الْمَمَاتَ قُبَيْلَ كَوْنِي رَضِيًّا لِلَّهِ ذَا فَتْحٍ وَبِمَنْ
١٧ أَلَا يَا مَوْتُ فَاَنْتَظِرُنْ صَفَائِي وَأَمَّا قَبْلَهُ لَا تَنْزِلْنِي
١٨ فَيَا رَبِّ التُّقَى رَبِّ الصَّلَاحِ أَنْلِنِي ذَا وَذَاكَ وَجُدْ بِمَنْ

يقول الشاعر هنا بأن الموت كان قريباً منه إلا أن طول التمني يبعده منه، لأن طبيعة الإنسان دائماً يفكر في المستقبل والوهم الذي يخيل له بأنه يعيش إلى أمد بعيد، فنسيان الموت أمر مستحيل للإنسان ومهما طال الزمن فلا بد من لبس الكفن والرقود في القبور. فالشاعر يتمنى أن يرزقه الله تعالى التوبة والتقوى والصلاح والرضاء وشفاء القلب قبل أن يُنزل في قبره.

المناجاة والشكوى ودعوات الخير:

- ١٩ عَصَيْتُكَ إِنِّي حَمًّا مُتَقَرُّ بِذَنْبِي وَالْعِبَادَةَ بِالتَّائِبِي
 ٢٠ وَلِكَيْ رَجَوْتُ الْعَفْوَ مِنْكُمْ وَرَحْمَتَكُمْ إِلَهِي فَاعْفُ عَنِّي
 ٢١ سَتَرَحْمَنِي بِلَا شَكِّ لِأَنِّي بِرَحْمَانٍ عَرَفْتُكَ فَارْحَمْنِي
 ٢٢ وَتَسْتُرْنِي بِلَا رَبِّ لِأَنِّي بِسِتَّارٍ عَرَفْتُكَ فَاسْتُرْنِي
 ٢٣ رَفَعْتُ يَدَ الضَّرَاعَةِ يَا رَحِيمُ وَيَا حَنَّانُ يَا مَنَّانُ صُنِّي
 ٢٤ أَجِبْنِي يَا قَرِيبُ وَيَا مُجِيبُ عَلَى نَيْلِ الرِّضَى مِنْكُمْ أَعِنِّي
 ٢٥ رِضَاكَ رِضَاكَ يَا اللَّهُ دَوْماً فَإِنَّ رِضَاكَ هُوَ أَقْصَى التَّمَنِّي
 ٢٦ أَجْرْنَا يَا مُجِيبُ مِنَ الْعِقَابِ فَلَا مَلْجَأَ سِوَاكَ فَالْجَانِبِي
 ٢٧ أَعِنِّي يَا مُعِينُ عَلَى الصَّلَاةِ كَذَاكَ عَلَى صَفَاءِ الْقَلْبِ مِنِّي
 ٢٨ فَوَاللَّهِ الَّذِي لَا رَبَّ غَيْرُهُ فَأَفْضَلُ مَا أُرِيدُ رِضَاكَ عَنِّي
 ٢٩ بِحَمْدِ اللَّهِ لَا الدُّنْيَا أُرِيدُ وَلَا مُلْكًا وَلَا جَمْعَ اللُّجَيْنِ

بدأ الشاعر بإظهار تقصيره وكثرة ذنوبه حيث أشار إلى أنه مُقر بالمعاصي التي ارتكبها والذنوب المحيطة به وكذلك تقصيره في العبادة وعدم اتباع أوامر الله، لكن مع ذلك لم ييأس الشاعر ولم يقنط من رحمة الله حيث كان يرجو العفو والمغفرة من الله عز وجل، فهو لا يشك في أن الله سيرحمه ويعفو عنه وذلك طبقاً لقوله تعالى: ((قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ)) سورة الزمر الآية: ٥٣. ثم استمر الشاعر في مناجاته رافعا يده إلى الحنان المتان لنيل الستر من العيوب والرضا الدائم فهذا هو أقصى ما يتمناه في حياته. ثم استجار بالله من عقاب الآخرة لأن ذلك اليوم لا ملجأ إلا إليه، وطلب من الله عز وجل بأن يعينه على أداء الصلاة المفروضة وكذلك على صفاء القلب ونقاءه فالشيء المهم هو رضى الله فهو لا يريد الملك ولا الدنيا ولا جمع الأموال الطائلة التي تشغله عن عبادة الله تبارك وتعالى.

البيان عن الزهد في الدنيا والإقرار بأنعم الله:

- ٣٠ أَيْ دُنْيَا أَعْلَمِي مَا نِلْتِ رُوحِي وَلَا قَلْبِي وَلَكِنْ نِلْتِ بَدَنِي
 ٣١ فَزَيْتُكَ بَعْدَ حِينٍ صَارَ شَيْنًا وَيُبْدَلُ شَيْئُ أَعْدَاكِ بِرَيْنِ
 ٣٢ فَمَا لِسَعَادَةِ الدُّنْيَا دَوَامٌ وَإِنَّ نَعِيمَهَا لَكَلْمَحٍ عَيْنِ
 ٣٣ لِذَاكَ يُطَلَّقُ الدُّنْيَا ثَلَاثًا أَحُو الْكَيْسِ الْعَقِيلِ بِلَا تَأْنِي

- ٣٤ فَنِعْمَ الْحَسْبُ حَسْبِي أَنْتَ رَبِّي فَدُمَّ حَسْبِي إِلَى الْآبَادِ عَوْنِي
 ٣٥ وَرُدَّ شُرُورَ أَعْدَائِي جَمِيعاً وَحُلَّ يَا رَبِّ بَيْنَهُمْ وَبَيْنِي
 ٣٦ عَلَيْكَ تَوَكُّلِي فِي كُلِّ حَالٍ إِلَى نَفْسِي وَعَيْرِكَ لَا تُكَلِّبْنِي
 ٣٧ حَمِدْتُ اللَّهَ لَمْ أَبْرَحْ حَمِيداً سَأَحْمَدُهُ عَلَى سُوءِ وَحْسَنِ
 ٣٨ وَلَمْ لَا إِنَّمَا الْأَسْوَاءُ حُسْنٌ بُعِيدَ الصَّبْرِ رَبِّي صَبْرِي
 ٣٩ فَإِنَّ الْخَوْفَ لَا يُجِدِي دَوَاماً سِوَى خَوْفِ الْإِلَهِ فَصَدَّقْنِي
 ٤٠ لِذَلِكَ لَا أَخَافُ الْفَقْرَ دَوْماً وَكَيْفَ أَخَافُ وَالْمَنَانَ مُدُنٍ
 ٤١ يَمُنُّ بِفَضْلِهِ دَوْماً عَلَيْنَا وَإِنِّي إِنْ دَعَوْتُ سَيَسْتَجِيبَنِي
 ٤٢ وَإِنْ أَقْرَضْتُهُ قَرْضاً يُضَاعَفُ فَأَقْرَضِي لَهُ دَفْعَ الْحِزْنِي
 ٤٣ تَصَدَّقْ إِنْ حَشِيتَ الْفَقْرَ تُرَزِّقْ وَجُدْ فَالْجُودُ عَنْ حَوْجَاكِ يُعْنِي

بدأ الشاعر في هذه الأبيات يخاطب الدنيا عن طريق مجازي، بأنها لم تنل من روحه وقلبه سوى بدنه حيث استعمل أسلوب النداء قائلاً (أيا دنيا) اعلمي أني لم أعتز بك ولن انشغل بجمالك حتى تنالي مني لأن جمالك وزينك سيتلاشى يوماً ما، فسعادة الدنيا لا تدوم ونعيمها أيضا زائل كلمح البصر، لأن الدنيا لا تساوي عند الله جناح بعوضة فلذلك على المؤمن أن لا يهتم بالدنيا ولا يتفكر فيها وأن يطلقها طلاق البتة حتى لا يعود إليها في حياته الدنيوية. ثم استمر الشاعر وهو متضرعا إلى الله ومتحصنا به بأن يرد كيد أعدائه في نخورهم ويحل بينه وبينهم، لذلك

كان يتوكل عليه ويحمده في السراء والضراء، ولا يخاف سوى الله سبحانه وتعالى. فالشاعر يرى ما دام الله في عونه دائماً فلا يخاف الفقر مهما كان، وكيف يخافه وهو على يقين بأن الله هو الرزاق والمَنَّان على عباده. فالله سبحانه وتعالى دائماً وأبداً يَمُنُّ بفضله وجوده وكرمه على عباده الصالحين، وكلما دعاه عبد يجيبه ويقضي حوائجه. وذلك طبقاً لقوله تعالى: ((وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ)) سورة البقرة الآية: ١٨٦، فالمؤمن الذي يقرض الله قرضاً حسناً فالله سبحانه وتعالى بجوده وفضله يضاعف له هذا القرض ويدفع عنه الحزن والغم فقد قال الله تعالى: ((مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ)) سورة الحديد الآية: ١١، ثم استمر الشاعر ينصح المسلم في هذه القصيدة بأن يُكثِر من الصدقات إن كان يخاف الفقر لأن الصدقة للمحتاجين تدفع عن صاحبها الفقر وتقضي حوائجه دائماً ويكون ذا قناعة وعفة.

طلب إجابة الدعاء وحسن الملمات:

- ٤٤ أَيَا ذَا الْفَضْلِ يَا رَبَّأَ غَفُورًا لَتَعْفِرَ لِي كَرِيمٌ أَقَرَّ عَيْنِي
 ٤٥ لَتَجْعَلَ عَامَ مَوْتِي خَيْرَ عَامِي أَكْثَرَ فِيهِ ذَكَرَ اللَّهُ حِصْنِي
 ٤٦ لَتَجْعَلَ يَوْمَ مَوْتِي خَيْرَ يَوْمِي أَصُومُ مُكْتَرًا صَدَقَاتِ عَيْنِ

- ٤٧ لَتَجْعَلَ وَفْتَ مَوْتِي خَيْرَ وَفْتِي أَشَاهِدُ مَنْ عَلَيْهِ اللهُ يُثْنِي
٤٨ لَتَجْعَلَ آخِرَ الْأَقْوَالِ مِنِّي صَلَاةَ الْمُصْطَفَى وَشَهَادَتَيْنِ
٤٩ لَتَجْعَلَ ثَوْبَ كَفْنِي خَيْرَ ثَوْبِي وَأَنْقَذَ جَنَّتِي مِنْ كُلِّ شَيْنِ
٥٠ لَتَجْعَلَ قَبْرَ دَفْنِي خَيْرَ دَارِي أَجَالِسُ فِيهِ مَحْبُوبِي وَرَبِّي
٥١ لَتَجْعَلَ خَيْرَ جَنَاتٍ مَصِيرِي أَجَاوِرُ سَيِّدِي مِنْ دُونِ بَيْنِ
٥٢ لَتَجْعَلَ مَا دَعَوْتُكَ مُسْتَجَابًا بِفَضْلِكَ يَا أَحَا فَضْلٍ وَمَنْ
٥٣ بِجَاهِ الْمُصْطَفَى الْمَحْمُودِ الْهَادِي وَبِالزَّهْرَاءِ وَالِدَةِ الْحُسَيْنِ
٥٤ دَعَوْتُ لِوَالِدِي وَلَاقْرَبَائِي وَأَحْبَائِي الَّذِي أَدْعُوكَ حِصْنِي

يقول الشاعر هنا وهو راجيا المغفرة والفضل من الله عز وجل ليجعل عام موته أفضل الأعوام ويكون من الذاكرين الله كثيرا ومن المتحصنين به، ويرجوا من الله تبارك وتعالى أن يجعل يوم موته من أفضل الأيام المباركة وأن يممَّ عليه بالصوم والصدقة في ذلك اليوم. ثم استمر داعيا الله بأن يجعل وقت موته من أبرك الأوقات وأن يرزقه النطق بالشهادتين وكثرة الصلاة على النبي صلوات الله وسلامه عليه، ويرجو أيضا على أن يكون الثوب الذي يكفن فيه من أحسن الثوب وأطهره، وأن يحفظ الله جسده من الديدان والحشرات ومن كل سوء يمسه. ولم يتوقف الشاعر في دعائه هذا فحسب بل واصل فيه بسؤاله أن يرزقه الله جنة الفردوس وأن يجاوره بالحبيب المصطفى ﷺ، ثم سأل الله أن يجعل هذه الأدعية

مستجابة بفضلله ومنه وكرمه. وقد بادر الشاعر بعد هذا الدعاء والرجاء إلى التوسل بسيدنا محمد ﷺ وآله الكرام أن يستجيب الله دعاءه، وأن يغفر لوالديه وأقربائه وأحباءه.

الاختتام بالحمدلة والصلصلة:

٥٥ لَكَ الْحَمْدُ الْمُسَرَّمُ كُلِّ حَالٍ لَكَ الشُّكْرُ الْمُؤَبَّدُ فَارْضَ عَنِّي
 ٥٦ إِلَهِي أَنْتَ مُحَمَّدٌ الْفُؤَادِ وَمَشْكُورُ اللِّسَانِ عَلَيْكَ يُثْنِي
 ٥٧ فَسُبْحَانَ الَّذِي حَمِدِي وَشَكَرِي لَهُ مَا دَامَ رُوحِي وَسَطَّ بَدَنِي
 ٥٨ صَلَاةُ اللَّهِ يَلْزِمُهُ سَلَامٌ عَلَى جَنْبِ الْحَبِيبِ مُزِيلَ شَيْنِي
 ٥٩ وَآلِ وَالصَّحَابِ وَكُلِّ عَبْدٍ قَفَى الزُّهَادِ لَمْ يَكُ عَبْدًا زَيْنِ

ثم ختم الشاعر قصيدته بالحمد لله وشكره على هذه النعم التي من بها عليه. وثنى بالصلاة والسلام على سيد الوجود محمد بن عبد الله وآله وصحابه الطيبين الطاهرين، وهذا دأب الشعراء المسلمين في نهاية أعمالهم العلمية والفنية، ولا سيما شعراء فن الزهد الذي كان أغلب معانيه وأفكاره مقتبسة من نصوص الكتاب والسنة.

القيم الفنية في القصيدة

فقد تناول الباحث في هذه القصيدة الخصائص الفنية التي تنحصر في مطلع القصيدة وحسن التخلص والمقطع ثم الأوزان والقوافي وغير ذلك، ويتطرق الباحث أيضا إلى الصور الفنية والبلاغية الموجودة في هذه القصيدة.

مطلع القصيدة:

اعتنى علماء النقد غاية الاعتناء بما ينبغي أن يكون عليه مطلع القصيدة إيماناً منهم بائتلاف معاني الشعر بمضمونه وارتباط أجزائه. فالمقصود بمطلع القصيدة هو أن يجعل استهلال الكلام من الشعر أو الرسائل دالاً على المعنى المقصود من ذلك النص^٣.

أما رواد شعر الزهد فأحياناً كانوا لا يهتمون بذكر الأطلال ولا الديار في مطلع القصيدة فيبتدئون بالغرض مباشرة بدون التفات ولا ميل إلى شيء آخر^٤. ويتمثل ذلك في قول الشاعر آدم يونس:

فلا أدري متى موتي وكفني ولا أين الممات وأين دفني

ومما يلاحظ أن مطلع هذه القصيدة يناسب جو القصيدة، لأن السامع أو القارئ بمجرد سماعه لهذا المطلع يدرك مغزى القصيدة ومرماها هو التذكير بالموت ومصير الإنسان بعد الممات، وغير ذلك مما توحى به القصيدة من معان، لأن الشاعر دخل في صلب الموضوع مباشرة بدون أي مقدمة للقصيدة، وهكذا كان دأب شعراء الزهد في قصائدهم. فموضوع القصيدة يشير إلى الغرض الذي يعنيه الشاعر حيث سماها ب(هادم اللذات).

فمن هنا ندرك أن رواد شعر الزهد كانوا لا يهتمون أحياناً بذكر المقدمة بما فيها من ذكر الأطلال والديار والنسيب في مقدمة القصيدة فيبتدئون بالغرض مباشرة بدون التفات ولا ميل إلى أي شيء آخر.

وكذلك قصيدة الشاعر آدم يونس لم تبين على النمط المعروف لدى الشعراء القدامى حيث لم يفتح قصيدته الزهدية بمقدمة تحتوي على النسب والغزل وذكر الديار والبكاء على الأطلال، وهذا يبدو أنه قلّد شعراء الزهد ورؤاه الذين لا يلتفتون إلى المقدمات في نظمهم بل يباشرون الغرض بدون الوقوف على تلك المقدمات.

الاختتام أو المقطع في القصيدة:

إذا كان المطلع مفتاح الشعر ومدخله، كان من الأجدر أن تكون الخاتمة قفله ومسده، لأنها اللبنة الأخيرة التي يضعها الشاعر في بناء القصيدة، فينبغي للشاعر أن يحسنها ويجودها، لأن الخاتمة أبقى في السمع، وألصق بالنفس لقرب العهد بها، فإن حسنت حسن الكلام وإن قبحت قبح الكلام، والأعمال بخواتيمها كما قال عليه الصلاة والسلام^٥.

وقد حُظيت القصيدة المدروسة المسماة بـ(هازم اللذات) بحسن الختام حيث استطاع الشاعر أن يجعل ختامها مسكا يتضمن أنه ختم القصيدة بقوله:

فسبحان الذي حمدي وشكري له ما دام روعي وسط بدني
صلاة الله يلزمه سلام على جنب الحبيب مُزِيل شَيْني
وآلِ والصَّحَابِ وكلِّ عبْد قفى الزهادَ لم يكُ عبْدَ زينِ

اختتم الشاعر قصيدته بالتسبيح والتحميد والشكر لله سبحانه وتعالى،
والصلاة والسلام على رسول الله وآله وأصحابه، وجميع عباد الله الزاهدين.

العاطفة في القصيدة:

العاطفة عنصر هام في الدراسة التحليلية للعمل الأدبية التي فيها
نحس من الأديب قوة شعره ومحاولته، يحاول الأديب في التعبير عن
أحاسيسه ونقل انفعالاته الهادئة إلى سامعيه، وهي إما أن تكون صادقة
مقبولة وذلك إذا طبقت مشاعر الأديب لما هو عليه من عقيدة وذوق
وتجربة، وإلا فزعم باطل مرفوض في الدائرة الأدبية. والصدق المتطلب هو
مطابقة القول لعقيدة الأديب وذوقه فقط.

وقد تناول البروفيسور علي نائي سويد عنصر الصدق في العمل
الأدبي حيث قال: "إذا نظم الشاعر قصيدة يدعي فيها أنه أحب أو
أبغض فرح أو حزن، ضحك أو بكى، فإن أول سؤال يجب أن نسأله
حين نقرأ قصيدته هو: هل شعر حقاً بهذا الشعور الذي يدعيه؟ أو
انفعل بذلك الانفعال الذي يزعمه"^٦.

إذا تصفح القارئ هذه القصيدة فإنه يدرك بأن عاطفة الشاعر تمتاز
بالصدق والشعور الملائم، ووحدة الإحساس حيث تراه عندما نراه يُظهر
خوفه من رؤية كثرة الجنائز ودنو الموت منه حيث يقول:

فآه لابن يونس ما أعد ليوم الموت شيئاً ويح حزني

تروّعني الجنائز كل يوم ويقلقني مضيّ العمر مني
صغيرا كنت أصبحت كبيرا دنا شيئا فشيئا يوم دفني
أجلّ آجالنا قرّبت ولكن يُبَعِّدها لنا طول التمني
ألا نسيان موتي مستحيل فذكر الموت عندي فرض عين
ولا أنسى بأن القبر يوما سيخويني متى ألّبت كفني

في هذه الأبيات يعبر الشاعر عن أحاسيسه وشعوره وخوفه من مشاهدة الموت وحزنه على مضي العمر بلا عمل، ويرى أن الموت لا مفر منه فإنه مهما طال العمر فهو ملاقيه وسيدفن في القبر، فهذه العبارات كلها تصور للقارئ عاطفة صادقة مليئة بالحزن والخوف.

الخيال في القصيدة:

إن الكاتب أو الأديب المبدع حينما يريد أن يوصل إليك أفكاره وعواطفه وأحاسيسه من خلال النص الأدبي فإنه لا ينقلها لك مجردة ومباشرة كما كانت في الحقيقة. ولكنه يقوم بتوظيف خياله في رسم لك مشاعره وعواطفه وأحاسيسه ويصورها تصويرا فنيا يدخل فيك الدهشة واللذة معا. هذا التصوير تدركه أنت كمتلقي بذهنك وشعورك ووجدانك أيضا، لأنه يأتي بصورة فجّة ومباشرة فالكاتب المبدع يستطيع عن طريق خياله أن يسقط تجربته ومشاعره وأحاسيسه وعواطفه على ما يحتزنه في ذهنه من معان حسية ومعنوية.

فيظهر خيال الشاعر في هذه القصيدة في مواضع مختلفة، منها ما استعمله الشاعر في تصوير الدنيا على شكل امرأة تريدين أن تنال قلبه وتسيطر عليه وذلك في قوله:

أَيَا دُنْيَا اعْلَمِي مَا نِلْتِ رُوحِي وَلَا قَلْبِي وَلَكِنْ نِلْتِ بَدَنِي
فَزَيْنُكَ بَعْدَ حِينٍ صَارَ شَيْنًا وَيُبْدَلُ شَيْنٌ أَعْدَاكَ بِزَيْنِ
فَمَا لِسَعَادَةِ الدُّنْيَا دَوَامٌ وَإِنَّ نَعِيمُهَا لَكَلْمَحٍ عَيْنِ
لِذَلِكَ يُطَلَّقُ الدُّنْيَا ثَلَاثًا أَحْوُ الْكَيْسِ الْعَقِيلِ بِلَا تَأْتِي

عندما يتأمل القارئ هذه الأبيات يجد أن الشاعر قد صور الدنيا على شكل امرأة ذات جمال وزينة عرضت نفسها له لكي تفتنه بجمالها، لكنه سرعان ما تنبه إلى هذا الأمر وهددها بأنها لن تستطيع أن تنال روحه وقلبه، لأن هذا الجمال والنعم الظاهرة سيتلاشى ولا يدوم، فلذا فإن العاقل يطلق الدنيا طلاقاً بائناً، فيفهم من هذا السياق أن الشاعر جاء بهذه الصورة الخيالية لكي يغرس في نفس السامع الغرور بالدنيا وما فيها من الشهوات والملذات.

أسلوب القصيدة:

الأسلوب هو اتجاه الأديب وطريقته في النظم والتأليف على نحو يختص به ويميزه عن غيره من الأدباء. والنقد الحديث يربط بين الأسلوب والموهبة؛ أي أن الأسلوب المتميز شيء يوهب ولا يكتسب، فالأسلوب ليس علماً

يدرس، وإنما هو شيء شخصي كلون الأعين ونبرة الصوت، ومن الممكن أن يتعلم المرء مهنة الكتابة، ولكن لن يتعلم أن يكون له أسلوب^٧.
استعمل الشاعر في قصيدته ألفاظا ومعان تدل على الغرض الذي يرمي إليه الشاعر حيث تجده أحيانا يجذر من الدنيا، وحيناً آخر يرغب إلى الانشغال بأمور الآخرة، فيأتي بمعان مناسبة لهذا المفهوم فيدرك وجود هذه الظاهرة فمثلاً أنه يستعمل الكلمات ذات القوة وجزالة في التحذير من الغرور بالدنيا في هذه القصيدة حيث قال:

مصيري جنة أم قعر نار لذاك أعيش في خوف وأمن
يموق الأقربا والأصدقاء متى موتي سيئعدُ أم سيُدني
فتلكم شاغلي يا ويح قلبي وتلكم ما يحير فكر ذهني
فآه لابن يونس ما أعد ليوم الموت شيئاً ويح حزني
تروّعني الجنائز كل يوم ويقلقني مضيُّ العمر مني
صغيراً كنت أصبحت كبيراً دنا شيئاً فشيئاً يوم دفني
ولا أنسى بأن القبر يوماً سيخويني متى ألبست كفي
أجرنا يا مجير من العقاب فلا ملجا سواك فألجأني
فزئنيك بعد حين صار شيئاً ويبدلُ شينَ أعداك بزئني

فالقارئ للأبيات السابقة يحس بالقوة والشدة في اختيار الشاعر الكلمات الضخمة والحشنة التي تدل على التحذير فالكلمات: (قعر

نار، خوف، يموت، ويح، يحير، فآه، حزني، تُروعي، الجنائز، يقلقني، مضي العمر، يوم دفني، القبر، العقاب، شين) كلها تدل على الحشونة وعدم المرونة فالشاعر استعملها في التحذير وذم الدنيا.

وزن القصيدة:

الوزن هو مجموعة الأنماط الإيقاعية للكلام المنظوم التي تتألف من تتابع معين لمقاطع الكلمات التي تشتمل على عدد من تلك المقاطع، ففي العربية تتألف من المقاطع التفعيلات، ومن هذه التفعيلات تتكون البحور الشعرية^٨.

ولعل أوضح ما في الشعر من خصائص ومميزات هو ذلك النغم الموسيقي المناسب من مقاطعه التي تسمى (بالوزن). والإيقاع المتكرر في آخر كل بيت من الأبيات يسمى (بالقافية)، لذلك عرف النقاد قديما الشعر بأنه "قول موزون مقفى يدل على معنى" فيُفهم من هذه العبارة أن الوزن والقافية يمثلان ركنين أساسيين من أركان البناء الشعري^٩.

إن هذه القصيدة نظمها الشاعر على البحر الوافر، وسمي بهذا الاسم؛ لوفور أوتاد تفعيلاته، وقيل: لوفور حركاته؛ لأنه ليس في تفعيلات البحور المختلفة حركات أكثر مما في تفعيلاته. وله ستة أجزاء وهي:

مفاعلتن مفاعلتن مفاعلتن مفاعلتن مفاعلتن مفاعلتن

وإليك تقطيع البيت الأول من هذه القصيدة الزهدية:
 فَلَا أَدْرِي / مَتَى مَوْتِي / وَكَفْنِي / وَلَا أَيْنَ أَلْ / مَمَاتُ وَأَيُّ / نَ دَفْنِي /
 مَفَاعِيْلُنْ / مَفَاعِيْلُنْ / مَفَاعِلْ / مَفَاعِيْلُنْ / مَفَاعِلْتُنْ / مَفَاعِلْ
 فروي القصيدة حرف الياء، فهي تكون يائية وقافيتها متواترة.

الظواهر البلاغية في القصيدة

إن المتتبع لقصيدة الشاعر يتضح له الجمال الفني المنبثق من هذه القصيدة حيث استعمل أنواعا من الصور البلاغية.

الصور المعانية من القصيدة:

١- النهي: هو طلب الكف عن الشيء على وجه الاستعلاء مع الإلزام، وله صيغة واحدة، وهي المضارع المقرون بلا الناهية. وقد تخرج هذه الصيغة عن معناها الأصلي إلى معان أخرى، تستفاد من سياق الكلام وقرائن الأحوال^١. ومن أمثله في هذه القصيدة قول الشاعر:
 عليك توكلني في كل حال إلى نفسي وغيرك لا تكلني
 فإن كلمة (لا تكلني) أسلوب نهي لكنه خرج عن معناه الحقيقي إلى معنى مجازي، لأن هذا النهي صدر من الأدنى إلى الأعلى وهو الله سبحانه وتعالى فالمراد به الدعاء.

٢- الأمر: وهو طلب تنفيذ الفعل على وجه الإلزام والإلزام والاستعلاء^١. وقد تخرج صيغ الأمر عن معانيها الأصلية إلى معان

أخرى تستفاد من سياق الكلام وقرائن الأحوال. استعمل الشاعر صيغ الأمر في هذه القصيدة حيث أنه يأتي بصيغ خارجة عن معناه الحقيقي وذلك حيث يقول:

ولكني رجوت العفو منكم ورحمتكم إلهي فاعف عني
سترحمني بلا شك لأنني برحمان عرفتك فارحمني
وتسترنني بلا ريب لأنني بستار عرفتك فاسترنني
رفعت يد الضراعة يا رحيم ويا حنان يا منان صني

فالكلمات: (اعف، ارحمني، استرنني، صني). وغيرها مما ورد في القصيدة بمثل هذه الصيغة التي تصدر من الأدنى إلى الأعلى كلها تدل على صيغة الدعاء فليست أمر حقيقيا. أما كلمة (اعلمي) فهي تعني التهديد لأنها تخالف الواقع، فكأن الشاعر يهدد الدنيا بأنها لم تنل منه أي شيء سوى بدنه فهو يهددها بعدم الانقياد لها.

٣- النداء: وهو طلب الإقبال بحرف نائب مناب أدعو. ومن أمثلة ذلك ما جاء في هذه القصيدة من أدوات النداء المختلفة الأغراض التي استعملها الشاعر في قصيدته حيث يقول:

ألا يا موت فانتظرن صفائي وأما قبله لا تنزلني
فيا رب التقى رب الصلاح أنلني ذا وذاك وجد بن
رفعت يد الضراعة يا رحيم ويا حنان يا منان صني

إذا لوحظ البيت الأول من هذا المقطع يوجد أن الشاعر استعمل حرف النداء وذلك في قوله (يا موت) فالغرض منه التمني وليس النداء الحقيقي لأنه خرج عن فائدته الحقيقية التي هي طلب الاقبال والمجئ والانتباه، لأن الشاعر يريد أن ينتظره الموت إلى وقت صفائه، وهذا أمر غير ممكن، لأن الموت يأتي على حسب مراد الله وقدره، فهذا النداء يعتبر تمني وليس نداء حقيقيا. وكذلك قوله "يا رب" و"يا حنان" و"يا منان". وكل هذا أسلوب نداء خرج عن معناه الحقيقي إلى معنى فرعي وهي الدعاء لأنه أمر صادر من الأدنى إلى الأعلى.

الصور البيانية:

التشبيه: وهو تصوير شيء بشيء آخر لوجود علاقة بينهما تسمى (علاقة المشابهة)^{١٢}. أي بيان أن شيئا أو أشياء شاركت غيرها في صفة أو أكثر بأداة هي الكاف أو نحوها ملفوظة أو ملحوظة. فقد استعمل الشاعر أساليب تشبيهية في هذه القصيدة منها قوله:

فما لسعادة الدنيا دوام وإن نعيمها لكلمح عين

إن الشاعر في هذا البيت شبه زوال نعيم الدنيا وسعادتها بلمح البصر من حيث الفناء والزوال والانتهاء، فالمشبه في هذا البيت "زوال سعادة الدنيا ونيعيمها" والمشبه به "لمح العين" وأداة التشبيه "الكاف" ووجه

الشبه محذوف وهو الزوال. فكل تشبيه ذكر فيه أداة التشبيه وحذف منه وجه الشبه يسمى "مرسل مجمل".

الصور البديعية:

١- **الطباق:** هو الجمع بين الشيء وضده في الكلام بين لفظين متقابلين في المعنى^{١٣}. وبعبارة أخرى هو الجمع في العبارة الواحدة بين معنيين متقابلين، على سبيل الحقيقة أو على سبيل المجاز، ولو إيهاما، ولا يشترط كون اللفظين الدالين عليهما من نوع واحد كاسمين أو فعلين، فالشرط التقابل في المعنيين فقط. كالوجود - العدم، والإيجاب - السلب، والأسود - الأبيض وغير ذلك^{١٤} ومن أمثلة الطباق في القصيدة ما ورد في قوله:

وَلَا كَيْفَ الْحِتَامُ أَيْ صَلاَحٍ وَصِدْقٍ أَمْ عَلَى فِسْقٍ وَمَيْنٍ
مَصِيرِي جَنَّةٌ أَمْ قَعْرُ نَارٍ لِدَاكَ أَعِيشُ فِي حَوْفٍ وَأَمْنٍ
يَمُوتُ الْأَقْرَبَا وَالْأَصْدِقَاءُ مَتَى مَوْتِي سَيَبْعُدُ أَمْ سَيُذْنِي
صَغِيرًا كُنْتُ أَصْبَحْتُ كَبِيرًا دَنَا شَيْئًا فَشَيْئًا يَوْمَ دَفْنِي
أَيَا دُنْيَا اعْمَلِي مَا نَلْتِ رُوحِي وَلَا قَلْبِي وَلَكِنْ نَلْتِ بَدْنِي
حَمَدْتَ اللَّهُ لَمْ أَبْرَحْ حَمِيدًا سَأَحْمَدُهُ عَلَى سَوْءٍ وَحَسَنٍ

فقد طابق الشاعر في هذه القصيدة بين كلمتي (صدق وفسق) وبين كلمتي (جنة ونار) وكلمتي (خوف وأمن) وكلمتي (سبعده وسيدني)

وكلمتي (صغيرا وكبيرا) وكلمتي (سوء وحسن) فكل هذه الكلمات طباق إيجابي لأنه لم يدخل بينهما أداة نفي، وأما وقوع الطباق في جملي (ما نلت ونلت) فهو طباق سلمي لأن فيه أداة نفي.

٢- الجناس: هو أن يتشابه اللفظان في النطق ويختلفا في المعنى، وهو نوعان: جناس تام، وجناس غير تام.^{١٥} ومن أمثله ما جاء في قول الشاعر:

أَجَلٌ آجَالُنَا قَرُبَتْ وَلَكِنَّ يُبَعِّدُهَا لَنَا طُولُ التَّمَيِّسِي
أَلَا أَحْشَى الْمَمَاتِ فُبَيْلِ كَوْنِي تَقِيًّا صَالِحًا مَنْ لِي بِكَوْنِي
فَزَيْنُكَ بَعْدَ حِينٍ صَارَ شَيْنًا وَيَبْدُلُ شَيْنَ أَعْدَاكَ بَزِينِ
فَإِنَّ الْخَوْفَ لَا يُجِدِي دَوَامًا سِوَى حَوْفِ الْإِلَهِ فَصَدَّقَنِي

فقد وقع الجناس بين كلمتي (أجل و آجالنا) فبينهما جناس ناقص لأن الكلمتين اتفقتا في اللفظ والنطق واختلفتا في عدد الحروف. وكذلك يوجد الجناس التام في كلمتي (كوني وبكوني) فالمراد بالأولى شخصية المتكلم والمراد بالثانية الكون وما فيه من المخلوقات، فعندما تنظر إلى لفظ الكلمتين نجد أنهما تشابها في اللفظ واختلفا في المعنى لذا بينهما جناس تام. فهناك جناس أيضا في كلمتي (شينا - شين) ففيهما جناس ناقص لأنهما اختلفا في عدد الحروف، ومثاله أيضا في كلمتي (الخوف - خوف) بينهما جناس ناقص لأنهما اختلفا في الشكل.

٣- الاقتباس: وهو أن يتضمن المتكلم في كلامه على ألفاظ من القرآن الكريم، أو جملاً توافق لفظ القرآن الكريم أو الشعر أو النثر.^{١٦} ومن أمثلة الاقتباس ما جاء في هذه القصيدة التي يقول فيها:

وإن أقرضته قرصاً يضاعف فإقراضى له دفع الحُرْزى
فإن صدر هذا البيت مقتبس من قوله تعالى: (مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ) سورة الحديد الآية: ١١.

الخاتمة:

تضمنت هذه المقالة "دراسة أدبية لقصيدة في الزهد المسماة بـ"هادم اللذات" حيث تحدث فيها الباحث عن مفهوم فكرة الموت عند شعراء الزهد حيث أن الفكرة كثرت في شعرهم وقصائدهم الزهدية، وتحدث أيضاً عن ترجمة الشاعر وحياته العلمية، وتطرق إلى المقالة على عرض القصيدة مع القيام بشرحها وتحليل مضامينها مع التركيز على الخصائص الفنية للقصيدة من حيث المطلع والأسلوب وغير ذلك، ثم تناول الباحث أيضاً الصور البلاغية المستعملة في القصيدة من معان وبيان وبديع، ثم اختتم بذكر النتائج التي توصل إليها فيما يلي:

- إن شعراء الزهد تخصصوا بذكر الموت في شعرهم حيث أنه كان عنصراً من عناصر شعر الزهد.

- من خلال هذه المقالة تبين للقارئ بأن الشباب أيضا لهم الحظ الوافر في قرض الشعر في موضوعات الزهد.
- أن أكثر شعراء الزهد لا يهتمون بالمقدمات الشعرية بل يشرعون في الموضوع أو الغرض المعني مباشرة.

الهوامش والمراجع:

- ١- مقابلة مع السيد آدم يونس، في مقره حارة هوساري-ميدغري، وذلك في ١٨-٠٦-٢٠١٨
- ٢- المرجع السابق
- ٣- ابن الأثير، ضياء الدين مُجَّد بن مُجَّد: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق مُجَّد محي الدين عبدالحמיד، ج٢، المكتبة العصرية صيدا-بيروت، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م، ص: ٢٢٣.
- ٤- عبدالستار مُجَّد ضيف: شعر الزهد في العصر العباسي من قيام دولة بويه ٣٣٤هـ حتى سقوط بغداد ٦٥٠م، مؤسسة المختار للنشر، ط١، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، ص: ٥٤٣-٥٤٨
- ٥- ابن رشيقي، أبي علي الحسن القرواني الأزدي: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ج١، ط٥، دار البجل، بيروت-لبنان، ١٤٠١هـ- ١٩٨١م، ص: ٢١٧
- ٦- علي نائبي سويد (البرفسور) كيف تتذوق الأدب العربي، الدار العربية للطباعة والتوزيع، بيروت-لبنان ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م، ص: ١٤

- ٧- أبوكريشة؛ طه مصطفى: في النقد العربي الحديث تاريخه وقضاياها، (ب.ت.) ص: ١٧٥-١٧٦
- ٨- أحمد الهاشمي (السيد)، ميزان الذهب في صناعة شعر العرب، دار الفكر، بيروت-لبنان، ص: ٩٨
- ٩- أبوبكر مُجَّد مي: ديوان تهنئة الورد في مدح خير العباد للشيخ عبدالقادر التالكي، مسح عام وتقويم، رسالة تكميلية قدمت لقسم اللغة العربية، جامعة بايروكانو، للحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها، يونيو، ١٩٩٣م، ص: ١٥
- ١٠- الهاشمي، السيد أحمد: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، تحقيق مُجَّد رضوان مهنا، مكتبة الايمان بالمنصورة أمام جامعة الأزهر، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، ص: ٥٧-٥٨
- ١١- أيمن أمين عبدالغني: الكافي في البلاغة البيان والبديع والمعاني، دار التوفيقية للتراث والنشر والتوزيع - القاهرة، ص: ٣٣٢
- ١٢- المرجع السابق، ص: ٤٢
- ١٣- الهاشمي، السيد أحمد: المرجع السابق، ص: ٢٨٥
- ١٤- أيمن أمين عبدالغني: المرجع السابق، ص: ١٧١
- ١٥- المرجع السابق ص: ٢٢٣
- ١٦- أيمن أمين عبدالغني: المرجع السابق، ص: ٣٠٧

الحقول البلاغية في ظلال إنتاجات أعلامها التأليفية في نيجيريا "كتاب البيان لديريمي نموذجاً"

إعداد

الدكتور عمر محمد الأول الإمام

قسم الدراسات العربية، الجامعة الفدرالية، لافيا

ولاية نصرأوا - نيجيريا

umarmuhammad.edu.ng@gmail.com

مقدمة:

إذا تمثلت الكتابة مدرسة تخرج أعلام الكُتّاب في مجتمعهم الذين توكل إليهم وعليهم شئون إدارة الدولة العلمية في أعلى مناصبها وأسمى مراتبها، فلا عجب أن تطلع علينا عبقرية ديريمي أبوبكر بتأليف عربي بلاغي بين، ولكن بلغة إنجليزية مرنة، سمّاه "البيان في البلاغة العربية"، ولروعة هذا الكتاب عنواناً ومضموناً، قام الكاتب واستقام على الطريقة لإمعان النظر تجاه بعض ما تناولها المؤلف من الحقول البلاغية، وإنعام البصر فيما ناقشها من الظواهر البيانية، حيثما يضيف ويفيد الطلبة والدارسين تعليمًا وتعلُّماً، داخل المجالات الأكاديمية وخارجها، مما يقتبس نورها طلاب اللغة العربية وآدابها، الناطقين بغيرها في الديار النيجيرية خاصة، والقارة الإفريقية عامة. ولتحقيق هذه الغاية المقصودة تتجسد المقالة تحت المحاور الآتية في السطور التالية:

- وقفة مع مصطلحي البيان والبلاغة
- من ملامح حركة التأليف العربي البلاغي في المجتمع النيجيري
- عرض موجز لإنتاجات ديرمي الأكاديمية وصلّتها ببلاغته
- وقفة تحليلية لبعض الظواهر البلاغية في كتاب البيان في البلاغة العربية لديرمي
- وقفة ختامية وتوصيات.

وقفة مع مصطلحي البيان والبلاغة:

كان البيان العربي أو كانت البلاغة العربية مما تنبعت الأذهان إلى النظر فيها، والوقوف على ما انتهى إليه أمرها. وبدا من هذا النظر أنّ البداية الموفقة كانت بعيدة كل البعد عن النهاية المشوهة التي انتهى إليها. فانطلق العرب بالبيان سليقة وطبعًا متصرفين حيث يشاءون، فقد أولوا مفهوم البيان من ضروب العناية ما هداهم إليه تصورهم لمعناه، وتفهمهم لغايته. فسار البحث في البيان العربي في الزمن وتناولته أقلام العلماء والأدباء والنقاد على حسب تصورهم معناه. وكان من مجموع ما كتبوا ذلك التراث الخالد الذي سمى حينًا "بيانًا" وسمى حينًا آخر "بديعًا" كما سمى بلاغة وفصاحةً. ومن ألقاب أو مصطلحات لا تبتعد كثيرًا في مدلولها، كما لا تبتعد كثيرًا في موضوعها، إذ أن موضوعها جميعا الأدب وهو ذلك المأثور من جيّد المنظوم والمنثور. ويبدو في هذا

العرض أن الجاحظ فرق بين الاصطلاحين "البيان" و "البلاغة"، وتكون غاية البيان كما صرّح هي الفهم والإفهام بأي دلالة من دلالات اللفظ، أو الإشارة، أو الخط، أو العقد، أو الحال التي تسمى نسبة. وتكون البلاغة تعنى الأدب والتعبير، وعلى هذا يكون مفهوم (البيان) أعم من مفهوم (البلاغة). والدليل على ذلك أنه أتبع باب البيان الذي أحصى فيه أصناف الدلالات السابقة وشرحها، وذكر ما يؤديه كل منها في الكشف والإبانة، بباب ذكر فيه "البلاغة" وجمع طائفة من الآراء فيها، تبين تصور العرب وغيرهم من الأمم لمعناها^١.

(١) البلاغة عند الفارسي: معرفة الفصل من الوصل.

(٢) وعند اليوناني: تصحيح الأقسام، واختيار الكلام.

(٣) وعند الرومي: حسن الاقتضاب عند البداهة، والغزارة يوم الإطالة.

(٤) وعند الهندي: وضوح الدلالة، وانتهاز الفرصة، وحسن الإشارة.

(٥) وينقل قول بعض أهل الهند: جماع البلاغة البصر بالحجة،

والمعرفة بمواضع الفرصة. ومن البصر بالحجة والمعرفة بمواضع الفرصة أن

تدع الإفصاح بها إلى الكناية عنها، إذ كل الإفصاح أوعر طريقة، وربما

كان الإضراب عنها أبلغ في الدرك وأحق بالظفر. والبلاغة التماس من

حسن الموقع، والمعرفة بساعات القول، وقلة الخرق بما التبس من المعاني

أو غمض، وبما شرد من اللفظ أو تعذر.

(٦) وينقل من صحيفة الهند أن الخطيب البليغ يكون رابط الجأش، ساكن الجوارح، قليل اللفظ، قادرًا على التصرف في كل طبقة من طبقات المخاطبين، ولا يدقق المعاني كل التدقيق، ولا يفصح الألفاظ كل التنقيح، ولا يصقيها كل التصقية، إلا إذا صادف حكيماً أو فيلسوفاً عليماً، ومن تعود حذف فضول الكلام وإسقاط مشتركات الألفاظ، وأن يكون أتقن صناعة المنطق. ومن حق المعنى أن يكون الاسم طبقاً له، غير فاضل ولا مفصول، ولا مشترك ولا مضمن، ومدار الأمر على إفهام كل قوم بمقدار طاقتهم، والحمل عليهم على أقدار منازلهم^٢.

(٧) والبلاغة عند صحار بن عيَّاش العبديّ فيما أجاب به معاوية: شيء تجيش به صدورهم، فتقدفه على ألسنتهم!.

(٨) والبلاغة عنده أيضاً "الإيجاز"، وأن تجيب فلا تبطئ، وتقول فلا تخطئ.

ولا يخفى أنّ كل تعريف من هذه التعريفات لا ينطبق عليه معنى الحد الصحيح الجامع المانع، ولكن كل تعريف منها يصور أبرز المسائل التي تتصل بالفن الأدبي من وجهة نظر صاحب التعريف. وغير خفي أيضاً أن كل تعريف منها يمس ناحية من نواحي البلاغة، ولكنّه لا يمثل البلاغة كلّها، بل إنّ هذه التعريفات في مجموعها لا تحصي جهات البلاغة الكثيرة، ولا نظراتها المتعددة. وهذا على الرغم مما قررناه من أنه

كلام في صميم الفن الأدبي، لأنه يعرض للأديب وما ينبغي له من الفهم، وينظر إلى المخاطب وتقدير عقليته وذكائه، واختيار ما يلائمه من الكلام، وينظر إلى ركني الأدب: اللفظ والمعنى، ووجوب مطابقة اللفظ للمعنى من غير زيادة أو نقصان.

وكلام الجاحظ هنا في (البلاغة) غير كلامه هناك في (البيان). إنّه في البلاغة يبحث في العبارة، أو يبحث في الأسلوب بخاصة، وفي البيان يدرس أصناف الدلالات التي غايتها الفهم والإفهام. وقد رأينا أنه يفهم عبارة العتابي في أن غاية البلاغة الإفهام- كما سبق- على أنه يعني إفهام العرب على مجاري كلام العرب الفصحاء. فالكلام هنا واضح كل الوضوح، وإن اختلط البيان بالبلاغة في بعض الأحيان، وفي بعض أجزاء الكلام.

من ملامح حركة التأليف العربي البلاغي في المجتمع النيجيري:

طالما تجددت العزيمة لتحقيق المقاصد، وحرّصت الدوافع قلوب رجال العلم وأهله في طلب الازدياد، فتعدّدت نظريات أولي البصائر والأبصار لمحاربة الرقود في الركود، وتشابكت همهم في حفظ الموارد بكل ما يفيد. وعلى أساس ذلك أخذوا إعداد الكتب المدرسية بالنواجذ في المراحل العلمية، وإصدار المصنفات الوجيهة في الجولة الأكاديمية، لكونها العروة الوثقى بين الأخذ والأداء، وقاعدة الكيان بين الغرس والاستثمار،

ودعامة نظام التعليم بين الملقى والمتلقى. ولو أنزل الله وحياً على أحدٍ بعد الأنبياء فعلى البلغاء الكُتّاب الراسخين في العلم. وقد أنعم المولى العليم الحكيم على الدولة النيجيرية بأعلام البلغاء من الكُتّاب الموهوبين زمام القلم، رجالاً لا تلهيهم شواغل الدنيا عن الكتابة النيرة، يوضحون فنون البلاغة، ويحلّلون إشكال الفصاحة، يبذلون جهوداً مقدّرة في موكب إقناع العقول اليقظة، ويحملون قبسات وهاجة في رحاب إمتاع الآذان الواعية. ومن مؤلفات البلاغة العربية ما يأتي على سبيل المثال لا الحصر:

١- كتاب: التقاط المتون في خمسة فنون: تأليف المرحوم الشيخ أحمد أبوبكر المشهور بابن إكوكورُو، درس علوم البلاغة العربية في شعبها الثلاثة: "البيان والمعاني والبديع" في هذا الكتاب المنظوم الموسوم في صورة مخطوطة، كان المؤلف معتمداً على ما تناوله مُجّد بن عبد الرحمن المشهور بالخطيب القزويني في كتابه تلخيص المفتاح للشكاكي. ومما نعلم أنّ منظومة ابن إكوكورُو هذه قد نالت قصب الأسبقية قبل أيّ تأليف عربي في رحاب الحقل البلاغي في المجتمع النيجيري.

٢- أسرار البلاغة وأساس الفصاحة" يقابل المرحوم العلامة آدم عبد الله الإلوري الشاعر في تأليفه هذا مرتبطاً بين أسرار البلاغة وموافقها، وأساس الفصاحة ومواقعها. وإنّ صفحات هذا التصنيف

عبارة عن القصيدة نظّمها الإلوري المؤلف، مختارًا من بعض فصول كتاب فقه اللغة وسرّ العربية لأبي منصور الثعالبي النيسابوري، فحوّلها من أنفاس المنثور إلى أنغام المنظوم. وإنّ هذه المنظومة أولى من نوعها في باكورات المؤلفات البلاغية في الديار النيجيرية حاملة إسم البلاغة عنوانًا، وشاملة بمفهوم الفصاحة مضمونًا.

٣- كتاب "دروس البلاغة العربية للسنة الأولى التوجيهية": للإلوري المؤلف السابق ذكره. طبع هذا الكتاب بمطبعة الثقافة الإسلامية ص، ب (٧٥) أغيني ولاية لغوس، نيجيريا. سنة الطبع لم تذكر. وإن هذا الكتاب في طياته معانيًا وأفكارًا كان ولا يزال ضمن مقررات المرحلة التوجيهية بمركز التعليم العربي الإسلامي أغيني وفروعه، بين عدّة الكتب المدرسية التي ألفها المؤلف المؤسس نفسه لإفادة الطلاب المتذوقين في مراحلهم العلمية الأولية.

٤- كتاب "بلاغة الطفل في العشر الأخير من الكتاب المبين"، تأليف الإمام الأستاذ الدكتور عبد الباقي شعيب أغاكا السعدي. وهذا التأليف ما زال تحت الطبع بمطبعة وهبة للنشر والتوزيع-القاهرة. وسيأكل عشاق البيان العربي ثمره إذا أثمر في أقرب وقت ممكن بفضل الله ورحمته. وكل ما تكمن في ذاك الكتاب إنّ هي إلا نتيجة عمل جاد، أولى من نوعها بدراسة متأنية، في سطور محكمة، وبلاغة واضحة،

وفصاحة فائقة، وإبداعات غالية. وإنّ شخصية أغاكا بروعة فطنه، وقوّة ذهنه، غني عن البيان، وفي خلال هذا الكتاب الموسوم بصوّر المؤلف الإعجاز البياني ويضع بصمات القارئ على كل ما يعرضه أمامه من التجربة البلاغية بغزارة الدلالة الصادقة في البنية والوظيفة، على ضوء عشرة قصار السور القرآنية الأخيرة، لتغذية القراء بروائع الإيجاز في القرآن المجيد، ودلائل الإعجاز في تنزيل الحكيم الحميد. لقد أعزّ الله العليم الخبير عبقرية المؤلف القدير بطول باع في الذوق والملكة، حيثما يخاطب العقول حجّة وبرهاناً، ويربي القلوب بياناً وتبياناً.

٥- "مظاهر إعجاز النظم القرآني عند الإمام عبد القاهر الجرجاني"، وهذا الكتاب لمؤلفه الأستاذ عبد الحكيم المنفلوطي، الطبعة الأولى، ١٤٤١هـ، الموافق ٢٠٢٠م، بمكتبة الهدى للطبع والنشر والتوزيع، مدينة إلورن عاصمة ولاية كوارا نيجيريا.

٦- "الدّرس البلاغي في شعر المتنبي"، إعداد السيّد عبد الفتاح عبد الواحد أدّيبايو، الطبعة الأولى ١٤٤١هـ، الموافق ٢٠٢٠م. بمطبعة دار السلام للتوزيع والنشر، مدينة النشر لم تذكر.

٧- كتاب "مكنز المجازات القرآنية" لمؤلفه الأستاذ الدكتور أحمد شيخ عبد السلام، أستاذ اللغويات العربية والتطبيقية المحاضر في الجامعة الإسلامية العالمية بمليزيا سابقاً، وبجامعة إلورن حالياً.

- ٨- "المزهر في علم البديع"، تأليف السيّد عبد القادر يونس أوغانيجا الإلوري الأزهري. الطبعة الأولى ١٤٤١هـ-٢٠١٩م. طبع بمركز كيؤداميلولا لخدمات الكمبيوتر والطباعة، إلورن، كوارا، نيجيريا.
- ٩- "التبيان في علم البيان"، إعداد السيّد لقمان إسحاق أومأؤؤؤلاً. الطبعة الأولى ١٤٤١هـ-٢٠١٩م، بمطبعة الفطرة لخدمات الكمبيوتر، قابل جامعة الحكمة إلورن، نيجيريا.
- ١٠- كتاب "أساليب بلاغية في منظومة الوزير مُحمَّد بدا"، إعداد الدكتور راجي عيسى علي، والسيّد عبد القادر جبريل. الطبعة الأولى ١٤٣٩هـ، الموافق ٢٠١٨م، بمكتبة سَاب لخدمات الكمبيوتر، ولاية كتشنا نيجيريا.
- ١١- "سرّ المعاني في علم المعاني"، المؤلف الناظم عبد القادر قاسم الإمام (الأويوي)، الطبعة الأولى ٢٠١٦م، بمطبعة دار الرسول الإسلامية أوودي أويو.
- ١٢- "المنهج التقعيدي في الدرس البلاغي"، تأليف الأخ عبد الحكيم المنفلوطي السالف ذكره، الطبعة الأولى ١٤٣٧هـ-٢٠١٦م، نشرت بشركة المضيف للطباعة والنشر، إلورن-نيجيريا.
- ١٣- "الجمان الفريدة في البلاغة العربية"، تأليف السيّد إسحاق بن زغلول السنوسي، أستاذ البلاغة في المعهد الإسلامي ببيوتي، التابع

لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض. الطبعة الأولى
١٣٣٧هـ-٢٠١٦م بمطبعة ICMAH PUBLISHERS مدينة الطبع لم
تذكر.

١٤- "العناس في فنّ الجناس" تأليف الأستاذ إبراهيم الخليلي عبد
الرزاق أُونَيْمَجَيْسِنْ، مدرس البلاغة والقواعد بمركز نور الإسلام أغيني،
إسالي عوجا، لاغوس، نيجيريا. الطبعة الأولى ١٤٣٥هـ-٢٠١٤م. إسم
المطبعة ومكان الطبع لم يذكر.

١٥- كتاب "صور بيانية في شعر الشيخ محمد الناصر الكبري،
دراسة بلاغية تحليلية لنماذج مختارة" لمؤلفه الدكتور المتبولي شيخ كبر،
المحاضر بقسم اللغة العربية جامعة بايرو، كنو-نيجيريا. الطبعة الأولى
١٤٣٤هـ-٢٠١٣م، طبع بشركة القدس للتقدير، القاهرة.

١٦- "من صور الالتفات في القرآن الكريم"، إعداد الدكتور عمر
ثاني فيغي، المحاضر بقسم اللغة العربية، جامعة بايرو كانو. الطبعة الأولى
٢٠١٢م، بمطبعة دار الأمة لوكالة المطبوعات، كانو، نيجيريا. ١٧-
"مقدمة في نشأة البلاغة العربية وتطورها"، لمؤلفه الأستاذ الدكتور محمد
طاهر سيد، مراجعة البروفيسور محمد أول أبوبكر، والبروفيسور عبد الباقي
شعيب أغاكا، الطبعة الثانية ١٤٣٣هـ-٢٠١٢م، بدار الكتب والوثائق
القومية، دار الكتب المصرية.

١٨- "النونية الكافية في علم البيان"، لناظمها الدكتور لقمان ألوبي، الطبعة الأولى ١٤٣٣هـ-٢٠١٢م، بمطبعة التين لاغوس- نيجيريا. وعدد الأبيات في هذا الديوان مائة وعشرون بيتا.

١٩- كتاب "مقتطفات من بلاغة القرآن الكريم"، إعداد الأستاذ الدكتور كمال بابكر، المحاضر بقسم اللغة العربية، جامعة عثمان بن فودي، صكتو نيجيريا. الطبعة الأولى ٢٠١١م، بمطبعة المنديني للنشر العربي، موقع المطبعة لم تذكر.

٢٠- "امرؤ القيس الكندي: عبقريته البلاغية في معلقته الرائعة"، الطبعة الأولى ١٤٣٢هـ-الموافق ٢٠١١م، وهذا الكتاب أيضا من ضمن انتاجات بلاغية يمجّها قلم الأخ المنفلوطي، الأسبق ذكره، المدرس بمركز النهضة العربية.

٢١- "التحليل البلاغي للأربعين حديثا النووية"، تأليف الدكتور لقمان ألوبي، السابق ذكره، أستاذ البلاغة العربية في الجامعة الإسلامية بالنيجر سابقا، والمحاضر حاليا بقسم اللغة العربية-جامعة غطو، ولاية بوتشي، نيجيريا. الطبعة الأولى ١٤٣١هـ-٢٠١٠م، بمطبعة Real Success Consults, Saki Oyo State Nigeria.

٢٢- "مرشد بديع إلى علم البديع"، المؤلف والناظم، هو السيّد عبد القادر قاسم الإمام (الأويوي)، مدير مركز دار الرسول للتعليم

العربي والإسلامي، أوودي-أويو-نيجيريا. الطبعة يوم الجمعة-٥-٣-٢٠١٠م. مكان الطبع لم يذكر.

٢٣- كتاب "البلاغة القرآنية لدى عبد الله بن فودي": تأليف الأستاذ الدكتور عبد الباقي شعيب أغاكا، قسم الدراسات العربية بجامعة عثمان بن فودي، صكتو-نيجيريا. الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م، بمؤسسة المختار للنشر والتوزيع، مدينة نصر-القاهرة.

٢٤- كتاب "أساليب بلاغية في بعض مؤلفات الشيخ آدم عبد الله الإلوري" لمؤلفه الأستاذ الدكتور عيسى أبي أبوبكر، المحاضر بقسم اللغة العربية، جامعة إلورن نيجيريا. الطبعة الثانية ٢٠٠٩م، بمؤسسة المختار للنشر والتوزيع، بمدينة نصر-القاهرة.

٢٥- كتاب "أساليب بلاغية في ديوان الأستاذ عبد الله بن فودي". تأليف الأستاذ الدكتور عبد الباقي شعيب أغاكا، مكتبة دار الأمة لووكالة المطبوعات، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م. وهذا الكتاب من حيث الأساس ظل على أصوله الأولى، ومن الحق كذلك أنه شهد في طبعته الثانية تطويراً من حيث المبنى والمعنى ليواكب ما طرأ من جديد على ساحة الدرس البلاغي التطبيقي من خلال ديوان "تزيين الورقات" لعلامة السودان، في تحصيل النصوص في إطار تناول الظواهر البلاغية.

٢٦- "دراسات في علوم البلاغة: المعاني، والبيان، والبديع". وهذا الكتاب لمؤلفه الدكتور عثمان عبد السلام، المحاضر بقسم اللغة العربية، جامعة الحكمة إلورن، عاصمة ولاية كوارا نيجيريا. نشرت الطبعة الأولى عام ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م، بمركز المضيف للكمبيوتر والإنتاجات الطباعية، مدينة إلورن عاصمة ولاية كوارا نيجيريا.

٢٧- "المنظومة القمرية في دروس البلاغة العربية...، المؤلف الناظم أبو نفيسة قمر الدين عبد الرحيم أولاتنج، مؤسس ومدير منبع العلوم العربية والإسلامية، البوبو إيليسا لاغوس، نيجيريا. الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

٢٨- "المبسوط في علوم البلاغة"، بقلم السيّد عبد الباسط مشهود رمضان جبريل، المدرس بمركز السلام بأوجوكورو، لاغوس نيجيريا. الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م. مكان الطبع وإسم المطبعة لم يذكر.

٢٩- "أسس فنية للإعجاز البياني في القرآن الكريم"، لمؤلفه الأستاذ الدكتور كبير يونس، المحاضر بقسم الدراسات الإسلامية، جامعة بايرو كانو، نيجيريا.

٣٠- "المبسوط في دراسات علوم البلاغة: المعاني، والبيان، والبديع". الطبعة الأولى بمطبعة الهدى للنشر والتوزيع، إلورن، نيجيريا. تأليف الدكتور عثمان عبد السلام، ناقش في هذا الكتاب قضايا بلاغية

بأبسط الأسلوب، أسهل التناول لطلاب العلم الناشئين في المعاهد والكليات.

٣١- "روائع من الكنايات، ظواهرها، وتطبيقاتها في أمثال القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والأمثال اليوروبية". لمؤلفه الدكتور عثمان عبد السلام، تناول في خلاله بانتقاء أكثر من مائتي مثل، يفيد ويستفيد القارئ من هذه الطريقة المبتكرة في المؤلفات البلاغية، فكانت تعليقاته في هذا الكتاب موجزة غاية الإيجاز، وهو أمين النقل وصادق النسبة بما نقل من أهلها.

٣٢- "وقفات بين الإعراب والتحليل البلاغي في بعض الآيات القرآنية". وهذا التصنيف أيضا من مواليد قلم الدكتور عثمان عبد السلام نفسه حيث يرتبط بين الظواهر البلاغية والقضايا النحوية.

٣٣- "ملحة البلاغة"، لمؤلفه السيّد عبد الفتاح عبد الوهاب السارومي الألوري، الطبعة الأولى رجب ١٤٢١هـ-أكتوبر ٢٠٠٠م، اسم المطبعة لم تذكر.

٣٤- كتاب "البيان في البلاغة العربية" لمؤلفه الأستاذ الدكتور أبوبكر عبد الرزاق ديريمي، المحاضر بقسم اللغة العربية جامعة إلورن، نيجيريا سابقًا. الطبعة الأولى ١٩٨٩م، بمطبعة المكتبة الدولية بنيجيريا.

عرض موجز لإنتاجات ديريبي الأكاديمية وصلتها ببلاغته:

يعطي الله من يشاء من عباده في مختلف النواحي رحمةً وفضلاً، وينعم على من يريد من خلقه في مجالات شتى كرامةً وعزاً. ومن الذين نالوا أوفر قسط، وأعطاهم البر الرحيم خير حظّ، هو الأستاذ الدكتور عبد الرزاق ديريبي أبوبكر، وله أولياته في المجالات العلمية بعلو همته، وقوة عزمه. ومنها كونه أوّل متخصصّ في البلاغة العربية، ومؤلف أدبي نيجيري ألف كتاباً عربياً مدرسياً مستقلاً باللغة الإنجليزية. وهو أيضاً أوّل متخصصّ في الدراسات العربية الذي تولّى رئاسة الجامعة في نيجيريا. وعلى ضوء ما يشير إليه الأنماط العليا من الثنون الراقية في تحرير النص البلاغي من منطلق عمره، تلك المهمة التي تتوقد فيها المواهب، وتتدفق فيها المارد فيحتاج صاحبها قطعاً إلى الدربة كلما وسعته عوامل التفقه والتبين، فنتمو ملكته على التحليل السليم، فتدفعه الشجاعة الأدبية إلى الخواص عادلة، ورأي سديد، على أن جهات كثيرة في الأوساط البلاغية وضعت سداً حاجزاً بين هذا البسط البياني ومعطياته الذوقية أخذاً فضلاً عن أداء. فيجدر بنا في هذه البقعة العلمية أن نضرب مثلاً مما يثبت أصالة ديريبي في الحقل البلاغي، حيث ناقش دور علم البلاغة بخصائصها ومزاياها في تحليل النص القرآني المقدّس بقوة الذهن، في بعض مقالاته التي لها علاقة بشخصيته في المحتوى الفكري عبر إبلاغ بلاغته. ومن نماذج ذلك ما يلي:

(١) - مقالة منشورة ومعنونة بـ "الأدب الإسلامي في نيجيريا: ماضيه وحاضره"، قائلًا:

"تبدو نظرة عامة مستحقة تجاه القضية الجدلية الكامنة في الرأي أنّ البلاغة علم بالمنزلة الثانية للقرآن إذ بها تدرك حقائق التنزيل الحكيم، والمذهب الثاني أنّ البلاغة كمنت تعابير الكذب عوضًا عن الحقيقة بمضمونها أسلوب الحقيقة والمجاز، الأمر الذي جعل بعض الجامعات الإسلامية في العالم الإسلامي تلغي تدريسها للمتخصصين في الدين وأصوله وفروعه، وينبذونها جانبًا ويتركونها لكلية اللغة والآداب، ويشرحون القضايا البلاغية باعتبارها وجهًا من وجوه كلام العرب بدون التعمق في أصناف البلاغة وقواعدها. فهذه الواقعة تدعو الحاجة إلى إحياء روح مفهوم السلف في أهمية إعجاز القرآن ودور البلاغة في تفسيره وتأويله، واعتبار التأويل إخراجًا للفظ من معناه الحقيقي إلى معنى مجازي لشبهة أو قرينة"^٣.

إنّ دلالة المقال وإشارة النص في السطور السابقة تبرز قوة الاهتمام وشدة رغبة دَيْرَمِي في الدفاع عن البيان العربي، ورد الرذائل والأقاويل عن الحقل البلاغي. إضافة إلى ما تثبت أنه فطن بما تثيره العبارة من صور ورؤى وأحوال ردودًا وقبولًا. وهذا ليس وصفًا لبلاغة كلامه فحسب، وإنما هو إبلاغ وصف آثار تعلق زمام البيان في فكره تحليلًا وتعليلاً، وتعمق حقول البلاغة في ذهنه حجّة وبرهانًا. وتحقيق مصدر

هذا الأديب يكمن في قوة ذاكرة كامنة من الله السميع البصير بها عليه، وأنبطها الحكيم الخبير في نفس ديريمي التي مارت بها بين القرآن ودلائل إعجاز نصوصه المقدسة. فلا عجب أن كانت البلاغة عنصراً أساسياً لفهم الفكرة والدلالة في زوايا النصوص شعرها ونثرها. وعلى أهمية اللغة العربية للدراسات القرآنية ما أذهب إليه علماء اللغة والتفسير، وما تركوا من الإنتاجات الخالدة، ومن ذلك قول أبي هلال العسكري في مقدمة كتابه المشهور بـ "سر الصناعتين" إذ قال:

"إنما أحق العلوم بالتعليم وأولها بالتحفظ بعد المعرفة بالله جلّ ثناءه علم البلاغة ومعرفة الفصاحة، الذي به يعرف إعجاز كتاب الله تعالى الناطق بالحق الهادي إلى سبيل الرشd المدلول له على صدق الرسالة، وصحة النبوة التي بها وقعت أعلام الحق وأقامت منار الدين وأزالت شبه الكفر ببراهينها وهتك حجب الحق بيقينها"^٤.

(٢) - مقالة معنونة بـ "قبائل يوربا من خلال آثار الدارسين"، ومنشورة في مجلة البحوث مركز تقييد المخطوطات العربية معهد الدراسات الإفريقية، جامعة إبادن، المجلد ١٤-١٧، عام ١٩٨٣-١٩٨٩م. وفي خلال ذلك تناولت فضيلته قضايا معاصرة في رحاب تفاعلية لغة يوربا في القلعة العلمية، وتوضيح ما بينها وبين اللغة العربية من الاختلاف والائتلاف. وقد أبدى ديريمي الرأي الشائع قائلاً:

"أن القبائل اليورباوية انحدرت من شمال إفريقيا أو من العراق أو من اليمن، وأغلب الظن عند المؤلفين السابقين أنها قبيلة عربية أصلاً، ويعتقد الأغلبية الساحقة من الباحثين المستعملين اللغات العربية والإنكليزية واليورباوية أن هذا الاعتقاد حقيقي يطابق الواقع. لقد ذهب بعض الباحثين إلى استخدام الأدلة اللغوية لإثبات إيمانهم بأن هذه اللغة من اللهجات العربية وأن ظروف البعد عن موطنها الأصل هي التي سببت النسيان لمعظم المفردات العربية وانحراف بعضها من أصلها العربي. ومن هنا تبدو أهمية النظر إلى هذه القضية نظرة نقدية بحيث تكشف الغطاء عنها حسب ما أمكن من الدلالات الصادقة المطابقة للواقع دون الأدلة المتشابهة بالحقيقة".^٥

(٣)-مقالة ألقاها بقسم اللغة العربية جامعة إبادن، سنة ١٩٨٧م، تحت عنوان "مستقبل اللغة العربية والدراسات الإسلامية في نيجيريا". وفي تلك الصفحات ناقش ديريمي قضايا حساسة لتثيق رأيه، ولتحقيق فكره حول تقدّم وتطوير اللغة العربية والدراسات الإسلامية في هذه الدّيار تتجلى في المحاور التالية:

- دور الاتصالات السلمية في نشر الإسلام واللغة العربية.
- معركة اللغة العربية والدراسات الإسلامية مع الاستعمار الأوروبي والتبشير المسيحي في نيجيريا.

- نجاح المدارس العربية والدراسات الإسلامية تحت السادة المستعمرين وناصرهم.

- عبقرية الشيخ آدم عبد الله الإلوري في حقل التربية والتعليم في نيجيريا.

- اللغة العربية والدراسات الإسلامية في المدارس الثانوية والكليات والجامعة الحكومية في نيجيريا.

إن هذه النقاط الخمسة التي سلّط عليها دَيْرَمِي أضواءً تبين للقاريء أن العرب كما كانوا في الجاهلية محافظين على نسبهم، ويحرصون على تخليد مآثر آبائهم وأجدادهم، ويتفاخرون، ويتباهون بها، وكذلك يتطلب العناية العالية لدى عشاق الدراسات العربية وآدابها الإسلامية من الأجنب الناطقين بغير لسانها. وإنما أبان دِيرَمِي بتلك المواطن بناء مستقبل باهر للغة الضاد وثقافتها الإسلامية، وجوب كون المساهم في تقديم وتطوير لغة القرآن الكريم ونشر الدين الحنيف أن يكون عالماً باللسان وبلاغته، ولا أن يكون متخصصاً في فرع معيّن من فروع العلم، وإنما يحتاج فقط إلى العقل السليم، والفكر المستقيم، والطبع الصادق المبرأ من الاعتقاد المسبق، المطلوب منه فقط أن يكون عنده استعداد للانقياد والإذعان للحق إذا تبين، للدفاع عن الإسلام ولسانه المبين من مكائد الكفار المستشرقين. وهذا سلوك مستقيم جدّاً تتجه إليه عبقرية

ديرمي في مضمون مقالته هذه. ولعلّ هذا ضمن ما بينه وأشار إليه عبقرية عبد الباقي شعيب أغاكا السعدي، حيث يدعو العقول اليقظة في ظلال كتابه: "فن النقائص" قائلاً: "ومن منطلق هذا الضياء الوهاج تنبث مكارم عظيمة، وتحمي حرمة الحياة، وتجلّ المواقف، وتعلو المشاعر، وتعظم الشعائر، وتنظّم مناكب الإيمان قيمة المضمون والصياغة، سديدة الوسيلة والغاية، ولم يلبث الأمر حتى عمّرت هذا الدين الحنيف المكتبة الأدبية، ما زخر فيه من كنوز حضارية على مسيرة الوعي الكامل بأدق تفكير، وأملح تعبير"^٦. ومقالة ديرمي المعنونة بـ"مستقبل اللغة العربية والدراسات الإسلامية في نيجيريا"، تعطي صورة متكاملة ومتناسقة عن التكوين البلاغي في شخصية كاتبها، وتصوره المتلاحم للبلاغة، كوسيلة توصيل الأديب والبلّغ إلى تحقيق رسالة الإسلامية الكبرى في الكتابة والخطابة.

(٤) - مقالة منشورة في مجلة نتائس بعنوان "حاضر اللغة العربية في نيجيريا": وفي هذه الصفحات يتابع بتقدير واعتزاز من تمه الثقافة العربية والإسلامية، ومن يعمل فيها الجهود العظيمة التي تقوم بها هذه المنظمة عبر السنين ونخص بالذكر الحركات الإيجابية التي تعرف بها في النشر العلمي والأدبي والديني. ولاحظ ديرمي في هذه السطور عن كمية وكيفية ازدهار اللغة العربية في المدارس العربية الحديثة، في بلاد يوربا رغم

تغلغل الاستعمار الغربي وتغلبه عليه أنّ الشيخ آدم عبد الله الإلوري كان قائماً على اكتشاف الطريق إلى مواجهة هجوم المستعمرين على اللغة العربية والدراسات الإسلامية، فرسم لها خريطة ووصف معاملة في بطون مؤلفاته أمثال: "تقارير المذكرة" بعدة أجزاء، وكتابه "الإسلام في نيجيريا" والشيخ عثمان بن فودي"، وكتاب "نظام التعليم العربي في نيجيريا"، و"تاريخ الدعوة الإسلامية بين الأمس واليوم"، وكتاب آخر "الإسلام اليوم وغدا في نيجيريا"^٧.

ولم يأل مترجمنا إلا وتنهل إبداعاته نحو توجيه عشاق اللغة العربية إلى بناء مستقبلها كيلا يقال لهم اللغة العربية الظالم أهلها، وزاد في ذلك مدى شدة رغبتها إلى المساعدة من المسؤولين عن تطوير لغة القرآن الكريم وثقافتها الإسلامية في خارج الدولة. نكتفي بما صرحه في هذا الصدد حيث يقول: "أن اللغات الأوروبية بأنواعها قد أخذت نصيب الأسد في جميع الميادين، ويبدو أن مسؤولية بلاد العرب جميعا وبصفة خاصة المملكة العربية السعودية تتجاوز حدود تأييد المدارس وترشيح طلابها للالتحاق بالجامعة أصبحت الحاجة ماسة إلى توسيع نطاق المساعدة إلى الكليات التربوية والجامعات حيث تدرس اللغة العربية وقرية اللغة العربية بإنغالا. لقد لاحظنا من هذا البحث أن مستقبل هذه اللغة-والله أعلم-يتوقف على نجاح تلك المدارس العربية المنظمة

واستمرارها. كما أدركنا أن تلك المدارس تواجه الصعوبات والخطورات والإرهاب من جانب الحكومة وهيئاتها إلى جانب المشكلات الاجتماعية والاقتصادية، ومما يرجى أن لا ينقطع دعم تلك المدارس من الأثرياء في هذا البلد ومن الذين يتعاونون معها في ذلك^٨.

تحليل بعض الصور البلاغية في كتاب "البيان في البلاغة العربية" لديريمي:

تتسع دائرة الحقول البلاغية متكاثرة الوجوه تأليفاً وتصنيفاً، مطردة القياس ومتعمقة المقياس في البنية والوظيفة كتاباً وخطاباً، في شتى الطبقات والأذواق بجهود أعلامها رجالاً ونساءً، وترنو في أنماط وأجناس المنهج بأصح التراث في الفكرة والأسلوب بياناً وتبياناً، حتى يزداد به جماهير الإقبال عليه، فظلّ الواردون متسابقين في خوضها ورياضها على تباين طبقاتهم في العمر، يجزبون مداهم وقطعوا طالعهم مطاوعة أخرى أشد إغراء وتحريضاً، لما يمتاز به هذا الفن البياني من رحابة صدر في تجميع الأصول العربية من معجم، وصرف ونحو، وبلاغة وفصاحة، ودقة مرونة توظيفها، مع مراعاة حرمة القارئ والسامعين، وتنشيق منفعة الدارسين والباحثين، نزولاً على أذواقهم وما تقيمه ظروفهم على ما تؤكد، وتعقده العلوم الحديثة كالمنطق، وعلم النفس، والبيئة، وغيرها فيما نتوجه إلى دراس القضايا البشرية تلقائياً إضافة مؤكدة لما تفرزه تلك العلوم العربية من ظرائف وطرائف، وتقل أوقية الأقراض منذ سابق

عهدا الأول كشفًا حرًا في أسرار الكون الأدبي وخفياها. ومن ثم نهضت المهمة لتربية الذوق بالتأليف، وتهيئة الجو الملائم لممارسة الطاقة في التصنيف. وإن النظر الموضوعي يستنتج المنهج الوصفي والتحليلي لدى ديريمي في زاوية كتابه "البيان في البلاغة العربية"، وفي هذه السطور نقدم ذلك التوازن بين المتابع الأدبية والتأريخية التي رقد بعضها البعض الآخر، فقدم أو شكل لنا صورة ديريمي بكل مظاهر تراثه الفكري والثقافي ليكون شاهداً على العصر الذي عاشه، وتكمن أهمية هذه الدراسة في الوقوف على سمات شخصيته، وتوجهاته، وطبيعة منهج كتابه "البيان في البلاغة العربية". وقد اعترف هو نفسه عن قصده الأساس، ومراده الأصيل في إخراج هذا التأليف باللغة الإنجليزية بدلاً من العربية التي هي لغة الدين والدولة، لسان الفصاحة والبلاغة، بل أسمى اللغات العالمية لمرونتها وقوة اشتقاقها، وفي ذلك صرح مسيره على درب مريه العلامة الإلوري قائلاً:

"وواصل البحوث والنشر في موضوع البلاغة بعدة من مؤلفاته من مقررات المرحلة التوجيهية بمركزه العربي الإسلامي بأغيني. لقد هيجت مهارته في هذا الفن الكاتب الراهن-وهو أحد تلاميذه فألف كتابه "البيان العربي" باللغة الإنجليزية ليكون عوناً للقراء الأجانب من أصقاع العالم"⁹.

والحقيقة أننا في حقل الدراسات الأدبية المعاصرة بحاجة ماسة إلى دراسة أدبية فنية تجمع بين الموضوعية والأسلوب العلمي، وتستبعد وجدان الكاتب وعاطفته الدينية، وربما قيل: إن المراجع لذلك غير متوافرة بصورة كافية ولا قريبة من الكفاية. فإننا نرى أن نتجاوز الزمان فننهل من البلاغة العربية القديمة والشروح بتجديد المنهج والأسلوب، ثم نتجاوز المكان فنأخذ الثقافة المعاصرة والغربية ما يوائم الفن السوي، لنكشف بجهد وثقة، كي تعم الفائدة للطلبة الناطقين بغير لسان المادة المدروسة. وإنّ أرباب البلاغة وأصحاب الصياغة للمعاني مطبقون الأسلوب المناسب، والمنهج المحتدب تجاه تحقيق الغاية في الموضوع الذي يساق له، والأبلغية لا ترجع إلى المعنى في ذاته، وإنما ترجع إلى إثباته. فطوبى لما بدّله دَيْرُومِي من جُهدٍ جهيدٍ لفهم المعقول في صورة المحسوس، ولتلطيف الكلام وزيادة الإيضاح في صفحات كتابه المشرقة، هذه هي ثغرة ينبغي أن تسدّ باستفادتنا من مفاتيح جمالية معاصرة، في ضوء موضوعية المقاييس الفنية قديمها وحديثها على حدّ سواء. إنّ الخير كائن كامن في هذه الأمة إلى أن تقوم الساعة كما جاء في الخبر، وهذا الخير يفتقر إلى من يستثيره، ويظهر طاقته، وستظل هذه الأمة مرمى للماكرين، وغرضاً للكائدين إلى يوم الدين. وإنما يجري التدبير البغيض لهذه الأمة، لما يحملها دينها وحضارتها من قيم متفردة، وأخلاق سامية تصارع الطغاة، وتنافح

المشتغلين عبدة الدنيا الذين هم لها حراس وعليها حراس^{١٠}. وفي هذه العجالة يوضح الكاتب ملامح الحقول البلاغية بصورة موجزة دون التطويل مما تضمنه كتاب البيان لديرمي، لأن الاكتفاء بالقدر المعقول خير من الكثير الممل. لنقتطف النماذج البسيطة في النقاط الآتية:

أولاً- منهج ديرمي التحليلي من خلال كتابه "البيان في البلاغة العربية": تحوي الجهود المبذولة في ذاك الكتاب وليدة فطنة عبقرية ديرمي، وليست وليدة تحصيل في الكتب، وإنّ كتابه البيان يصور أنّ مؤلفه متّسع العلم في دقائق أسرار البيان، حيث لآمس قضايا بيانية لم يسبقه غيره في تناولها باللسان الإنجليزي في نيجيريا برياض التأليف والتصنيف، مبدعاً التفوق البياني، القاطع للأطماع، والقاهر للقوى والطاقة البلاغية. يفصل ديرمي من خلال كتابه في الباب السادس محلاً مفهوم المجاز المرسل وربطه بموكب الاستعارة مبيّناً مدى عناصرها وأركانها بأنسب الأمثلة والشواهد. وفي هذا الموقع اقتضت الحقول الدلالية لظواهر الاستعارة والمجاز المرسل لما بينهما من الاختلاف والائتلاف، حيثما استعملت الكلمة لغير ما وضع لها لعلاقة مشابهة من إرادة المعنى الحقيقي، وأفادنا علماً بموقع التلقي بين الظاهرتين. وارتكز ديرمي على المنهج التحليلي للنصوص البلاغية الواردة في دراسة المجاز المرسل من القرآن الكريم ومن أقوال العرب، هذا شأن المؤلف القدير، والمعلم المثالي.

(١)- إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (المطففين: ٢٢). تناول ديريمي دلالة هذا النص الكريم حيث يدفعه الإحساس العميق إلى تحليل الصورة المجازية ويتخذ إحدى علاقاتها محور الكلام بإطار المغزى في علاقة حالية على نحو ما تظللها قوى القرائن والسياق، وتستدعيها الحال اعتباراً مناسباً.

(٢)- وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ (الشعراء: ٨٤)، ومن الملحوظ في تحليل ديريمي لهذا النص الكريم هو إبراز الوجوه البيانية مستخدماً المجاز أداة إقناع واحتجاج في دلالة الآية الكريمة، حيث يقول: "أن المقصود بقوله تعالى: "لسان صدق"، يفيد الذكر الذي كان لسان أداة تحصيله، وهذا ما عده أعلام البلاغة العربية ضمن أساليب المجاز المرسل الذي كانت علاقته الآلية"^{١١}.

(٣)- وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ (إبراهيم: ٤)، ناقش عبقرية ديريمي أسلوب المجاز المرسل في هذه الآية الكريمة في مغزى العلاقة الآلية، فحلل عنصرية موافقة المعنى بين مصطلح اللغة ومفهوم اللسان في التطابق الدلالي، أي: "ما أرسلنا من رسول إلا بلغة قومه" أو "ما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه".

(٤)- وَاسْأَلِ الْقُرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا (يوسف: ٨٢). درس ديريمي هذا النص المقدس وحلله في فحوى المجاز بكلمة نقلت عن إعرابها الأصلي إلى غيره حيث حذف لفظ "أهل" في هذه الآية الكريمة، أي: أهل

القريبة، فأعراب القرية في الأصل هو الجر، فحذف المضاف، وأوتي المضاف إليه إعرابه، فيفيد العلاقة المحلية التي يقبلها المجاز.

(٥) - يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ (الفتح: ١٠)، يستقيم الرأي السليم، ويجلل المؤلف بالقسطاس المستقيم، حين أدلى دلوه بشرح دلالة لفظة "يد الله" في هذه الآية الكريمة، ليسلك بالكلام طريق المجاز الحكمي بين المعنى الأصلي والمجاز من ملابسة، دون التناقض في العقول اليقظة، فتعني لفظة "يد" معنى القوة الإلهية لمن هو القاهر فوق عباده. والمجاز المرسل هنا في فحوى علاقته الآلية.

وأضاف تحليلاً مناسباً بيت الشعر في رحاب دلالة لفظة "يد" حيث يقول:

له أياد علي سابعة** أعدّ منها ولا أعددها^{١٢}

تفيد معنى لفظة "أياد" جمع "يد" على حسب استعمالها في البيت السابق في مغزى الجود والعطايا، بلزوم ما يلزم حيث كان اليد عنصر الأخذ وآلة الأداء بين المعطي والقابض. وإنّ التوسع لرفع الكلمة من الاستعمال الحقيقي إلى المجازي لتوليد الاصطلاح المقصود. وعلاقة المجاز المرسل هي آلية مثل سابقتها.

ويتضح في هذه التحليلات مدى صلاحية منهج ديريمي في كتابه البيان على منوال ما ذهب إليه البلاغيون أن المجاز لا بد له من علاقة

تجمع بين المعنيين، المعنى الأصلي الذي وضع له اللفظ، والمعنى المجاز الذي استعمل فيه، ولا بد له من قرينة تمنع إرادة المعنى الأصلي، وتصرف اللفظ إلى المعنى المجازي الذي استعمل. وأشار إلى أن العلاقة في الاستعارة-هي المشابهة، أما المجاز المرسل فليست علاقته المشابهة، بل له علاقات أخرى غيرها، وحلّل أن الاستعارة مبنية على دعوى الاتحاد ودخول المشبه في جنس المشبه به، وصيرورته فردا من أفراد، والمجاز المرسل ليس كذلك، فقد أطلق على دعوى الاتحاد المعتبرة في الاستعارة، كما أطلقت علاقاته فلم تفيد بعلاقة واحدة، بل له علاقات كثيرة ليس منها المشابهة، ولذا سمى "مجازا مرسلا". ومن أهم علاقاته ما أشرنا إلى نماذجها في السطور السابقة.

ثانياً- منهج ديريمي الوصفي عبر كتابه "البيان في البلاغة العربية":
ومن وجه آخر أبدع دَيْرِيمِي بياناً في كتابه "البيان" موصفاً موضوع الدرس حيث تناول بعض الأساليب البيانية لإفهام أجلة القراء حيثما يناقش قضاياها. ولقد استلهم العرب اعتقاداً قوياً أن أرقى مناط بلاغتها يتمثل صورة متكاملة الأعضاء عند شد أجزاء التراكيب على دقة متناهية في التلاؤم والتلاحم تشكياً للوحدة العضوية أو الفنية، ولذا ظلوا يتلمسون ذلك في وجوه عدة تحقق ما يصبون إليه من غاية وشأو. ولذلك أردف الأستاذ ديريمي في تأليفه مفهوم بعض المصطلحات

البلاغية في زاوية تعريف ما يكمن فيها من الظواهر والحقول في السياق الوصفي دون التحليلي، شأنه في هذا يختلف عن صنعه في ذلك، وإنما يوصف هنا المفهوم بالتمهيد، وليس بأنه يحلل المقصود بالشواهد. طبق في كتابه ما ذكره في مقدمته مما يكشف عن بصيرة القراء بالسياق وأبعاده. وهذا المنهج يساوي أسلوب التعليم الناجح للمبتدئين الناشئين، ينطلق من المفصل إلى الجمل، ومن الواضح إلى الغامض، ومن المعلوم إلى المجهول، وهذا الأسلوب السافر من الروح أولى من سواه، وأبر بالمقام، يستقر به المفهوم في أذهان الطلبة بالتدرج. ومنهجه أقرب تناولاً وأسهل ذوقاً.

وفي هذا الصدد أدلى ديريبي دلوه بتوضيح مفهوم ظاهرة البيان مشيراً ومستنبطاً مما جاء به النص القرآني، في مطلع سورة الرحمن المقدس، وسلط في ذلك أضواء بأصدق المقال وأقوم القول في اختيار العناصر المعبرة فضلاً عن أحكام بنية الكلام في الوقوف المتوسم مع لفظة "البيان" في تماثلها بطبيعة دلالتها.

((الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ
مُحْسَبَانِ)).

وبعدئذ وصف لنا ديريبي في تأليفه حقائق البلاغة العربية تأريخاً وتطوراً، فأفادنا علماً أن البلاغة عند العرب كانت عن موهبة وسليقة لا

عن علم درسوه، ولا معرفة اكتسبوها بل طبيعة وفطرة منذ قديم الزمان. تتبلور لطائفها في منشوراتهم ومنظوماتهم. لهم تصرفات أدبية في العصر الجاهلي يتجددون خلالها أقدر مواهبهم البيانية الفذة. وفي ذلك يتنافسون حيثما يجتمعون في سوق عكاظ ويتسابق فحول شعراءهم بجولياتهم، فيحكم قضاة الشعر بينهم على مدى صلاحيتهم الإبداعية وقوة خبراتهم الشعرية، فيقدمون الهدايا لمن أسعده الحظ ففاز بقصب السبق في دسمة شعره وجودة تعبيره. ومن أشهر أولئك هو زهير بن أبي سلمى، والنابعة الذبياني. وعلى هذا أحكموا وسائلهم اللغوية والبلاغية، دققوا خصائصها، وأيقنوا مزاياها، فكانت لهم ملاحظات واعتبارات عالية في الدقة^{١٣}. وهذا غيض من فيض ما تناوله عبقرية مترجمنا في كتابه المتميز الموسوم.

نتائج البحث:

يحصل الكاتب في آخر مطاف هذه الدراسة على قبسات النتائج المتعددة، منها أن المترجم في كتابه المدروس في هذه المقالة يتميز بالآتي:

- ١- إحكام البناء وإفراز ما يوقظ شعور الدارسين والباحثين عبر المؤلفات البلاغية ذات صبغة علمية.
- ٢- إيقاظ عواطف الطلبة بما يغمر روعتها من براعة التقدّم في ظلال التعلّم.

- ٣- تصوير ملامح سبل الفهم، وتيسير طرق الإفهام بمواقف العلوم لا مواقع النجوم.
- ٤- إبراز طائفة من الكتب المدرسية البلاغية الوافية للغرض درسًا وتدريبًا.
- ٥- توضيح المنهج المزدوج المتكامل لدى بعض أعلام البلاغة العربية المؤلفين النيجيريين.
- ٦- معرفة مدى مقاييس الحقول البلاغية لدى الباحثين المتذوقين في نيجيريا.
- ٧- توجيه الباحثين نحو إعادة النظر تجاه السياق المقالي والمقامي في رحاب التأليف البلاغي في المجتمع النيجيري.

وقفة ختامية وتوصية.

وفي آخر ما تناولها الباحث في هذه العجالة نحو دراسة القضايا البلاغية مما تكمن في جهود المتذوقين النيجيريين، وخاصة ما جاد بها عبقرية ديرمي في كتابه المعنون بـ"البيان في البلاغة العربية"، أدرك الكاتب أن هذا الكتاب في طياته معانيًا وأفكارًا يضيف ويفيد عشاق الدراسات العربية وآدابها في نيجيريا خاصة والقارة الإفريقية عامة. غير أن جهوده في صفحات ذاك الكتاب متكاملة. ويا حبذا لو تبادر وتفضل هذا المؤلف بالمزيد في نفع طلبة العلم، بإصدار مؤلفات عربية قيمة بلسان عربي محض، تكمله لما سبق أن تبخر بها قريحته من

الإنتاجات المنشورة باللغة الإنجليزية، كيلا تكون مواهبه العلمية كالكنوز المدفونة في الحافلة الإفريقية فحسب. وفي آخر المطاف يوصي المقال إخوة الأدب وجماله، رجال البيان وكمالهم، بإعداد الكتب المدرسية الوافية لتحقيق المقاصد والأغراض، الكافية لحصول إلى الغاية والأهداف، الشاملة باتساع الآفاق في المنهج المرهف، كي نتزود منها بأصح فكرٍ في أرجح أسلوب التعليم، في مختلف التخصصات لإفادة الطلبة المتعلمين، في البقعة الجامعية والمعاهد العليا، ولتوجيه الباحثين نحو الحقائق العلمية التي رفع سمكها. الحمد لله المبتدا والمنتهى، والصلاة والسلام على نبينا المصطفى المجتبي، وعلى آله وصحبه ذوي الهدى والتقى، وعلى كل من اقتفى آثارهم من أهل العلم والنهى، إلى يوم يجزي الله الحسنى بالحسنى.

الهوامش والمراجع

- ١- بدوي طبانة (الدكتور)، البيان العربي، ص: ٩٧-٩٨
- ٢- بدوي طبانة (الدكتور)، المرجع السابق، ص: ٩٩
- ٣- ديرمي أبوبكر في مقالته المعنونة بـ "الأدب الإسلامي في نيجيريا: ماضيه وحاضره" ضمن المقالات المنشورة في كتاب المؤتمر الدولي حول الادب الإسلامي في نيجيريا، ص: ٣٦
- ٤- العسكري، أبو هلال، سر الصناعتين، تحقيق: علي مُجَّد البجاوي ومُجَّد أبو الفضل إبراهيم، ص: ١١٣

- ٥- عبد الرزاق ديرمي أبوبكر (الأستاذ الدكتور)، مقالته المعنونة بـ"قبائل يوربا من خلال آثار الدارسين، من منشوات مجلة البحوث بمركز تقييد المخطوطات العربية معهد الدراسات الإفريقية، جامعة إبادن، العدد ١٤-١٧، عام ١٩٨٣م.
- ٦- عبد الباقي شعيب أغاكا السعدي (الأستاذ الدكتور)، مقدمة كتابه المعنون بـ"مكتبة الدراسات النقدية، فن النقائض في نيجيريا"، ش، الطبعة الثانية.
- ٧- نثاس مجلة أكاديمية سنوية لمنظمة معلمي الدراسات العربية والإسلامية بنيجيريا، العدد ٦، المجلد الأول، ص، ١٩٧.
- ٨- نثاس، مجلة أكاديمية سنوية لمنظمة معلمي الدراسات العربية والإسلامية بنيجيريا، العدد الأول، الجزء السادس، سبتمبر ٢٠٠١، ص: ٢٠٢.
- ٩- ديرمي أبوبكر، المرجع السابق، ص: ٣٦.
- ١٠- إبراهيم صلاح الهدهد (الدكتور)، أثر السياق في اصطفاء الأساليب دراسة بلاغية، ص-٨.
- ١١- ديرمي أبوبكر، كتاب البيان في البلاغة العربية، ص: ١٤١.
- ١٢- ابن سنان الخفاجيه، سر الفصاحة، ص: ١٤٠٢.
- ١٣- ديرمي أبوبكر، كتاب البيان في البلاغة العربية، ص: ٤.

إسهامات اللغة العربية في مواجهة التطرف الديني لدى الشباب المسلمين شمال نيجيريا نموذجا

إعداد

الدكتور عمر آدم محمد

قسم اللغات، كلية التقنية، كدونا - نيجيريا

uadam92@gmail.com

الملخص:

ظاهرة التطرف الديني من الظواهر التي ظلت تتمدد داخل المجتمع النيجيري في الآونة الأخيرة، وخاصة في شمالها، والحق يقال بأن هذه الظاهرة لم تنشأ إعتباطا ولا جزافا بل لها دوافعها وأسبابها. وأسوأ شيء أو أخطر شيء تمارسه وتعتمده هذه الجماعة منذ ظهورها، هو الاغتيالات والتفجيرات والخطف والتشريد والاعتصاب كل ذلك باسم الدين، وفي ذلك لا يفرقون بين المسلم وغيره، ما يؤكد مقولة أن التطرف ليس له دين ولا وطن وأنه عدو مشترك. لا يمكن بحال من الأحوال أن تجد كلمة التطرف الديني وما تفرزه - مما ذكر - محلا في الإسلام، وهو الذي أي الإسلام كان ولا يزال يدعو إلى حفظ النفس والعقل والدين والمال والنسل، وتلك تسمى بالمقاصد الشريعة الخمسة التي يعمل التطرف الديني على الإطاحة بها، ورميها عرض الحائط.

مقدمة:

يهدف المقال إلى سبر أغوار أسباب ظاهرة التطرف الديني لدى الشباب النيجيري عامة وشمال الشرق النيجيري على وجه الخصوص، مبينا إسهامات اللغة العربية في مواجهة الظاهرة عن طريق الإجابة عن الأسئلة الآتية:

- كيف بدأت أفكار التطرف الديني بالنشوء في نيجيريا؟
 - هل للأطراف الخارجية يد في زرع هذه الظاهرة؟
 - ما الدور الذي تلعبه الأسرة في القضاء على أفكار التطرف؟
 - ما مدى قدرة اللغة العربية للمساهمة في القضاء على التطرف؟
 - ما هي الرؤية العلاجية للتطرف الديني؟
- وسيعتمد الباحث المنهج الوصفي في المقال مع تقديم أمثلة نموذجية تجسد وتعزز التسامح وتقبل الآخر من خلال المحاور الآتية:
- مفهوم التطرف الديني وأسباب ظهوره في شمال نيجيريا.
 - إسهامات اللغة العربية في مكافحة التطرف الديني.
 - الخاتمة.

١- مفهوم التطرف الديني وأسباب ظهوره في شمال نيجيريا.

أ/ موجز عن شمال نيجيريا.

لا يمكن الحديث عن شمال نيجيريا بدون التطرق إلى الحديث عن نيجيريا ولو بصفة موجزة. جمهورية نيجيريا الاتحادية، بلد يقع في غرب

أفريقيا، وهي أكبر دولة فيها من حيث تعداد السكان. ومن موارد هذه الدولة، النفط الخام والكسافا. والعملة النيجيرية هي النaira^١. تقع جمهورية نيجيريا داخل المنطقة الاستوائية، بين خطي عرض ٤،٤ شمال خط الاستواء وخط طول ١٤ درجة، وشرق جرينتس. تحدها دولة الكمرون من الشرق، وتشاد من الشمال الشرقي، والنيجر من الشمال، وبنين من الغرب، وتبلغ مساحتها ٦٦٩٣٣٩ ميلا مربعا. يتفاوت المناخ في نيجيريا من جهة إلى أخرى، ففي الجنوب مناخ ممطر طول العام، فتنمو الغابات الكثيفة، أما في الشمال فتكثر الحرارة والأمطار، فتنمو الغابات المدارية، وتقع في وسط النطاق، هضبة واسعة تشتهر برعي الحيوان وإنتاج الألبان. يبلغ تعداد سكان نيجيريا- حسب آخر الإحصائيات التي تمت عام ٢٠١٩- أكثر من مائتي مليون نسمة^٢، يشكل المسلمون فيها ٦٥% ويتركزون في شمال ووسط البلاد، وهم أقل تعليماً من المسيحيين في الثقافة الإنجليزية^٣. يعيش في نيجيريا أكثر من ٥٠٠ جماعة عرقية، وأكثر الجماعة العرقية هي الهوسا واليوربا والإيبو^٤. لنيجيريا ٣٦ ولاية بجانب العاصمة أبوجا. وقد نالت نيجيريا استقلالها من المستعمر البريطاني عام ١٩٦٠م. واللغة الرسمية هي اللغة الإنجليزية.

وأما شمال نيجيريا فتضم ١٩ ولاية من بين ٣٦، حيث يضم الشمال الغربي ٧ ولايات، والشمال الشرقي ٦ ولايات، والشمال الوسط ٦ ولايات.

ب/ مفهوم التطرف الديني

أصبح التطرف الديني حديث شؤون الساعة اليوم، الكل يتحدث عنه، و الكل يتخوف منه، لأنه لايرحم ولا يعبأ لمآلات الأمور أو ما يترتب على ذلك من متاعب ولوعات الحزن والهموم والغموم لضحاياه .. يعيش القتل والتدمير والتشريد والتهجير إلى أبعد الحدود، ... يعتمد الهمجية والطيش في نشاطاته وممارساته، لايعير للدين ولا اللون ولا العرق أي قيمة ولا أهمية... عدو لدود لأي شئ يعترض طريقه أو يراه مناوئا له أو يحاول الحد من نشاطاته، يحمل عقدة مفادها: إذا لم تكن معي فأنت ضدي، بهذه العقلية، سيعيش العالم في أزمة خانقة، إذا أصبحت طائفة مارقة من المجتمع بمختلف أطرافه تفكر من خلال شعار إذا لم تكن معي فأنت ضدي، مبدأ مدمر للنسيج الاجتماعي ولوحدة الأسرة، ويؤدي إلى تبني فلسفة العزلة للفئات المختلفة، ثم التقوقع حول نفسها، وهذا مما ينتج ويفرخ التطرف °.

أما المفهوم الشرعي للتطرف الديني فليس ببعيد عن مفهومه اللغوي فهو: الوقوف في الطرف والجانب والجنوح عن الوسط. وأصل وضع الكلمة في الأشياء المادية، ثم أستعيرت وأضيفت لها الصفات المعنوية مثل تطرف الفكر والسلوك، ومن هنا يمكن تعريف التطرف الديني بأنه الابتعاد عن الوسطية التي هي إحدى أهم خصائص الدين الإسلامي،

ومجافاة الصواب، والتشدد بالدين بعيداً عن الفهم الصحيح للنصوص الشرعية، وقد حذر الرسول الكريم من هذا التطرف، وعبر عنه بكلمة الغلو وهو الزيادة في الشيء عن حدّه الطبيعي، حيث قال: "إيّاكم والغلو في الدين، فإنّما هلك من كان قبلكم الغلو في الدين"^٦.

وحسب سلطان حميد، فالتطرف الديني هو الظلام الأسود الذي يسود العالم اليوم، وخاصة في منطقة الشرق الأوسط وأوروبا، والتطرف الديني موجود في كل الديانات، والديانات السماوية على وجه الخصوص، وبالأخص في المسيحية والإسلام. وبعبارة أخرى، التطرف الديني أو التعصب، هو تعصب شخص أو جماعة لدين مُعيّن أو حتى لمذهب في دين معين^٧.

وصفوة القول أن التطرف الديني هو الغلو في عقيدة أو فكر أو مذهب أو غيره مما تختص به جماعة أو حزب أو أنه إحساس المرء بأنه يمتلك كل الحقيقة، مما يخلق عنده قناعة تامة بصواب ما عنده وخطأ ما عند الآخرين مما يدفعه إلى التصرف في اتجاه تصويب الآخرين وإقناعهم بوجهة نظره بطرق فيها انتهاك للقيم الاجتماعية والسياسية القائمة، ويتدرج هذا الانتهاك من مجرد الخروج عن الفكر والأيدولوجية السائدة، إلى صورة أكثر تجسيدا كما في أعمال العنف التي تمارسها الجماعات المتطرفة بغية محو الآخر المضاد له^٨.

ج/ أسباب التطرف الديني لدى الشباب في شمال نيجيريا.

وأما بالنسبة لأسباب التطرف الديني لدى الشباب في شمال نيجيريا فإنه لا بد من الإشارة إلى أن منطقة شمال نيجيريا من المناطق التي عرفت واشتهرت باستقرار الأمن والسلام في نيجيريا سابقا، وذلك لتأثير الإسلام فيها، فالإسلام كما تشير بعض المراجع دخل إليها منذ القرن الخامس الهجري (١١م) واتسع انتشاره منذ ذلك الوقت^١، وقامت نظم ثابتة للحكم استمدت نصوصها وتعاليمها من الشريعة الإسلامية، وتأسست الدولة، وقامت حضارة متمثلة في صناعات مختلفة، ونشطت التجارة وراجت عبر الصحراء الكبرى إلى شمال إفريقيا^٢. وهذه الأجواء الإسلامية المستندة إلى التعاليم الإسلامية، ثم ساد الاشتغال بالتجارة حتى مجيء الاستعمار البريطاني الغاشم إلى البلاد واجتياحه ل لاغوس في الجنوب الغربي أولا عام ١٨٥١م. ثم غزوه لشمال نيجيريا، بدءا من عام ١٨٩٧م إلى ١٩٠٣ حيث تمكن من حسم المعركة لصالحه، واستطاع بالتالي إخضاعها تحت حاكم بريطاني عام ١٩١٤^٣ ومن هنا بدأ الاستعمار يعربد في ربوع تلك البلاد الآمنة ويدنس تربة تلك الأرض الطيبة، وبالإنجازات الكبرى التي حققته وأحرزته دولة صكتو الإسلامية التي تأسست منذ عام ١٢١٨هـ. والتي كانت مدينة صكتو عاصمة لها، لكن انقض صرحها مع آخر خليفة لها وهو الخليفة الطاهر بن أحمد بن

عتيق بعد مقاومة باسلة مع المستعمرين البريطانيين أدت إلى استشهاده عام ١٩٠٣م.

وأما أسباب ظهور التطرف الديني لدى الشباب في شمال نيجيريا فكثيرة، لكن يكتفي الباحث هنا بذكر أهمها فيما يلي:

١. الفساد:

لا يخلو مجتمع من المجتمعات أو دولة من الدول من ظاهرة الفساد، لكن الفساد في نيجيريا يكاد يكون نوعا آخر أو فريدا من نوعه، إذ إنه يكاد يطال كل مفاصل الحكومة، ويطال أيضا شريحة كبيرة من المجتمع، ويمكن تقسيم أنواع الفساد إلى:

أ/ فساد القمة أو الفساد الرئاسي المنتشر في العديد من الدول الإفريقية^{١٢} ومنها نيجيريا. فعلى الرغم من أن رئيس نيجيريا الحالي محمد بخاري يعد من أنزه الرؤساء في نيجيريا، وعرف عنه تمسكه بالصدق والأمانة وبنواياه الطيبة تجاه البلاد، من قبل إلا أن الأمر انقلب رأسا على عقب لأسباب لا تعرف صراحة حتى اليوم... فكانت الفضائح تظهر ليل نهار من أمثال فضيحة باباشير سكرتير الدولة الفدرالية السابق وغيرها. وحتى لحظة كتابة هذا البحث، لم يتم إيداع هذا الرجل في السجن رغم كل التحريات والتحقيقات الدقيقة التي أجراها المحققون

في القضية ودلت على أنه متورط في هذه الفضيحة المالية والأخلاقية، وإساءة استغلال السلطة لتحقيق مصالحه الخاصة.

ب/ الفساد المؤسسي الذي يؤدي ويقود إلى أن تصبح الحكومة هشة وضعيفة، وذلك لغياب القواعد واللائح التي تحكم الأعمال والمشروعات العامة، والتحايل على القوانين واللائح، ودخول موظفي الحكومة في اتفاقات مشبوهة وسرية مع رجال السياسة لتحقيق مآرب خاصة، وهشاشة المؤسسات تلك، أفضت إلى بروز ما يسمى بـ قرصنة الدول أو قرصان الدولة، حيث أصبح جهاز الدولة نفسه مؤسسة للفساد، ونهب الفائض الاقتصادي لصالح حفنة صغيرة من المنتفعين^{١٤}. ويندرج تحت هذا النوع من الفساد أي الفساد المؤسسي أنواع أخرى من الفساد كالتالي:

- فساد الوزارات الذي ينجح إلى أن المعيار الأساسي لتولي منصب الوزارة هو الحصول على ثقة الحاكم، والتقرب من شخص الحاكم بشتى الطرق، ولذا فإن شعور الوزراء أو كبار الموظفين في الوزارة بالقلق وعدم الأمن على إمكانية استمرارهم في السلطة أو المنصب، يدفعهم إلى العمل على تحقيق مصالحهم الشخصية والاستفادة من المنصب بأقصى قدر ممكن^{١٥}.

- فساد البرلمان حيث ترى العضو في البرلمان يحقق خلال مدة قصيرة - من اقتعاده مقعد البرلمان - ثروات طائلة في فترة مداها أربع

سنوات لا يستطيع أن يحققها أستاذ جامعي أو عامل أو فلاح طيلة حياته. ويحضر الباحث في هذا الصدد ما أفصح عنه عضو في مجلس الشيوخ النيجيري قبل عامين بأن كل عضو من أعضاء مجلس الشيوخ، يتقاضى أكثر من ١٣،٠٠٠،٠٠٠ مليون نَيْرًا كل شهر أي ما يساوي (٣٦،٤١٥ ألف دولار أمريكي)، وهو مبلغ لا يتقاضاه متوسط الأستاذ الجامعي الذي يحمل أعلى الدرجات العلمية خلال سنة كاملة. وكثيرا ما يستغل أعضاء البرلمان نفوذهم في القيام بأعمال غير مشروعة مثل التهريب، وعقد صفقات مريبة بما يعود عليهم بأموال طائلة، ولذا تراهم يسعون إلى الحصول على مقاعد في البرلمان بأي ثمن، سواء من خلال شراء أصوات الناخبين أو تزوير الانتخابات، أو تملق مسئولى الحزب حتى يضمنوا تأييد الحزب الحاكم أو المسيطر لهم في الانتخابات.

- الفساد الحزبي: على الرغم من التعددية الحزبية إلا أن الحزب في أغلب الدول الإفريقية مجرد تجمع لوبي متملق يدور حول الحاكم - الذي عادة ما يجمع بين رئاسة الدولة وزعامة الحزب، ويهدف إلى جذب الولاء السياسي لشخص الحاكم، أي إن الحزب اعتبر أداة لتكريس نمط الحكم الشخصي المطلق، ولذلك مجرد العضوية في الحزب يعد نوعا من التميز بين الجماهير، كما أن استغلال المنصب الرسمي فتح المجال أمام ظهور فئة جديدة أطلق عليه اسم "البرجوازية الجديدة أو

برجوازية المرتزقة" حيث أنها استغلت وضعها السياسي في الحصول على مزايا مادية ومكاسب شخصية هائلة. ومن الفساد الحزبي، سعي الحزب إلى مكافئة الموالين والأصدقاء الذين خسروا في الانتخابات وتعويضهم بوظائف مرموقة كتعيينهم في وظائف دبلوماسية بالخارج أو في إدارة المؤسسات العامة أو في إدارات الأقاليم وما شابه ذلك.

- فساد الهيئة القضائية: فعلى الرغم من أن الدستور النيجيري ينص على استقلالية القضاء وسيادة القانون غير أنه في بعض الأحيان يرقص القضاء على لحن الحكومة. ومن جهة أخرى، يمكن القول بأن القضاء أصبح يمارس مهمة جديدة، حيث أضحي مؤسسة لجمع الأموال وتحقيق المنافع المادية للعاملين فيه، فالمتهم الذي يلقي القبض عليه، يمكن الإفراج عنه مقابل دفع رشوة، حتى إن حياة الإنسان أصبحت توازي دفع مبلغ من المال.

- فساد المؤسسات الأمنية: المقصود هنا دوائر العسكروالشرطة وغيرهم ممن تعنيهم حماية الشؤون الأمنية في البلاد. ويحضر الباحث هنا أيضا ما يشاع بأن بعضا من ضباط الجيش الكبار ممن أوكل إليهم محاربة الجماعات الارهابية المتطرفة (بوكو حرام) لا يرغبون إنهاء هذه الحرب، لأن ذلك يحقق لهم مصالحهم الخاصة، مما دفع ببعضهم إلى أن يتورطوا في تحويل مبالغ من الأموال التي خصصت لشراء المعدات التي يستعملها

رجال الأمن من أجل القيام بمهمتهم من لأسلحة وغيرها لمحاربة تلك الجماعة أيام حكم الرئيس السابق عُودُوكُ جُونُوكُ إلى استعماهم الشخصي. وقد تم تقديم من ثبت تورطهم في أعمال الفساد تلك إلى المحكمة، وتم أيضا مصادرة أملاكهم وثرواتهم^{١٦}.

ج/ الفساد على المستويين: الرئاسي والإداري تتضمن عمليات الفساد الكبير شبكة معقدة من الترتيبات والإجراءات التي يصعب اكتشافها، وتضم عادة كبار المسؤولين في الدولة وربما رئيس الدولة نفسه، وهو الأمر الذي يضفي عليها طابع السرية والكتمان^{١٧}. وتجدر الإشارة هنا بأن حكومة نيجيريا تحت الحكم المدني للرئيس أباَسَنُوكُ في (الفترة الثانية ٢٠٠٣-٢٠٠٧) خصصت ١٦ مليار دولار لمشروع إصلاح الكهرباء، لكن حتى الآن لم يسقر التيار الكهربائي في البلد، وهكذا ذهبت تلك المبالغ الضخمة أدراج الرياح على مرأى مسمع الحكومات المتعاقبة بدون مساءلة من قاموا بإهدار المال العام، وبالخيانة العظمى التي أودت بحياة شريحة كبيرة من المواطنين بسبب انهيار البنى التحتية أو تعثرها. ويمثل الفساد على المستوى الرئاسي سرقة واضحة لأموال الدولة والشعب معا، ويعمل على طرد الاستثمار الأجنبي، ويهدد سمعة البلد ويشوه أخلاقيات الشعب، في حين أن الفساد على المستوى الإداري يهدد بنية المجتمع ويفسخ نسيجه الداخلي، ويقوض أمنه الاجتماعي،

وينزع ثقة المواطنين بالدولة وأجهزتها. والخطورة هنا أن يتحول هذا النوع من الفساد إلى ثقافة مجتمعية، وسلوك يومي عادي. ولعل سبب فساد الموظفين الإداريين الصغار والكبار هو أن العدالة لا تطبق في المجتمع، وغياب العدالة يؤدي إلى الشعور بالظلم، وهذا أخطر مدخل يؤدي إلى الانحراف بكل أشكاله. وإن الموظف الفاسد أخطر على الدولة والمجتمع من خلية إرهابية قادمة من الخارج لزعزعة أمن الوطن واستقراره. وإن انفلونزا الفساد ليس لها مضاد حيوي كبقية الأمراض^{١٨}.

٢. **الفقر:** توصلت دراسة أممية نشرت نتائجها نهاية عام ٢٠١٧، بعنوان "[رحلة إلى التطرف في أفريقيا](#)"، إلى أن "الافتقار إلى التعليم والفقر والتهميش من العوامل الكامنة وراء نزعة التطرف الديني" والدفع بالشباب الأفارقة للانضمام إلى الجماعات المتطرفة. وتقول مسؤولة أممية آنذاك في مؤتمر صحفي في بروكسل، لتوضيح الدراسة التي تضمنت مقابلات مع ٥٠٠ عنصر انضموا لجماعات متطرفة في أفريقيا، إن العقيدة الدينية لا تدفع الشباب إلى التطرف، وإنما عوامل أخرى تتعلق بالفقر والتهميش.

ولكن في المقابل، تقول دراسة ثانية للبنك الدولي، بعنوان "[العدالة الاجتماعية والاقتصادية لمنع التطرف العنيف](#)"، إن "الإرهاب لا يرتبط بالفقر وتدني مستويات التعليم". حللت هذه الدراسة ملفات أكثر من

٣٨٠٠ مجند أجنبي في تنظيم داعش، معظمهم شباب). وأكدت أن ٦٩ في المئة منهم حاصلون على التعليم الثانوي على الأقل، بينما لا تتعدى نسبة الأميين عن ٢ في المئة، كما أن غالبيتهم لا يعانون من البطالة بل كانوا مشغولين بمهن قبل الانضمام إلى تنظيم داعش، وليسوا فقراء^{١٩}.

وتدعم أو تؤيد تلك الدراسة ما أعلنته السلطات السريلانكية بأن معظم منفذي الهجمات الإرهابية التي ضربت البلاد نهاية شهر أبريل ٢٠١٩ "من أصحاب التعليم العالي وينتمون لعائلات ثرية وبعضهم درس في الخارج" ومن بين منفذي تلك المجزرة التي راح ضحيتها أكثر من ٢٥٠ قتيلًا، أثناء الاحتفال بعيد القيامة، شقيقان والدهما رجل أعمال ثري. وكان الشقيقان شريكين في محل تجاري لوالدهما، ولديهما ثروة كبيرة^{٢٠}. ولا يفوت الباحث في هذا الصدد أن يشير إلى الشابين النيجيريين - تأييدا لتلك الدراسة - عمر فاروق عبد المطلب، وإبراهيم عويس اللذين ينتميان إلى عائلتين ثريتين أيضا، فانضم الأول إلى تنظيم القاعدة في شبه الجزيرة العربية وحاول نسف طائرة متجهة إلى الولايات المتحدة في يوم عيد الميلاد ٢٠٠٩^{٢١}، وانضم الثاني إلى تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام (داعش) وتم اغتياله في غارة جوية أمريكية في حلب عام ٢٠١٦^{٢٢}.

يمكن القول بأن ذلك النموذج النيجيري للشابين المذكورين من الإستثنائيات، لكن يظل عامل الفقر والبطالة سببا من أسباب انتشار التطرف الديني في نيجيريا وبالأخص شمالها، إذ إن وتيرة التطرف الديني فيما يبدو كان ازديادها على مدى عقود متوازية مع تفشي ظاهرة الفاقة في البلاد، فصارت متفاقمة بعد أن أصبح الشعب مفلسا بسبب سياسات اقتصادية خاطئة، حيث صار معظم الشعب يزرع تحت نيران الفقر المدقع وخاصةً في المناطق الحضرية، حيث المشاكل مثل البطالة وعدم كفاية الإسكان مستفحلة، كذلك انعدام البنية التحتية المادية والاجتماعية، أضف إلى الكساد الحالي لاقتصاد نيجيريا لسبب تقلبات أسعار النفط، كل ذلك أدى إلى تفاقم مشكلة الفقر، وبالتالي يمكن وسم الفقر بأنه بطريقة أو بأخرى مسؤولاً جزئياً عن خلق التطرف الديني^{٢٣} بجانب الأسباب المذكورة من أنواع الفساد أي فساد القمة، والفساد المؤسسي وما تفرع عنه، أي الفساد على المستويين السياسي والاداري.

على ضوء ما سبق، يمكن الجزم بأن بذور التطرف الديني بدأ بالنشوء في شمال نيجيريا جراء الفساد بأنواعه، والذي أدى إلى انعدام العدالة الاجتماعية والمساواة في التنمية، وفي الحقوق والواجبات، وأدى كذلك إلى اتساع الهوة بين الأغنياء والمعدمين، إذ الطبقة الوسطى حالياً تكاد

تتلاشى في نيجيريا^{٢٤}. ويرى الباحث أن جل عوامل تفريخ التطرف الديني في شمال نيجيريا عوامل داخلية إلا ما ندر، فعلاقة الحكومة والشعب والشباب على وجه الخصوص، غير ودية فالشباب يواجهون صعوبات اقتصادية ومعيشية ضاغطة، فهم في حالة جهوزية دائمة للتمرد بمجرد اندلاع أي شرارةٍ مهما كانت صغيرة.. ما يفسر بأ ن الجبهة الداخلية غير متماسكة، ومن هنا يمكن القول بإمكانية وجود أيدٍ خارجية تزيد من حراك التطرف الديني اشتعالاً في شمال نيجيريا، إن مباشرة أو غير مباشرة.

وصفوة القول هو أن أسباب التطرف الديني في شمال نيجيريا، هو الفساد المستشري في البلاد، والفساد هو المسؤول الأول في انهيار المؤسسات، وانهيار المؤسسات بدوره أدى إلى انهيار البنى التحتية للبلاد، وانهيار البنى التحتية أدى إلى انعدام العدالة الاجتماعية، وانعدام العدالة الاجتماعية أدى إلى توتر العلاقة بين الحكام والمحكومين، ومن هنا يمكن أن تنطلي على الشباب كل المغريات فيكون في حالة استنفار دائم، ومستعد لاستخدام أقصى درجات العنف في كل الأصعدة.

٢- إسهامات اللغة العربية في مكافحة التطرف الديني:

من المعلوم أن الشعب النيجيري المسلم والشباب في شمال نيجيريا على وجه الخصوص، يكتنون الحب الشديد للغة العربية، وليس ذلك إلا

لكونها لغة القرآن والدين والعبادة، فهي لغة لا يفهم المسلم دينه فهما دقيقا ولا شعائره إلا بها، وهي أيضا لغة يتكلم بها المسلم يوميا من مطلع الفجر إلى غروب الشمس، كمسلم بطبيعة الحال. فالصلاة مثلا، من مفتحتها إلى اختتامها عبارة عن بحر لحي متلاطم باللغة العربية. وهذا الانطباع هو الذي رشح لأن تتبوأ اللغة العربية مقعدها المناسب واللائق في قلوب المسلمين في نيجيريا. ينظرون إليها بعين التوقير والقداسة.. يقدسونها إلى حد أنهم لا يسمحون لأنفسهم أن يمروا على أوراق ملقاة على الطريق وفيها كتابة عربية إلا التقطوها إما ليحرقوها أو يحفروا لها حفرة استعدادا لدفنها أو يحتفظوا بها في مكان نظيف ولائق بقداسة الحرف العربي عندهم، وهذا التوقير والاحترام لا يقتصر على اللغة العربية فحسب، بل شمل حتى معلمياتها. وهذا الحب والاحترام والتوقير والاهتمام ليس وليد اللحظة، وإنما يعود إلى وقت دخول الإسلام في نيجيريا إثر دخوله في شمال أفريقيا في القرن الأول الهجري^{٢٥}.

ثم ثانيا، أنه لا يخفى على أحد أن كثيرا من المسلمين غير العرب يتعلمون اللغة العربية بدافع الدين، أي كي يحيطوا علما بدقائق أمور دينهم، وتلك الدافعية تقودهم إلى تعلم هذه اللغة، والتعلم يقود بالتدريج إلى التضلع فيها، وهو بدوره يؤدي إلى اتزان النفس، وثبات القلوب، وزيادة المروءة التي تعمل كلها على ضبط النفس الإنسانية، وتوجه

بوصلة مسارها إلى البناء لا الهدم، وإلى الإعمار والإحياء، لا القتل والإفناء.

أثر عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: "تعلموا العربية، فإنها تثبت القلوب، وتزيد في المروءة". فالقلب- في اللغة بعامة وفي الاستعمال القرآني بخاصة- يستخدم بمعنى "العقل"، ويستخدم بمعنى الجانب الشعوري والعاطفي في الإنسان، بجانب استخدامه بمفهومه العلمي بمعنى العصلة الضاخة للدم^{٢٦}. ثم إن مفهوم العقل في الإسلام هو: إدراك الشيء على ما هو عليه من حقيقة في تكوينه وغاية خلقه ووجوده، وهذا المعنى يشترك فيه الجنس البشري كله. أما مقياس العقل فحده: إدراك الحكمة التي من أجلها حُلق الكون والعقل نفسه وإدراك هذه الغاية هو الذي يُعطي الإنسان صفة العقل الشرعي، فمن أدرك هذه الغاية فهو عاقل ومن لم يُدركها فهو غير عاقل، حيث أن الكفار يوم القيامة يُعبرون عن هذه الحقيقة بوضوح، كما جاء في القرآن الكريم: (وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير)^{٢٧}. فالإية لا تنفي القوة العقلية عندهم وإلا لأ سقطت التكليف، بل تنفي إدراك الحقيقة التي من أجلها خلق الإنسان وهي حقيقة واضحة فاستحق أولئك أن يوصفوا بأنهم أقل مرتبة من الحيوان^{٢٨}، كما أشار بذلك القرآن الكريم: (أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون بل هم كالأنعام بل هم أضل سبيلا)^{٢٩}.

أما المروءة، فهي حَلَّةٌ كريمةٌ وَحَصَلَةٌ شريفةٌ، وهي أدبٌ نفساني، تحمل الإنسان على الوقوف عند محاسن الأخلاق وجميل العادات.. المروءة صدقٌ في اللسان، واحتمالٌ للعثرات، وبذلٌ للمعروف، وكفٌ عن الأذى بأي وجه إلا بحق، وكمالٌ في الرجولة، وصيانةٌ للنفس، وطلاقةٌ للوجه. ومن أظهر معالم ومجالات المروءة رجاحة العقل ورزاقته، يقول الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه (حسب المرء دينه، وكرمه تقواه، ومروءته عقله)، وقديماً قيل: "عدو عاقل خير من صديق جاهل"^{٣٠}.

مما سبق، يمكن فهم أن العقل والمروءة عملة ذات وجهين، بعبارة أخرى، لكي تكتمل إنسانية الإنسان، لا بد أن يتصف بالعقل، وأن يتزين بالمروءة، بمعنى أنه لا توجد المروءة إلا في الإنسان العاقل، وأن العقل - بالمعنى المذكور - في الإنسان يحتم اتصافه بالمروءة... فهما صفتان متلازمتان تدخل كل واحدة في الأخرى، ما يجعلنا نستنتج إلى أن كل عاقل يتوقع فيه المروءة، وأن كل ذي مروءة يتصف بالعقل السليم. ومن هنا يعتقد ويستنتج الباحث بأن أغلب أصحاب التطرف الديني في شمال نيجيريا تنقصهم هاتان الصفتان اللتان تعد من أنبل وأجل الصفات الإنسانية والتربوية^{٣١}، فالإنسان الذي توفرت فيه صفتا العقل والمروءة، لا يتوقع أن يصدر منه ما يعكر صفو حتى الحيوان، ناهيك عن الجنس البشري بالنظر إلى ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم في امرأة

قيل إنها دخلت النار بسبب هرة حبستها لا هي أطعمتها، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض، حيث قال: "دخلت امرأة النار في هرة ربطتها فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض"^{٣٢}، وبالنظر أيضا إلى قصص أخرى مماثلة تعكس رافة ورحمة الرسول عليه الصلاة والسلام على الحيوان ونهيه أو تحذيره عن تعذيبها وإيذائها، مثل قصة الجمل الذي كان يجيعه صاحبه ويتعبه، وكيف أن صاحب الرحمة المهدهاء ﷺ أنقذ ذلك الجمل من تلك المتاعب والمشقات. فقد جاء في سنن أبي داود عن عبد الله بن جعفر قال: أُرْدَفَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَلْفَهُ ذَاتَ يَوْمٍ، فَأَسْرَرْتُ إِلَيَّ حَدِيثًا لَا أُحَدِّثُ بِهِ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ، وَكَانَ أَحَبُّ مَا اسْتَتَرَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِحَاجَتِهِ هَدَفًا أَوْ حَائِشَ مَخْلٍ، قَالَ: فَدَخَلَ حَائِطًا (بستانا) لِرَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَإِذَا جَمَلٌ، فَلَمَّا رَأَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَنَّ وَذَرَفَتْ عَيْنَاهُ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمَسَحَ ذِفْرَاهُ فَسَكَتَ، فَقَالَ: مَنْ رَبُّ هَذَا الْجَمَلِ؟ لِمَنْ هَذَا الْجَمَلُ؟ فَجَاءَ فَتَى مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَ: لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ: "أَفَلَا تَتَّقِي اللَّهَ فِي هَذِهِ الْبَهِيمَةِ الَّتِي مَلَكَكَ اللَّهُ إِيَّاهَا فَإِنَّهُ شَكَا إِلَيَّ أَنَّكَ بُجِيعُهُ وَتُدْبِيئُهُ"^{٣٣}.

إذا كان تعكير صفو الحيوان ومضايقته وإيذائه يؤدي بالمسلم إلى هذا المصير البائس المقيت، وإلى غضب رسول الله عليه، فما بالك بالإنسان

أيا كان دينه، وأيا كانت معتقداته وميوله أو توجهاته، لاشك أن العقوبة تكون أشد، وأن الويل والمصيبة تكون أدهى وأمر للذي تسبب في ازهاق أرواح الناس، وإتلاف ممتلكاتهم وتشريدهم وتهجيرهم لغلوه وتطرفه في الدين، وإلجبارهم على اعتناق فكره الخاص والشاذ. إذا كان الله العلي القدير، وخالق الكون، لم يجبر خلقه على أن يعبدوه، بل أعطاهم الحرية الكاملة بأن يعبدوه إن شاءوا أو يعبدوا غيره، فقال: (وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيُكْفُرْ)^{٣٤}، وقوله: (لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ)^{٣٥}، فمن ذا الذي يا ترى يستطيع أن يجبرهم على اتباع هواه أو آراؤه، أو أن يكون وصيا عليهم أو يرى لهم ما لا يرون.

إن المنتسبين إلى التطرف الديني تنقصهم معرفة دقيقة وعميقة باللغة العربية، فكثير منهم لو كانوا متضلعين من علومها، لكان شأنهم غير هذا الشأن، وحالهم غير الحال التي هم عليها، لأن هذه اللغة ستكون لهم وسيلة للفهم الصحيح والانفتاح الذهني، ما يجعلهم بعيدين كل البعد عن الانغلاق الفكري، المولد للتعصب والغلو، والتهور السلوكي، والاضطراب العقلي المنافي للعقلانية الموجهة والمنطقية السليمة.

وصفوة القول أن تعلم اللغة العربية والتضلع منها، هو صمام الأمان من الانزلاق إلى التطرف الديني، علما بأن تعاليم الإسلام السمحة التي تدعو إلى السماحة والسلام، والتوسط في الأمور، والالتزام

الخلقي والإخاء البشري، كلها مدونة باللغة العربية، وتعلم هذه اللغة هو الذي يجعل المرء أن يكون وثيق الصلة بهذه التعاليم وبمصادرها الأساسية من قرآن وسنة، وسير السلف الصالح وغيرهم، من أئمة الهدى والتقى والاستقامة في الدين، وكون الشباب وثيق الصلة بهذه التعاليم، من شأنه أن يضبط سلوكه، ويكسبه مناعة ضد التطرف والغلو في الدين والسلوك، ويرشده ليحيي بعيدا عن سلوكيات التطرف وثقافة الغلو.

٣- الخاتمة:

حاول هذا البحث تسليط الضوء على ظاهرة التطرف الديني لدى الشباب المسلمين بشمال نيجيريا، ابتداء ببيان مفهومه وبداياته، ومرورا بذكر العوامل التي أدت إلى نشوئه، وانتهاء باستعراض مدى مساهمة اللغة العربية في الحد منه. وتوصل الباحث إلى الفساد بأنواعه والفقر والجهل باللغة العربية والتضلع فيها سبب أو ساهم في ظهور هذه الظاهرة وتفاقمها في الآونة الأخيرة. ويوصي الباحث بضرورة تضافر جهود كل من الأسرة والمجتمع والحكومة والمؤسسات التعليمية ومعلمي اللغة العربية لمحاربة هذه الظاهرة واجتثاثها من أصولها، ليتم القضاء عليها بصورة نهائية، والحد من آثارها السلبية في المجتمع. ويوصي أيضا بوجوب تعزيز قيم التسامح ونشرها، وإرساء دعائم العدالة الاجتماعية ومحاربة

الفساد المالي، وإعادة النظر في سياسات التعليم، من خلال تطوير المناهج التربوية للإسهام في تعزيز القيم الإيجابية، وثقافة التسامح، وتقبل الآخر، ونبذ العنف والتعصب، بالإضافة إلى ضرورة ترشيد وضبط الخطاب الديني، لينبني على الاعتدال والوسطية، لينمي قيم الإخاء، والأخلاق الحميدة. ويوصي كذلك الغيورين من العرب المساهمة في نشر اللغة العربية وذلك عن طريق تقديم المنح الدراسية للطلاب في شمال نيجيريا، ودعم وتعزيز القائمين على تدريسها من خلال تكتيف الدورات التدريبية لهم.

الهوامش والمراجع:

١- نيجيريا - ويكيبيديا

2- <https://www.worldometers.info/world-population/nigeria-population> بتصرف

٣- عمر آدم مُجَّد (الدكتور)، الحركة الأدبية العربية في ولاية كَدُونَا من عام الاستقلال ١٩٦٠ إلى ٢٠٠٤م. بحث قدم إلى قسم اللغة العربية، جامعة عثمان بن فوديو، صُوكُوْتُو، نيجيريا للحصول على شهادة الدكتوراه في الأدب العربي، عام ٢٠٠٨م. ص ٧.

4- <https://www.worldometers.info/world-population/nigeria-population> مرجع سابق

5- <https://www.alarabiya.net/politics> 2017/07/06 بتصرف

- ٦- أسباب التطرف الديني - سطور - الصفحة الرئيسية
<https://sotor.com> أسباب-التطرف-الديني
- ٧- التطرف الديني.. أسبابه وتداعياته - البيان <https://www.albayan.ae>
﴿اتجاهات﴾ مقالات بتصرف
- ٨- معنى التطرف بقلم مُجَّد سعيد أبوالنصر - دنيا الرأي
<https://pulpit.alwatanvoice.com> > content
- ٩- مُجَّد لواء الدين أحمد (الدكتور)، الإسلام في نيجيريا ودور الشيخ عثمان بن فودي في ترسيخه، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١٣م. الطبعة: ٢ ص: ٦٢. بتصرف.
- ١٠- مُجَّد الثاني عمر موسى، الشيخ عثمان بن فودي وقراءة في تراثه العلمي، مركز الإمام البخاري للأبحاث والترجمة، كانو، نيجيريا، ٢٠١٥م. ص: ١٢. بتصرف.
- ١١- الاستعمار البريطاني في نيجيريا ١٩٦٠/١٨٦١م .. سليم بن عراب ... بتصرف...
<https://diae.net>
- ١٢- حمدي عبد الرحمن حسن (الدكتور)، الفساد السياسي في أفريقيا، دار القارئ العربي، القاهرة، ط: الأولى، ١٩٩٢م. ص: ٢٧.
- ١٣- صحيفة بونتس Punch النيجيرية، أبريل ٢٠١٩م:
Alleged N544m fraud: Court fixes May 23 for Babachir, others ... <https://punchng.com>

١٤ - حمدي عبد الرحمن حسن (الدكتور)، الفساد السياسي في أفريقيا، مرجع سابق، ص: ٢٨، بتصرف.

١٥ - المرجع السابق، ص: ٢٨-٢٩.

١٦ - المرجع السابق، ص: ٢٩-٣٠ بتصرف.

١٧ - المرجع السابق، ص: ٣٤.

١٨ - Alghad الفساد الكبير.. والفساد الصغير - > <https://alghad.com>

الفساد-الكبير-والفساد-الصغير

١٩ - الإرهاب.. هل الفقر دائما السبب؟ - ارفع صوتك

<https://www.irfaasawtak.com> بتصرف

٢٠ - المرجع السابق.

21- Underwear bomber Abdulmutallab sentenced to life - BBC News, <https://www.bbc.com> > news > world-us-canada-17065130

22- SAHARAREPORTERS, NEW YORKMAY 09, 2016, Son Of Former Nigerian Chief Justice Uwais Who Joined ISIS ... saharareporters.com > 2016/05/09 > son-former-nigerian-chief-justice-uwa...

23- Religious Violence in Contemporary Nigeria - African Journals ...

<https://www.ajol.info> > index.php > jsr > article بتصرف

٢٤ - عمر آدم مُجَّد (الدكتور)، دور الإسلام في توفير الأمن والتآلف الوطني

في نيجيريا، مقال قدم في المؤتمر الوطني لجمعية معلمي الدراسات العربية

والإسلامية، نيجيريا، المنعقد في جامعة أدو إكيتي ٢٠١٢م. ص: ١٥،
بتصرف.

٢٥- عمر آدم مُجَّد (الدكتور)، تجربة مركز التعليم العربي كدونا، نيجيريا في
تعليم مهارة الكلام، مقالة قدمت في المؤتمر الدولي السابع للغة العربية
المنعقد في دبي تحت رعاية المجلس الدولي للغة العربية، ٢٠١٨ ص: ٢.
بتصرف.

٢٦- عمر-بن-الخطاب-وال... > article > <https://ikhwanonline.com>

٢٧- الملك: ١٠

٢٨- مفهوم العقل في الإسلام - شبكة الألوكة > <https://www.alukah.net>
فكر وثقافة ومعرفة >

٢٩- الفرقان: ٤٤.

٣٠- الاقتصادي، الإسلام يدعو إلى المروءة ويؤكد عليها - البيان
> <https://www.albayan.ae>

٣١- عمر-بن-الخطاب-وال... > article > <https://ikhwanonline.com>

٣٢- صحيح البخاري: ٣٠٧١.

٣٣- الترغيب والترهيب، أخرجه أبو داود، (٢٥٤٩) واللفظ له، وأحمد
(١٧٤٥).

٣٤- الكهف: ٢٩.

٣٥- البقرة: ٢٥٦.

واو الاعتراض والحال في قصيدة كشف الغمة في مدح سيد الأمة: دراسة نحوية

إعداد:

عبد الوهاب عثمان أبوكي

ausman37@nsuk.edu.ng

و

الدكتور إسحاق صالح سليمان

قسم الدراسات العربية، كلية الآداب،

جامعة ولاية نضراوا، كيني، نيجيريا

ishaqsalihujos@gmail.com

ملخص:

تهدف هذه المقالة إلى رسم الخط بين الواو التي وردت معترضةً بين كلام وآخر أي حازرة بين كلمتين متلازمتين لا تفيد الكلمة الأولى بدون الثانية، وبين الواو التي تأتي مُبَيَّنَة هيئةً فاعل ومفعول به حين يقع فعل، أي الواو التي تقع إشعاراً بحالٍ جملة اسمية أو فعلية واقعة بعدها. ومشكة المقالة كون القصيدة محتوية على أنواع من الواوات ومنها هاتان الواوان المتشاكلتان في إعمالهما حيث قد يختلط القارئ عند الوقوف عليهما فيعطي المعترضة معنى الحالية. والمقالة تَنْهَجُ منهجاً وصفيّاً بحيث تستقصي مواضع وردت فيها هاتان الواوان، فتستخرجهما لتدرسهما

دراسة نحوية بالتركيز على ما تفيده من الدلالة بين الاعتراضية والحالية، ويتم ذلك بالاستعانة بالجهد الذي بذله الدارسون السابقون نظرياً وتطبيقياً.

مقدمة:

الحمد لله المتعالي على خلقه في كل حال، الذي أعجز المعترض على قدرته من أهل الضلال، والصلاة والسلام على المكشّف به غمة أمته الصالحة في يوم لا بيع فيه ولا خلال.

أما بعد، فإن هذه مقالة وجيزة تتناول نوعين للواو: حالية واعتراضية الواردتين في قصيدة كشف الغمة في مدح سيد الأمة محمود سامي البارودي بدراسة نحوية، وذلك لتقف على شواهدهما والفرق بينهما وكيفية استعمالهما وإعرابهما موجزاً.

وتشتمل هذه المقالة على النقاط التالية:

- نبذة موجزة عن محمود سامي البارودي وقصيدته.
- الواو وأشهر أنواعها
- واو الحال عند النحاة.
- الواو الاعتراضية لدى النحاة
- دراسة تطبيقية لواوي الحال والاعتراض في القصيدة المدروسة
- الخاتمة.

نبذة موجزة عن محمود سامي البارودي وقصيدته:

وأما عن الشاعر الذي قرض هذه القصيدة التي تُمثِّل مادة مُطَبَّقًا فيها هذه الدراسة فهو محمود سامي الجركسي المصري، الأديب الشاعر ومجدد الشعر العربي، ورائد النهضة الشعرية المعاصرة، وزعيم مدرسة البعث والإحياء، والقنطرة بين عصر الانحطاط وعصر النهضة.

ولد في اليوم السادس من شهر أكتوبر عام ثمان وثلاثين وثمان مائة وألف من الميلاد في حي باب الخلق بالقاهرة بمصر لأبوين في بيت مؤثِّل وأسرة ثرية من الجراسكة^١ وكان أبوه حسن حسني بك البارودي من أمراء المدفعية في عهد مُحمَّد علي باشا والي مصر، وكان جده لأبيه عبد الله بك الجرسكي كشافا، وكان أحد أجداد الشاعر مراد بن يوسف شاويش ملتزما في العصر العثماني لبلدة (آيتاي البارود) إحدى بلاد محافظة البحيرة، ومن ثمَّ لُقِّبَ جدُّه مراد بالبارودي نسبة إليها.

توفي والده وهو ابن سبع سنوات، فذاق طعم الحرمان منذ الصغر، لكنه أبقى على نفسه إلا أن يكون فارسًا كأبيه مع ما عانى من مصاعب الحياة.^٢ تلقى دروسه الأولية في البيت حتى بلغ الثانية عشر من عمره، فأخذ مبادئ العلوم على أساتذة كانوا يحضرون في منزله، ثم التحق بالمرحلة التحضيرية من "المدرسة الحربية المفروزة" عام ١٨٥١م، وانتظم فيها يدرس فنون الحرب، وعلوم الدين واللغة والحساب والجبر، وتخرج فيها في

السادسة عشرة من عمره، وقد قيل إنه تعاطى صناعة الشعر في أثناء دراسته، ولم يستطع استكمال دراسته العليا، والتحق بالجيش السلطاني.^٣ وقد تجلت مواهبه الشعرية في سن مبكرة بعد أن استوعب التراث العربي وقرأ روائع الشعر العربي والفارسي والتركي.^٤

ويمتاز البارودي بشخصية امتلكت عدة مواهب ومكارم ما تيسرت لغيره من معاصريه، فقد كان فارساً وقائداً وشاعراً وذا نسب شريف، ومجدداً للأدب العربي الحديث ورائداً له في وقت انخمدت فيه نار الشعر وانحطت منزلته، وصار كلفةً من صور البديع والمحسنات، على عدة قرون اتسمت بعصر الانحطاط.^٥ فهو شاعر أتى في هذه الفترة الراكدة وشكّل حلقة وصل بين التراث العربي القديم الذي بدأ ينهار بعد سقوط دولة بني العباس وبين العصر الحديث الذي تفجرت طاقاته بالنهضة العلمية والفكرية التي سادت أوروبا، والتي بدأت إرهاباتها في مصر في القرن التاسع عشر.^٦ فقرأ المئات من قصائد الجاهلين والمخضرمين وفحول المحدثين، ولا يُعرف أحد بين أبناء جيل البارودي أو أبناء الجيل الذي تلاه قرأ مثل ما قرأ من دواوين العرب واستفاد من صياغتها كما استفاد.^٧ وقد عزل البارودي رئيس الوزراء بعد عودته من حرب البلقان ليجد حركة الجيش التي مهدت للثورة العرابية، لتعاطفه مع الثورة، فذهب الريف معتزلاً الحياة السياسية، فتمَّ سطرَ أروع قصائده، منها قصيدته المطولة في

مدح النبي ﷺ، وقد خلف ديوان شعره الضخم، الذي عكف على تنسيقه وترتيبه ومراجعته وشرح غريبه والتعليق عليه قبل وفاته،^٨ ومن أعماله الأدبية الهامة المختارات التي جمعها من عيون الشعر العربي في أربعة أجزاء، اختارها البارودي لثلاثين شاعرًا من كبار شعراء العصر العباسي، قام هو بشرحها والتعليق عليها، وأخيرًا تلك المختارات من النثر التي سماها "قيد الأوابد" والتي جمع فيها عيون الرسائل والخطب والتوقيعات.

وتوفي محمود سامي البارودي في ١٢ ديسمبر ١٩٠٤م بعد سلسلة من الكفاح والنضال من أجل استقلال مصر وحريتها وعزتها.^٩ أما عن قصيدته التي كانت مادّة هذه المقالة (قصيدة كشف الغمة في مدح سيد الأمة) فهي قصيدة في مدح النبي محمد ﷺ وذكر سيرته قبل ولادته وبعدها ورضاعته، وما حدث قبل بعثته من أمانته وإرهاصاته ومعاملته مع الناس، وبعثته، وما جلب ذلك له من الأعداء، ومعجزاته، ودعوته، واستجابة بعض له وإبادة بعض، وهجرته، وغزواته، وانتصاراته على الذين عادّوه، وغير ذلك، والقصيدة في سبعة وأربعين وأربعمائة بيت، من بحر البسيط، وهي ميمية القافية.

الواو وأشهر أنواعها:

الواو: هو الحرف السّابع والعشرون من حروف الهجاء، وهو من حيث الترتيب الصوتي المخرّجِي (ترتيبًا تصاعديًا) الحرف الثامن

عشرة تصاعداً من الحلق إلى الشفة، والحرف الأول في الترتيب الصوتي التراجعي، أي ابتداءً من الشفة رجوعاً إلى الحلق.

وهي من حيث المخرج حرف شفوي، أي إنها حرف يخرج من الشفتين كما أشار إلى ذلك ابن الجزري حيث قال:

لِلشَّفَتَيْنِ الْوَاوُ بَاءٌ مِيمٌ ... وَعُنَّةٌ مَخْرَجُهَا الْحَيْشُومُ^{١٠}

ويتصف بخمس صفات من الصفات ذوات الأضداد،^{١١} وهي الجهر والرخاوة والاستفال والانفتاح والإصمات^{١٢} وبصفة من الصفات التي لا ضد لها، وهي اللين عند سكونها وانفتاح ما قبلها كما قال ابن الجزري:

وَإِوَاءٌ وَيَاءٌ سَكْنَا وَانْفَتَحَا ... قَبْلَهُمَا وَالْأَنْحِرَافُ صُحْحَا^{١٣}

والواو من الحروف التي استعملها العرب في كلامهم لمعانٍ مختلفة، فهي إذاً من الحروف التي لا يتعين لها معنى بمجرد ذكرها إلا إذا زُكِّبَتْ مع كلمة أخرى، وأشهرُ معانيها التي أَكْثَرَ مِنْ ذِكْرِهَا النحاة: العطف والاستئناف والحال والاعتراض والجمع وعلامة الرفع في الأسماء الستة وجموع المذكر السالم والمعية والقسم والزيادة.

ومن بينها واواتٍ مَحْتَلِفٌ فِيهَا النحاة كواو الثمانية وواو التذكُّر والواو المبدلة وغيرها.

وهذه المقالة تتعرض لواوين وَرَدَتَا فِي القصيدة البارودية من بين هذه الواوات، وهما واو الحال والواو المعترضة لما لاحظ الباحث فيهما من

المشابهة التي قد يَعْمُضُ التفريق بينهما على مُطَّلَع، وفيما يلي تسليطاً للضوء بإيجازٍ عليهما نظرياً:

واو الحال عند النحاة:

الحال: يراد بها في اللغة الوَاقْتُ الَّذِي أَنْتَ فِيهِ، والكسَاء الذي يَحْتَشُّ فِيهِ، وَيُقَالُ: حَالُ الدَّهْرِ أَي صَرْفُهُ، وَحَالُ الشَّيْءِ صِفَتُهُ، وَحَالُ الْإِنْسَانِ مَا يَخْتَصُّ بِهِ مِنْ أُمُورِهِ الْمُتَغَيِّرَةِ الْحَسِيَّةِ وَالْمَعْنَوِيَّةِ.^{١٤}

أما الحال في اصطلاح النحاة فهي فضلةٌ دالةٌ على هَيْئَةِ صَاحِبِهِ،^{١٥} فهو شبه المفعول والظرف: شَبَّهَ بِالْمَفْعُولِ مِنْ حَيْثُ أَنَّهُ فَضْلَةٌ مِثْلُهُ جَاءَتْ بَعْدَ مَضِيِّ الْجُمْلَةِ، وَلَهُ بِالظَّرْفِ شَبَّهُ خَاصٌّ مِنْ حَيْثُ إِنَّهَا مَفْعُولٌ فِيهَا وَمَجِيئُهَا لِبَيَانِ هَيَاةِ الْفَاعِلِ أَوْ الْمَفْعُولِ وَذَلِكَ قَوْلُكَ: ضَرَبْتَ زَيْدًا قَائِمًا تَجْعَلُهُ حَالًا.^{١٦}

والحال يقع مفرداً وجملة كما أشار ابن مالك:

وموضع الحال تجيء جملة ... كجاء زيد وهو ناوٍ رحله
وذات بدءٍ بمضارعٍ ثبت ... حوت ضميراً ومن الواو خلت
وذات واو بعدها انو مبتدا ... له المضارع اجعلنّ مسندا
وجملة الحال سوى ما قدّمنا ... بواوٍ او بمضمراً أو بهما^{١٧}
أي: الأصل في الحال والخبر والصفة الإفراد، وتقع الجملة موقع الحال كما
تقع موقع الخبر والصفة ولا بد فيها من رابط وهو في الحالية إما ضمير

نحو جاء زيد يده على رأسه أو واو وتسمى واو الحال وواو الابتداء وعلامتها صحة وقوع "إذ" موقعها نحو: جاء زيد وعمرو قائم التقدير إذ عمرو قائم أو الضمير والواو معًا نحو جاء زيد وهو ناوٍ رحلة.^{١٨} والمراد من قوله: "وجملة الحال سوى ما قدّمنا..." أي أن ما عدا الجملة التي بدأت بمضارع من الجمل بأن تكون اسمية أو فعلية وفعلها ليس مضارعاً فيجوز فيه أن يربط بالواو وحدها أو بالضمير وحده أو بهما فيدخل في ذلك الجملة الاسمية مثبتة أو منفية والمضارع المنفي والماضي المثبت والمنفي.

فيقال: جاء زيد وعمرو قائم، وجاء زيد يده على رأسه، وجاء زيد ويده على رأسه، وكذلك المنفي فيقال جاء زيد لم يضحك، أو ولم يضحك، أو ولم يقيم عمرو، وجاء زيد وقد قام عمرو، وجاء زيد قد قام أبوه، وجاء زيد وقد قام أبوه، وكذلك المنفي، نحو: جاء زيد وما قام عمرو، وجاء زيد ما قام أبوه، أو وما قام أبوه.

ويدخل تحت هذا أيضاً المضارع المنفي بـ"لا" فعلى هذا تقول جاء زيد ولا يضرب عمراً بالواو.^{١٩}

فعلى هذا، فالمفهوم من هذه البيانات أن الواو تأتي في الكلام لربط الجملة الحالية وصاحب الحال فتكون هي وما بعدها من جملة اسمية كانت أو فعلية في محل النصب حالاً.

الواو الاعتراضية لدى النحاة:

الاعتراض: عبارة عن حيلولة شيء بين شيئين، يقال: اعترض دون الشيء إذا حالّ دونه.^{٢٠}

قد تقترن الجملة المعترضة بالواو أو بالفاء، نحو قوله تعالى: "وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَنَا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ"^{٢١} فالجملتان "حملته أمه - وفصاله في عامين" اعترضتا بين "ووصينا" وتفسيرها "أناشكرك" ولولا ذلك لكان الكلام "ووصينا الإنسان بوالديه: أن اشكر لي ولوالديك"^{٢٢} فالاعتراض عند النحاة عبارة عن وقوع جملة بين جزأين جملة بأن يكون الجزءان متلازمين، وتعرض جملة معترضة بين جملتين لأشياء، منها التسديد أي التقوية أو التبيين وهو الإيضاح ولا يعترض بها إلا بين الأجزاء المنفصل بعضها من بعض المفتضي كلٌّ منهما الآخر.^{٢٣} فتقع بين الفعل وفاعله كقول شاعر:

وقد أدركتني - والحوادث جمّة - ... أسنة قوم لا ضعاف ولا عزل
أو مفعوله كقوله:

وبدلت - والدهر ذو تبدل - ... هيفا دبورا بالصبا والشمال
وبين المبتدأ والخبر كقوله:

وفيهن - والأيام يعثرن بالفتى - ... نوادب لا يمللنه ونوائح

أو ما هما اصله كقوله:

إن سلمي - والله يكلؤها - ... ضنت بشيء ما كان يرزوها
وبين الشرط وجوابه نحو قوله تعالى: "فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا
النار" ^{٢٤} وبين الموصول وصلته كقوله:

ذاك الذي - وأبيك - يعرف مالكا ... والحق يدفع ترهات الباطل
وبين أجزاء الصلة نحو جاء الذي جوده والكرم زين مبذول وبين
المجزور وجاره اسما كان نحو: هذا غلام - والله - زيد، أو حرفا نحو
اشتريته ب - والله - ألف درهم، وبين الحرف وتوكيده نحو:

ليت - وهل ينفع شيئا - ليت ... ليت شبابا بوع فاشترت
وبين قد والفعل نحو:

أخالد قد - والله - أوطأت عشوة ...

وبين الحرف ومنفيته نحو: فلا - وأبي دهماء - زالت عزيزة. ^{٢٥} ومثله قول
الله تعالى: "فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم" ^{٢٦}
فقد اعترض بين حرف النفي ومنفيته جملة قسم.

دراسة تطبيقية لواوي الحال والاعتراض في القصيدة المدروسة:

واو الحال:

أكثر الشاعر استعمال الواو الحالية مقترنةً بجملتين فعليتين واسميتين،
فالباحث - فيما يلي - سيتناول الواو مقترنة بكلتا الجملتين على حدة:

واو الحال داخلية على الجمل الاسمية:

أما بعضُ شواهدِها مقترنةً بالجمل الاسمية فمنها قولُ الشاعر:

مَرَّتْ عَلَيْنَا حِمَاصًا وَهِيَ قَارِبَةٌ * مَرَّ الْعَوَاصِفِ لَا تَلْوِي عَلَى إِرْمٍ

صَوَّرَ الشاعر تصويرًا خياليًا القطا متمنيا حملها رسائله الشوقية مُوصِلَةً إياها إِضْمَ، وهي في حال المخمصة واضِّمار البطن، وشبه مرورها بمرور العواصف في سرعتها وعدم لؤاذاها بموضعٍ في المرور.

والشاهد الحاليُّ في البيت هو جملةٌ (وهي قارِبةٌ) والجملة مكونة من واو حال ومبتدأ وخبر، فالجملة اسمية فاقترن بها الواو لما أثبتته النحاة بأن الحال إذا وقعت جملة ترتبط بالواو أو بالضمير أو بكليهما كما قال ابن مالك:

وموضع الحال تجيء جملة * ك "جاء زيد وهو ناو رحله"^{٢٧}

أي الأصل في الحال والخبر والصفة الإفراد، وتقع الجملة موقع الحال كما تقع موقع الخبر والصفة ولا بد فيها من رابط، وهو في الحالية إما ضمير نحو: جاء زيد يده على رأسه أو واو وتسمى واو الحال وواو الابتداء وعلامتها صحة وقوع "إِذْ" موقعها نحو جاء زيد وعمرو قائم، والتقدير: إذ عمرو قائم، أو الضمير والواو معا نحو: جاء زيد وهو ناو رحلة.^{٢٨}

الإعراب:

"مَرَّتْ" فعل ماض مبني على الفتح، والتاء للتأنيث، والفاعل ضمير مستتر فيه حوازا تقديره هي (الْقَطَا) "علينا" جارٌّ ومجرور متعلقان بـ"مَرَّتْ"

"خِصَاصًا" حال أول من الفاعل، منصوب، وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة
"و" حالية "هي" مبتدأ مبني على الفتح في محل الرفع، "قاربة" خبر
المبتدأ، مرفوع، وعلامة رفعه الضمة الظاهرة، والجمله (هي قاربة) في محل
النصب حل ثانٍ من الفاعل (القَطَا).

وأما عن اعتبارها حالية فلأن الواو والجمله بعدها يبينان هيئة الفاعل
المستتر ضميره في (مرّت) المراد به "القَطَا"، وللواو مع الجمله بعدها محلٌّ
إعرابي وهو النصب على الحالية حالاً ثانيةً بينما الأولى "خِصَاصًا"، ودلٌّ
على حاليتها - دون الاعتراض - لأنها لم تفصل بين متلازمين بخلاف
واو الاعتراض التي تحول بين ملازم وملازم آخر.

وقوله:

ما عاجلاً قلبه إلا ليخلص من * شوب الهوى ويعي قدسيّة الحكم
فيا لها نعمة لله حصّ بها * حبيبه وهو طفل غير محتلم
يعني الشاعر أن معالجة الملكين قلب الرسول عليه الصلاة والسلام لما
كان غلاماً صغير السن عن بني أسد لم تكن عن عقاب أو إيذاء بل
تطهيراً لديّ لقلبه الطاهر طهوراً فطرياً ليتخلص من هوى وليعي ما
سيأتيه فيما بعد من الوحي الإلهي، فالمعالجة إذاً لم تكن عن سخطة ولا
تنقيم من المعاليج وإنما هي نعمة أراد الله تعالى أن يُحصّ بها حبيبه صلى
الله عليه وسلّم.

فالشاهد فيه جملة "وهو طفل" فالواو المقترن بالجملة واو حال لبيائها هي وما بعدها هيئة المفعول به قبلها (حبيب) فالشاعر أراد أن يبين هيئة الحبيب المصطفى ﷺ السني لما حُصَّ بهذه النعمة الربانية من المعالجة الملكية لحسن التخلص من الهوى وحدة الوعي للحكم القدسية، ومحل الجملة الحالية من الإعراب النصب على الحالية.

الإعراب:

فقوله "حص" فعل ماض وفاعله ضمير مستتر فيه جوازا يدل عليه لفظ الجلالة قبله، "بها" جار ومجرور متعلقان بـ"حص" "حبيبه" مفعول به، منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة، وهو مضاف، والهاء مضاف إليه "و" حالية "هو" مبتدأ "طفل" خبر المبتدأ "غير" صفة له، وهو مضاف "محتلم" مضاف إليه، والجملة من الواو وما في حيزها في محل النصب حال من المفعول "حبيب".

وقوله:

فَكَانَ أَوَّلَ آتٍ بَعْدَمَا اتَّفَقُوا * مُحَمَّدٌ وَهُوَ فِي الْخَيْرَاتِ ذُو قَدَمٍ

لما تم اتفاق سادة قريش وتواطؤهم على تفويض أمر خصومتهم إلى أول من يتقدم إليهم من المارين ليجد لهم حلاً من مشكلة طال عليهم تعذر حلها فيما بينهم بأنفسهم، لم يحظ بذلك الفضل الإصلاحية إلا محمد بن عبد الله ﷺ الذي كان مقدماً على سواه في الخير على الإطلاق.

فالشاهد "وهو في الخيرات ذو قَدَمٍ" فالجملة اسمية اقترن بها واو حالية، وأما حاليتها فلائها مبيّنة هيئة (محمد) الفاعل في المعنى واسم كان المؤخّر في الحكم الإعرابي أي هيئته العادية التي فطره الله تعالى عليها، وأما عن كونه فاعلا في المعنى فلائنه هو الذي صدر عنه الإتيان ولكن رافعاه كان وليس فعلا تاما فيكون مرفوعا على الفاعلية، ومحل الجملة نصب على الحالية.

الإعراب:

"كان" فعل ماض ناقص "أول" خبر كان مقدم منصوب وهو مضاف "آت" مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الكسرة الظاهرة "بعد" ظرف زمان متعلق بـ"آت" وهو مضاف "ما" زائدة "اتفقوا" فعل وفاعل في محل الجر مضاف إليه، والتقدير: بعد اتفاقهم، "محمد" اسم "كان" المؤخّر "و" حالية "هو" مبتدأ "في الخيرات" جار ومجرور متعلقان بصفة محذوفة لـ"قَدَمٍ" مقدّمان عليه "ذو" خبر المبتدأ، مرفوع، وعلامة رفعه الواو لأنه من الأسماء الستة، وهو مضاف "قَدَمٍ" مضاف إليه، مجرور، وعلامة جره الكسرة الظاهرة.

واو الحال الداخلة على الجمل الفعلية:

وقوله:

وَكَيْفَ لَا يَفْخَرُ الْبَيْتُ الْعَتِيقُ بِهِ * وَقَدْ بَنَنَهُ يَدٌ فَيَاضَةُ النَّعَمِ

أي لا بد للبيت العتيق أي الكعبة المشرفة من الافتخار بمد الرسول ﷺ يده مشاركا بانيه فيه بناءه لأنها يدُ نبويّة فياضة بنعم ربانية، فيستفاد من الاستفهام في البيت الإنكارُ مع النفي، أي إنكار ونفي عدم الافتخار.

فالشاهد: الواو في قول الشاعر "وَقَدْ بَنَتْهُ يَدٌ" فالواو حالية دخلت على جملة فعلية محققة بـ"قد" لتبين هيئة البيت العتيق المبني في استحقاقه الافتخار ببناءه يدُ نَعْمَاءٍ، فصاحب الحال (البيتُ العتيق) الفاعلُ لـ"يفخرُ"، فمحل الجملة الإعرابية النصب على الحالية

الإعراب:

فـ"كيف" اسم استفهام مبني على الفتح في محل الرفع مبتدأ "لا" نافية "يفخر" فعل مضارع، مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة، "البيتُ" فاعل مرفوع "العتيقُ" صفة لـ"البيتُ" تابع له في الإعراب "به" جار ومجرور متعلقان بـ"يفخر" "و" و"حالية" "قد" حرف تحقيق "بنته" فعل ماضٍ، والتاء للتأنيث، والهاء ضمير متصل مبني على الضم في محل النصب مفعول به مقدم "يدُ" فاعل مؤخر، مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة "فَيَاضَةٌ" صفة لـ"يدُ" وهو مضاف "النعم" مضاف إليه، مجرور وعلامة جره الكسرة الظاهرة، والجملة من "وقد بنته" في محل النصب حال من البيت الذي وقع فاعلا لـ"يفخر".

وقوله:

هَيْهَاتَ يَبْلُغُ فَهْمٌ كُنْهَ مَا بَلَغَتْ * قُرْبَاهُ مِنْهُ وَقَدْ نَاجَاهُ مِنْ أُمَّمٍ
أي يبعد إمكان بلوغ الفهم كنه ما حدث وجرى بين الله تعالى ونبيه محمد
صلى الله تعالى عليه وسلم من القرب والمناجاة لشدة قربه منه قُرْبًا يليق
به تعالى مع عباده، الذي تَفَرَّدَ هو تعالى بمعرفة حقيقة هذا القرب،
وذلك في مناجاته به ليلة المعراج.

فالشاهد: الواو في "وَقَدْ نَاجَاهُ مِنْ أُمَّمٍ" فهي حَالِيَّةٌ دخلت على
جملة فعلية مؤكدة بـ"قد"، واستعملت الجملة الحالية تَبَيَانًا لهيئة فاعل
"هيهات" وهو بلوغ الفهم كنه الأمر، أو فاعل "بَلَغَ" وهو "قُرْبِي"،
فصاحب الحال هو الفاعل، وتحتّم استعمال الواو لوقوع الحال جملةً،
فهي جملة فعلية في محل نصب حال من الفاعل على أيّ الاعتبارين.

الإعراب:

فـ"هيهات" اسم فعل ماض بمعنى بَعُدَ "يبلغ" فعل مضارع مرفوع،
وعلاوة رفعه الضمة الظاهرة "فهْمٌ" فاعل مرفوع "كنه" مفعول به
منصوب وعلاوة نصبه الفتحة الظاهرة "ما" اسم موصول مبني على
السكون في محل الجر "بَلَغَتْ" فعل ماض، والتاء للتأنيث "قُرْبَاهُ" فاعل،
وهو مضاف، والهاء مضاف إليه، مبني على السكون في محل الجر
مضاف إليه "و" حالية "قد" للتحقيق "ناجاه" فعل وفاعل ومفعول به

"من أمم" جار ومجرور متعلقان بـ"ناجى"، فالجملة الفعلية المحققة بقـ
 "وقد ناجاه من أمم"، في محل نصب حال من الضمير الواقع مضافاً
 إليه في "قرباه". فالواو إذاً حالية.
 وقوله:

قَدْ تَمَّ عَقْلاً وَمَا تَمَّتْ رِضَاعَتُهُ * وَفَاضَ حِلْمًا وَلَمْ يَبْلُغْ مَدَى الْحُلْمِ
 أي كان الرسول ﷺ ذا عقل تام منذ صغره بل مذ كان رضيعاً، فإن
 عقله ليس شيئاً أكسبه إياه تدرّب ولا تجربة إنسانية وإنما هو وعي إلهي،
 وكذلك تخلق النبي ﷺ بالحلم مذ كان صغير السن لم يبلغ سن
 الاحتلام.

فالشاهد في البيت هو الواو في قوله "وما تمت رضاعته" و"لم يبلغ
 مدى الحلم" وكلاهما واو رابطة بين جملة الحال وصاحب الحال، والجملة
 الأولى تبين هيئة الفاعل الضمير المستتر في "تم"، والثانية تبين هيئة فاعل
 مستتر في "فاض"، وكلتا الجملتين الحاليتين مجسّدات الهيئة في شكلٍ نادرٍ
 الوقوع اعتياداً، بل مُستحيله، فذلك من إرهاساته ﷺ.

الإعراب:

فـ"قد" حرف تحقيق "تم" فعل ماضٍ، وفاعله ضمير مستتر فيه
 تقديره هو "عقلاً" تمييز "و" واو الحال "ما" نافية "تمت" فعل ماضٍ،
 والتاء للتأنيث "رضاعته" فاعل، وهو مضاف، والهاء مضاف إليه مبني

على الضم في محل الجر "و" حرف عطف "فاض" فعل وفاعل "حِلْمًا" تمييز "و" للحال "لم" نافية جازمة للمضارع "يبلغ" مضارع مجزوم بلم، وفاعل مستتر تقديره هو "مدى" مفعول به، وهو مضاف "الحلم" مضاف إليه.

وقوله:

ثُمَّ اسْتَشَارَتْ قُرَيْشٌ وَهِيَ ظَالِمَةٌ * أَحْلَافَهَا وَأَتَتْ فِي جَحْفَلٍ هِمَّ
تَسْتَمِرُّ الْبَغْيِ مِنْ جَهْلٍ وَمَا عَلِمَتْ * أَنَّ الْجَهَالََةَ مَدْعَاةٌ إِلَى الثَّلَمِ
اتفقت قريش مع أحلافها على أن يُعَيِّرُوا على النبي وأصحابه في المدينة
فيَقْضُوا عليهم مُسْتَسِيغِينَ ذلك لِمَا كانوا فيه من الجهالة وعدم تدبرهم
أن الجهل يفعل بصاحبه كما تفعل الثلثة بالمُصَاب بها من الصدع
والثغرة.

فالشاهد الواو في قوله "وما علمت" فهي حالية لتبيينها هي وما
بعدها هيئة الفاعل المستمر للبعي، فالواو مع الجملة في محل النصب
حال، أي إن قريشا كانت مستمرئة لفعلها ومكرها في حال أنها في
غفلة عما يجلبها الجهل ضدّهم.

الإعراب:

ف"تستمرئ" فعل مضارع، والفاعل مستتر فيه جوازا تقديره هي
"البعي" مفعول به "من جهل" جار ومجرور متعلقان بـ"تستمرئ" "و"

واو الحال "ما" نافية "علمت" فعل ماض، والتاء للتأنيث والفاعل مستتر تقديره هي "أن" حرف توكيد ونصب "الجهالة" اسم منصوب "مدعاة" خبر إن مرفوع "إلى التلم" جار ومجرور متعلقان بـ"مدعاة"، والمصدر المؤول من أن ومعموليها في محل نصب مفعول لـ"علمت".

الواو الاعتراضية:

احتوت هذه القصيدة على واوين اعتراضيتين، أولاهما في قول الشاعر:

وَسَوْفَ أَبْلُغُ آمَالِي وَإِنْ عَظُمْتُ * جَرَّائِمِي يَوْمَ أَلْقَى صَاحِبَ الْعَلَمِ

تفاءل الشاعر بهذا البيت لثقتة بعون الرسول ﷺ له يوم القيامة مهما بلغت جرائمه من العظم، ثقة منه بالرسول أنه لا يخذله وأنه سيضمه في سلسلة من تناولهم شفاعته ﷺ لما جاء قبل هذا البيت حيث قال:

لَكِنِّي وَاثِقٌ بِالْعَفْوِ مِنْ مَلِكٍ * يَعْفُو بِرَحْمَتِهِ عَن كُلِّ مُجْتَرِمٍ

فالشاهد في البيت جملة "وإن عظمت جرائمي"، فإن الواو مع الجملة بعدها اعتراض بين وقع بين ظرف زماني ومتعلقه، فالواو مع الجملة اعتراضيان لا محلّ لكليهما من الإعراب.^{٢٩}

الإعراب:

فقوله "سوف" حرف تسويق، "أبْلُغُ" فعل مضارع، مرفوع، وعلامة رفعه الضمة الظاهرة، وفاعله ضمير مستتر فيه وجوبا تقديره أنا، "آمالي"

مفعول به، منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة، منع من ظهورها اشتغال المحل بالحركة المناسبة لياء المتكلم، وهو مضاف، والياء مضاف إليه مبني على السكون في محل الجر، "و" اعتراضية، "إن" شرطية "عَظُمْتُ" فعل ماضٍ، والتاء للتأنيث، "جرائمي" فاعل، مرفوع، وهو مضاف، والياء مضاف إليه، مبني على السكون في محل الجر، "يوم" ظرف زمان، مبني على الفتح في محل نصب مفعول فيه، وهو مضاف "ألقى" فعل وفاعل، "صاحب" مفعول به، وهو مضاف "العلم" مضاف إليه، والجملة الفعلية "ألقى صاحب العلم" في محل الجر لإضافة "يوم" إليها، والجملة الشرطية (إن عَظُمْتُ جرائمي) اعتراضية لاعتراضها بين جملة فيها فعل متعلق به وظرف متعلق.

والثانية في قوله:

إِنِّي وَإِنْ مَالَ بِي دَهْرِي وَبَرَّحَ بِي * ضَيْمٌ أَشَاطَ عَلَى جَمْرِ النَّوَى أَدْمِي
لثَابِتُ الْعَهْدِ لَمْ يَحْلُلْ قُوَى أَمْلِي * يَأْسٌ وَلَمْ تَخْطُ بِي فِي سَلْوَةِ قَدْمِي
يعبر الشاعر في البيت عن أمِّه القوي لشفاعته النبي ﷺ في الآخرة رغم الضيم والقهر الذي سُلِّطَ عليه في حياته الدنيوية من قِبَل الحكومات من النفي عن قومه ووطنه أعوامًا كثيرةً.

فالشاهد من البيتين هو الواو والجملة التي في حيزها الفاصلتان بين حرف نصب وتوكيد من جانب "إِنِّي"، وبين خبر الناسخ من جانب

آخر، وهذه الجملة المعترضة هي قوله الشاعر (وَإِنْ مَالٌ بِي دَهْرِي وَبَرَّحَ بِيضِيْمٌ أَشَاطَ عَلَى جَمْرِ النَّوَى أَدْمِي)، فإن هذه الجملة الاعتراضية الشرطية عرضت على جزأين متلازمين وهما اسم إن وخبرها.^{٣٠}

الإعراب:

ف"إِنِّي" حرف نصب واسمُه، و"ثابتٌ" خبره، وهو مضاف "العهد" مضاف إليه، مجرور وعلامة جره الكسرة الظاهرة، أما الجملة التي بين هاتين الكلمتين "وَإِنْ مَالٌ بِي دَهْرِي وَبَرَّحَ بِيضِيْمٌ أَشَاطَ عَلَى جَمْرِ النَّوَى أَدْمِي" فمُعْتَرِضَةٌ، لفصلها بين متلازمين (اسمٌ "إِنَّ" وخبره "الثابتُ العهد") فالواو والجملة التي في حيزها لا محل لها من الإعراب.

الخاتمة.

هذه المقالة تحتوي على الواو التي وردت معترضةً بين كلام وآخر أي حاجة بين كلمتين متلازمتين لا تفيد الكلمة الأولى بدون الثانية، والواو التي تأتي مُبَيِّنَةً هيئةً فاعل ومفعول به حين يقع فعل، أي الواو التي تقع إشعاراً بحاليّة جملة اسمية أو فعلية واقعة بعدها. ومنهج المقالة منهج وصفيّ بحيث تستقصي مواضع وردت فيها هاتان الواوان، فتستخرجهما لتدرسهما دراسة نحوية بالتركيز على ما تفيدانه من الدلالة بين الاعتراضية والحالية، وقد تم ذلك بالاستعانة بالجهد الذي بذله الدارسون السابقون نظرياً وتطبيقياً.

لاحظ الباحثان أن هناك شيئاً من المشابهة بين الواو من حيث وقوعها حاليةً واعتراضيةً قد يلتبس فهمها على دارس فيؤهم أن إحداها هي الأخرى، وتبين للباحثان خلال تتبعهما القصيدة أن الشاعر محمود سامي البارودي رحمه الله استعمل كليهما في هذه القصيدة الطويلة، وأنه أكثر من استعمال واو الحال دون الواو المعترضة، ولعل إكثاره من إيراد الواو الحالية لكون القصيدة مقروضةً على منوال قصصي فاضطر إلى ذكر هيئات المقصوص عنهم بحيث تظهر حاهم للقارئ جلياً كأنه ناظر إليهم في حاهم الموصوفة، وأما عن كيفية ورود الواوين فقد استعمل الشاعر أربعاً وأربعين شاهداً للواو الحالية في القصيدة، بينما لم يستعمل الشاعر الواو الاعتراضية (حسب استقراء الباحث) إلا ثلاث مرات في ثلاث مواضع.

الهوامش والمراجع:

- ١- الجراكسة والترك هم آخر طبقة من الغرباء قد وفدوا على مصر، واتخذوها وطناً لهم.
- ٢- الموسوي، خليل، مقدمة كتاب "البارودي رائد النهضة الحديثة"، دار ابن كثير، دمشق، ط: ١، ١٩٩٩م، ص: ٢١.
- ٣- صلاح الدين، عبد التواب، مُجَدِّد، مدارس الشعر العربي في العصر الحديث، دار الكتاب الحديث، ٢٠٠٥م، ص: ٤.

- ٤- نفس المرجع والصفحة.
- ٥- شوقي ضيف، البارودي رائد الشعر الحديث، دار المعارف بمصر، ط: ٢، ص: ٩٩.
- ٦- العقاد، عباس محمود، شعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماضي، مكتبة النهضة الحديثة بمصر، ط: ٣، ١٩٦٥م، ص: ١٢٦.
- ٧- نفس المرجع والصفحة.
- ٨- نفس المرجع والصفحة.
- ٩- البعيني، المرجع السابق، ص: ٩.
- ١٠- ابن الجزري، أبو الخير شمس الدين مُجَدِّ بن مُجَدِّ بن يوسف (المتوفى: ٨٣٣هـ)، منظومة المقدمة فيما يجب على القارئ أن يعلمه (الجزرية)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، الناشر: دار المغني للنشر والتوزيع، ص: ٩.
- ١١- صفوت محمود سالم، فتح رب البرية شرح المقدمة الجزرية في علم التجويد، الطبعة: الثانية، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م، الناشر: دار نور المكتبات، جدة - المملكة العربية السعودية، ص: ٣٧.
- ١٢- وهي أضدادٌ للهمس، والشدة مع التوسط، والاستعلاء، والإطباق، والدلاقة.
- ١٣- نفس المرجع، ص: ١٠.
- ١٤- مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / مُجَدِّ النجار)، المعجم الوسيط، الناشر: دار الدعوة، ج: ١، ص: ٢٠٩.

- ١٥- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، المحقق: عبد الحميد هندراوي، الناشر: المكتبة التوفيقية - مصر، ج: ٢، ص: ٢٩٣.
- ١٦- الزمخشري، جار الله أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، (المتوفى: ٥٣٨هـ)، المفصل في صنعة الإعراب، المحقق: د. علي بو ملحم، الطبعة: الأولى، ١٩٩٣، الناشر: مكتبة الهلال - بيروت، ص: ٨٩.
- ١٧- مُجَدِّد بن عبد الله، ابن مالك الطائي الجياني، أبو عبد الله، جمال الدين (المتوفى: ٦٧٢هـ)، ألفية ابن مالك، الناشر: دار التعاون، ص: ٣٤.
- ١٨- ابن عقيل، عبد الله بن عبد الرحمن العقيلي الهمداني المصري، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، المحقق: مُجَدِّد محيي الدين عبد الحميد، الطبعة: العشرون ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠م، الناشر: دار التراث - القاهرة، دار مصر للطباعة، سعيد جودة السحار وشركاه، ج: ٢، ص: ٢٧٨.
- ١٩- نفس المرجع، ج: ٢، ص: ٢٨١.
- ٢٠- أحمد مختار عبد الحميد عمر (الدكتور) (المتوفى: ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل، معجم اللغة العربية المعاصرة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨م، الناشر: عالم الكتب، ج: ٢، ص: ١٤٨١.
- ٢١- سورة لقمان، الآية: ١٤.
- ٢٢- الأفغاني، سعيد بن مُجَدِّد بن أحمد، الموجز في قواعد اللغة العربية، الطبعة: ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، الناشر: دار الفكر - بيروت - لبنان، ص: ٣٩٩.

- ٢٣- الأزهرى، خالد بن عبد الله بن أبي بكر بن مُجَدِّ الجرجاويّ، موصل الطلاب إلى قواعد الإعراب، المحقق: عبد الكريم مجاهد، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ ١٩٩٦ م، الناشر: الرسالة - بيروت، ص: ٥٥.
- ٢٤- سورة البقرة، الآية: ٢٤.
- ٢٥- الأزهرى، المرجع السابق، ص: ٥٥.
- ٢٦- سورة النساء، الآية: ٦٥.
- ٢٧- ابن مالك، المرجع السابق، ص: ٣٣.
- ٢٨- ابن عقيل، المرجع السابق، ج: ٢، ص: ٢٧٨.
- ٢٩- ويحتمل أن تكون الجملة التي قبل الجملة الاعتراضية جوابًا للشرط الذي في الجملة الاعتراضية، أو يكون الجواب محذوفًا لدلالة تلك الجملة المُشَارِ إليها عليها، فُيَسْتَعْنَى بها عن ذكر الجواب للتخلص من التكرار والإطناب المُمِلِّ.
- ٣٠- وجواب الشرط الكامن في الجملة العارضة مثل ما سبق، فإنه محذوف لدلالة جملة "إني لثابت العهد" عليه.

ظواهر بلاغية في قصيدة الذكر والذكرى

لكمال الدين المبارك علي

إعداد:

عبد الواحد الرؤوف أُونِكْتَهْنُ

طالب دكتوراه في شعبة اللغة العربية، كلية العلوم الإنسانية،

جامعة ولاية كوار، مليتي، نيجيريا

abuuthman1357@gmail.com

إشراف

أ.د. مشهور محمود محمد جمبا

ملخص:

يعد الخطاب الشعري من أكثر الخطابات الإنسانية تطوراً لما يحصل في بنيته من مقومات تجعله يقدم لنا الوجود في أبهى حلة، فعبير موسيقاه يقدم إيقاعاً خاصاً للغة التي تشكل مبناه، أما تصويره فيتجاوز التداول إلى الانزياح وخلق فضاء دلالي متميز وعليه يشكل الاتجاه الفني في العمل الأدبي عموماً والشعري خصوصاً تشكيلاً وجمالاً من أسس العمل. فالظواهر البلاغية للقصيدة العربية من الموضوعات المهمة التي تناولها النقاد والباحثون لما تنطوي عليه من تنوع جمالي تتكشف أسراره مع كل قراءة جديدة، لذلك جاء موضوع هذه الدراسة معنوناً بـ "ظواهر

بلاغية في قصيدة الذكر والذكرى لكamal الدين المبارك علي،" واتخذ الباحث قصيدة الذكر والذكرى عينة تقوم عليها الدراسة، واختار الشاعر كمال الدين المبارك علي بعد أن اطلع على ديوانه "باقة الأزهار" والذي ضم ستا وثلاثين قصيدة". ومن أسباب اختيار الباحث هذا الموضوع كون الظواهر البلاغية تستدعي الانتباه في الشعر العربي عامة، والشعر العربي النيجيري بصفة خاصة، ويضاف إعجاب الباحث بالشعر عموماً وبشعر الذكر والذكرى خصوصاً، لأنه ظلّ وفيما للقيم الشعرية الأصيلة، وفي خلال ذلك استطاع أن يبرز ذوقه في زاوية القصيدة بالبنية والوظيفة، وهذه الدراسة مكونة من خمسة محاور بعد المقدمة، وهي: ترجمة الشاعر، وعرض نص القصيدة، والشرح الإجمالي لمضمون القصيدة، والظواهر البلاغية في القصيدة، وتليها النتائج قبل الخاتمة.

المحور الأول: ترجمة الشاعر

ولد الشاعر كمال الدين المبارك علي في ٦ مايو ١٩٥٢م الموافق ١٣٧٢هـ بمدينة أوفاء، ولاية كوارا، نيجيريا، نشأ وترعرع في حجر والديه المسلمين، بدأ تعليمه الأول بقراءة القرآن الكريم والمبادئ الإسلامية في مسقط رأسه، قبل شروعه في رحلته التعليمية إلى أغينغى لاغوس حيث التحق بمركز التعليم العربي والإسلامي الذي أسسه الشيخ العلامة آدم عبد الله الإلوري - رحمه الله - وقضى فيه حوالي سبع سنوات حيث

حصل على شهادته الإعدادية والتوجيهية وذلك بين عامي و١٩٧٤ ميلاديين. ثم حظي بالقبول لمواصلة دراسته في معهد الرياض العلمي - بالرياض - في المملكة العربية السعودية عام ١٩٧٩م، وحصل بها على الشهادة الثانوية، كما حصل على شهادة الدبلوم في اللغة الإنكليزية بالمراسلة من كلية توتوريا، لندن، بريطانيا عام ١٩٨٠م. ثم فاز بمنحة دراسية من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، وحصل على شهادتها الجامعية عام ١٩٨٣، كما حصل على شهادة الدبلوم العالي في تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها من جامعة الملك سعود بالرياض عام ١٩٨٩م. وفي عام ١٩٩٠م نال القبول من جامعة إلورن، إلورن نيجيريا، لمواصلة دراسته الماجستير في اللغة العربية وآدابها وسعد بالحصول على شهادة عام ١٩٩٥م، ثم على شهادة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها عام ٢٠٠٦م في الجامعة نفسها. لقد بدأ الشاعر الدكتور كمال الدين مهنته في التدريس بمركز التعليم العربي والإسلامي أغيني، لاغوس عام ١٩٧٤م حتى ١٩٧٨م، ثم وُظف مدرساً تحت حكومة ولاية كوارا في المدرسة الثانوية العامة الحكومية التابعة لجمعية نواثر الدين بمدينة أؤفا، وذلك من عام ١٩٨٤م إلى ١٩٩٤م. وعمل محاضراً في كلية التربية والعلوم الإنسانية، إلورن، من عام ١٩٩٩ إلى ٢٠٠٥ ميلاديين، ثم وُظف محاضراً بجامعة الحكمة، إلورن منذ عام ٢٠٠٥ إلى

يومنا هذا. وقد نشر له كثير من المقالات في المجالات الدولية والمحلية، وشارك في كثير من الملتقيات الوطنية والدولية، وله مؤلفات مطبوعة عديدة منها:

- أ- مفهوم الولاء والبراء وأهميته في حياة المسلم والدعوة إلى الله.
 ب- باقة الأزهار (ديوان الشعر)
 ج- المدخل إلى المنهج الإسلامي في الفنون الأدبية: الحقائق والخصائص.

- و- صور من شعر النقائض في الأدب العربي
 ز- النقد الاجتماعي في الأدب العربي وأثره في الصلاح والتقدم والأمن.
 ح- الإصابة في فن الخطابة: دراسة وتطبيق، الكتاب الأول
 ولقد كان الدكتور كمال الدين أديبا شاعراً وكاتباً، متزوجاً ومرزوقاً بالأولاد مباركين إن شاء الله.^(١)

المحور الثاني: عرض نص القصيدة

- ١ يا إخواني هذا التجمع ينفع للذكر والذكرى لمن هو يخشع
 ٢ ذكرى للشيخ أكويشولا برهامنا ذكرى لمن يبغى التقرب يردع
 ٣ قل يا ابن آدم شيخنا وحبينا لا فض فوك ولست من يتتبع
 ٤ إن الأخوة والتوحد واجب في ديننا وإلى المحبة يدفع
 ٥ فيم الخلاف وما الذي يدعو إلى هذا الخصام إذا الكتاب سنتبع
 ٦ حبل من الله العزيز كلامه ورياض هدي محمد نسترضع

- ٧ بهما القيادة والسيادة والعلما بهما الهداية والمحبة تتبع
- ٨ ولنا المثل بمن هم سلف لنا سادوا الأنام خطاهم نتتبع
- ٩ إن القلوب لكالجنود إذا التقت وهي الزجاجه كسرهما لا يرفع
- ١٠ لكن يفرقها التملق والهوى والنهم في رغبات عيش يجشع
- ١١ وإذا التفاهم والتفكر واحد هذا جماع أمورنا يتوقع
- ١٢ فترى السعادة والنجاح حليفنا ولنا السيادة والقيادة تخضع
- ١٣ أما ترى أن قد تقدم سلفنا في وحدة وتكتل هم أجمعوا
- ١٤ يا إخواني كونوا معا وتوحدوا وتعاونوا في دينكم لتمتعوا
- ١٥ جمعا بجبل الله فلتتمسكوا إن التفرق للمذلة أسرع
- ١٦ إن الجدار إذا تمسك لبنه يضحى منيع الهدم لا يتصدع
- ١٧ إن التفرق مخذل ومعرّة إن التوحد قوّة وتمنع
- ١٨ إن القميص إذا تمزق يخلق فكأنه من قبله لا ينفع
- ١٩ وكذا إذا حبل النعال قاطع ستره في جنب الزبالة يوضع
- ٢٠ إن التخالف مظهر لتخلف أما التحالف للتقدم مصنع
- ٢١ إن العدا لا تفاقكم في مرصد ويرونه لزوالهم هو مدفع
- ٢٢ فتحالفوا يا إخواني وتوافقوا من بينكم لا تباغضوا لا توكعوا
- ٢٣ تلكم نصيحة ناصح فتذكروا إن التذكر عنبر يتضوع
- ٢٤ فيم الغرور وأنت عبد ميّت يوما وما ملكت يمينك يوزع
- ٢٥ مرحى معلّنا حبيب قلوبنا أنت لآدم شيخنا متطبع

- ٢٦ دوما سيبقى وعظكم مرآتنا أيضا لدعوتنا لكم فتوقعوا
 ٢٧ هذا كمال ربي بكم يدعو لكم يرجو لكم كل السعادة فارتعوا
 ٢٨ صلّى الإله على النبيّ مُجَّد فوق الخلائق في القيامة يرفع^(٢)

المحور الثالث: الشرح الإجمالي للقصيدة:

اختار الشاعر في هذه القصيدة أسلوباً معتدلاً، فليس جزلاً فخماً، ولا سهلاً مهلهلاً، لأن المناسبة فيها عرض قضايا هامة، تغدو مناط التوعية والإيقاظ، مع التوجيه والوعظ. وجه الشاعر خطابه تجاه الأخوة مشيراً إلى منافع التجمّع وفوائد الاتحاد للجماعة والأفراد على حد ما جاء في البيت الأول ببراعة المطلع، ومن ثم يميل مادحاً وذاكراً، تكريماً وتشجيعاً لخليفة شيخه، وحامل لواء دعوته، كما ظهر في مدلول البيت الثاني والثالث، ثم عاد في البيت الرابع إلى هدفه المنشود وغرضه الأساس، في رحاب أهمية الأخوة والمحبة، للإفادة والاستفادة.

وبعدئذ تتسم القصيدة بجودة الدلالة ودسمة التركيب فيما بين البيت الخامس إلى الثامن، حيث يمجّج قلم الشاعر لبذ الاختلاف والافتراق وغرس التآلف والاتفاق، داعياً إلى التمسك بهدي النصوص المقدّسة: "الكتاب والسنة"، لمتابعة سبل الرأفة والرحمة، وسدّ رمق الأخوة بالصلّة والقرباة في حسن المعاملة والصدّاقة، كما توجد ضمن مكارم أخلاق الصحابة، حيثما كانوا رحماء بينهم في السيادة والقيادة. وفي البيت

الثامن يصور الشاعر إيجابيات الاتحاد، كما يبرز سلبيات الافتراق، منبثقاً من مزايا الصحابة الكرام، لأن الخير كل خير في اتباع واتفاق من سلف والشر كل شر في ابتداع وافتراق من خلف.

وفيما بين البيت ٩-١٣ تغدو القطعة دليلاً واضحاً بظاهرة التشبيه لمزيد البيان والتبيين في فحوى التفصيل، بما تثير روح المعنى في أذهان القراء، وتثري العاطفة في آذان المستمعين بحسن الرقة والرشاقة واللطافة، وجودة التفاهم، ورأي السليم، عبر حسن المعاملة بين السلف الصالح، بكونهم كالبنين يشدّ بعضه بعضاً في جلب الخير ودفع الشر.

ومن مطلع البيت ١٤-١٩ ازدادت روائع فكرة الأبيات في مناسبة الأخوة والاتحاد، فتتلاحم معها أشكال خارجية في نماذج واقعية، جداراً وقميصاً ونعلاً، فجعل روعة الكناية أقوى حجة أمام القراء تلو بلاغة التشبيه في سابقتها، لأداء المعنى وخلق الجو الملائم بالمغزى في صورة تكرار الدعوة إلى الأخوة لنيل القوة والنهضة ورغبة عن التفرقة لدفع الذلة والمسكنة. فتتجلى صفحات مشرقة في ميزان الإسلام القيم، ومعياره القويم، وبقسطاسه المستقيم، على التمسك والاعتصام بحبل الله المتين.

ومن البيت ٢٠-٢٢ ينطلق الشاعر مانعاً عن التخالف بين القوم جمعاً وفرادى، لأن العدو من وراء اختلافهم محيط، يتفقوا على أن لا يتفقوا، ويختلفوا كيلاً يتآلفوا. تتخل الأبيات بندااء الإخوة للمرة الثالثة،

في توعيتهم وتوجيههم نحو أهمية الأخوة، لكونها الضالة المنشودة للأوزان، والغاية المقصودة للقوافي. ولذا بنى الشاعر النداء وجعله واسطة العقدين صيغتي الأمر لتقويتهما وتحريكهما، ناهياً العداوة والبغضاء، ومانعاً من التحقير والتكبر، بل تبادل الاحترام في العسر واليسر.

وفيما تبقى من الأبيات في أواخر مطاف ٢٣-٢٨ يعرض الشاعر الدين في النصيحة بفوائد الذكر والتذكير، للعبد المنيب أمام ربه المجيب بحسن المآب. واختتمت القصيدة بإشارة الشاعر إلى غرور الدنيا، أن الحياة ظل زائل، وطعامها جيفة قدرة، حلاوتها تنفذ، ومرارتها تمتد، إن بقيت لها لم تبق لك. وبعدها التفت الشاعر نحو مدح ابن الإلوري وخليفته، في مسير على دربه في رحاب الوعظ والإرشاد، لمنفعة العباد، واعترف الشاعر نفسه بين يدي القارئ الفاضل في دعائه لسعادة الإخوة والأحباب، وفي مسك ختام النظم، صلى على النبي الكريم الرؤوف الرحيم.

المحور الرابع: الظواهر البلاغية في القصيدة

إن الظواهر البلاغية في القصيدة تعدّ من الوسائل الفنيّة الراقية تقرب المعاني وتزيدها وضوحاً وتأكيذاً. ولقد كانت هذه بشتى أنواعها وأشكالها مما تظهر ملكة الشاعر من توظيف الأساليب البلاغية المتنوعة، والتي زادت هذه القصيدة رونقاً وجمالاً مما جعلها تقف جنباً

بجنب مع الانتاجات الشعرية الرائعة في العالم الأدبي العربي. وفيما يلي بعض ما يلاحظ من الظواهر البلاغية في القصيدة حسب فنونها:

- الظواهر المعانية

استعمل الشاعر هذا الفن من الفنون البلاغية بغية الوقوف على جهده البلاغي عامة والمعاني خاصة، وإبرازه إمكانيته في مطابقة كلامه لمقتضي الحال وفق أغراضه المنشودة التي يرمي إليها، وتمرسه بذلك الفن بشتى ألوان منها:

١- الإطناب: أطنب الشاعر في قصيدته المدروسة هذه، حيث أتى بزيادة اللفظ على المعنى، لسبب أو غرض التكرار لفائدة، وذلك بإلحاحه على جهة هامة من العبارة، يعنى به الشاعر أكثر من عنايته بسواها، فيجعلها ملمحا مهيمنا في نص القصيدة، فيعتبر الشاعر عما يكمن في داخله من دلالات نفسية قيمة. لقد تعددت أنواع التكرار في هذه القصيدة مما يمنحها إيقاعا مميزا، كما يعمل على الإثارة وشدة الانتباه تجاه المكررات، وكما يكسبها صفة جمالية تميزها، ومغزى الشاعر البلاغي في استعماله التكرار في أبياته، هو تأكيد القول وتثبيتته. وفيما يلي بيان عن أنواع التكرار الموجودة في تلك القصيدة بعد تعريف وجيز له.

التكرار: فالتكرار بفتح التاء: الترداد والترجيع من كرّ يكرّ كرّا وتكرار، والكر الرجوع على الشيء، ومنه التكرار، وكرّر للشيء وكرره أعاده مرة بعد أخرى، ويقال: كررت عليه الحديث وكررته إذا ردّته عليه. (١٣)

وأما في الاصطلاح: إلحاح على جهة هامة من العبارة يعني به الشاعر أكثر من عنايته بسواها، وهو بذلك ذو دلالة نفسية قيمة ينتفع بها الناقد الأدبي الذي يدرس النص وتحلل نفسية كاتبه إذ يضع في أيدينا مفتاح الفكرة المتسلطة على الشاعر.^(١٤) بمعنى أن الكاتب المبدع يعني بصفة لغوية معينة فيجعلها ملمحا مهيمنًا في نصه دون سواها، فتعتبر عما يكمن في داخله من دلالات نفسية،^(١٥) ولقد يتسع مفهوم التكرار ويشمل تكرار أنواع الكلمة من اسم وفعل وحرف، ومن هنا فقد تعددت أنواع التكرار في قصيدة الذكر والذكرى التي نحن ندرسها منها:

(أ) التكرار الصوتي: وهو عبارة عن تكرار حرف يهيمن صوتيا في بنية المقطع أو القصيدة، مثال ذلك من القصيدة صوت، (اللام) نلاحظ أن صوت (اللام) قد هيمن على القصيدة وقد تكرر (١٢٤) مرة، فحرف اللام يعرف بأنه صوت جانبي مجهور،^(١٦) وثاني الحروف تكرارا في القصيدة هو حرف التاء والذي تكرر (٨٤) مرة، فهو صوت أسناني مهموس،^(١٧) فهو حرف يوحى فعلا بإحساس لمسي لأنه من الحروف اللمسية.^(١٨)

أما الحرف الآخر المكرر في القصيدة هو ميم، فقد تكرر (٧٦) مرة، فهو يتميز بخصائص تميزه فهو أنفي شفتاني مجهور،^(١٩) وكذلك حرف الواو المكرر أيضا (٤٨) مرة، وهو شبه صائت غاري مجهور.^(٢٠)

وانطلاقاً من هذا، ندرك أن الشاعر نوع في استعمال الحروف وتكرارها وهذا راجع إلى تجربة واقعية وتعبير صادق وعفوي وهذا ما تبين من قراءة القصيدة المدروسة، ويمكن إيجاز ذلك في الجدول الآتي:

المرتبته	صفته	نسبته المئوية	عدد تكراره	الحرف
٧	مجهور	٤.٤٢%	٣٩	أ
٩	مجهور	٤.١٩%	٣٧	ب
٢	مجهور	٩.٤٥%	٨٤	ت
٢٣	مجهور	٠.١%	١	ث
١٧	مجهور	١.٤٧%	١٣	ج
١٤	مجهور	٢.٤٩%	٢٢	ح
١٦	مجهور	١.٧%	١٥	ج
١١	مجهور	٣.٩٧%	٣٥	د
١٥	مجهور	١.٧%	١٥	ذ
١٠	مجهور	٤.٠٨%	٣٦	ر
١٩	مجهور	٠.٦٨%	٦	ز
١٥	مجهور	١.٨١%	١٦	س
٢٠	مجهور	٠.٦٨%	٦	ش
١٨	مجهور	٠.٩%	٨	ص

الحرف	عدد تكراره	نسبته المئوية	صفته	مرتبه
ض	٧	٠.٧٩%	مجهور	١٩
ط	٣	٠.٣٤%	مجهور	٢١
ظ	٢	٠.٢٢%	مجهور	٢٢
ع	٥٤	٦.١٢%	مجهور	٥
غ	٤	٠.٤٥%	مجهور	٢٠
ف	٣٦	٤.٠٨%	مجهور	١٠
ق	٢٧	٣.٠٦%	مجهور	١٤
ك	٣٤	٣.٨٥%	مجهور	١٢
ل	١٢٤	١٤.٠٧%	مجهور	١
م	٧٦	٨.٦٢%	مجهور	٣
ن	٦٣	٧.١٥%	مجهور	٤
و	٤٨	٥.٤٤%	مجهور	٦
هـ	٣٢	٣.٦٣%	مجهور	١٣
ي	٣٨	٤.٣١%	مجهور	٨
المجموع	٨٨١			

(ب) التكرار اللفظي: وهو تكرار يعيد نفس اللفظة الواردة في الكلام لإغناء دلالة الألفاظ، وإكسابها قوة تأثيرية،^(٢١) فتكرار اللفظة

يمنح النغم والإمتداد للقصيدة، كما يمنح قوة وصلابة نتيجة لذلك التكرار، كما أنه يثير البنية الإيقاعية، لأن الكلمة المكررة لها وقع على نفسية الشاعر وعاطفته، ويكون لها مدول قوي ومؤثر.^(٢٢)

وهذا التكرار يتضح في الجدول الآتي:

اللفظ	تكراره	اللفظ	تكراره
السعادة	مرتان	يا	أربع مرات
التفرق	مرتان	الذكر	مرتان
إلى	مرتان	الذكرى	مرتان
بهما	مرتان	إخوتي	ثلاث مرات
لنا	ثلاث مرات	إنّ	عشر مرات
لكم	ثلاث مرات	التوحد	مرتان
في	خمس مرات	الشيخ	ثلاث مرات
لا	خمس مرات	السيادة	مرتان
لمن	مرتان	القيادة	مرتان

(ج) تكرار العبارة أو الجملة: وهو تكرار يعكس الأهمية التي يوليها المتكلم لمضمون تلك الجملة المكررة باعتبارها مفتاحاً لفهم المضمون العام الذي يتوخاه المتكلم، إضافة إلى ما تحققه من توازن هندسي وعاطفي بين الكلام ومعناه،^(٢٣) وهو يرد في صورة عبارة تحكم

تماسك القصيدة ككل.^(٢٤) ومن أمثلة ذلك في هذه القصيدة: "يا إخوتي"، فهذه العبارة تكررت في القصيدة ثلاث مرات إذ صارت بمثابة المركز والمحور الأساسي للقصيدة ككل. وكذلك نلاحظ أن الشاعر كرر العبارات الآتية مرتين لغرض التأكيد. وهي:

بهما القيادة والسيادة،

ولنا السيادة والقيادة

فترى

أما ترى

إن التفرق للمذلة أسرع

إن التفرق محذل ومعة

فالتكرار هذا يمنح هذه القصيدة إيقاعاً مميزاً كما يعمل على الإثارة وشدة الانتباه تجاه تلك العبارة المكررة، كما يكسب القصيدة صفة جمالية تميزها.

٢- أسلوب الإنشاء الطلبي:

استعمل الشاعر هذا الأسلوب في الظواهر الأربعة، من بلاغة النداء، والأمر، والنهي، والاستفهام. استغلظت كلها في كثير من أبيات قصيدته، وكانت بلاغة الأمر أكثرها استعمالاً لدى الشاعر في هذه السطور، استدعاءً كلامه شيئاً غير خاصة عند نطقه إياه، وينحصر ذلك الأسلوب فيما تلي:

(أ) النداء: للشاعر عناية شديدة لاستحضار مخاطبيه إليه، وذلك في استعماله أداة النداء (يا) في القصيدة أربع مرات: في أبيات من (١، ٣، ١٤، و ٢٢) فهذه الأداة (يا) في الأصل للمنادى البعيد، واستعملها الشاعر للمنادى القريب، ولعلّ مغزاه البلاغي، وسره في ذلك هو إنزاله القريب منزلة البعيد في مغزى تعظيم المنادى ورفع شأنه. والغرض البلاغي الذي من أجله أكثر الشاعر استعمال هذه الأداة، هو طلب إقبال مناداه واستغراق قلبه إلى ما يليق عليه.

(ب) الأمر: تناول الشاعر الأمر في كثير من أبيات القصيدة هذا، وهو طلب حصول الفعل على جهة الاستعلاء،^(٢٥) وقد استعمله الشاعر في ثلاث صور وهي:

* فعل الأمر، وذلك في أبيات من (٣، ١٤، ٢٢، ٢٣، ٢٦، ٢٧) في ألفاظ: (قل، كونوا توحدوا، تعاونوا، تحالفوا، توافقوا، توقعوا، فارتعوا).
* المضارع المقترن بلام الأمر، وذلك في لفظي (لتمتعوا، و فلتتمسكوا) في البيتين الرابع عشرة والخامس عشرة من القصيدة.

* المصدر النائب عن فعل الأمر، وذلك في البيت الخامس عشرة في قوله جَمَعًا، والتقدير: اجمعوا جمعًا. ولقد أخرج الشاعر صيغة الأمر عن دلالتها الأصيلة التي هي الإيجاب، أي طلب الفعل على وجه اللزوم^(٢٦) إلى معاني أخرى، وهي:

* الرجاء في ألفاظ من (قل، فتوقعوا، فارتعوا) في الأبيات من (٣، ٢٦،
و ٢٧) من القصيدة، إذ جاء الأمر من الأدنى إلى الأعلى، لأن
الشاعر وجه الأمر إلى شيخه ومعلمه يقول:

قل يا ابن آدم شيخنا وحبينا *** لا فض فوك ولست من يتتبع
دوما سيبقى وعظكم مرآتنا *** أيضا لدعوتنا لكم فتوقعوا
هذا كمال ربيكم يدعو لكم *** يرجو لكم كل السعادة فارتعوا
* النصح والإرشاد: وذلك في الألفاظ الأمرية الباقية في القصيدة، لأن
الأمر فيها يشمل نصحا وإرشادا، يقول:

يا إخوتي كونوا معا وتوحدوا *** وتعاونوا في دينكم لتمتعوا
جمعا بحبل الله فلتتمسكوا *** إن التفرق للمذلة أسرع
فتحالفوا يا إخوتي وتوافقوا *** من بينكم لاتباغضوا لا توكعوا
تلکم نصيحة ناصح فتذكروا *** إن التذكر عنبر يتضوع

(ج) النهي: هو طلب الكف عن شيء على وجه الإلزام والاستعلاء.
وقد لوحظ النهي في البيت الثاني والعشرين من القصيدة وذلك في لفظي:
(لاتباغضوا، ولا توكعوا)، ولقد رأى الشاعر أنه لا بد من استعمال هذا
الأسلوب بلا الناهية، عندما يريد أن يرشد إخوته، وينصحهم ليكفوا عن كره
ومقت بعضهم بعضا. فمغزى الشاعر البلاغي في استعمال هذا الأسلوب، هو
النصح والإرشاد، لكون النهي في هذا المضمار شاملا نصحا وإرشادا. يقول:

فتحالفوا يا إخواني وتوفقوا *** من بينكم لا تباغضوا لا توكعوا
(د) الاستفهام: هو طلب العلم والمعرفة عن شيء لم يكن معروفا
وقت الطلب بأدوات خاصة، وهي: الهمزة، وهل، ومن، وما، وكيف،
وكم، وأين، وأيان، ومتى، وأني، وأي. وكل أداة من هذه الأدوات يسأل
بها عن شيء معين، وهي أسماء ما عدا الهمزة وهل، فهما حرفان. ومما
تجدر الإشارة إليه أن هذه الأدوات لها حق صدارة الجملة المستفهم عنها.
استفهم الشاعر في البيت الخامس، والبيت الرابع والعشرين بلفظي
(فيم، وما)، وفيهما استفهام إنكاري لبطلان الخلاف بين الأخوة،
والدعوة إليه في البيت الخامس، وتعليل ميل العبد وتعييبه إلى الغرور
بالدنيا الدنية في البيت الرابع والعشرين. ولقد خرج الشاعر عن دلالة
الاستفهام الأصلي وهو إرادة طلب الإفهام والاستفسار إلى معان
أخرى، وهي:

التعجب: يتضح هذا الاستفهام التعجبي في استعمال لفظ (فيم) في
موضعين من القصيدة، وهو أداة استفهامية مركبة من حرف الجر (في) و
(ما) الاستفهامية، وقد حذفت ألفها لدخول الجر عليها، وكان
الاستفهام عما يثير الإعجاب والدهشة، يقول:

فيم الخلاف وما الذي يدعو إلى *** هذا الخصام إذا الكتاب سنتبع
فيم الغرور وأنت عبد ميت *** يوما وما ملكت يمينك يوزع

التوبيخ: حصل معنى التوبيخ في (ما) الاستفهامية في البيتين السالفين لأن استفهام فيهما يفيد التوبيخ والتحقير.

٣- أسلوب الخبر

بعد أن تأملنا أبيات القصيدة كلها وجدنا أن جميعها لا تخلو من أسلوب الخبر إلا ثلاثة أبيات فقط: البيت الثالث، والبيت الرابع عشرة، والبيت الثاني والعشرين، ونلاحظ أن جميع الأبيات الإخبارية هذه مبدوءة بالجملة الاسمية لإفادة ثبوت الحكم الذي أسنده إليها، اللهم إلا أن بيتين منها مبدوءان بالجملة الفعلية دلالة على الاستمرار والتجدد للحكم، وهما البيت الثاني عشر والثالث عشر.

ولقد سلك الشاعر طرائق قددًا لإلقاء أخباره في هذه القصيدة، منها ما يلقي ساذجا غفلا من أدوات التوكيد دلالة على أن مخاطبيه كانوا خالي الذهن من الحكم ومن التردد فيه، ومنها ما ألقاها بمؤكد واحد وهو إنَّ أو قد أو أما لإزالة التردد من قبل المخاطبين المترددين في ثبوت الحكم وعدمه. وللشاعر أغراض مختلفة في إلقاءه الأخبار في هذه القصيدة منها:

التذكير: يقول الشاعر:

يا إخوتي هذا التجمع ينفع *** للذكر والذكرى لمن هو يخشع
ذكرى للشيخ أكيؤشولا برهامنا *** ذكر لمن يبغى التقرب يردع

إن الأخوة والتوحد واجب *** في ديننا وإلى المحبة يدفع
حبل من الله العزيز كلامه *** ورياض هدي محمد نسترضع
بهما القيادة والسيادة والعلا *** بهما الهداية والمحبة تتبع
التهديد، يقول:

فيم الخلاف وما الذى يدعو إلى *** هذا الخصام إذا الكتاب سنتبع
فيم الغرور وأنت عبد ميت *** يوما وما ملكت يمينك يوزع
الفخر، يقول:

فترى السعادة والنجاح حليفنا *** ولنا السيادة والقيادة تخضع
التوبيخ، في قوله:

إن القميص إذا تمزق يخلع *** فكأنه من قبله لا ينفع
وكذا إذا حبل النعال قاطع *** ستراه في جنب الزيالة يوضع
الوعظ والإرشاد، يقول:

إن التفرق مخذل ومعة *** إن التوحد قوة وتمنع
تلكم نصيحة ناصح فتذكروا *** إن التذكر عنبر يتوضع
فيم الغرور وأنت عبد ميت *** يوما وما ملكت يمينك يوزع
التنشيط والترحيب، يقول:

قل يا ابن آدم شيخنا وحبينا *** لافض فوك ولست من يتتبع
مرحى معلمنا حبيب قلوبنا *** أنت لآدم شيخنا متطبع

دوما سيبقى وعظلكم مرآتنا *** أيضا لدعوتنا لكم فتوقعوا
إظهار الفرح: يقول:

هذا كمال ربيكم يدعو لكم *** يرجو لكم كل السعادة فارتعوا
صلى الإله على النبي محمد *** فوق الخلائق في القيامة يرفع

- الظواهر البيانية:

ومما نشاهده في هذه القصيدة إيراد الشاعر المعنى الواحد في صور مختلفة وتراكيب متباينة في درجة الوضوح، هذا الذي تشير إلينا عبقرية الشاعر الفنية باستعماله الصور البيانية التي توتي عمله مطابقة لمقتضى الحال، ومن ضمن هذه الصور ما يلي:

١- التشبيه: يعد التشبيه أسلوبا من الأساليب البيانية، وهو من أهم الوسائل التي استعان بها الشاعر كمال الدين في إنشاء صورة الفنية، ويشغل هذا التشبيه في شعره حيزًا كبيرًا، فجاء مصاعًا بطرق متنوعة، وذلك حين يصور كلام الله (القرآن الكريم) وهدى رسول الله - ﷺ - فاختر لهما أدق التشبيه وأبلغه، حيث شبه القرآن بالحبل، وهدى الرسول بالرياض، وذلك في البيت السابع من القصيدة، وكذلك تشبيهه التذکر بالعنبر، والوعظ بالمرآة، وذلك في البيتين (٢٣، و ٢٦) من القصيدة.

وقد تجلّت بلاغة التشبيه في سياقاتها نسيج واحد، إذ تنبثق أنسجتها اللغوية من السياق، لا تنفصم عنه، بل تمضى مع السياق

نسيجًا واحدًا، يخرج من مشكاة لغوية واحدة، كما أبرزت مواطنها في هذه القصيدة. يوجد تشبيه المحسوس بالمحسوس حيث شبه الشاعر القرآن الكريم بالحبل. والسر البلاغي في اختيار الحبل مشبها به دون غيره، في فحوى توطيد الأشياء، لكون الذكر الحكيم جبل الله المتين، يشد الكائنات ويربطها بالتوجيهات. والحديث النبوي شبه بالرياض، إذ يقابل الكلام النبوي مع النص المقدس في مكنز الهدى، وموكب الرعاية والضياء. ومن اتمسك بهما لن يضل. ومن ثم أردفه الشاعر بتشبيه المعقول بالمحسوس، وذلك فيما بين تشبيه التذکر بالعنبر، وتشبيه الوعظ بالمرأة. والغرض البلاغي في توطيد أفكار الشعر بتلك الظواهر التشبيهية في صورها المتنوعة، هو إيضاح الأمور المعنوية بالصور التي تدركها الحواس وتؤثر في الأذهان، ولم يتطرق الشاعر في زاوية قصيدته من هذا الحقل البلاغي إلى الأمور الخيالية التي لا تقع عليها الحاسة. إنما اكتفى بما تمثله سريع الحركة من الصور البيانية لتحقيق الغاية المقصودة. وإن الصور التشبيهية في هذه القصيدة لا تتجاوز الثلاثة مدلولًا ومضمونًا.

ونلاحظ أيضا أن جميع التشبيهات المشار إليها أنفا تشبيهات بليغة حيث حذف منها الشاعر أداة التشبيه، ووجه الشبه، وأتى الشاعر بهذا التشبيه البليغ بطريقة أروع وأجمل وأدق، وهذا كله له أثر بيّن في إيضاح المعاني وتقريرها، يقول:

حبل من الله العزيز كلامه *** ورياض هدي محمد نسترضع
تلك نصيحة ناصح فتذكروا *** إن التذكر عنبر عنبر يتوضع
دوما سيبقى وعظكم مرآتنا *** أيضا لدعوتنا لكم فتوقعوا

٢- الاستعارة: يتطرق شاعرنا إلى هذا اللون البلاغي في قصيدته، لما ينطوي عليه من وظائف، تعكس القيم الجمالية والتعبيرية للمعنى. وقد أفاد الشاعر واستفاد في أبنية قصيدته ببلاغة الاستعارة في سطور طفيفة في زاوية هذه القصيدة لنقل الألفاظ من معانيها اللغوية التي وضعت لها إلى معادن أخرى تستعمل فيها استعمالا جديدا يضيف على المستعار له لونا من المبالغة حيث يحيله من جنسه إلى جنس آخر. وللشاعر غرض معين في استعماله الاستعارة، أى في نقله اللفظ من موضع إلى موضع آخر، وإبراز الدلالة على إثباته للمشبه ما يخص المشبه به، ولما يضيفه من كثرة المعاني والتفنن فيه، وذلك بإخراج الشاعر أساليب لها أثرها العميق في الإقناع والتأكيد ويتضح ذلك في البيت السادس والثاني عشر من القصيدة، حيث استعار الشاعر في الأول منهما لفظة "نسترضع" استعارة مكنية، شبه اتباع هدي مُجَّد بالوالدة (الأم) التي يسترضعها الرضيع، وحذف المشبه به ورمز له بشيء من لوازمه (يسترضع).

وكذلك الحال حين استعار الشاعر لفظة "تخضع" استعارة مكنية لشبهه تيل السيادة والقيادة بالعبد المملوك، والذي يخضع رقبته لمليكه

تذليلاً وتسليماً له ولقد حذف الشاعر أيضاً المشبه به (العبد المملوك) ورمز له بشيء من لوازمه، يقول:

حبل من الله العزيز كلامه *** ورياض هدي مُجَّد نسترضع
فترى السعادة والنجاح خليفنا *** ولنا السيادة والقيادة تخضع
وفي شتى المواكب يرتكز الشاعر ويتبادل حقول بيانية، وعلى هذا
المنوال يقول:

إن الجدار إذا تماسك لبنه *** يضحى منبع الهدم لا يصدع
إن التفرق مخذل ومعة *** إن التوحد قوة وتمتع
إن القميص إذا تمزق يخلع *** فكأنه من قبله لا ينفع
وكذا إذ حبل النعال قاطع *** ستره في جنب الزبالة يوضع
في البيت الأول ولى الشاعر وجهه شطر الكناية بدلا من التصريح
لتقوية البيان وتوصيل الفكرة إلى غاية الوضوح والجلاء بجزالة اللفظ،
وكنى تسامح الاتحاد والتجمع بتماسك الجدار واضمام لبنته وعدم
إمكانية افتراقها بالسهولة، ولا يحصل هدمها بعد أن رفع سمكها وسوّها.
وفي البيت الثاني عدّل الشاعر تصريحه بعد كنيته، لأنه الإتيان بهذا
البيت بعد سابقه يعبر قوة لباقة الشاعر في الفكرة والأسلوب، لأن
الحكيم الداعي إلى شيء لا يدعو إليه إلا امتثال به، يبذل غاية العليا
من التجربة البلاغية في الحقول البيانية للانتفاع والإفادة، إذ أقلت المعاني

سحائب أماكن القلوب لتحيتها بالاتحاد قوة، وترويبها بالاتفاق متعة، أو تضعفها بالتفرقة بنية، وتبسطها بالاختلافات وضعة.

وفي البيت الثالث استوى الشاعر على ساعد الجد مصورًا غايته العظمى تجاه الأخوة بخير فوائدها، والتفرقة بسوء عواقبها، وعلى هذا المنوال استعمل عامل التشبيه المرسل، ممثلاً التفرقة بالقميص حين تمزقه، ونبذه في الزبالة كأن لم يكن من قبل عنصر الزينة وستر العورة، فالنص في زاوية البيت رغم قلة ألفاظه، مشحون بمعان جليلة، واسعة النطاق، بقابل التشابه بين تمزق الثوب وتفرق الأحباب.

وفي البيت الرابع والأخير، نلاحظ الإبداع الجليل في إطار الدعوة إلى الأخوة والتوعية ضد التفرقة، ولذا جعل الشاعر مضمون النصوص المتقاربة في الأبيات الثلاثة السابقة وهذه الأخيرة بعضها جنب بعض، لبناء التكافل والتعاقد بين الأشياء المختلفة، حين تنفع وبعد تعطيل نفعها لإيصال الأفكار والمقاصد.

استخدم الشاعر في الأبيات الأربعة أدوات الشرط "إذا" بعد أن افتتح مقاصده افتتاحاً بارعاً بأداة التوكيد "إن" واستهلته صدارته استهلالاً باهرًا، ووفرة التقابلات بين السلبية والإيجابية، من خلال التألف والتخالف، لانتباه المخاطب، وإثارة لوعيه، وإيقاظاً لهم، ليدرك ما في القصيدة من الوصايا الرشيدة، والارشادات الوجيهة.

- الظواهر البديعية

زَيّن الشاعر كمال الدين قصيدته بمحسنات جمالية لفظية، التي تكون بها القصيدة في غاية التحسين والتزيين لفظاً ومعناً. وينهض نهضة توضيحية في رحاب ستة ظواهر بديعية بلاغية فحسب، ونال أسلوب الجناس قصب السبق لكثرتة وروداً في القصيدة، ومن هذه الحقول البديعية ما تلي:

(١) **التصرّيع:** فالتصرّيع هو اتفاق نهاية شطري البيت الأول في حرف واحد، وأحسن ما يكون في أول القصيدة^(٢٨) ولقد يوجد هذا التصرّيع في البيت الأول من القصيدة حيث أن الكلمتين (ينفع ويخشع) قد اتفقتا في الحرف الأخير منها، وهما نهاية شطري البيت الأول، ويعطي التصرّيع جرساً موسيقياً يأخذ الأسماع والأفهام، ويسعد النفس من خلال موسيقى الصوت،^(٢٩) يقول:

يا إخوتي هذا التجمع ينفع *** للذكر والذكرى لمن هو يخشع

(٢) **براعة الاستهلال:** بدأ الشاعر قصيدته ببداية مثيرة تشد السامعين وتحرك في نفوسهم الرغبة في الاستماع والتفاعل وذلك في قوله:

يا إخوتي هذا التجمع ينفع *** للذكر والذكرى لمن هو يخشع

وبإمعان النظر إلى البيت السابق نجد أنه فيه نوع من إبداع يجذب الانتباه، ويأسر المتلقي سامعاً أو قارئاً، مع حسن السبك، وعذوبة اللفظ، وصحة المعنى، مشتملاً على إشارة لطيفة إلى المقصود.

(٣) **الجناس**: يدرك الشاعر ما للجناس من القيمة الموسيقية المتميزة، التي تنشأ من تكرار الحروف وترديدها وتقابل الألفاظ المتشابهة، لتنشيط الأذهان، وطرده السامة، وللشاعر مغزى بلاغي في استعمال هذا اللون من المحسنات اللفظية، وهو إيضاح المعاني وزيادة الإفادة، مع أثر حسن في النفس، ووقع جميل في القلب وخلق جوّ من الحركة الحيوية في إحداث الأنغام والإيقاعات الموسيقية. ولقد لوحظ الجناس الناقص بأنواعه في تلك الأبيات حسب الأتي:

الجناس المطرف: جانس الشاعر بين "الذكر الذكرى" في البيت الأول جناسًا ناقصًا مطرفًا، لاختلاف اللفظين في المعنى، وعدد الحروف، وزيادة حرف في الآخر دون الآخر يقول:

يا إخوتي هذا التجمع ينفع *** للذكر والذكرى لمن هو يخشع
الجناس بين (الذكر والذكرى)، وأن الذكر بمعنى الوعظ والإرشاد، والحفظ للشيء كالتذكّار، بينما كانت الذكرى الاحتفال بمرور زمن معين أو وقوع حادث.

الجناس اللاحق: جانس الشاعر بين "السيادة والقيادة" في البيت السابع، وبين "السعادة والسيادة" في البيت الثاني عشر، جناسًا لاحقًا، في الحرفين (السين والقاف) و(السين والعين) غير المتقاربين في المخرج، يقول:

بهما القيادة والسيادة والعلما *** بهما الهداية والمحبة تتبع
فترى السعادة والنجاح حليفنا *** ولنا السيادة والقيادة تخضع

الجناس المضارع: لقد جانس الشاعر أيضا بين "التخالف
والتحالف" في البيت العشرين، جناسًا مضارعًا لاختلاف اللفظين في
الحرفين (الحاء والحاء) المتقاربين في المخرج، يقول:

إن التخالف مظهر لتخلف *** أما التحالف للتقدم مصنع

٤- المقابلة: استخدم الشاعر هذا التصوير الفني، ونوعا من أنواع
المحسنات البديعية المعنوية في القصيدة، حيث يقوم على مبدأ التضاد
بين المعاني والألفاظ والأفكار والصور من أجل عناية بلاغية وفكرية،
وهي آداء المعاني وإبراز تضادها وتناقضها.

إتيان الشاعر بمعان متوافقة في الشطر الأول من البيت السابع عشر،
وما تقابلها على الترتيب في الشطر الثاني منه، ومغزاه البلاغي في ذلك
تحسين جودة المعنى، وإحداث موسيقى وتناسق، في مقابلة الثلاثة
بالثلاثة في قوله:

إن التفرق مخذل ومعة *** إن التوحد قوة وتمنع

وتتضح مقابلة التفرق بالتوحد، ومخذل بقوة، ومعة أى الأذى، بما
تمنع أى تدفع عن الأذى .

٥- الطباق: طابق الشاعر بين لفظ وضده مطابقة إيجابية، وذلك بين لفظي (لتخلف وللتقدم) في البيت العشرين من القصيدة. وقد أتى هذا اللون البديعي لهذه القصيدة تحسينا لفظيا، يطري على القصيدة الجمال، ويعطي للجملة معناها، ويوضح المقصود منها وبيانها في ربط شيء مع بعضه البعض، يقول:

إن التخالف مظهر لتخلف *** أما التحالف للتقدم مصنع

(٦) الاقتباس: استوظف الشاعر في قصيدته شيئا من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف مما يدل على علاقة الشاعر بالنص الديني، وولعه به. وقد لوحظ الاقتباس في البيت السادس من القصيدة حيث يقول:

حبل من الله العزيز كلامه *** ورياض هدي محمد نسترضع

فحبل من الله مقتبس من قوله سبحانه وتعالى: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا...﴾ سورة آل عمران، (آية ١٠٢) وقوله تعالى: ﴿ضربت عليهم الذلة أين ما ثقفوا إلا بحبل من الله...﴾، سورة آل عمران، (آية ١١٢). واقتبس الشاعر من قوله سبحانه وتعالى أيضا: ﴿فاستمسك بالذين أوحى إليك إنك على صراط مستقيم﴾، سورة الزحرف، (آية ٤٣)، إضافة إلى الآيتين المذكورتين أنفا تصمين للبيت الخامس عشر، يقول:

جميعا بحبل الله فلتتمسكوا*** إن التفرق للمذلة أسرع
وفي البيت السادس والعشرين اقتباس من الحديث الذي رواه أبو
موسى الأشعري رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم: "المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدّ بعضه بعضا، وشبك بين
أصابعه." (٣٠) يقول الشاعر:

إن الجدار إذا تمسك لبنه*** يضحى منيع الهدم لا يتصدع
وكذلك كان الاقتباس في البيت الثاني والعشرين حيث يقول:
فتخالفوا يا إخوتي وتوافقوا*** من بينكم ي تباغضوا لا توكعوا
وهذا مقتبس من الحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم: "لا تحاسدوا ولا تناجشوا" ولا تباغضوا، ولا
تبادروا.. وكونوا عباد الله إخوانا... (٣١)

الخاتمة:

من خلال هذه الدراسة التي أوردناها في هذه الورقة يتضح بجلاء أن
قصيدة الذكر والذكرى لكamal الدين المبارك على، كانت من أروع
قصائد الشاعر لشمولها على ألوان الصورة الجمالية الرائعة، ومن الأنماط
الفنية القيمة، التي تدل على إبداع صاحبها وشاعريته، وبراعته في اختيار
الألفاظ المناسبة، وأصوات مملوءة بالموسيقى الداخلية والخارجية، التي
تنسجم للمعاني التي يرمي إليها.

وفي ختام هذا البحث، يصل الباحث إلى استعراض أهم النتائج التي توصل إليها:

(١) تمييز الظواهر البلاغية لدى الشاعر، ذلك بقدرته على التصوير الفني، وهذا مما زاد القصيدة جمالا، وأبعدها عن الجمود والرتابة.

(٢) ربط النص البلاغي بالفكرة والأسلوب الكامنة في التركيب الشعري لتوضيح الغاية المقصودة من حيث البنية والوظيفة.

(٣) إبراز الأسرار البيانية، وإظهار المزايا البلاغية على مدى استعمالها للتأثير في العقول، والتنوير في القلوب.

ومن خلال ما مرت بالباحث من الدراسة في هذه الورقة يقترح ما يلي:

أ- على شعرائنا في هذه الديار النيجيرية أن يهتموا بابتكار الأفكار الجديدة، لأن أكثرهم ما زالوا يرددون المعاني التقليدية في أشعارهم.

ب- عليهم الاهتمام الفعّال في أشعارهم بالجانب الفني عامة، والصور البلاغية خاصة، لتشمل انتاجاتهم الأدبية وخاصة الشعرية موادا خصبة للنقد والدراسات الأكاديمية.

ج- على الأدباء النيجيريين ولا سيما شعرائهم بالحفاظ على مخطوطاتهم وتدوينها ونشرها حتى لا تضيع مجهودتهم أدراج الرياح.

د- على طلاب اللغة العربية وآدابها النيجيريين دراسة ما تركته أقلام الأدباء النيجيريين شعرا ونثرا، للحصول على فنيتهما، وتسواها مع غيرها من الانتاجات الأدبية في العالم الأدبي العربي.

الهوامش والمرجع:

- (١) ترجمة حياة كمال الدين المبارك علي توجد في مكتبته الخاصة.
- (٢) كما الدين المبارك علي (الدكتور)، باقة الأزهار ديوان الشعر العربي، ط/أ، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م، دار النور للثقافة العربية والإسلامية، أوتشي، ولاية أيدو، نيجيريا، ص: ٥٤-٥٥.
- (٣) سلمان علوان العبيدي، البناء الفني في القصيدة الجديدة- قراءة في أعمال مُحمَّد مردان الشعرية، ط/أ، ٢٠١١م، عالم الكتب، إريد، الأردن، ص: ١١
- (٤) مُحمَّد عسران (دكتور)، البنية الإيقاعية في شعر شوقي، د/ط، ٢٠٠٦م، مكتبة بستان المعرفة، ص: ٣٨.
- (٥) المرجع نفسه والصفحة نفسها
- (٦) المرجع نفسه، ص: ٣٦
- (٧) حسين علي الدخيلي، الفنية لشعر الفتوحات الإسلامية في عصر صدر الإسلام، ط/أ، ٢٠٠١م، دار الحامد، عمان، الأردن، ص: ١٣٦.
- (٨) المرجع السابق، ص: ١٤٩
- (٩) المرجع السابق ص: ١٥
- (١٠) المرجع السابق والصفحة نفسها

- (١١) عبد العزيز عتيق، علم العروض والقافية، د/ط، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م، دار الآفاق العربية، القاهرة، ص: ١٤٢.
- (١٢) شعبان صلاح، موسيقى الشعر بين الإتياع والإبداع، د/ط، ٢٠٠٧م، دار غريب، القاهرة، ص: ٢٧٦.
- (١٣) ابن منظور، لسان العرب، مج ١، ص: ١٣٥.
- (١٤) نازك الملائكة، قضايا الشعر المعاصر، ط/ه، ١٩٧٨م، دار العلم للملايين، بيروت لبنان ص: ٢٧٦.
- (١٥) حفيظة عزوز، البناء الفني في ديوان فردوس القلوب للشاعر أحمد بزيبو، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الآداب واللغة العربية، جامعة محمد خيضر بسكرة، ١٤٣٦هـ-٢٠١٥م، ص: ٣٤.
- (١٦) حمزة إشولا عبد الرحيم، المدخل إلى فونولوجيا العربية للطلاب بغرب أفريقيا، ط/٢، ١٤٣٨هـ-٢٠١٧م، مركز الهدى للطباعة والنشر، ص: ٣٧.
- (١٧) المرجع السابق ص: ٣٥.
- (١٨) حفيظة عزوز، المرجع السابق ص: ٣٦.
- (١٩) حمزة إشولا عبد الرحيم، المرجع السابق ص: ٣٧.
- (٢٠) المرجع السابق، والصفحة نفسها.
- (٢١) مجلوبة من موقع www.achamel.info/lyceens/cours.php يوم الثلاثاء الموافق ١٩/٠٣/١٢، مساء.
- (٢٢) حفيظة عزيز، المرجع السابق، ص: ٣٨.

- (٢٣) مجلوبة من الموقع السابق
- (٢٤) حفيظة عزيز، المرجع السابق، ص: ٤١
- (٢٥) أحمد مصطفى المراغي، علوم البلاغة: البيان والمعاني والبديع، د/ط، ٢٠٠٨م، شركة أبناء شريف الأنصاري، ص: ٦٤.
- (٢٦) المرجع السابق، ص: ٦٥
- (٢٧) أيمن أيمن عبد الغني، الكافي في البلاغة، د/ط، د/ت، دار التوفيقية للتراث، ص/ ٣٣٦.
- (٢٨) المرجع السابق، ص: ٢٤٢
- (٢٩) المرجع السابق، ص: ٢٤٤
- (٣٠) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب المظالم والغصب باب نصر المظلوم، ١٢٩/٣، برقم ٢٤٤٦.
- (٣١) عبد الرحمن شهاب الدين (الإمام الحافظ)، جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، ج/٢، ط/أ، ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م دار ابن الجوزي، ص: ٢٧٣.

مشاكل تعليم البلاغة العربية وحلولها في كلية التربية الفدرالية في ولاية كنو

إعداد

الدكتور ثالث هلر فنجا

قسم اللغة العربية، كلية التربية الفدرالية، كنو - نيجيريا

alpandawi@gmail.com

المقدمة:

قد يكون من البداهة القول بأن علم البلاغة العربية علم له قدره ومكانته لدى المسلمين؛ لما له علاقة وطيدة بنصوص الشريعة الإسلامية الغراء، الأمر الذي أوجب عليهم أن يولوا هذا العلم العناية الفائقة، والمكانة الملائمة تعلمًا وتعليمًا، ولكن مع ذلك كله توجد معوقات أو عراقيل عديدة تحول دون تحقيق الغاية المنشودة من تعليم البلاغة العربية للناطقين بغير العربية. وعليه فإن هذه الورقة تسعى إلى إلقاء الضوء على بعض هذه المعوقات وتشخيصها لمعلمي البلاغة ودارسيها والخبراء، وهذه المعوقات والتحديات بمثابة إشكالية دفيئة تنتظر من يمدّها بمقترحات مفيدة تنير الطريق، ولعلّ ما يقوم به الباحث يكون عونًا ونبراسًا لذلك حتى يكون تفسير علم البلاغة إلى بر الأمان. وسيستخدم الباحث المنهج الوصفي في تناول هذا الموضوع؛ علما بأنه يصف الظواهر كما هي كمًا وكيفًا. ومن النتائج المتوقّعة في هذه الورقة أن هذه

المعوقات مع كثرتها وتنوعها قابلة للإزالة أو التسهيل إذا تضافرت الجهود
بجد وبصدق. ويتكون هذا المقال من العناصر الآتية:

- نبذة تاريخية عن كلية التربية الفدرالية-كنو.
- معوقات تدريس البلاغة العربية للناطقين بغير العربية.
- حلول مقترحة.
- الخاتمة.

نبذة تاريخية عن كلية التربية الفدرالية - كنو:

أسست هذه الكلية المفداة عام: (١٩٦١م) باسم: كلية تدريب أهالي كنو، وكان موقعها مستعارا يقع في رحاب المدرسة الابتدائية بمحلية غوالي كنو. وبعد أن قضت الكلية أربع سنوات هناك، انتقلت إلى مقرها الدائم (الراهن) سنة: (١٩٦٠م) وتغير اسمها إلى: كلية المعلمين (Kano Teachers College). تبعا لنوعية الدراسة والشهادة العلمية التي تمنح للدارس بعد التخرج. كما تغير اسمها كذلك إلى: كلية التربية الفدرالية - كنو (Federal College Of Education, F.C.E Kano) في عام: (١٩٩٠)، (نور الدين أحمد نور وآخرون، ٢٠١٧م، ١٣). وتتمتع الكلية حاليا بشعب وأقسام متعددة، من بينها قسم اللغة العربية، وهو أحد الأقسام المندرجة تحت شعبة التعليم الثانوي (كلية اللغات).

معوّقات تعليم البلاغة للناطقين بغير العربية:

المعوّقات لغة جمع معوّق، والمعوّق اسم فاعل من الفعل الثلاثي المضعف (عوّق) بمعنى صرف الشيء وحبسه وثبطه. (الرازي، ٢٠٠٣، ٣٤٥). وجاءت المادة في القرآن الكريم في قوله تعالى: "قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ" الأحزاب: ١٨، أي المثبطين. (السيوطي والمحلي، ٥٥١) وأما المعوّقات اصطلاحاً: فهي عبارة عن التحديات أو الصعوبات أو المشكلات التي تواجه الشيء بصرامة وتمنعه عن الوصول إلى الهدف المحدد مسبقاً أو تؤخر، أو تؤثر في نوعيته. (ينظر: عباس بله مُجدّد أحمد، ٢٠٠٩، ١٨٥ بتصرف كبير من الكاتب).

وأما التعليم فهو العملية التي يتم من خلالها انتقال المعلومة من مصادرها إلى المتلقي. (عبد الرحمن كدوك، ٢٠٠٠، ٢٥). ويمكن تحديد معوّقات تعليم المفاهيم البلاغية للناطقين بغير العربية في كلية التربية الفدرالية في ثلاثة معوّقات، وهي: مُعوّقات منهجية. ومُعوّقات تنسيقية أو إدارية. ومُعوّقات استراتيجية.

١ - معوّقات منهجية:

من صور هذا التعويق أن المنهج البلاغي الدراسي تتراكم فيه مفردات المنهج بصورة لا يتصور العقل إمكانية تغطية محتوياته في فترة دراسية واحدة، وإلّا يكتم مفردات المنهج لتعايشوا مع الباحث هذا التعويق:

- فكرة عن البلاغة والفصاحة والأسلوب.
- تاريخ نشأة علم البلاغة وتطوره.
- فمن علم البيان يدرس الطالب الموضوعات الآتية:
 - التشبيه، والمجاز، والاستعارة، والكناية.
 - ومن علم المعاني يدرس الطالب ما يأتي:
- الخبر والإنشاء، والفصل والوصل، والقصر، والإيجاز، والإطناب، ثم المساواة.
- وفي علم البديع يدرس الطالب المفردات الآتية:
 - الجناس، الطباق، التورية، المقابلة، تأكيد المدح بما يشبه الذم وعكسه، حسن التعليل، ثم أسلوب الحكيم.
- ويهدد المنهج بصرامة لا بد من القيام بتدريبات عملية مكثفة في هذه المادة. (National Commission For College Of Education, 2012) (Edition, Page 20).

بناء على ما تقدم لا أظن أن محاضرا كائنا من كان بوسعه أن يقوم بتغطية مفردات المنهج البلاغي السابق مع تدريبات مكثفة في فترة زمنية محددة لطلاب المستوى الثالث ولو تضاعفت ساعات التدريس فيها؛ ذلك أن العرب تقول: "إذا أردت أن تطاع فاطلب المستطاع" فتكليف المعلم بتغطية تلك الموضوعات في ساعة واحدة في الأسبوع في فترة

واحدة يكاد يكون أمرا مستحيلا (غير مستطاع). ومن ثم يجب على من يهتم الأمر إعادة النظر في المنهج البلاغي لتراكم مفرداته ولتصميمه بصورة مدققة قابلة للتطبيق الفعال، وإلا فلا يزال هذا النوع من التعويق عقبة وكارثة تحول دون تحقيق أهداف تعليم البلاغة للناطقين بغير العربية على الوجه المنشود.

٢- معوقات إدارية/ تنسيقية:

تنسيق من الأمور المهمة التي تسهل كثيرا من المعوقات أو التحديات التي تعرقل عملية التعليم والتعلم للناطق بغير العربية في كلية التربية الفدرالية، وبما أن بالأمثلة تتضح المقاصد يمكن القول بأن منسقي الجداول أو مصمميها أو الإداريين بصفة عامة ينبغي أن يقوموا بتنظيم الجداول التعليمية دون الاعتبار بتوزيع ساعات الحصص/ المواد الدراسية حسب درجاتها المحددة في المنهج الدراسي، فمواد ذات درجات متفاوتة تستوي ساعات التدريس فيها، ألا وهي ساعة واحدة لكل مادة ولو كانت ذات ثلاث درجات أو درجتين؛ فمثال المادة الأولى، مادة الأدب العربي (ARB.321) والمادة الثانية هي مادة البلاغة العربية (ARB.323) التي نحن بصدد الحديث عن معوقاتها، فالمفروض - تربويا/تنسيقيا- إذا تزايدت درجات المادة تزايدت ساعاتها في الجدول الدراسي ليتمكن تغطية مفرداتها على الوجه المطلوب وإلا فلا، وبالتالي أن المادة ذات درجتين

علاواتها (Allowances) تزيد عن علاوات المادة الأقل درجة منها في قسم البرنامج الخاص / الدراسة غير المتفرغة (Part Time Unit) فيا تُرى السر في هذا التفريق هو تزايد ساعات التدريس في المادة ذات درجات أكثر.

٣- معوقات استراتيجية:

يعتبر عدم استخدام استراتيجيات متنوعة في تعليم الناطقين بغير العربية خصوصا المفاهيم البلاغية من أكبر المعوقات التي تحول دون تحقيق الهدف المنشود في تدريس البلاغة لغير العرب، ومن بين الاستراتيجيات التي يراها الباحث صالحة لتعليم المفاهيم البلاغية للناطقين بغير العربية استراتيجيات التفكير المتشعب، وما أدراك ما هو؟ التفكير المتشعب: "هو مجموعة العمليات العقلية غير المرئية التي تحدث في اتجاهات متعددة نتيجة حدوث وصلات جديدة بين الخلايا العصبية في شبكة الأعصاب بالمخ لمساعدة الفرد على التكيف مع مواقف الحياة المختلفة". (علي عبد المحسن الحديبي، ٢٠١٢، ٣٥).

يقوم التفكير المتشعب على الفلسفة الآتية:

أثبتت البحوث العلمية بأن التفكير المتشعب ظهر نتيجة جهود عدة بعضها تلك تمثل في الأبحاث التي أجريت على الدماغ، والبعض الآخر يتمثل فيما قام بها علماء التشريح، وعلم النفس المعرفي. ويستند التفكير المتشعب واستراتيجياته على النظريات الآتية:

- نظرية جيلفورد عن التحليل العاملي للإبداع.
 - نظرية بياجيه عن النمو المعرفي.
 - نظرية الدماغ: وتشمل:
 - أ- نظرية نصفي الدماغ.
 - ب- نظرية هيرمان للمخ الكامل، (Whole Brain Model)
 - ج - نظرية التعلم المستند على الدماغ، (Brain Based Learning)
 - لريناتي كين، وجيفري كين.
 - د- نظرية الذكاء المعاصرة: من أهمها: نظرية الذكاءات المتعددة لجانر. (علي عبد المحسن الحديبي، ٢٠١٢، ٣٦).
 - أثبتت المصادر العلمية أن هناك سبع استراتيجيات للتفكير المتشعب. (علي عبد المحسن الحديبي، ٢٠١٢، ٤١)، وهي:
 - أولاً: استراتيجية التفكير الافتراضي (Hypothetical Thinking Strategy):
- هذا التفكير يعمل على تكوين معلومات جديدة وهو حافز قوي لتنمية الخلايا العصبية! لأنه يتطلب وضع تصور للقضايا المختلفة والعواقب التي تترتب عليها بطريقة مختلفة عما يتعوده الطالب أو يتوقعه. ويمكن توظيف هذه الاستراتيجية في تعليم المفاهيم البلاغية بأن يطلب من المتعلم ما يأتي:

- يذكر النتائج المتوقعة في حالة حدوث شيء بدلا من شيء آخر.
 - يوضح كيف يتصرف لوضع في موقف معين.
ومن أمثلة استخدام هذه الاستراتيجية:
 - ماذا يحدث لو كان علم البديع مختصا بضبط الكلام وتشكيله بدلا من كونه مختصا بتزيين الكلام وتجميله؟
 - لو كنت معلما للبلاغة، كيف ستشرح موضوع: "حسن التعليل"؟
- يلاحظ أن هذا النوع من الأسئلة يجعل الدارس يفكر تفكيرا مبدعا.

ثانياً: استراتيجيات التفكير العكسي (Reversal Strategy):
تقوم هذه الاستراتيجية على قلب الأمور المعروفة، وتجعل المتعلم في موقف يتطلب منه ذكر النتائج المترتبة على عكس الأمور، فيبدأ من النهاية وينتهي بالبداية.

ويمكن توظيف هذه الاستراتيجية من خلال الأسئلة الآتية:

- ماذا حدث إذا قلنا القمر يشبهك في جمالك؟
- ماذا يحدث إذا قدمنا كلمة فلانية على كلمة كذا؟
- أعد كتابة الجملة الآتية مبتدأ بالكلمة الأخيرة.

ثالثاً: استراتيجية تنظيم الأنظمة المختلفة (Application of Different Symbol Strategy):

تعتمد هذه الاستراتيجية على استخدام الأنظمة الرمزية المختلفة في مواقف تعليمية. ويمكن توظيف هذه الاستراتيجية في تعليم المفاهيم البلاغية لغير العرب من خلال مطالبة الدارس بالآتي:

١- لخص أقسام البلاغة الثلاثة ومباحثها؛ موضحاً علاقاتها من خلال التحليلات الشجرية.

٢- أكمل ما يأتي من المفاهيم البلاغية؟

الطباق: _____

الجناس: _____

التشبيه: _____

الإطناب: _____

رابعاً: استراتيجية التناظر (Analogy Strategy):

تستخدم هذه الاستراتيجية لتنشيط القدرات الذهنية، وتتم بالنظر في جملة الاستجابات المختلفة، والبحث عن الأجزاء المتماثلة أو المتشابهة فيما بينها، ويتطلب هذا النوع من التفكير إبداعاً عالياً.

ويمكن توظيف هذه الاستراتيجية في تعليم المفاهيم البلاغية للدارس غير العربي من خلال الآتي:

- يذكر أوجه الشبه بين شيئين أو أكثر.
 - يذكر أوجه الاختلاف بين شيئين أو أكثر.
- مثال الأسئلة التي تعبر في ذلك:
- ما أوجه الشبه بين التشبيه والاستعارة؟
 - ما أوجه الاختلاف بين التشبيه والاستعارة؟

خامساً: استراتيجية تحليل وجهة النظر (Analysis of Point of View)

(Strategy):

هذه الاستراتيجية تقود المتعلم إلى التفكير الدقيق في آرائه ومعتقداته ويعبر عن أفكار ومبادئ وقيم في شتى المواقف، وهذا النوع من التفكير يؤثر في رؤيته للأمور وتفاعله مع الأحداث.

ويمكن توظيف هذه الاستراتيجية في تعليم المفاهيم البلاغية من

حيث:

- مطالبة الطالب بأن يذكر انطباعاته الخاصة نحو البلاغة كمادة مثلاً.
- مطالبة الطالب بأن يذكر مبرراته نحو هذا الانطباع.
- وإذا رفض أمراً يذكر أسباب الرفض له.
- ومن الأمثلة التي تصلح في ذلك ما يأتي:
- اذكر انطباعاتك الخاصة نحو البلاغة العربية؟

- ما مبررات هذا الانطباع الخاص؟
- لماذا ترفض علم البيان؟

سادساً: استراتيجية التكملة (Completion Strategy):

تتطلب هذه الاستراتيجية من المتعلمين تكملة الأشياء الناقصة مما يجعل الدارس أن يفكر في المكملات بصورة دقيقة. ويمكن توظيف هذه الاستراتيجية في تعليم المفاهيم البلاغية في المستوى المتقدم من خلال مطالبة الآتي:

- يكمل شيئاً ناقصاً.
- يكمل فراغات متعينة في نص مقدم له.
- مثال ذلك من الأسئلة ما يأتي:
- كمل ما نقص من القطعة الآتية؟
- كمل الفراغات التي تراها في هذا النص؟

سابعاً: استراتيجية التحليل الشبكي (Web Analysis Strategy):

تعتمد هذه الاستراتيجية على تنمية القدرة على اكتشاف العلاقات بين الظواهر والأحداث أو الأشياء المتشابهة والمتداخلة، ومحاولة استنتاج الارتباط بينها ثم تبسيطها وتحديد طرق تعقد الظواهر. ويمكن توظيف هذه الاستراتيجية في تعليم المفاهيم البلاغية للدارس غير العربي من خلال:

- تحديد العلاقة بين شيئين مرتبطين أو أكثر. مثال ذلك:

١- حدد كيف يرتبط علم البديع بتحسين الكلام وتزيينه؟

٢- ما العلاقة بين السجع والجناس؟

يلاحظ أن هذه الاستراتيجيات السبعة تكلف الطالب بأن يقوم بتطبيقات حساسة للمفاهيم البلاغية، ولكن هذا أمر يتطلب الطلاب الأذكياء أو الجادين، كما يتطلب أستاذا ومرشدا ماهرا متحمسا، أضف إلى ذلك أن هذا النوع من الاستراتيجيات يتطلب مستوى متقدما على الأقل طلاب المستوى الثالث للشهادة الوطنية في التربية، أو طلاب المستوى الرابع للمستوى الجامعي، أو مستوى الماجستير.

حلول مقترحة:

يحتاج منهج تعليم البلاغة العربية إلى إعادة النظر في مفرداته وإعادة تصميمه، ثم توزيعه على المستويات الثلاثة (من المستوى الأول إلى الثالث) على النحو الآتي:

المستوى الأول: يدرس فيه الطالب موضوعات مختارة من علم البيان على أن يشمل ذلك نشأة البلاغة العربية بصورة موجزة.

المستوى الثاني: يدرس الطالب فيه موضوعات مختارة من علم المعاني.

المستوى الثالث: يدرس الطالب موضوعات مختارة من علم البديع.

على أن يشمل ذلك تدريبات مُكثِّفة واستراتيجيات متنوعة، ولا يهمننا في ذلك تركم الموضوعات، بل ليكن التطبيق والتوزيع والإجادة والدقة الهدف الأسمى الذي يراد تحقيقه. كما يجب التوازن أو الإنصاف في عدد الساعات الموزعة على المواد، إذا تزايد درجات المادة زيد في ساعتها حتى يتمكن المتعلم من تغطية مفردات المادة والقيام بتدريبات لازمة فيها.

الخاتمة

الحمد لله بدءاً وختماً على إكمال هذه العجالة التي تناولت نبذة تاريخية عن كلية التربية الفدرالية بالإضافة إلى التعريف بالبلاغة العربية لغة واصطلاحاً. كما تعرضت الورقة للحديث عن مشاكل تعليم البلاغة العربية في كلية التربية الفدرالية في ولاية كنو، فصنفت تلك المشاكل إلى: مشاكل منهجية، وتنسيقية، واستراتيجية، ففي الاستراتيجية ناقشت الورقة التفكير المتشعب واستراتيجياته السبعة التي تراها الورقة صالحة للاستخدام في المستوى المتقدم، ثم أتت الورقة بحلول مقترحة مهمة في مواجهة المعوقات والتحديات التي سبق ذكرها، وأخيراً توصل المقال إلى النتائج الآتية:

- ١- المعوقات المذكورة في الورقة قابلة للمعالجة أو التحسين إذا تضافرت الجهود من قبل المعنيين بالشئون التعليمية والإدارية (التنسيق).

- ٢- التفكير المتشعب له أثر فعال في تحفيز الطلاب على الإبداع.
- ٣- كلية التربية الفدرالية في ولاية كنو كلية عريقة تستحق الترقية إلى الجامعة.
- ٤- استراتيجيات التفكير المتشعب قد تكون صعبة التطبيق للمعلم غير المؤهل وغير.
- ٥- استراتيجيات التفكير تكون صالحة في المستوى المتقدم (المستوى الثالث أو الرابع الجامعي أو الماجستير).
- ٦- المشاعر التنسيقية أو الإدارية قد تكون عائقا كبيرا في الوصول إلى الغايات التربوية.
- ٧- منهج تعليم البلاغة العربية يحتاج إلى إعادة النظر فيه وإعادة تصميمه وتوزيعه على المستويات الدراسية الثلاثة في كليات التربية بصفة عامة.
- ٨- قد أُحسن اختيار المفاهيم البلاغية التي وردت في المنهج الدراسي والمناسبة للناطق بغير العربية غير أن تراكمها على فترة واحدة أصبح عائقا كبيرا في تغطية المنهج الدراسي.

قائمة المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.
- السيد أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع. بيروت-لبنان، دار الفكر، سنة: ٢٠٠٠م.

- جلال الدين السيوطي والمحلي. تفسير الجلالين. القاهرة: دار الحديث، الطبعة الأولى، ج ١، بدون تاريخ الطبع
- عباس بله مُجَّد أحمد (الدكتور): إدارة المنظمات التعليمية والسلوك التنظيمي. السودان - الخرطوم، مطبعة جامعة أمدرمان الإسلامية، سنة: ٢٠٠٩م.
- علي الجارم ومصطفى أمين: البلاغة الواضحة، البيان والمعاني والبديع، بيروت- لبنان، المكتبة العلمية، بدون تاريخ الطبع.
- ثالث هلر فندا: محاضرات في البلاغة العربية لكليات التربية والمعاهد العليا، الطبعة الثانية، سنة: ٢٠١٩م.
- مُجَّد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح. دار الإرشاد للنشر، سنة: ٢٠٠٣م.
- محيي السنة، ابن و مُجَّد الحسين بن مسعود بن مُجَّد بن الفراء (البغوي)، شرح السنة، المكتب الإسلامي - دمشق، بيروت الطبعة: الثانية، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣
- عبد الرحمن كدوك (الدكتور): تكنولوجيا التعليم (الماهية والأسس والتطبيقات العلمية)، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، سنة: ٢٠٠٠م.

المجلات:

- علي عبد المحسن الحديدي (الدكتور): فاعلية استراتيجيات التفكير المتشعب في تنمية المفاهيم البلاغية والاتجاه نحو البلاغة لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى، مجلة العربية للناطقين بغيرها، العدد الرابع عشر، يونيو ٢٠١٤م، السنة التاسعة.

البحوث العلمية:

- نور الدين أحمد نور وآخرون: برنامج حكومة ولاية كنو لتأهيل مدرسي الابتدائية (الإيجابيات والسلبيات)، بحث تكميلي قدم إلى قسم اللغة العربية كلية التربية الفدرالية لنيل شهادة الدبلوم المهني في التربية (PDE) سنة: ٢٠١٧م.

- عبد الكريم يعقوب وآخرون: معوقات تعليم اللغة العربية في المدارس الثانوية العربية الحكومية للبنين بنكوري. بحث تكميلي قدم إلى قسم اللغة العربية كلية التربية الفدرالية لنيل شهادة التربية الوطنية (ECN) ٢٠١٦م.

المراجع الأجنبية:

- Nigerian Certificate in Education, Minimum Standards For Languages 2012 Edition.
- Federal College of Education, Kano. Report of the College Five (5) Years Strategies Planning and Implementation Committee 2016 – 2020. Submitted to The College Management, March 2017.